

١٧١

الحجوة

في تفسير القرآن الكريم

الشمس على عجايب بديع المكنون وغرائب الآيات باهرا

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بجزائه آمين

الجزء الثامن

طبع بمطبعة

مضيفى البان الحلبى وأولاده بمصر

(حقوق الطبع محفوظة)

شوال سنة ١٣٤٦ هـ

الحمد لله

في تفسير القرآن الكريم

الشمس على عجاب بفتح الميم وأغرب الأرباب بأصرا

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ ططاوي جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بجزائه آمين

الجزء الثامن

طبع بمطبعة

مطبعة الباني الحائى وأولاده بمصر

(حقوق الطبع محفوظة)

شوال سنة ١٣٤٦ هـ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة بنى اسرائيل مكية ١١٠ آيات - وان كادوا ليفتنونك - الى آخر ثمان آيات)

(وهى مائة وعشر آيات)

هذه السورة ﴿ قسمان ﴾ القسم الأول ﴿ من أول السورة الى قوله تعالى - وقالوا أ إذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا -

﴿ القسم الثانى ﴾ من قوله تعالى - قل كونوا حجارة أو حديدا - الى آخر السورة
القسم الأول فيه (١) الاسراء (٢) وتاريخ بنى اسرائيل ارتقاء وانحطاطا (٣) وحكم تتبع ذلك وعظمت
للأمة الاسلامية لثلاث تذهب دولها كما ذهبت دولة اليهود (٤) ثم تبيان أن كل ما فى السموات والأرض مسبح
لله رجوعا الى مبدأ السورة مع نصائح أخرى

لِلْقِسْمِ الْأَوَّلِ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا
حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى
لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ
عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا

خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَقْمُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
 وَبَنِينَ وَجَعَلْنَا كُمُ أَكْثَرًا نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
 وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا
 * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَذَا
 الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا
 * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ
 بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوُونا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَسْعَوْا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ
 تَفْصِيلًا * وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ
 مَنْشُورًا * أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
 لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ
 نَبْعَثَ رَسُولًا * وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
 فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
 خَبِيرًا بَصِيرًا * مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ
 يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ
 كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُعْذِهُنَّ وَأُوْلَاءَ وَهُنَّ لَنَا آيَةٌ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
 مَحْظُورًا * أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
 تَفْضِيلًا * لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
 إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا
 تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
 كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ
 لِلَّأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ
 الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِنَّمَا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْغَاءَ

رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِي تَحْنٌ نَّرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا * وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا السَّكِيلَ إِذَا كِلْتُمْ وَرِثْتُم بِالْقِسْطِ أَسْتَقِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا * أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا * قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَشْعُرُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا * وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا * أَنْظَرُ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا *

(التفسير اللفظي)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أَسْبَح (سبحان) الله أي تنزيهه فسبحان اسم بمعنى التنزيه أي أُنزله الله أن يعجز عما سبذكر بعده

(الذي أسرى إبعده) محمد ﷺ وسرى وأسرى لغتان (ليلا) في مدة قليلة منه دل عليها تكبير ليل (من المسجد الحرام) هو المسجد بعينه لا الحرم كله * لقوله عليه الصلاة والسلام بينا أنا نائم في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق وقد عرج في السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن غيرهم وعدد جلالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة * والخلاف مشهور أكان باليقظة أم في المنام فعائشة رضي الله عنها تقول بروحه والجمهور يقولون بجسده وسيأتي تحقيقه وقوله (إلى المسجد الأقصى) أي بيت المقدس إذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) بركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من أيام موسى عليه السلام وحوله الأشجار المثمرة والأنهار الجارية (انريه) أي محمدا ﷺ (من آياتنا) من عجائب قدرتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم ورؤيته عجائب السموات وغرائب المخلوقات فيها (إنه هو السميع) لأقوال محمد ﷺ (البصير) بأفعاله فيكرمه ويقربه على حسب ما استعذله بذلك * ولما كان بيت المقدس مقر الأنبياء من أول موسى عليه السلام ولهم دول تباينت وأمم تناسقت في تلك الأقطار أطلع الله نبيه محمدا ﷺ على أحوالهم ليطلعنا عليها وأوحى إليه ما حلّ بقوم موسى من عزّة وذلة وشرف وسحق وقد أنزل عليهم كتاب التوراة المنزل على موسى ليدلنا على ما سيكون لنا في مستقبل الزمان وأنا سنلاقي مالاقت الأمم فلنحترس مما وقعوا فيه ولذلك أعقبها بأدب ونصائح وفضائل لم تسكن في سورة قبلها متتابعة على هذا المنوال وشدّد في ذلك حتى أعطى (٢٥) نصيحة في نسق واحد * فأما التوراة فإن مدار نصائحها على الكلمات العشر المعروفة فقال سبحانه موضعا ذلك (وآتيناهم موسى الكتاب) التوراة (وجعلناه) أي الكتاب (هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا) يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني ربا تكونون إليه أموركم يا (ذرية من حملنا مع نوح) في السفينة (إنه كان عبدا شكورا) يحمد الله على جميع حالاته ويقوم بحق النعمة ويصرف كل ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله فلذلك أنجيته من الغرق فاذا سرتم على طريقه أنجيحكم من الهلاك فاشكروني بمعرفة حق النعمة أدم لكم النعم كما أدمتها عليه * ثم أخذ يفصل ما حصل لبني إسرائيل وهل هم قاموا بالشكر كنوح أبيهم أم هم ضلوا السبيل فغضب عليهم وكل ذلك ليس يقصد منه إلا نحن أصحاب هذا القرآن ثم قال (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) أي وقضينا على بني إسرائيل في كتابنا الذي كتبناه على الخلق وقدرناه عليهم قبل خلقهم وأن لكل دولة أيام رفعة وأيام ذل وأقسامنا (لتفسدن في الأرض) أي أرض الشام وبيت المقدس (مرتين) كما هو شأن كل أمة نالت حظا من الحضارة والترفع وسكرت بالنعيم (ولتعلقن علوا كبيرا) أي ولتستكبرن ولتظلمن ظالما كبيرا (فاذا جاء وعد أولاهما) أولى المرتين بأن خالفتم أحكام التوراة وركبتم المحارم فقتلتم شعباء في الشجرة مثلا (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأسا شديدا) أشداء في القتال لأنكم لم تسيروا على سنن أبيكم نوح في شكر نعمائهم وهؤلاء العباد بختنصر وجنوده فقتلوا علماءكم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا سبعين ألفا (فأسوا خلال الديار) تردّدوا للغارة فيها * والجوس طلب الشيء بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكثرة عليهم) أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم وتهذبتم (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكترا نفيرا) مما كنتم والنفير جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) أي إن الاحسان والاساءة مختصان بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم * وعن علي رضي الله عنه (ما أحسنتم إلى أحد ولا أسأت إليه) (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد العقوبة المرتة الآخرة بعشائهم (لبسوا وجوهكم) أي

ليجملوا آثار المساء بادية فيها (وايئسوا المسجد) بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما عاينوا. تنبيرا) أي ولهملكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه وهؤلاء هم الروم حاصروهم وافتتحوا بيت المقدس وأخشوا في القتل والأسر والتعذيب وسخروا البيت وأجأهم إلى رومة وماوراءها وهو الخراب الثاني للمسجد ويسمى الخبوة الكبرى (عسى ربكم) بعد المرة الأخرى (أن يرجمكم وإن عدتم) نوبة أخرى (عدنا) مرة ثالثة إلى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ بعد الثالثة كما عادوا بعد الأولى بتكذيب عيسى فسلط الله عليهم الروم إذ ذاك فهكذا هنا سلط عليهم محمد ﷺ فقتل قريظة وأجلى بنى النضير وقررا الجزية على الباقين . هذا لهم في الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا لا يخرجون منه أو بساطا كما يبسط الحصير . هذا ما كان من أمر التوراة وتناججها في الأمة التي اتبعته وهذا القرآن أنزله لأمر ستأتي وأنزلنا فيه حكما أرقى مما في التوراة لأن العالم سائر إلى الأمام (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) للطريقة التي هي أقوم الطرق (ويبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) هذه هي القاعدة العامة في القرآن وفي كل دين . ثم أخذ يفصل ذلك والتفصيل ﴿قسمان﴾ قسم علمي وقسم عملي . فأما القسم العلمي فهو

(١) أن يتثبت الانسان ويتصرف في أموره

(٢) ويعينه على ذلك اطلاعه على حساب الليل والنهار وعجائبهما فان الدقة في حركات الأفلاك وحسابها تعلم الانسان الثبات والصبر والسير على النهج الأكمل في الحياة

(٣) ومتى علم ذلك فليقرأ علوم النفس البشرية ونظامها فانها ذات حساب بل حساب أعمالها قائم فيها ثابت وهو مخبوء في الدنيا لا تطلع عليه إلا بعد الموت كما لا يطلع الناس على حساب الأفلاك إلا بدراستها والخلوص من الجهالة بالعلوم الرياضية ويوم القيامة يقرأ كل انسان كتابه بنفسه لأنه حاضر فيها

(٤) وهكذا الدول والأمم فان لكل دولة نظاما في كيائها ولواطلت عليه لأدركت سبب سقوطها فهي متى غمست في الترف والنعيم هلكت وساء مصيرها وذلك آت من نفسها وطباع أهلها فسكانه مكتوب في جبينها يقرأ في صحائف نفوسها كما يقرأ الناس صحائف أعمالهم يوم القيامة

(٥) وهذا قانون الأمم كلها متى طغت هلكت فلا فرق بين الأمم التي بعد نوح وهم كثيرون وبين الأمم الآتين من دول الاسلام والشرق والغرب

(٦) هذا قانون عام فمن قصر نظره على الامور الوقتية نالها وحرم غيرها ومن اتسعت بصيرته فأدرك الحقائق وعمل للمستقبل فازبه . هذا هو القسم العلمي وما تفرع منه

وأما القسم العملي فهو ٢٥ نصيحة سيأتي ذكرها . فهذه هي الطرق التي سنها الله في القرآن ليحترس علاماء الاسلام مما وقع فيه اليهود من ضياع ملكهم وخراب ممالكهم وهذا من معنى قوله تعالى - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم -

﴿القسم العلمي﴾

الفصل الأول منه قوله تعالى (ويدع الانسان بالشتر دعاء بالخير) فيدعو الله عند غضبه بالشتر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب ما يقع في قلبه ولا يتأني ومن هذا ما حصل من الضرر بن الحارث قال ﴿اللهم ان كان هذا هو الحق الخ﴾ فاذا كانت هذه حال الانسان فليس ينبغي أن نتركه وشأنه بل نرسل له الأنبياء ونعلمه ولا ندعه يسرع الى أهوائه فاذا كره البنات مثلا جبرناه على تربيتهم والافسد ملكنا وأمرنا بطريق الدين وبالشفقة المحركة للأفئدة أن يحافظ عليهم فهذا من التسرع بالافكار والاروية . واذا تنعم وشره وظلم سلطنا عليه من يهلكه لئلا يفسد في الأرض كما

حصل لبني اسرائيل

﴿ الفصل الثاني ﴾

فلنظنكم على نظامنا وحسابنا فعلم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وما فوق ذلك من علم الفلك فلهمكم بقراءتها أبواب الخيرات والحكمة كما يقوله الحكماء (وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على قدرتنا وعلمنا وعلى نسقنا العجيب (فجعلنا آية الليل) أى الآية التى هى الليل أى جعلناه محو الضوء مظموسا عظاما لا يستبان فيه شئ (وجعلنا آية النهار مبصرة) مضئمة تبصر فيها الأشياء رؤية بينة (لتبتغوا فضلا من ربكم) تطلبوا في بياض النهار أسباب معاشكم (ولتعلموا) باختلافهما وبحركاتهما (عدد السنين والحساب) أى وجنس الحساب . فكما كان الليل لنومكم والنهار لمعاشكم كان تعاقبهما لتعليمكم السنين والحساب . فالأول بالضوء والظلمة والثاني بالحساب المبنى على الحركات فالضوء نعمة والظلمة نعمة والحركات الفلكية نعمة فنعمة الضوء للامور المحسوسات ونعمة الحركة نعم العقلية والحسية فنحن مافرضا فيما ينفعكم (وكل شئ) تفكرون اليه في دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) فيما أبدعناه من النظام وما خلقناه من الأجرام العظام وحركاتها وابداعها ومن ذلك التفصيل التام ما فصلنا في النفس الانسانية فانما هى صورة لما فصلناه في السموات والأرض بل هى على طبقها

﴿ الفصل الثالث ﴾

قال تعالى (وكل انسان أزمانه طأثره) عمله (في عنقه) أى ان عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق كما تقول جعلت هذا في عنقك أى قلدتك هذا العمل وأزمنتك الاحتفاظ به وانما عبر بالطائر على عادة العرب انهم كانوا يتشاءمون ويؤمنون بروح الطائر وسنوحه فاستعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى فكل امرئ قد ثبت في نفسه كأنه مكتوب فيها ما عمل من خير أو شر فأصبح كأنه مطبوع فيها لا ينفارقها ثم يكشف الغطاء عن الانسان فيقرأ ما عمله ويحده حاضرا في نفسه فيسره أو يسوقه - ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - لأنهم هكذا شأنهم وطباعهم واستعدادهم فأصبحوا على مقتضاه فزونا أو فرحوا ثم قال (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أى حال كونه غير مطوى عنه كما كان في الدنيا ونقول له (اقرأ كتابك) أى كتاب أعمالك فيقرؤه (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) الباء زائدة أى كفى نفسك وحسيبا تمييز وعليك متعلق به أى حاسبا عليك من قولك حسب عليه كذا . وإذا كان المرء يرى أعماله مسطورة مكشوفة يطالعها وهى أعماله فالأمر إذن واضح (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس حاملة وزرها وزر نفس أخرى بل انما تحمل وزرها لأنه هو المسطور فيها والذي تطالعها والذنوب على مقدار العلم والمعرفة والقدرة فن قصر فيما علم ندم كما هى الحال في الدنيا . ان المرء ملزم بعمل ما يطيق وما يعلم فلا يجب على الباعة والتجار تعليم العلم ولا نظام الدولة بل كل ملزم بما علم واستعد له والأثم في الجاهلية لاشئ عليهم إذ لا علم لهم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يبين الخلل ويمهد الشرائع . ولا جرم أن النفس الانسانية التى سطر فيها أعمالها كما كتبت في سجل الأفلاك حسابها ونهجت منهجها فيه على قاعدة - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - حكم الواحد منها حكم جميعها . فما الأثم إلا أفراد مجتمعة ولها طباع وأحوال وقد كتبت في سجلها ما كتبت في سجل الأفراد من ذنوب وطاعات . وكما يعذب الأشخاص يوم القيامة وفي الدنيا . هكذا تعذب الأثم متى طغت في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة بجحيم وطغيان الأثم باتباع الشهوات والظلم والجور الذى ينجم عن التمتع والتمتع وهذا قوله في

﴿ الفصل الرابع والخامس ﴾

(وإذا أردنا أن نهلك قرية) أى وإذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق عليهم (أمرنا مترفيا) أى أكثرنا المنعمين فيها * يقال أمرت الشئ وأمرته فأمر كفرح اذا أكثرته وذلك بأن نصب

عليهم النعم فبطرهم ونفضى بهم الى الفسق كما حصل لبني اسرائيل فيما تقدم فلتحذر أمة الاسلام ذلك وهذا قوله تعالى (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن طاعة أوامرنا (حقاً عليها القول) أى فوجب عليها الوعيد كما جرى لبني اسرائيل إذ سلطت عليهم بختصر أولاً ودولة الروم ثانياً فأخذوا الى أصهبان وماوالاهما من البلدان أولاً وشتوا في بلاد الروم وأخرجوا من ديارهم ثانياً (فدمرناها تدميراً) فأهلكناها اهلاكا وليس ذلك خاصا ببني اسرائيل المذكورين بل هذا قانون عام يعم الأمم السابقة واللاحقة وهذا قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) كعاد وثمود وغيرهما وهذا الاهلاك بالسبب المتقدم وهو التعم والتترف فيكون الجبن من جهة والظلم من جهة أخرى ليستوا جشعهم (وكفى بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا) وإن أخفوها في صدورهم فاذا نسوها فلم ننسها نحن - أحصاه الله ونسوه - فلذلك نعاقب في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة بجحيم وذلك كله بحسب الانسان العاجلة وقصر نظره . فهذا هو الدرس الذي ألقاه الله لنا ليعين الحجة التي تحمل الانسان على مطامع وقية فيما تقدم إذ يدعو الانسان بالشتر كما يدعو بالخير ومثل ذلك طلبه العاجلة بالتعم فهو كما يطلب الشتر بالدعاء فكلاهما تسرع وطلب للشئ قبل وقته وليس التعم محط الآمال في الدنيا بل الدنيا محط التعليم والتهذيب . فاذا تجمل الناس واغتربوا بما لديهم أهلكهم وأضاع دولهم وهذا هو (الفصل السادس) الآتي وقبل أن نبدأ فيه نختم هذا الفصل بما شاع من العثور على حضارة قديمة جداً يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٦ وهو ما يأتي

١ اكتشاف حضارة غابرة في أمريكا الوسطى

عاد الى إنجلترا حديثا من غابات أمريكا الوسطى ومفاوزها كل من المستر (متشل هدجس) و (اللابدى رشمند براون) المستكشفان بعد أن قضيا عاما هناك في البحث عن بقايا حضارة غابرة وقد لاقيا كثيرا من الصعاب وكشفا النقاب عن كثير من الأسرار . ولقد بدأت البعثة عملها بأن تلاشت في الفضاء الواسع المجهول بغية العثور على خرائب مدينة (مايا) القديمة في لوبانتان من هندراس البريطانية واقدمت على البعثة المستكشفة أوقات أيقنوا فيها بفقدان الأمل ولكن عزم المستر (هدجس) وزميلته (لابدى براون) كان باعثا على الاستمرار وعدم اليأس . ولقد كانت تخوض بهم خيولهم المستنقعات حتى راقبها خلال الغابات والادغال

واجتاز المستر (هدجس) وجماعته النهر يصحبهم المرشدون من الهنود وأخذوا طريقهم خلال الادغال طويلا حتى ظهر لهم فجأة هرم عظيم يبلغ ارتفاعه ثلثمائة قدم . وهنا تأكدوا انهم عثروا على شئ في غاية القدم كما انه في منتهى الجدة للعالم وكان ذلك هو اهرام (مايا) الكبير . ولقد كانت (مايا) هذه تمثل أسمى نوع من أنواع الحضارات في القارة الأمريكية . وفي اليوم التالي ظهر من الاكتشاف والبحث انه كان هناك مالا يقل عن ستة اهرامات على ساحة كبرى حجرية مساحتها ربع ميل مربع . وفي اليوم الثالث اكتشف اهراما يبلغ ارتفاعه مائة وثمانيا وثلاثين قدما وعرضه ست وثلاثون قدما . ولما جردت الادغال وجدت سلام حجرية هائلة متدرجة يبلغ وزن الدرج الأسفل منها ما يقرب من طنين . ويقول المستر هدجس انه على ثقة من أنه في وسط وشمال وجنوب أمريكا يوجد مفتاح لأسرار غامضة لو أنها تفتحت للعالم جلبا لسببت حيرة عاتقة في الأفكار العلمية لنظريات النشوء والارتقاء . انتهى

ولنشرع في (الفصل السادس) وهو أتمام لتبيان ما تقدم من أن الانسان عجول فقال تعالى (من كان يريد العاجلة) مقصورا هم عليها (مجلجلة فيها) مانشاء لمن يريد) بدل من له باعادة الجار بدل البعض من السكل فالذين قصرت همهم على العاجلة نعطى بعضهم بعض ما يطلبون وآخرون نحرمهم مما يطلبون جميعه (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) أى

عمل لها عملها وحقتها من السعي وكشاها من الأعمال الصالحة (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله . فالقسم الأول اتمام لايضاح - وكان الانسان عجولا - والقسم الثاني من هذه الآيات في مقابلة وهم المؤمنون (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) أى كل واحد من الفريقين وهؤلاء بدل من كل والعطاء الرزق ومن متعلق بخدمته فلا يخل على مطيع ولا عاص بل نزيدهم جميعا من عطائنا ونجعل اللاحق منه مددا للسابق (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده ان عصوا . ولاضير في ذلك فالانسان العاصي أو الكافر لم يخرج عن حظيرة النعمة الحيوانية فليكن حيوانا كذلك التي ترتع في البوادي وإذا متعنا الحيوان وأكثرناه في الأرض وانضم فريق من الانسان اليه وصار في عداده فهل نبخل عليه . كلا . وهل عطائنا محظور (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الرزق والعمل كيف منصوب بفضلنا على احوال فتشاهد انهم درجات شتى (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أى ان التفاوت في الآخرة أكبر مما تراه في الأخلاق والأرزاق والأعمال . انتهى القسم العلمى

﴿ القسم الثانى العلمى ﴾

لما فرغ من الكلام على القسم العلمى من نظرى السموات والحساب والسنين وأن كل شئ مفصل تفصيلا وأن كل انسان قد سطرت في صحيفته عمله فهو يقروها متى قامت قيامته بموته وبالقيامة الكبرى وانحل بدنه . وهكذا الأمم كالأفراد يطبع على أفرادها طبائع الكسل والشرة والظلم والترف فتهلكها وذلك لقصر نظرهم واتباعهم أمر العاجلة والحياة الفانية فألقى نظرك لمن حولك من الناس تجدهم درجات كثيرة والآخرة أوسع نطاقا وأكثر مراتب . فلما فرغ من هذا شرع يبين القسم العلمى وهو ٢٥ نوعا وقليل فيه علمى كالنوع الأول وهذه الأنواع هي

(١) عدم الشرك اعتقادا (٢) وعبادة الله (٣) النهى عن عبادة غيره (٤) الاحسان للوالدين وجوبا (٥) وهذا الاحسان بوجب أن لا يقول لهما أف (٦) ولا ينهرهما (٧) وأن يقول لهما قولاً كريماً (٨) وأن يخفض لهما جناح الذل تواضعا (٩) وأن يدعو لهما بالرحمة (١٠) وأن يؤتى ذا القربى حقه (١١) والمسكين (١٢) وابن السبيل (١٣) وأن لا يبذّر (١٤) وأن يقول لمن لم يجد مالا يعطيه قولاً مبسورا (١٥) وأن لا يجعل اليد مغلولة الى العنق فيقبضها وأن لا يستطعها كل البسط . وقد جعل هذا دخلا في الخامس عشر والأولى أن يجعل قسما مستقلا ويكون هو الخامس عشر ويكون الثانى والثالث واحدا وهو أن لا تعبدوا إلا إياه فقد جعل ذلك اثنين (١٦) ولا تقتلوا أولادكم خشية اطلاق (١٧) ولا تقتلوا النفس (١٨) ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا (١٩) فلا يسرف فى القتل (٢٠) وأوفوا بالعهد (٢١) وأوفوا الكيل (٢٢) وزنوا بالقسطاس المستقيم (٢٣) ولا تنقب ما ليس لك به علم (٢٤) ولا تمش فى الأرض مراحا (٢٥) لتجعل مع الله إلهاً آخر . ولنرجع الى بقية التفسير اللفظى فنقول

قال تعالى (لتجعل مع الله إلهاً آخر) أيها الانسان (فتتعد) فتصير مذموما مخذولا يذمك الملائكة والمؤمنون ويخذلك الله تعالى (وقضى ربك) أمر أمرا مقطوعا به بأن لا تعبدوا (إلا إياه) وبأن تحسنوا (بالوالدين إحسانا) أى برا بهما وعطفا عليهما ولفظ الاحسان قد يوصل بحرف الباء تارة وبحرف الهمزة الى تارة أخرى وكذا الاساءة تقول أحسنت به واليه وأسأت به واليه قال تعالى - وقد أحسن بى - * وقال الشاعر
اسئلى بنا أو أحسنى لامومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

وقال تعالى (لما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) أى أن يبلغن وما زائدة للتأكيد (فلانقل لهما أف) أى فلا تنضجر مما يستقدر منهما ولا تستقل من مؤوتهما وأف اسم فاعل الضجر وهو مثلث الآخر منوبا وغير منون على اختلاف القراءات ففيه ست قراءات (ولا تنهرهما) تزجرهما عما يتعاطيان مما

لا يهيجك ونهره وانهره بمعنى (وقل لهما قولاً كريماً) حسناً جيلاً كما يقتضيه حسن الأدب معهما (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع وقد جعل للذل جناحاً وأراد جناحه هو أى اخفض جناحك كقوله تعالى - واخفض جناحك للمؤمنين - وأضيف الى الذل للبالغه كما أضيف حاتم الى الجود أى واخفض لهما جناحك للذل (من الرحمة) من فرط رحمتك وشفقتك (وقل رب ارحمهما) وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية فان رحمتك الفانية لا تكفيهما (كأر بياني صغيراً) أى رحمة مثل رحمتي لى وتريتهما وارشادهما حين كنت صغيراً * روى أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ إن أبوى بلغا من السكبر وإنى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوبتهما (إن تكونوا صالحين) مطيعين قاصدين البر بعد تقصير كان منكم أو بعد ما فرط منكم فى حال غضب فاستغفرت من ذلك فان الله يغفر لكم (فانه كان لاذنواين) التوابين (غفورا) * قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فانه لا يؤخذ بها (وأت ذا القربى حقاً) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر بهم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبريراً) ولا تسرف اسرافاً وذلك بصرف المال فيما لا ينبغي * وأصل التبذير التفرق (إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم فى الشر وذلك غاية المذمة أو يقل انهم من حيث انهم يطيعونهم فيما يأصرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفوراً) شديد الكفر فكيف يطيعونه (واما تعرض عنهم) أى وان أعرضت عن ذوى القربى والمسكين وابن السبيل وأنت تستحى أن ترد عليهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لا تنتظر فرج من الله ترجوه أن يأتيك (فقل لهم قولاً ميسوراً) أى فقل لهم قولاً ليلاً جيلاً أى عدهم وعداً طيباً تطيب به قلوبهم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) هذا أمر بالتوسط الذى هو الكرم فلا يكون الانسان شحيحاً ولا مسرفاً وخير الامور الوسط (فتقعد ملوماً) على الشح يجعل يدك مغلولة الى عنقك (محسوراً) منقطعاً بك لاشئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه فالأول للبخل والثانى للتبذير * ذكر المفسرون عن جابر رضى الله عنه قال بينما رسول الله ﷺ جالس أتاه صبي فقال أُمى تستكسيك درعا فقال ﷺ من ساعة الى ساعة يظهر فعد ليها فذهب الى أمه فقالت قل له إن أُمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل ﷺ داره ونزع قيضه وأعطاه لاصي وقعد بلا لباس وأذن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فأمر الله ذلك ثم تلاه بقوله (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يقدر ويضيق لمصلحة العباد فليس الارهاق بالاضافة لشيئ سوى مصالح العباد (إنه كان بعباده خبيراً) بمصالحهم (بصيراً) بحوائجهم فيقضياها (ولا تقتلوا اولادكم) أى لا تئذوا بناتكم (خشية املاق) خيفة فقر (نحن نرزقهم وإياكم) نهى عن القتل وضمن الرزق (إن قتلهم كان خطأ كبيراً) أى إثماً عظيماً * الخطأ والخطأ كالحذر والحذر (ولا تقر بوا الزنا) بالعزم والاثبات بالمقدمات فضلاً عن فعله (إنه كان فاحشاً) فعلة ظاهرة القبح (وساء سبيلاً) وبئس طريقاً طريقه ففیه قطع الأنساب وتهيج الفتنة (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) وذلك فى ثلاث * كفر بعد إيمان * وزنا بعد احسان * وقتل مؤمن معصوم عمداً (ومن قتل مظلوماً) أى لم يستوجب القتل (فقد جعلنا لوليهِ) للذى يلى أمره بعد وفاته وهو الوارث (سلطاناً) سلطاناً فان شاء أخذ الدية وإن شاء استقاد منه واذا اختار القود (فلا يسرف فى القتل) بأن يقتل غير القاتل من أشراف قومه أو يقتل جماعة منهم أو يمثل بالقاتل كما كان ذلك فى الجاهلية (إنه كان منصوراً) والضمير للولى فان الله نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولا بمعونتـه (ولا تقر بوا مال اليتيم) واذا كان قربه منها عنه فكيف يكون التصرف فيه (إلا بالتي هى أحسن) أى إلا بالطريقة التى هى أحسن وهى حفظه والقيام عليه وتحميته (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً) مطلوباً فعلى المعاهد ألا

يضيقه ويفي به (وأوفوا السكيل إذا كنتم) ولا تبخسوه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أى بالميزان السوى والقسطاس القبان وهو عزبي من القسط (ذلك خير وأحسن تأويلاً) أى أحسن عاقبة . من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه أمره (ولا تقف ما ليس لك به علم) أى ولا تتبع ذلك فلا تقل رأيت ولم تر ولا سمعت ولم تسمع ولا علمت ولم تعلم ولا تقل فى أحد ما ليس لك به علم ولا تتبعه ولا تتكلم فيه بالحدس والظن (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) أى كان كل واحد منها مسؤولاً عن نفسه فيقال له ما فعل بك صاحبك كما فى آية - وإذا الموؤدة سئلت * بأى ذنب قتلت - فتشهد على القاتل وهذه الأعضاء تشهد على صاحبها - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - (ولا تمش فى الأرض مرحاً) أى ذا صرح أى ذا بطر وكبر وخيلاء (إنك لن تحرق الأرض) أى لن تقطعها بكبرك حتى تباعغ آخرها (ولن تباعغ الجبال طولاً) أى لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك فن أنت أيها المتكبر المحتال البطر

أطرق كرا * إن النعام فى القرى عن على رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفؤاً كأنما ينحط من صلب . ومعنى التكفؤ التمايل فى المشى الى قدّام ومعنى ينحط من صلب أى ينحدر من موضع عال وهو قريب من التكفؤ * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال (ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري فى وجهه وما رأيت أحداً أسرع فى مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث) والاكثر الأصر الذى يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) أى الإشارة الى الخصال الخمس والعشرين المتقدمة وسيئها مانهى عنه فيها . أما الأمور فليست بسيئة (ذلك) الإشارة للأحكام المتقدمة (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) وهى معرفة الحق والخير فالأول لذاته والثانى للعمل به أى الحكمة العلمية والحكمة العملية وأكثرها من النوع الثانى ثم قال تعالى (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً) لأنما نفسك مبعداً من رحمة الله وقد بدأ بالتوحيد وختم به بالمبالغة فى الحضي عليه إذ لا تتم تلك الصفات إلا به * ثم خاطب من قالوا الملائكة بنات الله فقال (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً) بناتاً لنفسه (إنكم لتقولون قولاً عظيماً) إذ تضيفون الأولاد اليه . إن المقاصد السابقة عظيمة الوقع بديعة النظم تربوعلى مافى التوراة من الوصايا العشر * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآيات وهى الوصايا الخمسة والعشرون مكتوبة فى ألواح موسى عليه السلام وهذا حق . ولكن هذه تعلو عليها لأن أهم ما فى الألواح الوصايا العشر وهى (لا تسرق لا تزن الح) وهذه أفضل منها وقد جاء قبلها آيات - إن هذا القرآن يهتدى للتي هى أقوم ويبشر المؤمنين - فلما أتم القسم العلمى والقسم العملى قال هنا (ولقد صرّفنا فى هذا القرآن ليدركوا) عسى ألا يكونوا كبنى اسرائيل إذ جاء لهم موسى بالتوراة فعتوا فأبديت دولتهم فالتكرار هنا لهذه الفائدة ليشدد على الناس أن لا يتهاونوا قال تعالى ومع ذلك يزدادون نفورا (وما يزيدهم إلا نفورا) عن الحق (قل لو كان معه آلهة كما يقولون) أوتقولون أيها المشركون (إذن لا تبغوا الى ذى العرش سبيلاً) أى لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلاً بالمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض واذن تدل على أن ما بعدها جواب للو قبلها (سبحانه) ينزه تنزيهاً (وتعالى عما يقولون علواً) تعالياً (كبيراً) تباعداً غاية البعد وهذا رجوع لأول السورة فهناك تنزيه له عن أن يكون كالحوادث كما سأوضحه وهنا يقول - سبحانه وتعالى عما يقولون - فانه فى أعلى المراتب وكيف يكون له شركاء وقد نزهه عن ذلك السموات والأرض ومن فيهن . فكل هذه ناطقات بلسان الحال أنه لا إله إلا هو (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) وإن من شئ إلا يسبح بحمده وان كان لا تفقهون تسبيحهم) أنزل العوالم منزلة العقلاء أو تعالياً وعلى الأول يكون ذلك لأن دلالتها مفهومة كما يفهم عن العقلاء . يقول أتم أيها الكفار لا تفقهون تسبيح هذه المخلوقات أى لقصر عقولكم واختلال آرائكم

ولكنه لا يجعل عليكم بالعقوبة (إنه كان حليماً) إذ لم يعاجلكم بالعقوبة على الفعل التي أوجبت أشراككم (غفورا) لمن تاب منكم . فهو لاء حجت عقولهم عن فهم مافي السموات والأرض وتسبيحهما كما حجت عقولهم عن فهم القرآن حين تناوله عليهم (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً) عن فهم مانقرؤه (مستورا) بحجاب آخر فهم لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون (وجعلنا على قلوبهم أكنة) كراهة (أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) نقلا يمنع من الاستماع واذنهم لا يعقلون اللفظ كما لم يفهموا المعنى . ثم بين ماهو كالسبب في ذلك فقال (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أى حال كونه واحداً غير مشفوع به آلهتهم (ولوا على أديبارهم نفورا) حال كونهم نافرين جع نافر كعمود جمع قاعد أو هربا من الاستماع (نحن أعلم بما يستمعون به) أى بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن (إذ يستمعون اليك) ظرف لأعلم (واذ هم نجوى) ظرف آخر له أى ذوون نجوى فبعضهم يقول مجنون وبعضهم يقول كاهن وبعضهم يقول ساحر . اذكر (إذ يقول الظالمون إن تنبعثون إلا رجا مسحورا) سحر فجن (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) مثاوك بالشاعر وبالساحر وبالمجنون (فضاوا فلا يستطيعون سبيلا) فضاوا في جميع ذلك ضلال من يطلب طريقا يسلكه في التيه فلا يقدر عليه فهو متحير (وقالوا أنذا كنا عظاما ورفثا) أجزاء مفتتة (أننا لمبعوثون خلقا جديدا) وكيف تقرب حال الحى النض من حال الرميم اليابس . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة . وفي هذا المقام لطائف

- (اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - سبحانه الذى أسرى الخ - ومناسبة هذه السورة لما قبلها
(اللطيفة الثانية) وآتينا موسى الكتاب وجهلناه هدى لبنى اسرائيل - وفيها بيان دعوة موسى لقومه في التوراة وتناجها ودعوة سيدنا محمد ﷺ المذكورة في آخر النحل وكيف يجب أن تكون
(اللطيفة الثالثة) - وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب - الخ
(اللطيفة الرابعة) - إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم -
(اللطيفة الخامسة) - ويدعو الانسان بالشمر - الخ
(اللطيفة السادسة) - وجعلنا الليل والنهار آيتين - الى قوله - وكل شئ فصلناه تفصيلا -
(اللطيفة السابعة) - وكل انسان أزمانه طأثره في عنقه - الى قوله - حسيدا -
(اللطيفة الثامنة) - ولا تزر وازرة وزر أخرى - وكيف جاء بعدها - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا - الى قوله - بصيرا - وما القصد بهذا التعقيب
(اللطيفة التاسعة) - من كان يريد العاجلة - الى قوله - تفصيلا -
(اللطيفة العاشرة) - إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما - الخ
(اللطيفة الحادية عشرة) - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا -
(اللطيفة الثانية عشرة) - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - الخ
(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - سبحانه الذى أسرى الخ -)

اعلم أن هذه السورة متصلة بما قبلها جارية على نسقها منتظمة معها في سلك فانه أفاض في سورة الحجر وفي سورة النحل في شرح النظام العام في هذا العالم فانتظمه أولا من مبدأ الخليفة سائرا الى نهايتها ومن أبسط المخلوقات الى أرقى الموجودات وذلك في سورة الحجر ثم كر راجعا الى نفس السلسلة فابتدأها من أعلاها الى أدناها وأخذ ثالثا يذكرها بطريق وسط بحيث كان الانسان الذى جاء في أولها نارة وفي آخرها أخرى قد جاء وسطا في نظامها كما قدمنا ليكون حاكما على هذه العجائب عالما متوسطا مطلعاً على طرفيها ووسطها . ولما فرغ من ذلك شرع يلقى الحكم والنصائح والعدل الذى شرحناه ونظام الأمم الذى بيناه وسن القانون وأعلم

الجاهل أن العدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وغيرها هي الموجبات للحياة والسعادة . ثم أتم السورة السابقة بذكر إبراهيم وماله من الخلال الشريفة والاتصال الحيدة . وقد قلنا إنه انصف بأربعين صفة قدمناها في سورة البقرة نقلا عن المفسرين فهو الملائك ناظر وللطبيعة دارس والفضل غارس وللعلم حارس ولله عابد وللناس هاد ومرشد وهو على صراط مستقيم وهو أمة واحدة . ثم أتبعه بذكر نبينا محمدا ﷺ وأنه على قدمه فيكون أيضا جامعا للصفات الحيدة . وختم السورة بهيئة السجدة التي يقوم بها حتى يكون على قدم إبراهيم عليه السلام ويكون ذنرا للآخرين فأمره أن يسلك سبيل الحكمة مع الخواص والموعظة مع العوام والمجادلة مع المنافقين وكل ذلك تجلى في سورة النحل وانتهت السورة بقوله - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - وإذا لم يكن الأنبياء محسنين فمن هم المحسنون . فاذن هو ﷺ أول المحسنين فهو مع الله والله معه فوجب أن تكون السورة بعدها مبتدئة بما يفيد معنى المعية وهى هى جسمية أم هى معنوية فلذلك قال - سبحانه الذى أسرى بعبيده -

يقول الله تعالى إن إبراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام قد عرجا إلى سماء الجبال وهما الكمال وبلغا مبلغا لم يبلغه أعظم الرجال فليس ذلك مفيدا أنهما هما وسائر الأنبياء مع الله معية حقيقة فإن الله منزّه عن الخلق متعال عن المحدثين فإن الله تعالى وإن أسرى بعبيده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فليس معناه المعية اليهودية بينكم . فقرب الأنبياء وقرب الأولياء قرب الهداية والارشاد والارتقاء العالمى - لنزله من آياتنا - ويطلع على عجائبنا ويقف على ما حواه العالم العلوى والسفلى مما يرفع الغشاوة عن أعين أمته ويخرجها من ظلماتها وينير بصيرتها . فانظر رواية البخارى في ذلك . وهى أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهونائم في المسجد الحرام وذكر كلاما في ذلك ثم أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه . وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم - فلم يكلموه حتى أحتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل . وهنا ذكر كيف شق ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه . وذكر أن الطست من ذهب فيه إناء من ذهب محشو إيمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاد يده اليمنى عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا وهنا ذكر سؤال أهل السماء عنه وقول جبريل مى محمد فيقولون وقد بعث الله فيقول نعم فيقولون مرحبا وأهلا به وذكر مقابلة في السماء الدنيا لآدم وأن هناك نهرين وأن جبريل قال هما النيل والفرات عنصرهما ثم رأى نهرا آخر عليه قصر من لؤلؤ ورجم فضرب يده فاذا هو مسك فلما سأل جبريل قال هذا السكوثر الذى خبأه لك ربك وهكذا وأن هناك في السماء الدنيا عن يمين آدم أسودة وعن شماله أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى وقال له جبريل إن الاسودة عن اليمين وعن الشمال نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة وأهل الشمال أهل النار . ووجد في السماء الثانية يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة فسلم عليهما وردا عليه ورحبا به . ووجد في السماء الثالثة يوسف . وفي السماء الرابعة إدريس . وفي الخامسة هارون . وفي السماء السادسة موسى وقد بكى فسأله ﷺ فقال أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي . وفي السماء السابعة وجد إبراهيم ثم رفع إلى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة . قال جبريل هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وأخبره جبريل أن الظاهرين النيل والفرات وأن الباطنين نهران في الجنة ثم رفع إلى البيت المعمور وأتى له ببناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هى الفطرة أنت عليها وأمتك . وهنا ذكر مسألة الصلاة وفرضها وانها كانت خمسين صلاة ثم راجع ربه بإشارة موسى عليه السلام حتى صارت خمسا في اليوم واليلة . وقد جاء في رواية مسلم في وصف البيت المعمور أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك

لا يعودون اليه . وفي وصف سدرة المنتهى أنها لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها . وسميت سدرة المنتهى بهذا الاسم لأن علم الملائكة ينتهى إليها وقد جاء في روايات أخرى أنه ﷺ قال مثل لى النبيون عليهم الصلاة والسلام فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام وأخبر به قريشا فتعجبوا منه وارتد ناس من آمن به وسبى رجال الى أبى بكر فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا أتصدق على ذلك قال إني لأصدق على أبعد من ذلك فسمى الصديق وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد فنتعته لهم وكان ينظر اليه كأنه وضع دون دار عقيل قال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم سألوه عن دبرهم فقال صررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيرا وهم في طلبه وفي رحالهم قدح ماء فعطشت فأخذته فشربته ثم وضعتها كما كان فسلوا هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا . ثم قال وصررت بعير بنى فلان وفلان راكبان قعودا لهما بذى صر فففر بعيرهما منى فرمى بفلان فانسكرت يده فسلوها فسلوه عن دبرهم فوصفها وصفا تاما ووصف أحوالها وقال يقدمها جل أورك عليه غرار تان محيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس ثم خرجوا عند الثانية حتى أتوا كداء فرأوا العير عند طلوع الشمس يقدمها بعير أورك فقالوا هذا سحر . ولما ذكر الأنبياء في الصلاة ذكر أن موسى كأنه من رجال شنوءه وأن عيسى كهروة بن مسعود الثقفى وإبراهيم يشبهه النبي ﷺ ثم قال إنه رأى مالكا خازن النار وكانت صلاة النبي ﷺ مع الأنبياء في بيت المقدس . وقد جاء أيضا أن البراق دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض وهو يضع خطوه عند أقصى طرفه وهو الذى انطلق به الى السماء . وهل كان ذلك كله قبل الهجرة بسنة . وهل كان في المنام أو كان في اليقظة . بروحه أو بجسده . والأكثر على أنه أسرى به بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى . ولم يرد في هذه السورة عروجه الى السماء وإنما ذكر الاسراء فقط الى المسجد الأقصى . أما العروج فلم يذكر إلا في الحديث . وأقرب الأمرين الى الناس الاسراء الى المسجد الأقصى ولذلك امتحنوه بعلامات تدل على الصدق فلذلك صرح بها في القرآن وجعلت قبل عروجه الى السماء ليكون المحسوس دليلا على ما لا يحس وإذا صدق في الأولى فليصدق في الآخرة . ها أنا ذا أيها النكى قد لخصت لك ما جاء في الروايات المختلفة وآراء العلماء المتناقضة حتى تكون أمامك واضحة جلية بأخصر عبارة

﴿ ايضاح المقام ﴾

إن هذه الامور الغائبة عنا لا تحل بالفكر الانسانى وحده فان عقولنا قاصرة على ما حولنا فأنى لنا أن ندرك تلك الجباب النبوية ولكن ورد قوله تعالى في التنزيل - سفيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وهانحن أولاء الآن نرى علماء الأرواح يقولون ما يأتى

إن هذه الأجسام البشرية في الدنيا تنظمها أرواحها وكل جسم يرى فيه جسم آخر على مثاله نورانى أثيرى أى من مادة أثيرية وهذا الجسم الأثيرى البرزخى منطبق تمام الانطباق على هذا الجسم المادى وأن الانسان اذا تجرد من هذا الجسم سواء كان التجرد بالموت أم بالرياضة أم بأعمال أخرى صناعية عندهم يرى انه في جسمه كأنه هو وكأنه لم يكن هناك فرق بين الجسمين . وقد ألفوا كتباً كثيرة في هذا حتى قالوا ان بعض الناس بعد الموت يظن انه هو الذى كان حيا ولا يعرف انه مات لأحوال خاصة ثم ينبه بعد ذلك الى خطئه . وهذه حكاية (أوليفر لودج) وابنه الذى مات في الحرب الألمانية وهو المسمى (ريموند) إذ قال لأبيه يا أبت إن أجسامنا هنا كالأجسام عندهم والأعضاء كلها نائمة ولكنها أجسام من عالم لطيف ونراها بحسب مشاهدتنا كالأجسام عندهم . اذا عرفت هذا فسواء أكان الاسراء بالجسم المادى أو بذلك الجسم الأثيرى اللطيف فليس أمرا بعيدا وكلاهما في القدرة . فأما الجسم المادى فان حركات الأفلاك أظهرت عجبا في سرعة سيرها

تعرفها في سابق التفسير والمطلع على سير الضوء يرى عجبا عجبا . هكذا اذا قلنا أن المعراج والاسراء بالجسد البرزخي فلا بدع في ذلك فيسير في أقل من لمح البصر كلمح البرق الى أقصى العالم ويرجع وقد وعى ما لا يتناهى من الحوادث وهذا عالم البرزخ المسمى عند علمائنا (عالم المثال) وهكذا عند أفلاطون فهذا العالم هو الذي تمثلت فيه الأنبياء فعلا وصلوا معه ثم رأهم على صراتهم في السماء . وإذا كان الانسان قد يرى في المنام الذي لا قيمة له أعمالا تستغرق سنين في ثانية واحدة فما بالك بعالم البرزخ الذي تتجلى فيه صور الحقائق بارزة لمن هم في حال برزخية . وهناك تجلى له آدم وهنسي وأدريس وهارون وموسى وإبراهيم وكان أقرب الناس شهابا . أولست ترى أن في ذكر إبراهيم وشبهه به مناسبة فانه قد ذكر في آخر سورة النحل أن محمدا ﷺ أمر أن يتبع ملة إبراهيم فلذلك رآه في السماء السابعة وقال إنه يشبهه . ومتى قلنا ان الاسراء والمعراج بهذه الحالة البرزخية كانت جميع الأقوال المتناقضة متحدة . فإذا قالت السيدة عائشة إنه كان بروحه قلنا صدقت لأن هذه الحالة ليست جسمية بحتة . وإذا قال غيرها انه بجسمه قلنا نعم إذ لا فرق عند علماء الأرواح بين الجسم البرزخي والجسم المادي . فالجسم البرزخي ويسمى الأثيري وسط بين عالم الأرواح والصرف وبين عالم المادة فمن قال بالروح فقد اقترب من الحقيقة ومن قال بالجسم فقد اقترب منها لأنها حال متوسطة وسرعته أشبه بسرعة المنام وصورتها أشبه بصورة الجسد فهو جسد كالمادة يطير أسرع من البرق بل سرعته كسرعة الخاطر وترى أحدا يجلس في حجرته ويكون في الشرق بفكره ثم يكون في الغرب في أسرع من لمح البصر فهذه في فكرنا كالحال المعتادة هناك عملا . ويقول علماء الأرواح ان الروح وراء ذلك الجسم البرزخي بل قد جهلوا درجات الأجسام سبعة والروح وراء ذلك في عالم يحل عن الوصف . وان الى ربك المنتهى . وانما ذكرت هذا لأفتح باب البحث لذوي النفوس الشريفة من بعدنا ليفكروا وليعملوا بأنفسهم

﴿ ما القصد من ذكر الاسراء لنا ﴾

وليعلما أن الله لم ينزل الاسراء في القرآن وهو يتلى علينا للآن لمجرد التلاوة أو لمعرفة حال الرسول ﷺ حسب . كلا . انه يريد منا أن نتبع الدين والشريعة ونخلص وندهو الناس كما دعا نبينا محمد ﷺ الذي قال الله له . عسى أن يعثرك ربك مقاما محمودا . وقد قال هذا في وسط السورة وأمره أن يتعبد بالليل نافلة لأجل ذلك . ففي أول السورة ذكر أنه أسرى به وفي آخرها أفاد انه يبعث مقاما محمودا بالتهجد وذكر أن الروح من أمر ربنا وأنا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . وعليه يكون ذكر ذلك في هذه السورة ليدلنا على أن الاسراء أمر وراء معارفنا وإذا عثرنا على شيء مثل ما بينته لك عن الفرنجة فان هذا ليس كل شيء لأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . ولكن جاء في سورة طه . وقل رب زدني علما . فازدياد العلم مطلوب . ولكن لا نقف عند حد واحد لئلا نكون مقلدين بل نظل مجتهدين في البحث والطلب لأنه قال . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . وعليه فلنجد في تهذيب النفوس وهداية الناس والنوافل في ظلمات الليالي حتى تصفو النفوس . وإذا أسرى به ﷺ فليس القصد أن يسرى بنا بل القصد أن تصفو نفوسنا ليرينا الله من آياته . وكل من آيات . فالقصد من أمثال هذا الموضوع في القرآن أن يفتح لنا باب التفكير في عالم الأرواح فنفهم كيف تخلص أرواحنا بالتهذيب وكيف نلحق بالأفق الأعلى وما حقيقة الأرواح وإذا لم نقف على حقائقها فلنلتبس من العلوم ما يشم منه رائحتها وهذا لعمرك هو علم الأرواح الذي انتشر في الأقطار الأوروبية . وهذا العلم لا يفتقر عن العلوم التي ورثناها عن قدمائنا في مثل هذا الموضوع . ان الناس كلهم أرواحهم من عالم أعلى وبالتصفية و بطرق ضاغية يرون هذا العالم وهناك تعرف بعض حقائقه . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وما يلحق بهذا الموضوع مارواه البخاري في باب تعبير الرؤيا وهو وان لم يكن ليلة الاسراء فانه فيه معارف وعلوم لا يعرف قيمتها إلا المطلعون على علوم الحكماء فانه عليه الصلاة والسلام أطلع في عالم

البرزخ المذكور على صور للحقائق تعب في مثلها الفلاسفة قديما وأضادوا فيها أعمارهم كإدريس (قابس)
 الفيلسوف اليوناني الذي ذكرنا مقالته في سورة البقرة . ذأما النبي ﷺ فإنه لم يكتب ولم يقرأ واطلع على
 صور عجيبه تمثل الرذيلة والفضيلة وهذه من دلائل النبوة ومن بحر قوله تعالى - انريه من آياتنا إنه هو السميع
 البصير - . فإذا رأى ليلة المهرج آدم يضحك تارة ويبكى أخرى فإنه من ذلك العالم فهكذا في الحديث الآتي
 إذ روى البخاري بسنده عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ مما يكبر أن يقول
 لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا قال فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة إنه أتاني الليلة
 آتيان وانهما ابتعثاني وانهما قالوا لي انطلق واني انطلقت معهما وانا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم
 عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فتبلغ رأسه فيتهدهد الحجر ههنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه
 حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى قال قلت لهما سبحان الله ما هذان قال
 قالوا لي انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكوب من حديد وإذا هو
 يأتي أحد شقي وجهه فيشرش شرده إلى قفاه ومنخره إلى قفاه . وفي رواية فيشق ثم يتحول إلى الجانب الآخر
 فيفعل به مثل ما فعل الجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه
 فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى . قال قلت سبحان الله ما هذان قالوا انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور
 قال فأحسب أنه كان يقول فإذا فيسه لخط وأصوات قال فاطعننا فيه فإذا فيه رجال نساء عراة وإذا هم يأتهم
 لهب من أسفل منهم فإذا أناهم ذلك المهب ضوضوا قال قلت لهما ما هؤلاء قال قالوا لي انطلق فانطلقنا
 فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل ساج يسبح وإذا على شط النهر رجل قد
 جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك الساج يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر فاه
 فيلقمه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه ففرغ فاه فلقمه حجرا قال قلت لهما ما هذان قال قالوا لي
 انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كره المرأة كأكره ما أنت راء رجلا امرأة وإذا عنده نار يحشها ويسعى
 حولها قال قلت لهما ما هذا قال قالوا لي انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة (مهمة) فيها من كل نور الربيع
 وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكره ولدان
 رأيتهم قط قال قلت لهما ما هذا ما هؤلاء قال قالوا انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم
 منها ولا أحسن قال قالوا لي أرق فيها قال فارتقمنا فيها فأتينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب
 المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فماتنا فيها رجال شطرنج خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطرنج كأفبح ما أنت
 راء قال قالوا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر وإذا نهر معترض يجري كأن مائه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا
 فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قال قالوا لي هذه الجنة عدن وهذا
 منزل قال فدما بصري صعدا فإذا قصر مثل الرابية البيضاء قال قالوا لي هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله
 فيكما ذراني فأدخله قالوا أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت لهما فاني قد رأيت منذ الليلة عجبا . فما هذا الذي
 رأيت قال قالوا لي أما أنا سنخبرك . أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن
 فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة . وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرش شرده إلى قفاه ومنخره إلى قفاه
 وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغسده من يده فيكذب الكذبة تباع الآفاق . وأما الرجل والنساء العراة الذين في
 مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني . وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل
 الربا . وأما الرجل السكران الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم . وأما الرجل
 الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأما الولدان الذين حولهم فكل مولود مات على
 الفطرة قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين . وأما

القوم الذين كانوا شطر منهم حسنا وشطر منهم قبيحا فانهم قوم خاطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم اه
﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل - وفيها بيان
أن الاسراء يشير الى الارتقاء في عالم الانسانية والى أن الأمة الاسلامية الحقيقية تسبق الأمم في
علومها وأنها تؤمها كلها بعد أن تستوعب فضائلها ﴾

اعلم أن ذكر موسى في هذا المقام وذكر ابراهيم قبله في آخر سورة النحل له صلة بحديث الاسراء
فالقرب بينه وبين ابراهيم في السنة وفي القدوة وفي دين الفطرة هي التي جعلت درجته في السماء السابعة والنبي
ﷺ قد ارتقى فوق ذلك للإشارة الى أن اللاحق يتقدم على السابق وأيضا هذه الأحاديث تشير الى ارتقاء
العالم الانساني وأن الأمة الاسلامية المستقبلية ستمر على هذه الأمم أمة أمة ثم تطير الى المعالي ولا تنف عند حد
ولا تقلد بل تفكر واذن تطير الى سماء المجد كما أن نبينا ﷺ مر على آدم فعيسى ويحيى فيوسف فادريس
فهارون فموسى فابراهيم فارتقى الى سدرة المنتهى فاليات المعمور * وفي رواية أنه سمع صريف الأقلام .
فالنبي يشاربه الينا من هذا ﴿ أمران ﴾ ارتقاء المسلمين في عقولهم حتى يصلوا الى الحقائق وارتقاؤهم في
مدينتهم ونظامهم حتى يسبقوا أمة عيسى وموسى وابراهيم وادريس . هذا هو القصد وهذا يشبه النشوء
والارتقاء . وإذا كان نبينا محمد ﷺ صلى إماما لألأ نبياء فعناه اننا خير أمة أخرجت للناس وأنا أمة الأمم
كلها . فيا عجباً للمسلمين يكون هذا دينهم وهذا نبيهم ثم ينامون وتدوسهم الأمم . يمر نبينا على أنبياء الأمم
أمة أمة ثم يفادر عيسى في السماء الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهكذا ثم ينام المسلمون عن
هذا كله . يمر على الأنبياء حتى يتركهم ويصل الى مستوى فوق السبع الطباق والمسلمون يسمعون هذا
الكلام كأنهم لا يعلمون . ولكن بعد ظهور هذا الكتاب سيظهر في هذه الأمة رجال يعقاون ويعملون
فيعرفون ما الحكمة في هذا الارتقاء ولم يخبرنا الله به . نحن لسنا نفرح كالعامة أن نبينا ارتقى بل نحن يجب
أن نعمل . يقول لنا نبينا ﷺ أيها المسلمون ها أنا ذا ذاهب الى المعالي وقد سموت وعلوت وتركت موسى
في السماء السادسة وابراهيم في السماء السابعة وها هو ذا ابراهيم مذكور في آخر سورة النحل وقد أمرت أن
أكون تابعا له ولكني سأرقى عليه وهذا الرقي معناه أن الأمم في ارتقاء كما هي القاعدة التي تفتخر بها أوروبا
عليكم . فأما موسى فها هو ذا يقول لي راجع ربك يخفف عن أمتك ظانا أن أمتي كبنى اسرائيل يصيها ما
أصاهم . ولكن لما وصلت الى خمس صلوات لم أراجع ربي . ولكن موسى طلب مني أن تنقص الصلوات
عن خمس . لماذا . لأن أمته ضعفت في العمل ولكني أنا لا أقول ذلك . وعليه هذه الأمة ستكون أرقى
من أمة موسى

إن الحديث يشير الى الآية لأن فيها أن موسى آتيناه الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ثم قص قصصهم
فكانوا مشلا سوا وأتبعه بقوله - إن هذا القرآن يهدي لتي هي أقوم - فهو اذن أحسن من التوراة وأمة
محمد ﷺ أحسن من أمة موسى عليه السلام فلندرس أمة الاسلام علوم الأمم فاذا مر على عيسى فليدرس
المسلمون علوم النصارى . وإذا مر على يوسف وادريس فليدرس المسلمون علوم قدماء المصريين لأنهما
نبيان مصريان . وإذا مر على هرون وموسى فليدرس المسلمون علوم اليهود . وإذا مر على ابراهيم
فليدرس المسلمون علوم سائر الملل لأن ابراهيم لهم وإذا جاوز النبي ﷺ السموات السبع فليدرس المسلمون
الحقائق التي لا تنطبقها الأمم . فاذن هذه النبوة سيظهر أثرها في أمت آتية لاهذه الأمة الحالية

﴿ بهجة الاسراء في حديث (فرض الله على أمتي خمسين صلاة فراجعت ربي وسألته التخفيف

حتى جعلها خمسا في العدد وخمسين في الأجر) اه ﴾

اعلم أن هذا المقام عزيز الفائدة جم العائدة كثير المزايا جامع الحكم سائر لمجموع الأمة الاسلامية يظهر

سرّه في هذا الزمان . ذلك أن كلام النبوة لم يكن رمية من غير رام ولم يكن ذكر الحسين ثم ارجاعها الى الخس مجرد خبر لا نتيجة له بل ذلك اشارة الى أن الله عز وجل هو الأول وهو أصل الوجود وجميع الناس على الأرض لا فائدة من وجودهم ولا معنى لحياتهم إلا اذا اتصلوا بأصل وجودهم ومنشأ حياتهم . وليس معنى هذا الاتصال تلاصق الأجسام إذ لا جسم له تعالى وإنما هو توجه أرواحهم الى روح الأرواح وهو الله عز وجل إن الناس في الدنيا أرواح حالة في أجسام فالأجسام متصلة دائماً بالطين والهواء والماء والحرارة والضوء فكان يجب أن تلجئ الأرواح دائماً الى مبدئها ومبدعها وتفكر فيه وتذكره . ولكن الحياة الدنيا شدة اتصالها بعالم المادة لا تسمح لسكل امرئ أن يكون على الدوام ذا كرا ربه . فهنا ﴿ أمران ﴾ الأول ﴿ أن الروح يجب ذكرها لله على الدوام ﴾ الثاني ﴿ أن تعلقها بالمادة يمنعها من ذلك الدوام لشدة ارتباطها بها وللأول اشارة بفرض الحسين صلاة لأن الانسان ينال ثمان ساعات أو سبع ساعات ومدة اليقظة ما بين ١٦ و ١٧ ساعة والصلاة المشروعة ربما تستغرق (٢٠) دقيقة مع مقدماتها ونوافلها وهذه بضررها في (٥٠) تستغرق مدة اليقظة . إذن معنى الحسين صلاة دوام استحضار الله والاتصال به ذكرًا ليقاوم اتصال الجسم بالمادة فعلاً فكان لازم الواجب بحسب الأصل دوام الذكر لتقاوم الروح اللطيفة الجسم السكيف الثقيل فترتفع الى عالم الملائكة

ولما تعذر ما ذكر على نوع الانسان استبدل الخس بالحسين وجعل الخس أجراً كالأجر الحسين . واعلم أن أجرها لا يكون كأجر الحسين إلا اذا كان المصلي عاملاً بصلاته فاهماً لحكمها جارياً على مقتضاها حتى يصدق عليه قوله تعالى - الذين هم على صلاتهم دائمون - وقوله تعالى - وأقم الصلاة لذكري - فالصلاة تكون دائمة وتستوجب ذكر الله . إذن رجعت الصلوات الخس الى الحسين لأن المقصود من الحسين أن يكون مصلياً دائماً فاستعاض عنه بخمس صلوات بحيث يكون المصلي دائماً على صلاته ذا كرا ربه . وههنا يجب ايضاح المقام فنقول

اعلم أن الصلاة أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير مختمة بالتسليم . الله أكبر . جلّ العلم وجلّ تعريف الفقهاء للصلاة . ذلك أن الصلاة كلها ترجع ﴿ لأمرين اثنين ﴾ لاثالث لهما ﴿ أولهما ﴾ ذكر الله وتعظيمه كالشئ الأول من الفاتحة من الثناء عليه ووصفه بالرحمة الخ وكألفاظ الشهد الأولى من أن التحيات خاصة بالله تعالى الخ . ومثل وصف الله بأنه فطر السموات والأرض خفيفاً الخ . ومثل وصفه بأن الجدل ملء السموات وملء الأرض الخ . ومثل وصفه بأنه خلق الوجه وصوره وهكذا ﴿ وثانيهما ﴾ الالتجاء اليه أن يجعلنا في سلام وأمان وهداية الى الصراط المستقيم مثل الدعاء بالهداية في الفاتحة ومثل السلام على النبي وعلى عباد الله الصالحين في الشهد . أفلا ترى أن الشئ الأول أشير له كله بتكبيره الاحرام والثاني أشير له بالتسليم في ختام الصلاة . إذن التكبير في أول الصلاة يشرحه توجه المصلي إذ يوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض خفيفاً وذلك كالخليل الذي قال الله فيه - ملة أتيكم إبراهيم هوسماً كم المسلمين - الخ

فباليات شعري لماذا جعلنا على ملة أبينا إبراهيم ولم خصه بالذكر . أقول إنما خصه بالذكر وجعل ملتناً منسوبة له لأنه لم يوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض خفيفاً توجيهها جسمياً فحسب بل وجهه توجيهها عقلياً . ألا ترى أنه لم يتوجه ذلك التوجه إلا بعد أن أراء الله ملكوت السموات والأرض وكان من الموقنين وقد فصله بعد ذلك بأنه نظر الكوكب والقمر والشمس ثم توجه الى الله . هذه هي ملة إبراهيم الذي جعله الله أبا المسلمين الابوة العامة العامة التي هي أشرف من الابوة النسبية الخاصة ببعض العرب كقريش ونحوهم فهذا توجه الخليل وهو بالعلم ويجب أن يكون كذلك توجه خواص هذه الأمة أي أنهم يدرسون هذه العوالم العلوية والسفلية التي درسها الخليل حتى يكونوا كاملين في العلم بهذه العوالم المذكرات برها ويكونوا على

صلاتهم دائماً وتكون الصلاة مذكرة بالله على الدوام . وهناك تكون الصلوات الخمس في حكم الخمسين من حيث الثواب ولا ثواب إلا على عمل والعمل هنا ذكر الله وذكره بالتحقق من جلال هذا العالم حتى يذكر الله عند كل شجر وشجر ولا يرى شيئاً إلا رأى الله قبله أو معه أو بعده كما نقل عن بعض أصحاب النبي ﷺ كل خصلة من هذه نسبت لأحدهم . فهذه هي الصلاة الدائمة . يرى المؤمن جلال الله في الشمس والقمر والنجم كالخليل وفي النبات وفي الحيوان كما أنه أيقن بالبعث لما أخذ أربعة من الطير فقطع رؤسها ثم دعاها حفيت . فاذن يكون المسلم في ذكر الله بين العالم العاوي والسفلى . هذا كله مأخوذ من قول المصلي ﴿ وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض الخ ﴾ فيكون كالخليل إذ أيقن بملكوت السموات إذ نظر فيها وملكوت الأرض إذ نظر فيها فأيقن فلما تم له ذلك قال إني وجهت وجهي الخ . هذا هو التوجه لله وهذه هي الصلاة الدائمة بدوام ذكر الله كما قال - وأقم الصلاة لذكرى - فهذا هو الذكر الدائم المذكور في قوله - الذين هم على صلاتهم دائمون - وهذا كله شرح لتكبير الاحرام . فقول المصلي الله أكبر في أول الصلاة يشرح معناها ما ذكر وكذلك البسملة والحمدلة وبقية نصف الفاتحة الأول . إن الحمد لا يكون إلا على نعمة والنعمة لا يحمد عليها إلا إذا عرفت . إذن المسلم يتوجه لله بالعلم أي بعلم ما في السموات والأرض وبحمد الله بعد العلم بالمحمود عليه . فأما التكبير فهو يشمل الحمد ويشمل غيره . إن المصلي يقول بعد الصلاة سبحان الله والحمد لله والله أكبر فالتسبيح تنزيه والحمد شكر وتكبير الله هو تعاليه وعظمته كأنه قيل ان جندنا لله على نعم معاومة لنا ولكن هناك نعم أخرى فهو إذن أكبر مما نحمد عليه . فقول المصلي في أول الصلاة الله أكبر بيان لأن الحمد المذكور في الفاتحة والبسملة وكذلك التحيات وما عطف عليها وتصويره السمع والبصر وخلقه لها وخلقه لجميع العالمين . كل ذلك قليل بالنسبة لعظمة الله فهذا معنى كونه أكبر فالمصلي في أول صلاته يكبر وفي آخر أذكر الصلاة يكبر . إذن المسلم يقول ان الله أكبر من كل ما عظمناه من العوالم ومن النعم المحمود عليها

﴿ ايضاح التكبير والتسليم أيضاً ﴾

يأيت شغرى . هل يعلم الناس أن التكبير والتسليم اللذين هما ما يخص صلاة المسلم هما كل علوم أهل الأرض . وما علوم أهل الأرض . هي العلوم الرياضيات والطبيعات والاهليات فهذه علوم علمية وعلم تدبير المنزل وتهذيب الشخص وتدبير المدينة وهذه الثلاث هي العلوم العملية . فكل ما تسمعه من علم النبات أو الزراعة أو الطب أو الهندسة أو الحساب أو الفلك أو الليقات أو الهيئة أو علم النفس الخ . فشكل ذلك وغيره راجع للقسم الأول ويتبعه الصناعات كالنجارة التابعة لعلم النبات والحداثة التابعة لعلم المعادن وهكذا مما يعد بالثقات بل الألوف من الصناعات والقسم الأول المذكور هو التكبير لله فتكبير الله معناه انه أكبر مما نعلم والذي نعلمه هو هذه العلوم . وكل ما تسمعه من علم التهذيب والأخلاق أو تدبير المنزل والمعايشة وسياسات الأمم وأمثالها فذلك كله راجع للسلام العام أو الخاص . ولا معنى لتهذيب النفس إلا لتستقيم مع الناس ولا لتدبير المنزل إلا لحفظ الأسرة في المنزل من التفريق والنشأت ولا لعلوم السياسة إلا لصيانة الأمم وحفظها من الاضطدام والشجار والقتال . فيا ليت شعري هل يعلم الناس ذلك . وأن أول الفاتحة راجع للتكبير وآخر الفاتحة راجع للسلام فالأول وللآخر الآخر للآخر . وإن أول الفاتحة أيضاً مجمل العلوم العملية وآخرها مجمل العلوم العملية فهدياة الصراط المستقيم إنما هي السلوك المستقيم والسير على سنن العدل وذلك في المنزل وفي النفس وفي الدولة وهل يعلم الناس أن قول المصلي ﴿ السلام عليك أيها النبي ﴾ وقوله ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ راجع لآخر الفاتحة وللسلام في آخر الصلاة وتهذيب النفس في السلام عليها وللأدب مع الناس في المنزل وفي السياسة العامة في السلام على عباد الله الصالحين . ثم ان السلام على النبي والصلاة عليه وعلى ابراهيم وعلى

آل إبراهيم . كل ذلك راجع لحفظ الجيل وذكري المحسنين والدعاء لهم والبر بهم وتذكير احسانهم وربط القديم بالحديث وتذكير فضائل السلف الصالح والسير على منوالهم والجرى على منهجهم

﴿ الصلاة رمز لتعميم التعليم ولتعميم السلام في الأرض ﴾

هل يعلم الناس أن الصلاة في الاسلام توحى بالسلام بين الأمم وتأمّر بالعلوم كافة بدليل أن الذي يصلي هو كل مسلم فكل مسلم تأمره صلاته أن يكبر الله بمعرفة سائر العلوم على قدر طاقته فان كان من العامة فليعرف الظواهر التي في متناوله وان كان من الخواص فليزد في العلم ما يشاء . يظهر لي أن هذا الدين لو علمه أهل الأرض لاتحدوا . يظهر لي أن أكثر المسلمين الذين اعتنقوا هذا الدين لم يدرسوا علوم الصلاة . يظهر لي أن ما أكتبه الآن سيقوم به قوم وينشرونه بين أمم الاسلام . يظهر لي أن هذا الدين لم يأخذ حظه من البحث . يظهر لي أن القتال في هذا الدين انما جاء على سبيل الاضطرار كما يضطر الفلاح لتقية الشوك والأعشاب من الأرض لاصلاح الأرض . يظهر لي أن نشر الاسلام في المستقبل سيكون أكثره بالجهاد العلمي لأن العلم الآن هو السلاح لكل مطلوب

﴿ المعراج والعلوم ﴾

جاء في بعض الروايات أنه شقّ عن صدره ﷺ وغسل بماء زمزم حتى نقي وانه أتى له بطست من ذهب فيه نور محشوا إيماناً وحكمة . ولما عرج به الى السماء الأولى وما بعدها رأى آدم ويحي وعيسى الخ أفليس هذا يذكرنا بتهديب النفوس والسلام العام ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن غسل قلبه وحشوه إيماناً وحكمة يفيض على الأمة علماً جاً بأن تقلده في طهارة نفسه فهو قد طهره الله لأنه اجتنابه ونحن لابد لنا من العلاج وذلك بالعلوم العملية المتقدمة . ثم ان آدم ومن بعده لكل منهم منزلة علمية . أفلاترى ادريس في السماء الرابعة كيف كان هو نبي المصريين المسمى (أخنوخ) و (سوزستريس) ألم تقرأ مامراً في سورة يونس من أنهم وضعوا على صندوق أحد كبرائهم (صورة البروج) وقد تقدم ايضاحها ورسمها هناك . أليس ذلك دليلاً على أن القوم كانوا مغرمين بهذه العلوم الجيلة فهكذا فليكن المسلمون بعدنا مغرمين بها لأن الله يقول - فبهدهم اقتده - وأيضاً الفلك علم أئبنا إبراهيم الذي رآه في السماء السابعة وتراه في السماء الأولى رأى آدم وفي الثانية عيسى ويحي وهما ظاهران اشارة الى أن متبعيه يجب أن يقتبسوا من أنوارهما ويوسف صاحب النظام الاجتماعي في الثالثة لنقتدى به كما تقدم في سورة يوسف ثم هارون وموسى وهكذا إبراهيم فليكن من هؤلاء منزلة تستحقها هذه الأمة . إذن المعراج مفتاح العلوم وعروج الى الله بها فهي إما طهارة النفس في يحي وعيسى وأما نظام المدينة في يوسف وأما العلوم الفلكية في ادريس وأما الجهاد والخروج من الظلم في هارون وموسى . إذن المعراج أيضاً رجع الى العلم والعمل أو التكبير والسلام فهو كالصلاة . إذن هذا الدين أوله وآخره علوم جهلها المسلمون اليوم . اللهم إنك أنت المنتقم ممن يصدون المسلمين عن العلوم

ثم هنالك تكون العلوم والمعارف التي تكون فوق متناول الناس فيفتح على الانسان بما لم يتعلمه ولذلك الاشارة بسدرة المنتهى التي أوراقها كآذان الفيلة وثمرها كقلال هجر وقد غشيها من أمر الله ما غشي فتغيرت فما من أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها . ولا جرم أن ذلك راجع للعلوم . ثم ان المخالقات على ﴿ قسمين ﴾ مخلوقات لم تحس بالحواس الخمس ومخلوقات تعرف بالعقل . ثم ان التعبير بآذان الفيلة وبأن الثمر كقلال هجر الخ يرجع الى ما في العالم من عظام وجلال وقدامات الكرة الأرضية بالعلوم الكواكب الكبيرة العظيمة وأن شمسنا بالنسبة لها ليست شيئاً مذكوراً . إن المسلمين أولى بهذه العلوم . ها هوذا نبينا ﷺ يقول لنا أيها الناس . إن هناك عوالم أرقى من عوالمكم وقد رأيتموها . قال هذا وقد رفع الى ربه . أفليس يخجل المسلمون من هذه الجهالة . يقول ﷺ فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من

حسنها . فإذا يريد المسلمون بعد ذلك . ماذا كان يقول لنا نبينا ﷺ . هاهوذا يقول لكم ان هناك عوالم لا يمكن نعتها من حسنها . أيها المسلمون . هاهوذا علم الفلك الحديث الذي ذكرت لكم منه نبذا كثيرة في هذا التفسير . ألم تروا الى الكواكب العظيمة كالسماك الراجح إذ يكون ضوءه أعظم من ضوء الشمس ثمانية آلاف مرة وهناك كواكب أعظم وأعظم . ولست أقول ان هذا مقصود الحديث . كلا . وإنما أقول فيه الجلال الذي لا يمكن أحدا أن ينعه . وهناك جبال أرقى وأرقى وهو جمال النظام كما تقدم في سورة الرعد من نبات يفترس حيوانا ومن مستسات منتظمات ثلجية مهندسات هندسة إلهية فارجح اليها هناك ترها مرسومة جميلة . وفي سورة الحجر ترى هناك عند قوله تعالى - وأنبأنا فيها من كل شيء موزون - وكيف كان للورقات نظام بديع له قوانين فراجعها هناك مرسومة مشروحة . كل ذلك من أنواع الجلال الذي يشير له قوله ﷺ ﴿ فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ﴾ . نعم هذا قد استطعنا نعته وفيه حسن ولكن الحسن الذي لا ينعه الناس في النظام يفوق الوصف وذلك الذي يفوق الوصف رآه نبينا ﷺ فلنجتد في معرفة ما أمامنا حتى نستعد لما فوقه ونلحق بالنبیین والصديقین الخ والحمد لله رب العالمین . انتهى

﴿ الاسراء والمعراج والحسن والجلال في الخلق ﴾

ههنا ذكرت الاسراء والمعراج والحسن والجلال . نبى أرسله الله لأمة فقال لهم أتيت بالبراق ووصفه بأنه دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبه وآتى الى بيت المقدس ثم اخترق السموات العلى ووصل الى سدرة المنتهى فوصف أوراقها وانها غشيتها من أمر الله ما غشيتها وانها تغيرت ولا يستطيع أحد من خلق الله أن ينعتها من حسنها وهناك أوحى الله له فرض الصلوات الخمس الأنبياء أرسلوا لارشاد الناس . هذه القصة قيلت لنا نحن . إن هذه القصة لب العوالم وخالصة الحكمة فياليت شعري كيف أعرض الناس عنها . فرض الله الصلوات ولكن ذلك الفرض كان بعد الاسراء والمعراج ونظر الجلال . إن هذه القصة تدعو حثيثا المسلمين أن يخترقوا حجب هذه العوالم بالتعليم ويرتقوا . هل كان نبينا محمد ﷺ يقول ذلك مجرد حكاية أو اثبات نبوة . كلا . بل كان أيضا يقوله لارتقاء به في علو الهمة واختراق الآفاق سياحة وعاما . من ذا كان يظن أن أمة يخترق الجو نبيها ويصل الى السماء لتسكون أسبق أمة الى اختراق طبقات الجو القريبة بكل طيارة وبكل منطاد . من ذا الذي كان يظن أن أمة هذه أحوال نبيهم ﷺ لا يكونون أسبق الأمم الى دراسة علوم الكواكب والنجوم وسيرها وعددها وأبعادها وكل سديم ومجرة في السماء . اخترق الأفلاك النبي ﷺ ليعلمنا . فلماذا لا نقرأ تلك الأفلاك ثم هو فوق ذلك ووصل الى سدرة المنتهى ورأى هناك الحسن القتان والجلال الذي لا يقدر أحد من الناس أن ينعه . هذا هو نبينا ﷺ فهل هكذا يكون أتباعه . ان أتباع نبى هذه صفته يكونون أسبق الناس الى دروس الجلال ولا جمال يظهر لنا إلا بالعلم والحكمة . ولقد ملا الله الأرض اليوم بالجمال . ذلك الجلال لا يراه إلا الحكماء . وأضرب لذلك مثلا

لو أن نجارا وقف أمام شباك مصنوع بصناعة بدیعة وهیئة غريبة وهومن العلماء بهذا الفن المتقنين فانه يقف مبهورا أمام ذلك المنظر وهو ذاهل عمن حوله والناس لا يدركون من ذلك شيأ حوله . ومثل النجار علماء العربية الذين لهم ذوق في الانشاء . فهو لاه اذا وقع لهم موضوع جميل مكتوب كتابة محكمة فرحوا به وأعجبوا وأخذوا يدركون دقائق المحاسن والناس حولهم لا يعقلون ما يقولون وهكذا في كل صناعة فانظر الى الصنعة العامة وهى هذا الوجود . فهذا الوجود كله خلق الله له أناسا في الأرض واصطفاهم لذلك يدرسون علوم الأمم وهم ليسوا بأنبياء ومن هؤلاء من هم أتباع الأنبياء فهو لاه يزدادون سعادة بازدياد الدراسة ويرون

من الحسن والجمال ما لا يعقله سواهم . فهو لاهم الذين يفهمون قول نبينا ﷺ ﴿ فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينظر إليها ﴾

ترك المسلمون العلوم . تركوها غفلة وجهالة . الله أكبر الله أكبر . اشتغل المسلم بالصلاة ولم يدر أكثر المسلمين أن الصلاة يراد بها الحسن والجمال . ألا ترى إلى أنه ﷺ في الحديث لم تفرض عليه الصلاة إلا بعد مشاهدة الجلال الذي يدهش العقول كأنه قيل لنا هذه الصلاة لذكرى وذكرى يقويه كل علوم هذه الدنيا وعلوم هذه الدنيا تفتح لكم طرق البحث . وإدراك الجلال إما بهيمة ربانية للأنبيا وأما بالبحث العلمي لأفراد الأمم والصلاة فيها الحمد والتكبير وفيها التشويق إلى جميع العلوم كما تقدم . فاستبان من هذا أن فرض الصلاة بعد إدراك الجلال والحسن في سيرة المنتهى يتصد به أن نتيجة الصلاة العلم والعلم يعرف هذا الحسن كما كان الله يقول يا محمد ها أنت ذا قد شاهدت الجلال في سيرة المنتهى فافتح باب هذا الجلال والحسن لأمتك وقل لهم يصاون الصلوات الخمس التي يقصد بها ﴿ أمران ﴾ معرفة العوالم التي يعيشون فيها وإقضاء السلام بينهم فبهذا يدركون من الجلال ما يناسبهم كما أنك أدركت ما يلائمك . هذا هو الذي فهمته في مسألة الاسراء أن الصلاة لهذا أُنزلت . هذا وإني أذكرك أيها النبي بما نقلته فيما تقدم في سورة هود من كتابين من مؤلفات الفرنجة عند قوله تعالى على لسان هود - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - . الكتاب الأول هو المسمى ﴿ مملكة الظلام ﴾ مؤلفه (مترلنك) . والثاني ﴿ موسوعات العلوم ﴾ مؤلفه (روبرت براون) فقد جاء في الأول أننا نحتاج إلى دراسة علم الحشرات حتى نعرف سليقة أعضاء أجسامنا التي تختفي فيها أسرار الحياة والموت وأن أعضاءنا كلها متحدة مندرجة وتلك الحشرات متفرقة ظاهرا متحدات حقيقة برابط خفي . وجاء في الثاني أن في أجسامنا من الوظائف والأعمال وأنواع الاحساس عجائب وغرائب مدهشات ولكن لما كنا معتادين عليها أصبحت لا يلتفت إليها النظر ولا تدهش العقل فإن المألوف يظن أنه معروف لاعتياده والادب عليه وإنما الذي يلفتنا لغرابته هذه الأعمال في أجسامنا والاحساس في إدراكنا إنما هي المواهب العلمية الخاصة فهي التي تدفع ما أسدلت يد العادة على عجائب أعمالنا واحساسنا من الأسرار وتوحى إلينا جمال أنفسنا وغرائب أجسامنا وبدائع تركيبها بطرق الملاحظات والتفكير فيما حولنا وما يحيط بنا من العوالم . ثم قال إن دراسة العوالم التي تحيط بنا أسهل تناولا من دراسة أنفسنا . إن دراسة أنفسنا جسما وعقلا قد عجزت عن إيقافنا على بعض من عوالم المسائل المادية والعقلية . أما دراسة العوالم المحيطة بنا فهي نبراس لدراسة أنفسنا الخ

هذا ما نقلته هناك في سورة هود . نقلته هناك وما كنت لأعلم أولي جش في خاطري أن ذلك نفسه معجزة لنبينا ﷺ . كيف لا وهام أولاء حكماء أوروبا وفلاسفتها ينطقون بحديث المعراج . المعراج جاء فيه ذكر الحسن والجمال وإن من الجلال ما لا يقدر على نعمته أحد من خلق الله وجاء بعد ذلك فرض الصلوات ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يبحث على العلوم إذ الصلاة في الإسلام هذا مقصدها والعلوم هي الدالة على الجلال إذ لا جمال إلا بعلم بما هو جليل

أيها المسلمون هل تعلمون . هل تعلمون أن حديث الاسراء جاء ما يطابقه عند فلاسفة أوروبا . هل تعلمون أيها المسلمون . ها أنتم أولاء تصاون وأكثركم لا يعلمون لم تصاون . يصلى المسلم خوفا من النار أو طمعا في الجنة . هذا حسن . يصلى المسلم وهو يحافظ على أركان الصلاة وشروطها وآدابها . هذا حسن وحسن ولكن أحسن منه وأحسن أن يعرف المسلم لماذا فرضت الصلاة ولماذا لم تفرض إلا عند ظهور الجلال ومنتهى الجلال لنبينا ﷺ وأن ذلك الفرض إنما كان لتوجيه النفوس إلى ما تضمنته الصلاة من معرفة العوالم العاوية والسفلية . إذن الصلاة درس علم . الصلاة متن تشرحه العلوم . ومن عجب أن نسمع هذا

القول (الصلاة معراج) فهذا تبين انها معراج وانى أبشر الأمم الاسلامية أن هذه الأمة سيظهر فيها مصلون حقيقة بعد نشر هذا التفسير سيصلون صلاة تشرح صدورهم لحوز العاوم . اللهم إن الدنيا مقفلة على عقولنا مسدلة حجبها على أفهامنا وأنت الذى أرشدت نبينا ﷺ الى الصلاة ولم يعرف أكثرنا ما يراد من ذلك إلا أنهم يخافون من نارك أو يطمعون فى جنتك . فأرنا اللهم سبل الهداية وافتح قلوبنا للعاوم واجعل الصلاة مفتاحا للدروس بحيث يصلى المسلم مستحضرا المعنى واستحضاره المعنى يحفزه الى الدرس والتفكير وبهذا يصلون اليك مقتدين بنبينا ﷺ الذى رأى الحسن والجمال

اللهم إنك تعلم أن المسلمين وقفوا عند ألفاظ الصلاة ولم يدرك أكثرهم أن عاوم الكائنات مطلوبة منهم بل وقفوا على علم الفقه وعلى قشور من علم التوحيد فافتتح لهم باب العاوم والمعارف حتى يسعدوا فى الدارين اللهم إنك قلت - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - وذلك حق فانها ترجع الى ﴿أمرين﴾ كما أوضحناه درس العاوم وانشاء السلام والعلم يدفع الجهل والمعاصى . وتعميم السلام بين الناس لا يكون معه خشاء ولا منكر . هذا بعض سر حديث المعراج وبعض سر الصلاة والحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿الاسراء والمعراج والسياحات والقوى العاقلة﴾

نامت الأمم الانسانية قبيل النبوة فالرومان كانوا فى أيام انحطاطهم بما نالوا من عز وسعة وبسطة فى الرزق والمالك فاتحطت عزائمهم وهكذا الفرس . وهاتان للملكتان كانت لهما السيادة فى الأرض . ودين البراهمة والبوذية فى الهند تراكت عليهما الحرافات فهوت بأتباعهما وهكذا أهل الصين ودياناتهم . إن الله خلق الناس وأودع فيهم قوى عاقلة وأهمها الخيلة والمفكرة والذاكرة . فبالذاكرة يكون علم التاريخ بجميع أقسامه وبالخيلة تكون الأسفار والاختراع والفنون الجميلة . وبالمفكرة تكون العاوم المختلفة من الرياضيات والطبيعات ومعركة الله تعالى ونظام الجسم الانسانى والنفس ونظام الطبيعة ويتفرع عن علم النفس المنطق والأخلاق وعاوم الجبال ونظام الأمم وسياساتها . هذه هى القوى الانسانية التى كنت وسكنت قبيل البعثة المحمدية فأرسل الله نبينا محمدا ﷺ فأسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ومما قاله مانصه ﴿مثل لى النبيون كلهم فصليت بهم﴾ ثم خرج الى المسجد الحرام . ولما رفع الى السماء قابل النبيين ومنهم موسى ولما تجاوزه بكى موسى فقيل له ما يبكىك قال أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى وأيضا لما رفع الى البيت المعمور أتى ببناء من خروانه فيه لبن وانه من غسل فأخذ اللبن وقال هى الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت الصلوات . وأيضا لما رأى آدم وجد أسودة عن يمينه وأسودة عن شماله فالأولون أهل الجنة من بنيه والآخرون أهل النار منهم فكان يضحك اذا رأى الأولين ويبكى اذا رأى الآخرين . ولما وصل الى سدرة المنتهى رأى ما لا يصفه الواصفون

هذا بعض ما جاء فى الاسراء . فباليت شعبرى كيف تمر هذه على المسلمين وهم نائمون . ليعلم المسلمون فى أقطار الأرض أن الاسراء نموذج لنا وستة سنت لنا . وبيانه أن العقول الحامدة والنفوس النائمة عليها الأذى عاوما من العاوم إلا درسته

(١) ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام ساج فى الأرض واخترق السماء وهى العاوم جميعها تخرج عن الأرض والسماء

(٢) ليقرا الناس عاوم الأرض وعاوم السماء

(٣) صلى النبي ﷺ بالنبيين ثم عرج الى السماء هكذا الصلاة معراج وبفهم الصلاة والعمل بمقتضاها يعرج الناس الى ربهم . يعرجون بعلم وعمل . أما العلم فقد شرحناه قريبا . وأما العمل فكذلك فالسلام العام فى الأمم بتهديب النفوس وحفظ الأسرار وحفظ الأمم هو العمل وقراءة عاوم الرياضيات والطبيعات

والفلسكيات هي عروج النفوس الى ربها وفهمها نظام عمله في هذا الوجود . هذا هو مقتضى الصلاة فالصلاة كتاب علم أوحى به الله الى نبيه وقال صلوا ثم اعرجوا الى ربكم بالعلم الذي تضمنته الصلاة . فاذا كان ﷺ عرج بعد الصلاة فهكذا أنتم بعملكم بما تضمنته الصلاة من العلوم العلمية والعلوم العملية تعرجون الى (٤) ان نبينا قد أمّ الأنبياء في الصلاة وهذا اشارة الى أن جميع الأمم التي تتبع الأنبياء قد أخذت لها قسطا من الآراء الاسلامية فقد حررت العقول في أوروبا وفي أمريكا وبلاد الشرق . كل هذا بسبب الاسلام فارجع الى هذا المقام في سورة التوبة فقد نقلت لك هناك عن (سديو) الفرنسي وغيره أن تحرير العقول في أوروبا إنما جاء من دين الاسلام . هكذا يكي موسى من أن غلاما بعث بعده دخل الجنة من أمته أكثر مما دخل من أمة موسى وهذا حق لأن أتباع دين عيسى هم اليهود وهم شذوثة قليلة لا تبلغ (١٥) مليوناً والمسلمون نحو (٣٦٠) مليوناً ومسألة آدم وبكائه وضحكك ظاهرة واضحة ومسألة اللبن واختياره لأنه الفطرة ترجع الى هذه العلوم التي حظيت بها الأمم فإن علوم الطبيعة وعلوم الفلك الخ هي الفطرة التي فطر الله هذا العالم عليها فاذا درسناها فقد رجعنا الى الفطرة . ومعلوم أن اللبن يفسر بالعلم كما في حديث آخر (٥) هذه الوقائع التي حصلت له ﷺ في معراجه قد تمت وظهر مصداقها ولكن أتباعه ﷺ فهموا دينه أيام الصحابة والتابعين وغفلت عنه أمة كثيرة بعدهم ولم يعلموا أنه قد سن لنا السياحات العقلية

(السياحات على قسمين)

اعلم أن السياحات على (قسمين) سياحات جسمية وسياحات عقلية . والسياحات الجسمية مقدمة على السياحات العقلية وذلك واضح في قوله تعالى - قل سيروا في الأرض فانظروا - والسير بلا نظر لا يفيد . فهذه هو رسول الله ﷺ ساح في الأرض بالاسراء وعرج في السماء ولم تسكن سياحاته ولا عروجه خاليين من الروح العلمية بل تراه بين السياحين صلى ليعلمنا أن الصلاة قد تضمنت العلوم التي بها المعراج فلما عرج الى السماء لم يترك راقصة بلا فائدة . فهذه هو آدم وهو يكي ويضحك وموسى وهو يكي على قسلة من يدخلون الجنة من أمته وهكذا ابراهيم وقد قال له ﴿ يا محمد بشر أممتك بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وغراسها سمحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ ولا جرم أن هذه هي ملخص الصلاة إذ الصلاة جد يرجع الى كل العلوم وتنزيه الله بالتسبيح في الركوع والسجود الخ

ولو أن امراً ساح في الأرض ورفع الى السماء وساح في أقطارها بلا عقل ولا فكر لكان ذلك أشبه بأصغاث الأحلام ولا فائدة له . إذن الاسراء والمعراج قد جاءا ليقاظ نفوس المسامين لحياء عقولهم وخيالهم وتعقلهم وذاكرتهم لأن المقصود من السياحات تعقلها وفهمها والتبصر فيها . ذلك هو مقصود السياحات في هذه الدنيا . الصلاة يراد بها الحث على العلوم والعلوم بها تعرف السموات والأرض . عرج ﷺ بعد أن صلى . ولما تم معراجه ورأى عجائب لا توصف فرضت الصلاة على أمته . لماذا هذا . لأنه عرج الى السماء بعد الصلاة فهو يريد أن تعرج أمته كما عرج . ولكن عروج أمته بالعلم والتعليم فهو عروج بالوحي والنبوة وعروج أمته بالعلم والتعليم ومبدأ التعليم ماتحت عليه الصلاة والصلاة كما قدمناه وأوضحناه حث على العلوم العلمية والعلوم العملية

(٦) ومما مثل الممرج بعد الصلاة إلا كمثل ابتداء سورة النجم بعد أواخر سورة الطور في آخر سورة الطور - ومن الليل ففسحه وإدبار النجوم - وفي أول سورة النجم ذكر قربه ﷺ من ربه إذ قيل - ثم دنى فتدلى - فكان قاب قوسين أو أدنى - فأخرا الطور التسبيح والصلاة في آخر الليل وفي أول النجم القرب من الله . هكذا هنا صلى ﷺ بالأنبياء فهو كآخر الطور وعرج الى السماء فهو كأول النجم وهذا هو قوله تعالى - واسجد واقترب - فهنا سجد وهنا اقترب وقد عرفت سره فالأنبياء يلهمون ويوهبون

والأتباع يجتنبون ويتعلمون فالصلاة كتاب يقرؤه المسلم صباحا ومساء وهذا الكتاب مختصر العلوم كلها عاوية وسفلية . ناهيك ما تراه في هذا التفسير عند تفسير سورة الفاتحة وقد زدت عليه في أول هذا المقال مسألة السلام والهداية في التشهد والفاتحة فانهما يشملان علوم الأخلاق ونظام الأمم

فإذا سمعت قوله تعالى - واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد - الخ فاعلم أن ذلك من علم الاخلاق الداخل في قول المسلم ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ ومثل هذا - يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف ونه عن المنكر واصبر على ما أصابك - وقوله - ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا - وقوله - واقصد في مشيك واغضض من صوتك - الخ وهكذا مما تراه في (٧٥٠) آية في القرآن وإذا سمعت قول المصلي - الحمد لله رب العالمين - أو قوله ﴿ التحيات لله الخ ﴾ فاعلم أن ذلك ظاهر في قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا - وقوله - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وقوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - الخ

(٧) إن الاسراء والمعراج درسان ألقيا للمسلمين ليخرجوا الى ربهم بالعلم وليفتحوا عقولهم وخيالهم وقواهم الفكرية وذاكرتهم النفسية ذلك ليسمحوا في الأرض بعقولهم لابعثهم أجسامهم . فأما اذا صابوا ولم يخرجوا أى لم يدرسوا ولم يفكروا فيما تتضمنه الصلاة فانهم يكونون محكوموا عليهم بالهلاك . ذلك لأن المسلم اذا صلى ووقف عند ألفاظ الصلاة أوقفهم معناها واستحضرها ولكنه لم يعمل بمقتضاها كما فعل رسول الله ﷺ من الاسراء والتعقل في أثناء الاسراء فانه يكون مغرورا غتر بمجرد الصلاة وأنام قواه العقلية ولم تفتح بصيرته لما حوله من عجائب هذه الدنيا وهذا هو قوله تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون -

المسلمون يصابون ولكن أكرمهم لا يعلمون بما تحت عليه الصلاة فانحطت مداركهم فتخطفتهم الأمم . هم ساهون عن الصلاة لاهون عنها . إن الصلاة ﴿ لأمرين ﴾ ذكر الله على سبيل العبادة وارتقاء النفس بذلك الذكر . فهنا ﴿ أمران ﴾ أمر عملي وأمر عالمي فأكثر المسلمين اقتصروا على الأمر العملي ونسوا العالمى ونسوا أنه ﷺ عرج الى السماء بعد أن صلى كأنه يقول عروجكم العقلى إنما يكون بعد الصلاة أى بالعمل بما تضمنته من العلوم . إذن الاسراء والمعراج درسان علميان والصلاة هي كتاب ذينك الدرسين

(٨) نفل الناس عن الاسراء وعن عقولهم . من عادة الناس أن لا يعقوا ماشاع عندهم وما يحيط بهم . هذا الإنسان في هذه الأرض لا يعقل ما هو حاضر عنده مبصر أو مسموع أو مذكور . لكل امرئ مخيلة وعاقلة وذاكرة كما تقدم فقد يعيش المرء ويموت ولا يخطر بباله ما تلك القوى وما عجائبها وهكذا يرى أن له سمعا وبصرا وذوقا وأعضاء داخلية وأخرى خارجة وكلها طائفة بالعجائب مملوءة بالغرائب ولكنه لا يخطر بباله أن يفكر فيها أو يرى فيها عجائب وهكذا أكثر هذا النوع الانسانى يعيش كالحيوان ويموتون ولا هم يذكرون لذلك أرسل الأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ فأسرى به وعرج والاسراء والمعراج لفتح هذه القوى العقلية فينا وفهلاتم ذلك في عصر الصحابة والتابعين فان أحوالهم كلها اعتراها انقلاب وتغيرت وتحولت الى الأحسن أما الأمم المتأخرة فانها تسمع الاسراء والمعراج كما تعرف يديها وعقلها وجسمها . فالاسراء والمعراج أصبحا متداولين بين المسلمين فلم يبق تعجب منهما ولا تذكرهما كما نسي الناس نفوسهم وعقولهم ومخيلاتهم وأعضاءهم فسيان عندهم عقولهم وأعضاؤهم واسراء نبيهم ﷺ

واعلم أن هذا التفسير سيكون من المبررات بنهضة مقبلة قريية رسيخ راج جيل جديد سائح سياحات علمية وعارج الى رب البرية

﴿ كيف يسرى المؤمنون ويعرجون ليصلوا الى اليقين بالعلم ﴾

اعلم أن الأمم جميعها قد جاء في تاريخها أن أناسا حكموا أنفسهم بالرياضات فوصلوا الى ما قصدوا وهؤلاء كثير في أمم الهند والأم الإسلامية ولكن الذي ظهر أن هؤلاء غالبا لم يتحدثوا في الأمم انقلابا كثيرا إلا قليلا منهم وأكثر انقلاب الأمم إنما يكون برجال مفكرين نالوا حظا من العلم باجتهادهم لرياضاتهم . فلا ذكر لك هنا مسألة واحدة وهي تفسير قوله تعالى في سورة تبارك - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - أى شقوق وقبل الشروع في هذا المعنى أذكر مقدمة فأقول

اعلم أنه قد سبق في هذا التفسير أن العوالم التى نعيش فيها مركبة من ذرات وتلك الذرات مركبات من جواهر فردية وتلك الجواهر الدقيقة جاريات حول نواتها جريا حثيثا فترى كل ذرة بعضها أشبه بالشمس وبعضها أشبه بالسيارات وهذه التى تشبه السيارات تدور حولها وكل ما فى هذا الوجود مركب من تلك الذرات وتلك الذرات ما هى إلا المجموعة الشمسية . فاذا رأيت الحديد والنحاس والأحجار وظننت انها ساكنة فأنت لم تقرأ علما بل العلم أثبت أنها متحركات كما شرحته لك بل قال المحققون مثل (جوستان لوبون) كلما كانت حركات الذرات أسرع كان الجسم المركب منها أصلب وكلما كانت أبطأ كان الجسم المركب منها أبعد عن الصلابة وأقرب الى التفرق أو السيلان الخ

وهناك مسألة أخرى ستأتى في سورة تبارك وهي أن طيف الضوء المركب من الألوان السبعة المعروفة يتخلله خطوط سود وذلك بواسطة آلة للنظر مذكورة هناك مصورة من ثلاثة مناظر معظمة وتلك الخطوط السوداء عمودية على ذلك الطيف وهذه الخطوط السوداء واضحة في شكل ستراه هناك وكل خط له هيئة خاصة وقد شاهدوا مثل هذه الخطوط في لهب المعادن فحكموا من ضوء الشمس على المعادن التى تركبت منها هى فكلما رأوا خطا في الطيف الشمسى بهيئة توافق نظيرها في لهب معدن من المعادن قطعوا بأن ذلك المعدن من عناصر الشمس وهكذا الكواكب الأخرى . هاتان النظريتان هما أسس ما أذكره من الاسراء العقلية والمعراج الفكرى الذى يسير عليه المسلمون . فهنا نقول في تفسير الآية

(١) فاذا أبقيناه على ماهو معلوم من التفسير المعروف قلنا - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت - لأن البصر لا يرى في السماء المشاهدة فطورا . ولا جرم أن السماء من فعل الله فلتكن أفعاله كلها على هذا النظام (٢) واذا لاحظنا أن في المادة فراغا معلوما بين جميع الذرات كما هو مقرر في الطبيعة حتى انهم أثبتوا أن الخلاء بين كل ذرة وأخرى بالنسبة لحجمها لا يقل عن الفراغ الحاصل بين الأرض والسماء بنسبتهما وهذا وإن كان بعيد التصديق مسلم في علم الطبيعة . وهكذا نلاحظ أن في طيف الضوء تلك الخطوط المتقدمة اذا اعتبرنا ذلك كله قلنا - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت - مع ما فيه من الخلاء بين الذرات والخطوط السوداء وسط الألوان وذلك لشدة احكامه وتعام انقائه فذلك الانقاع جعله لخطوط فيه ولا فراغ والبصر لا يدرك شيئا من ذلك - فارجع البصر هل ترى من فطور - فيه بين الألوان وبين الذرات مع أن ذلك كله موجود فعلا فالفطور مع وجودها أصبحت لا ترى لشدة احكام المادة وانتظام النور كما أن العالم كله يتحرك ولكنه لشدة الاحكام يرى ساكنا كما قال تعالى - وله ما سكن في الليل والنهار الخ -

(٣) والوجه الثالث أننا نلاحظ ما في الوجه الثانى أيضا ولكننا نقول - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت - وهذه الرؤية عقلية لا بصرية فالعقل أدرك أن الذرات تشبه السيارات وصغير العالم ككبيرة فأشبهه جزؤه كله وكبيره صغيره من ﴿ وجهين * الأول ﴾ ان الذرات تشبه السيارات من حيث الفراغ الحاصل بينهما ومن حيث دوران جزئياتها حول نواتها دورانا منتظما ﴿ والثانى ﴾ أن تركيب الشمس مثلا كتركيب الأرض ولم يعلم ذلك إلا بتلك الخطوط السوداء في الطيف التى أبانت باختلافها اختلاف العناصر في الشمس وحيث يقال

هل ترى ببصرك من فطور حتى تحكم بها على تشابه المادة بحيث تشابه النرات السيارات و يشابه المعدن بالخطوط
المعتضة في طبه نظيره في الكون فيحكم بوجوده فيه وبهذا يحكم بتشابه العوالم . كلا . أنت لا ترى ذاك
ببصرك مطلقا بل البصر يرى المادة لاختلاف فيها ويرى آثار الضوء في قوس قزح لا أثر للخطوط السود فيه مع
ان الحقيقة أن المادة واللوان الطيف فيهما فراغ . ففي الأول بين الذرات . وفي الثاني خطوط سود بين تلك
الألوان وانما لم تبصر ذاك لأن البصر لا يقوى على ذلك وانما يقوى الانسان عليه بالآلات التي اخترعها العقل
البشرى والاستنتاج بالعقل والفكر . انتهى

فهذه الآية بدرسها من علم الطبيعة في الأرض فتحت لنا باب العروج الى السموات فأدركنا تركيب
أجسامها وعرفنا عناصرها . فهذا مثال واحد من الأمثلة التي لا تحصى بها أدركنا نظام العالم العلوى بضاهة
نوره بأنوار معادن العالم السفلى . فهذه سياحة عقلية بها يرتقى العقل الانسانى ويشاهد حكما وعالوما متبعا
في ذلك نبينا محمد ﷺ إذ رأى جالا لا يصفه الواصفون . هكذا فلنجد في العلم وارتقى في الأسباب
إن الاسراء والمعراج جعلنا درسا لنجد ونسرى في العاوم الأرضية ونعرج الى العلوم العقلية والحمد لله
رب العالمين . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة - وقضينا الى بنى اسرائيل - الخ ﴾

اعلم أن بنى اسرائيل من بعد موسى لم يكونوا ملازمين بالجهاد كالأمة الاسلامية بل كانوا يحافظون على
شرائعهم ويدافعون عن بلادهم فيقوم بعد موسى ويوشع عليهما السلام نحو أربعين سنة على هذه الحالة
لا يعينهم شئ سواها وكان القائم بأمرهم يسمى (الكوهن) كأنه خليفة موسى عليه الصلاة والسلام يقيم
لهم أمر دينهم ولا بد أن يكون من ذرية هرون لأن موسى لم يعقب ويكون مع الكوهن سبعون شيخا
يقومون بأحكامهم العامة تحت اشراف الكوهن وفي أثناء ذلك غلبوا الكنعانيين على بيت المقدس وماجاوره
وحاربوا أهل فلسطين والأردن وعمان ومأرب ولكن لم تكن لهم صولة الملك فطلبوا من شمويل نبيهم
أن يجعل الله لهم ملكا يجمع شملهم فتملك طالوت وقتل داود من عسكره جالوت عدوه فتولى داود الملك
بعد طالوت فسلطان ابنه عليهما السلام واستفحل الملك وامتد الى الحجاز ثم اطراف اليمن ثم اطراف بلاد الروم
ثم افترق الأسباط من بعد سليمان الى دولتين . احدهما كانت بالجزيرة والموصل للأسباط العشرة والأخرى
بالقدس والشام لبنى يهوذا وبنيامين ثم غلبهم بختنصر ملك بابل فاستولى على الأسباط العشرة أولا ثم ثانيا على
بنى يهوذا وبيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو ألف سنة وخرب مسجدهم وأحرق توراتهم وأمات دينهم
ونقلهم الى أصبهان وبلاد العراق الى أن ردهم بعض ملوك السكيانية من الفرس الى بيت المقدس من بعد
سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم على الرسم الأول

﴿ تغلب اليونان على الفرس فاليهود ﴾

ولما غلب الاسكندر واليونانيون قومه على الفرس أصبح اليهود في قبضتهم فلما فشل أمر اليونان اغتر
اليهود بعصيتهم وأخرجوهم من ديارهم وأقاموا دينهم على الطريقة الأولى وكرهتهم من بنى حشمنائى فلما غلب
الروم اليونان على أمرهم رجعوا الى بيت المقدس وفيه بنو هيردوس أصهار بنى حشمنائى وبقية دولتهم فاستحوذوا
عليهم وبقوا في قبضتهم فتتحوها عنوة حتى أرسل عيسى في أيامهم ودالت دولتهم بعد رفعه الى السماء بنحو
(٧٠) سنة فأجأوهم عن بلادهم الى رومية وماوراءها وهو الخراب الثانى للمسجد ويسميه اليهود الجلالة الكبرى
فلم يقيم لهم بعدها ملك بفقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة الروم ومن بعدهم يقيم لهم أمر دينهم
الرئيس عليهم المسمى بالكوهن . ثم ان عيسى عليه السلام أرسل في مدة (هيردوس) ملك اليهود الذى
انزع الملك من بنى حشمنائى أصهاره في أيام الملك (أوغسطس) ففسده اليهود فكاتب (هيردوس) ملكهم

ملك القيصرية (أوغسطس) فأذن لهم في قتله وكان ما كان مما قصه الله في القرآن ثم افترق الحواريون فدخلوا بلاد الروم داعين الى النصرانية وبعد ذلك أجلاهم الروم كما تقدم . هذا هو التاريخ الذي يشيرله القرآن . فالمرّة الأولى هي غزوة الفرس لهم والمرّة الثانية غزوة الروم لهم لما عصوا بعد عيسى عليه السلام . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - ﴾

لما ذكر أمر اليهود وتفرق دولهم وتسلط الأمم عليهم وانهم أجلاهم عن بلادهم . فالفرس الى أصبهان وما والاها من البلدان والروم الى رومية وما والاها من أوروبا وكانت مدتهم الى زمن عيسى عليه السلام نحو (١٤٠٠) سنة أر بعثته الى حكم سليمان وستائة الى جلاوتهم في بلاد الفرس وأر بعثته الى جلاوتهم الكبرى . ولقد كانوا في مصر قبل ذلك نحو أر بعثته سنة فقتلهم من أيام يوسف الى زمن المسيح (١٨٠٠) سنة وقد اعتراهم الذل بعد رسالة موسى بألف سنة فأخرجوا من ديارهم ثم بعد أر بعثته أخرى أذلهم الروم . ولقد انفق لأمة الاسلام أن غلب بعضها على أمره ولكن لم يحصل اجلاء عن البلاد إلا في الأندلس بعد النبوة بما يقرب من ألف سنة فأخرج الأسبانيون العرب من أمتنا من ديارهم بأوروبا . ولم يعم الاخراج المسلمين جميعا لأنهم أمة عظيمة وليس فيهم جشع اليهود الذي يفض الأمم فيهم فأذلهم

يقول الله - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - ولقد بينا في اللطائف السابقة الاشارات الدالة على أن للإسلام أمما ستفوق غيرها . إن اليهود اليوم هم أصحاب العلم في العالم الانساني . إن اليهود هم الذين أشاعوا الدول البلشفية وهم هم الذين بفلسفتهم قد حركوا ألمانيا الى الحرب الكبرى وفيلسوفهم (نيتشه) أشاع فيهم هذه الفكرة ﴿ الرحمة ضعف وخور فليمت الضعيف وليعش القوي ﴾

اليهود اليوم هم الذين يديرون العالم كما يشاؤون . يقوم الفيلسوف منهم فيحرك العالم تحريكا بعقله . جاء في ﴿ التامود ﴾ وهو ملخص دين اليهود وقد تقدم في التفسير . إن الله فرقنا في الأمم لأنه يعلم أننا شعبه وأبناؤه وأن العالم الانساني كله خادم لنا وهذا الانسان كله وسط بيننا وبين البهايم نستعملهم للتفاهم بيننا وبين الحيوانات فوجب علينا أن نجعلهم متساكين متقائلين متعادين وندخل في سياساتهم ونجعلهم في حرب لنستفيد منهم ونزج بناتنا لعظماهم وندخل في كل دين لنفسده على أهله ونكون لنا السيادة على هذا الانسان الذي سخره الله لنا انتهى

ولقد فعلوا ذلك أوقريا منه . وهاهم أولاء قد أسسوا دولة البلشفية في بلاد الروس ومنهم (لينين) وأعوانه الذي توفي قريبا وهاهي دولتهم تناظر دول أوروبا وقد اتسعت اليوم ولا ندري ما يفعل الله بالانسان غدا . هذا ما كان من أمر اليهود الذين مضى على دينهم نحو (٣٤٠٠) سنة فهل يقوم الاسلام بأمر العالم ويعاوي في فلسفته وحكمته على الأمم ومنهم اليهود ويجعل أهل الأرض في حال اخوة وسلام لا تنابذ ولا شقاق وإذا كان هذا هو الذي وصل اليه اليهود الذين على يديهم أرسل عيسى منهم وهم هم الذين نشروا دينه في الشرق والغرب ثم اخترعوا البلشفية فهم إذن سادة العالم الأدنى فهل المسلمون الذين جاء دينهم بعد الدينين اليهوديين يقومون بدور يناسب ديننا وهل قوله تعالى - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - يشير الى أن أمما ستكون بعد الآن في الاسلام تحمل أهل الأرض قاطبة على الرقي . إن (ماركس) الألماني الذي هو أصل البلشفية يهودي ألماني وهو الذي أخرج العالم من حال الى حال بعد موت موسى بثلاثة آلاف وأر بعثته سنة فهل يقوم في المسلمين بعد اليوم وقد مضى للإسلام ١٤ قرنا قائم يرقى المسلمين ويرقي العالم كله ويكون ذلك سعادة للناس لا شقاء كما فعل اليهود في أوروبا والشرق وهل زمن عيسى الذي جاء في شريعتنا وفي شريعة النصراني أنه سينزل حيا . هل هذا الزمن بعيد حصوله . إنه ليس بعيد أي إن المسلمين اذا قاموا بدورهم

الانسانى ورقوا الأمم وساد السلام على يديهم فهناك يعم السلام فى الأرض وتكون جيوش المسلمين مؤدبة للأمم لظالمه كما تفعل أوروبا الآن . هذا هو الذى يرتقب من أمة الاسلام وهذا هو الذى فهمته من قوله تعالى - إن هذا القرآن يهتدى لى هى أقوم - وأن أمة الاسلام ستلعب دورها يوماً ما وتبنى مجدداً للعالم كله ويكون الناس جميعاً أبناءنا . إن هذه المدة التى مضت فى الاسلام كالمدة التى مضت على بنى اسرائيل حين أجلاهم الروم الجاوة الكبرى فقد كانت نحو (١٤٠٠) سنة فذل اليهود إذ ذاك وذل المسلمين الآن ولكن فرق بين الذين فالمسلمون لهم دول مستقلة وإن كانت قليلة . فاذا قسنا هذه الحال بتلك قلنا ان ما قلته ربما يتم لأنه اذا مضى بعد ذلك مئات السنين يكون هناك دول تتعارف من الاسلام ويكونون رجة للعالمين وهم يمنعون الظالمين عن المظالمين . فهذا هو الذى نفهمه من ذكر قصة موسى بعد الاسراء ومن العلاقة بين نبينا محمد ﷺ وموسى عليه السلام ومن ارتقاء نبينا عليه فهو فى السماء السادسة ونبينا فوق السابعة والامعنى لهذا بالنسبة للأمم إلا ما ذكرناه . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة - ويدع الانسان بالشمر دعاه بالخير وكان الانسان عجولاً - ﴾

لما ذكر الله أمة بنى اسرائيل وما حل بهم وأنع ذلك بأن هذا القرآن يهتدى لى هى أقوم وسيدكر بعد ذلك سنن الكون ونواميسه وحسابه أبان فى هذه الآية المذكورة ما بين القرآن الذى هو أقوم وما بين النواميس والحساب السماوى فقال إن هذا الانسان خلق عجولاً بطبعه ميالاً الى ما لا تحمد عقباه . فطرة فطرناه عليها فهو يتماهى فى الشهوات ويتعالى فيما يظنه خيرات فهو يحرص على المال والولد والصيت والشهرة وافتتاح البلدان وازالة الممالك وهو يظن ذلك خيرات بشهوته ومجته الطبيعية ثم يتماهى فى ذلك الذى ظنه خيراً الى أن يصل الى ما ظنه شراً فيدعو على نفسه وعلى والده وعلى أهله ويمتنى الموت . كل ذلك لهجته . واذا كان هكذا أمره فانه لا يثبغى أن يترك وشأنه . ولتهذب طباعه بالكتب الدينية والعجائب الكونية والحساب السماوى والعلم الطبيعى والنظام الالهى

هذا شأن الانسان بيناه . وهذا أمره كشفناه . فليقم بالدين وليقرأ العلوم حتى يقف على الحقائق ويعلم أن أكثر ما يظنه خيراً إنما هو شر من وجه فاذا فتح البلدان لقهر الأمم عاد ذلك عليه بالوبال كما حصل لبنى اسرائيل . فليحترس المسلمون أن يغلبوا الأمم لقهرها لا لتعليمها والا حل بهم ما حل باليهود وقد كان ذلك ومضى . وحل بالأمم الاسلامية ما يقابل أفعالها الظالمة فى بعض القرون واضمحلت الشوكة . لماذا . لأن الانسان جهول . فليقرأ العلوم . وانما قال الله - إن هذا القرآن يهتدى لى هى أقوم - لأنه أرشد الى علم الكائنات . فالقرآن لا يقف عند تلاوة الألفاظ فحسب . ولذلك ترى هذه الآية جاءت بعدها فقال ان الانسان عجول فلهذب به العلوم ثم أتبعها بذلك النظام

إن القرآن يهتدى لى هى أقوم . انه يدعو الى قراءة كتاب الله المفتوح . كتاب السموات والأرض كتاب الطبيعة . كتاب النبات . كتاب الحيوان . كتاب الانسان . كتاب علم النفس . كتاب علم التشريح . كتاب علم السياسة . كتاب علم الأجنة . كتاب علم آثار الأمم . كتاب كتاب الخ فهذه هى الهداية للطريق الأقوم . وهذا هو دين الاسلام . وهذه هى طريقه والله يهتدى من يشاء الى صراط مستقيم . انتهت اللطيفة الخامسة

﴿ اللطيفة السادسة - وجعلنا الليل والنهار آيتين - الى قوله - وكل شئ فصلناه تفصيلاً - ﴾

لقد قدمت فى هذا التفسير حساب الأفلاك صرارا وتبين لك فيه كيف فصل الله للعالم تفصيلاً . ولكن لأذكر لك درة يقيمة وجوهرة مضيئة وآية شريفة وزجاجة خضراء وياقوتة جراء والماسة بيضاء وحكمة بدیعة وشمسا مضيئة فأقول

انظر ﴿مسألتين اثنتين * الأولى﴾ مسألة السنين القمرية وأن كل سنة منها ٣٥٤ يوما وسدس يوم وخمسة وهذا السدس وهذا الخمس باجتماعهما سنة بعد سنة يكونان أياما وتلك الأيام التامة تكون السنة التي تمت فيها كيسة والتي لم يضم لها يوم يقال لها بسيطة . ولقد وجد ذلك في كل ثلاثين سنة ١١ كيسة و ١٩ بسيطة وتكون النسبة منتظمة عجيبه لا خطأ فيها ولا خلط وكل (٧) أدوار يقال لها دور كبير وهو (٢١٠) سنة فكل دور من الأدوار الصغيرة يكون مماثلا لنظيره في الأدوار الكبيرة التالية أياما وشهورا ويمكن أن يجعل نسبة منتظمة فيقال هكذا نسبة ١١ الى ١٩ كنسبة ٢٢ الى ٣٨ كنسبة ٤٤ الى ٧٦ كنسبة ٨٨ الى ١٥٢ وهكذا الى تمام الدور فالأدوار تتابع والحساب لا يتغير والنسبة منتظمة ولها جداول لا خطأ فيها والسنة (٣٥٤) يوما و ٣٥٥ يوما على مقتضى البسيطة والكيسة وهكذا

فقل لي بربك . أأست ترى أن الله هكذا فصل وهكذا بين . أأست ترى إنك بهذا الحساب المنقن تحسب السنين العربية من أول التاريخ العربي وتسقط أدوارها ثلاثين و ٢١٠ و ٢١٠ وهكذا وقد أوضحناه في هذا التفسير سابقا فارجع اليه في مظانه لتعرف أوائل السنين العربية في آخر (آل عمران) واست اليوم أقول هذا لمعرفة أوائل السنين وانما أقوله لما هو أعلى . أقوله للتفسير . الله يقول - وكل شيء فصلناه تفصيلا - فهكذا يكون التفصيل وهكذا يكون البيان ولهذا أنزل القرآن . أنزل القرآن ليلفتنا الى كتاب الله الذي خلق قبل انزال القرآن بالوحي . كتاب الله الذي في الطبيعة وهو الكتاب المفصل وهو الكتاب المبين . هو الكتاب الذي كتبه الله بيده وأودعه في الطبيعة وهو الكتاب المفصل وهو الكتاب المبين . هو الكتاب الذي خلق الله وهذا جلال الله وهذا بيان الله فيه فاقتدوا وبعلموه فانتفعوا . القرآن يقرؤه الجاهل والعالم والطبيعة لا يدركها إلا العلماء فلذلك كفر بها كثير من جهلة الاسلام - وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام . انتهت المسألة الأولى

﴿المسألة الثانية النظر في جسم الانسان وحسابه﴾

اذا خرج الانسان من الرحم تام البنية سالما من سوء الأخلاط يكون فيه أشياء متماثلة وأشياء تزيد بالثلث وبالربع وأشياء بالمثل والثلث وما أشبه ذلك . فالتى هي متساوية اذا قيست بشبره نفسه هي (١) من رأس ركبته الى أسفل قدميه يساوى الذى من ركبته الى حقويه يساوى الذى من حقويه الى رأس فؤاده يساوى الذى من رأس فؤاده الى مفرق رأسه فشكل مقدار من هذه شبران بشبره (٢) اذا فتح يديه كالأطراف كان هكذا ما بين رأس أصابع يده الى مرفقه يساوى مقدار ما بين مرفقه الى ترقوته يساوى مقدار ما بين ترقوته الى مرفقه اليسرى يساوى ما بين مرفق اليسرى وأطراف أصابعها كل منها شبران

(٣) ان الانسان اذا صنع دائرة مركزها سرته وممر محيطها بأصابع رجليه ومد يديه الى أعلى فان المحيط يمر بأطراف أصابعهما فتزيد عن قامته ربعها ويكون النصف حصة أشبار من أعلى النصف ومن أسفل النصف (٤) طول وجهه من رأس ذقنه الى منبت الشعر فوق جبينه شبر وثلث طول جبينه ثلث شبر (٥) طول عينيه كل واحدة منهما ثلث شبر وطول أنفه ربع شبره يساوى شق شفتيه (٦) طول كفيه من رأس الكرسوع الى رأس الأصبع الوسطى شبر (٧) الإبهام والخنصر متساويان وما بين يديه شبر يساوى ما بين عاتقه وسرته يساوى ما بين رأس فؤاده وترقوته . وقد تقدم في هذا التفسير أكثر من هذا وأعدناه هنا للناسبة

هذا بعض ما ذكره في جسم الانسان وقالوا إن كل حيوان بل كل نبات منظم تمام الانتظام على هذا المنوال وقد ظهر في هذه الأمثلة المماثلة والثلث والربع والثلث . ومن هاتين القاعدتين في النسب الهندسية بنوا علم

الموسيقى وعلم الجبال ولقد أوضحناه في كتاب (الفلسفة العربية) . فانظر كيف فصل الله هذا العالم تفصيلا وانظر كيف جعل الحساب مفصلا واضحا لا يخطئ بعد آلاف الآلاف من السنين . وكيف فصل أعضائنا وقدر الجبال اذا تم حسابها والقبح اذا حصل اختلاف يسير . إن هذا هو التفصيل وهذا هو البيان . ولقد ظهر ذلك الجبال في علم الشعر والنسبة الهندسية فيه وفي ظلال الأشجار وفي السفينتين على وجه الماء ونسبتهما ونسبة الماء الذي أزاحه من ماء البحر وهكذا الثمن والمثلث وأن بينهما ثمان نسب أربع طردية واربعة عكسية . كل ذلك في ﴿ كتاب الفلسفة ﴾ كتب تذكرة للمؤمنين وعظة للمتقين

إن الحساب يعلم الصبر والصدق وذلك ضد عجلة الانسان الذي يسعى في فتوح البلدان يظنها خيرا مطلقا وما درى أن السهم في الدسم وهكذا المال والولد والصيت فشكل ذلك سعادة وتحتة آلام . فليكن الصبر هو الملجأ . ولتكن العلوم هي السأوة . وليكن الجبال هو المنظر . جبال هذا العالم البديع الممتلئ بهجة وحسنا وكالا ونظاما وبهاء . لقد بينت يا الله بعض معاني القرآن وإني قادم اليك من هذا العالم وبرئت من السكتان وأنت المستعان

﴿ اللطيفة السابعة - وكل انسان أزمانه طأثره في عنقه - الخ ﴾

اعلم أن هذا الجسم الانساني قصر النفس ومسكنها ولوحها المقروء وكتابها الذي تدرس تشريحه وتفصيله وهذا الكتاب يوما ما ستدبره الروح وتتركه ولكنها تجدد كل ما عملت مسطرا فيها مكتوبا مفصلا تفصيلا كما فصلت أعضاؤه التي رأيتهما وكما فصل حساب السموات التي عرفتھا . لهذا ذكر علم النفس بعد علم العوالم المادية لتعرف أن هذه الظواهر السماوية والأرضية المفصلة الموضحة البديعة الجميلة وراءها أرواح مفصلة موضحة أكثر من هذه ولأقرب لك الأمر بما هو مشاهد معروف . انظر الى الدول الأوروبية والى دولتنا المصرية وتوجه الى محافظة مصر وانظر هناك كيف جعلوا علامات الإبهام لكل انسان دالة عليه ووجدوا أنه لا إبهام يشابه الأخرى أى إن إبهام زيد اذا طبعه على الورق يكون أصدق من ختمه الصناعى لأن هذا الختم لا يقلد فان الخطوط التي في إبهام زيد تخالف الخطوط التي في إبهام عمرو فلا يتشابهان كل المشابهة . فهذا أيضا من معنى قوله - وكل شئ فصلناه تفصيلا -

وانظر أيضا الى لون كل امرئ الى صورته واذا كان الجنس الأبيض من الناس والجنس الأحمر والجنس الأصفر كل طائفة منهم قد اشتركوا في اللون فانك لاتجد واحدا يشبه لونه لون الآخر سوادا وبيضا وحمرة وصفرة هكذا هيئة الوجه والأعضاء . هذا هو معنى - فصلناه تفصيلا - ووضحناه ايضا . هذا توضيح الله لنا . هكذا نقول في أرواحنا كما قدمناه في هذا التفسير فان الأرواح الانسانية يسطر فيها كل شئ عملناه وبالتكرار يصير هذا العمل ملكة راسخة وهذه الملكة الراسخة فينا تبقى ثابتة . فالجهل والعداوة والحرص والطمع والبخل وما أشبه ذلك يصبح فينا جزءا منا فهو يؤذينا كما نحس بالأذى من الأخبار المحزنة . وهذا الأذى لا يفارق النفس ويؤلمها أشد الألم بل هو يؤلمها في الحياة الدنيا كما يحس الانسان بالخوف في ضميره فاذا وقعت الواقعة وانشقت سماء رؤسنا فهى يومئذ واهية وزلزلات المادة الأرضية في أجسامنا وأخرجت أفعالها فرمتها بالأرض - وقال الانسان ما لها * يومئذ تحدث أخبارها - بان الموت قد أتى لها واذن تبقى النفس خالصة لاشئ يحجبها فتحزن حزنا شديدا فان فارقت المؤلفات حزنت عليها وان اقترفت الخطيئات احترق قلبها عليها وان جهلت علوم الكائنات أصبحت في ألم عظيم إذ تحس بأن العلماء ارتقوا الى أعلى البرجات وهى باقية في الظلمات . وهذه قيامة كل امرئ فكل امرئ يقوم قيامته بموته كما روى ﴿ من مات فقد قامت قيامته ﴾ وهذا مبدأ الحساب والحساب واضح لا يحتاج لشرح فاذا نظر الانسان لصورته الحقيقية ورآها ملوثة قدره أنف أن ينظر اليها وكره منظرها وهو غير قادر على التخلص منها وهذا له نظير في الدنيا فان أصحاب

العلاقات العشقية الذين حكم عليهم أن يعيشوا مع أخس النساء والذين يتماطرون المسكرات ويعامون أن هذين الوصفين يضعان شرفهم وصحتهم ووظائفهم فهؤلاء يقولون ﴿ نودّ لو نقدر على الترك ولكن الملكة فينا متمكنة فلا نقدر على المفارقة ﴾ فكل من هؤلاء يودّ لو يتوب ولكن استحكام العادة يقعه عن الخروج منها فهذا سجن وحسرة واحراق قلبي زيادة عن الجسمي . هذا هو قوله تعالى - إقرأ كتابك - فليست قراءة كتابية بل قراءة نظرية عامة يقرؤها الجاهل والعالم والذكي والفج والكاfer والمؤمن لا تحتاج الى ذكاء ولا الى عين وضياء ويقال للانسان إذ ذاك - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - وأى بصراحت من هذا . إن هذا العذاب يحسّ ببعضه الناس في الدنيا ولكنه محبوب عنهم أكثره فتجد العقلاء في أوقات فراغهم إذا رأوا عالما أحسوا بحزنهم على تقصيرهم في العلم وإذا رأوا ذا خلق جيد ودّوا لو يكونون مثله ويذكرون نقائصهم فتحزنهم وهكذا . فعذاب الانسان بعد الموت أكثر مدماته معلومة من الآن فان الجاهل يبقى في مزرعته أو تجارته مثلا لا يفارقها وإذا كان عنده علم رأيته يخلو به في بعض أوقاته ليرقى نفسه

على نفسه فليكن من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم هذا هو ما بينه الله وهو أن حساب النفس في أخلاقها وأعمالها مسطر فيها مفصل كحساب الأفلاك وحساب ظواهر الأجسام . واعلم أن هذا القول هو الحقيقة أى ان الناس اليوم في الحياة الدنيا مسطرة في نفوسهم نقائصهم وكمالهم وأن ذلك ينكشف بالموت ويبتدى النعيم والجحيم . ويزيد الانكشاف يوم القيامة السكبرى فالأطفال والنساء والصبيان يكتفون بعذاب جهنم والعقلاء يستبعدون ذلك فجاءت هذه الآلة لترتيبهم سرية العذاب وهذا أيضا ربما لا يكفي بعض النفوس فجعل الله العذاب في الدنيا وكتبه عنهم وأظهر علاماته ليرتدع الناس عن الذنوب وليعلموا أن لكل ذنب جزاء مبتدئا من العمل منتهيا الى آجال غير معلومة . هذه هي الحقائق الناصحة والآيات الواضحة

﴿ جوهره في قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - ﴾ اعلم أيديك الله أن العالم الذي نعيش فيه يكاد ينطق بهذه الآية . يخيل للانسان أن أعماله لا أثر لها ولكن المفكرون الدارسون من علمائنا السابقين وعلماء القرن العشرين يعلمون بمزاولة الدراسة هذا المقام علما اقناعيا تارة وبقيينا أخرى ولأقدم لك مقدمة فأقول ان تفاوت الحركات في المادّة بطأ وسرعة كتفاوت الأجسام خفة وثقلا وتفاوت الآثار ذهابا وبقاء . أما التفاوت عظيم في الحركات فان الناس يشاهدون السلحفاة القليلة الخطوات والأرنب السريع العدو والرياح العواصف وقطرات السكة الحديدية والبرق والنور فأى نسبة بين السلحفاة والأرنب وزد على ذلك ما بينهما وبين الريح يرى الله البرق ويرينا السلحفاة ويقول أنا أخلق هذا البطء والحكمة وهذه السرعة والحكمة أخرى ولا أضيق على خلقي بكل ماهو في الامكان والبخل بالمكن ظلم والظلم لا يتصف به الحكيم الباطم . وترى العلماء يقولون ان سرعة الصوت في الهواء ١٠٩٠ . قدما في الثانية بميزان (فارنهي٣) ١٤٦٣٠ . قدما في الهيدروجين في الثانية وفي الاكسوجين ١٠٤٠ . قدما . كل هذا في الثانية وفي الماء ٤٧٠٨ . أقدام في الثانية وفي الحديد ١٦٨٠٠ . قدما في الثانية وفي النحاس ١١٦٠٠ . قدما في الثانية وذلك نحو عشرة أمثال سرعته في الهواء وفي السنديان ١٠٩٠٠ . قدما في الثانية . اذا فهمت هذا فانظر النور فانه يقطع في الثانية الواحدة ١٩٣٠٠٠٠ ميل في الثانية . ومعلوم أن محيط الأرض ٢٣٨٠٠ ميل . إذن النور يقطع محيط الكرة الأرضية ثمان مرات في الثانية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ٤٠ ألف كيلومتر في (٨) وهو ٣٢٠٠٠٠ كيلومتر ان قطر سكة الحديد يقطع في الثانية الواحدة نحو واحد من ستين من الكيلو وذلك نحو (١٨) مترا فتكون سرعة النور

أكثر من سرعة القطر في سكة الحديد ٣٢٠٠٠٠ في ٩٠ أو ١٩٣٠٠٠٠٠ أي ١٩ ألف ألف ومائتي ألف مرة تقريباً. ومعلوم أن قطر سكة الحديد أسرع من جرى الخيل والخيول أسرع من الجير وهكذا إلى السلحفاة . فاعجب لقطار أعجبتنا جريه أصبح كسلحفاة بالنسبة للنور

﴿ الكثافة واللاطفة ﴾

وكما عرفت اختلاف الصوت تعرف اختلاف الأبحام خفة وكثافة فتري الماء أطف من الأرض نحو خمس مرات والهواء أطف من الماء ٨٠٠ مرة والبخار أطف من الماء ١٧٣٨ مرة كما تقدم في التفسير فيكون أطف من الهواء مرتين فأكثر قليلاً ثم وراء البخار الذي يعلو على الهواء النور فهو أطف وأطف . وما هو النور . هو إمادة لطيفة ولما عرض قائم بالمادة فإذا كان مادة لطيفة فكيف ينتقل من الشمس والكواكب إلينا إلا على جسم يحمله إلينا كما تنقل الدواب أجسامها وأمتعتنا وإن كان عرضاً في المادة بأن يكون تموجاً في الأثير حصل المقصود وهولئك المادة اللطيفة . إذن النور لابد أن يكون دالاً على شيء موجود إما أن يكون هو نفس ذلك الشيء ولما أن يكون هو قائماً به . الله أكبر . جلّ العلم وجلت الحكمة اقتربنا من المقصود وهو ما جاء في كتاب ﴿ اخوان الصفاء ﴾ وما جاء في كتاب اللورد (أوليفر لودج) . ان الذي جاء في كتاب ﴿ اخوان الصفاء ﴾ هو أن هذا الفراغ الذي نراه ليس فراغاً والفراغ مستحيل لأننا لا نتصور هذا الفراغ إلا ظلمة أو نوراً والظلمة والنور إما عرضان ولما جوهران ولما أحدهما عرض والآخر جوهر فإن كانا جوهرين فقد تم المقصود وهوانه لاختلاف السكون وإن كانا عرضين كالبياض والسواد فلا بد أنهما قائمان بجوهر وقد تم المقصود وإن كان أحدهما جوهر والآخر عرضاً لحكمتيهما قد ظهر مما قبلهما وهذا برهان يقيني . وهذا ما جاء في ﴿ اخوان الصفاء ﴾ فاسمع إذن لما جاء في كلام اللورد (أوليفر لودج) المعاصر لنا الذي ألف كتاباً سماه ﴿ الأثير والحقيقة ﴾ طبع في شهر مايو سنة ١٩٢٥ ثلاث طبعات أي قبل كتابة هذه المقالة بستين اثنتين وبضعة أشهر . فانظر ماذا يقول في هذا الكتاب . يقول النور إما أن يكون مادة أو ظاهرة طبيعية (يريد عرضاً قائماً بالمادة) فإن كان مادة منبعثة من الأجرام السماوية في شكل ذرات دقيقة فلا بد من شيء يحمله كما يحمل الماء البواخر . وإذا كان النور ظاهرة طبيعية أي تموجاً وجب أن يكون هناك شيء يتموج وعلى سكتا الحالتين لابد من وجود شيء يحمل النور أو يتموج فيكون النور وذلك الشيء هو الأثير . ألسنت تعجب معي أن يكون ما يقوله (أوليفر لودج) الانجليزى هو عين ما يقوله ﴿ اخوان الصفاء ﴾ وبينهما نحو ١١٠٠ سنة

اللهم ان العقول الانسانية الفاضلة في عالمك الذي خلقته متلاقية متصاحبة والعقول الجاهلة متباعدة متنافرة . ها أنذا وصلت معك من الكشف إلى اللطيف وذكرت لك الحركات ودرجاتها . فههنا مادة كشيعة وأخرى لطيفة وحركة بطيئة وأخرى سريعة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ حجر وسلحفاة أولاً ونور وحركات النور ثانياً فالنور مقابل للعجور وحركات النور مقابلة لحركات السلحفاة والعجب كيف يتلاقى الأمران في النور جوهره وحركته . ثم انظر في الأمر الثالث معي وهو ذهاب الآثار وبقاؤها فبقاء الآثار أشبه بالجبر وبحركات السلحفاة وذهابها أشبه بحركات النور . فانظر أمواج البحار وأمواج الهواء بالعواصف والرياح فهذه آثار سريعة الزوال ثم تذكر بعد ذلك صور العناصر المركبة في أرضنا مثل النبات والحيوان فلها مدد أطول ثم أطول جداً من مدى أمواج البحار وحركات الرياح من يوم إلى شهر إلى سنة إلى مائة سنة إلى أطول في بعض الأشجار وبعض الحيوان . ثم انظر إلى ما هو أطول من ذلك كآثار المؤلفين الذين أودعوا نفائس علومهم في بطون الكتب والطوامير وبقي ذلك مئات ومئات من السنين ثم انظر لما فوق ذلك مما أودعته القدماء من الكتابة

على الأججار والجدران المتينة الصلدة بحيث بقيت تلك الآثار آلافا وآلافا من السنين فانظر لهذا الوجود واعجب . مواد جامدة وأخرى لطيفة وحركات بطيئة وأخرى سريعة وآثار باقية وأخرى زائلة . وجود ملئ بالأمور المتقابلة وكلها نافعة في هذا الوجود

ثمرة هذا المقام معرفة حقيقة النفس الانسانية وموافقة أبحاث الموردي (أوليفرلودج) في كتابه ﴿الأنثى والحقيقة﴾ المتقدم ذكره للآراء التي أودعها الرئيس (ابن سينا) في كتاب الاشارات وأنا موقن أنك أيها الزكي في أعظم الشوق الى أن أقص عليك قصصهم ما لتعجب من العلم الذي ملأ الكرة الأرضية والمساكن اليوم هم النائمون . ثم تعجب بعد ذلك كيف يكون هذا القول فيه مناسبة لمساق الآية التي نحن بصددنا واذن وجب أن أظهر لك هنا ثلاث زبرجديات ﴿الزبرجدة الأولى﴾ في آراء الرئيس ابن سينا ﴿الزبرجدة الثانية﴾ في آراء العلامة (أوليفرلودج) في الكتاب المتقدم ﴿الزبرجدة الثالثة﴾ فيما يناسب ما تقدم من مساق هذه الآية

﴿الزبرجدة الأولى في آراء ابن سينا﴾

جاء في كتاب (الاشارات) مع كلام شارحه هذه الجملة ﴿القدرة المحركة للسماء غير متناهية وغير جسمانية فهي مفارقة عقلية﴾ يريد بذلك أن المحرك لهذه العوالم كلها قوة عقلية ليست في المادة بل هي مفارقة لها ثم ذكر بعد ذلك أن هذا العقل العام تنبعث منه نفوس وهو يمدّها دائماً بما عنده من العلم وتلك النفوس هي التي تقوم بعوالم السماء . فكل جرم سماوي أشبه بالجسم الانساني له قوة كامنة فيه كقوة الانسان نسميه نفسا وفوق هذه القوة شيء نسميه عقلا وله السلطة عليها كما تجد فينا نحن عقلا له السلطان على نفوسنا الشهوية ويقول إن الله أول ما خلق انما خلق العقل الأول الذي ليس بجسم ولا هو جزء من جسم ولا يتعلق بجسم بل هو عقل محض وهذا العقل المحض تولدت منه النفس المذكورة والنفس المذكورة أهل للابسة الأجسام وكل جرم سماوي له عقل وله نفس وآخر العقول العقل الانساني وله اتصال بالعقول العالية المستمدة من العقل الأول الذي يستمد من الله وهذه العقول كلها مع اختلافها في الدرجة ليست في مادة كما انها ليست مادة ولا جزء من مادة فهي مفارقة وبما يستدل به هو وغيره على أن الآثار في الأرض للعقول لا للأجسام . إننا نرى الشمس تسخن الأرض وتجعلها قابلة لبعض الأمراض والسخونة تراها باقية بعد ذهاب ضوء الشمس . وهكذا نرى الثمار والحبوب قد صارت صالحة لما يراد منها بواسطة الشمس وحرارتها وتبقى تلك الصفات فيها وإن فارقت حرارة الشمس فذاك من الدلائل على أن هذه الآثار ليست للعالم الجسمي بل للعالم عقلي وما الشمس ولا الهواء ولا الحرارة ولا البرودة ولا الرطوبة إلا معدّات ومؤهلات لا مؤثرات وكيف يكن مؤثرات وقد بقي الأثر مع عدمها هي . فهذا من ثمرات كون المؤثر في العالم المادّي عالما عقليا مفارقا للمادة . ثم يقول بعد ذلك

أول موجود هو العقل الذي له السلطان على هذه العوالم كلها وهكذا العقول الأخرى ثم يليها صور الأفلاك والعناصر ثم يليها موادّ العوالم العلوية والسفلية والمادة (الهيولى) هي أخسّ مراتب الوجود ثم يرتقى الوجود فيكون مدنا فنباتا فحيوانا فانسانا والعقل الانساني أعلاه يكون منه عقول الحكماء ونحوهم وهي العقول التي رسمت فيها صور الوجود على ما هو عليه بقدر الطاقة البشرية فصار هؤلاء أقرب الى العقول العالية الفلكية والعقل الأول وإن كانت صور الموجودات في الانسان انفعالية وهي في العقول العالية فعلية . ومعنى هذا أن صور الموجودات في العقول الانسانية جاءت بواسطة الخواص التي وجدت بتأثير العقول العالية المحيطة بهذا الكون وبتأثيرها هي في عقولنا فلا عقل في الأرض يدرك علوما إلا اذا استمدت هذه القوة من العقول العالية كما ان أرضنا قد استمدت جرمها من جرم الشمس ونحن استمددنا أجسامنا وأغذيتنا من الأرض فالأصغر يستمد من الأكبر عقلا كما استمدت منه جسما . ههنا وصلنا الى بيت القصيد من هذا الموضوع . لقد قدّمنا

أن الحجر والسلحفاة يغيران الضوء وحركة الضوء . وأن بقاء الأمواج المائية والهوائية أقل من بقاء النبات والحيوان وهذان بقاءهما أقل من بقاء بعض الكتب المؤلفة والكتابة على الأحجار أبقي وأدوم . فهنا نقول هاتحين أولاء نرى أن علماء الفلسفة قديما كالرئيس ابن سينا يقولون ان هناك دواما لصور العلوم في العقل الأول والعقول التي بعده وأن هذه العوالم العلوية كلها ذات نفوس كنفوسنا وعقول كعقولنا وأن عقولنا مستمدة من العقل الفعال الذي في فلك القمر . هذا كلامهم وهذا رأيهم على مقتضى ما وصل اليه العلم في زمانهم ويقولون إن هذه العقول الانسانية لهذا العقل الفعال أشبه بالآلات له وهذه العقول السماوية تدبر هذه العقول الانسانية . هذا قولهم ويقولون ان تلك العقول العالية بالنسبة للعقول الانسانية أشبه بالشمس بالنسبة للعيون البصرية . فكما أن العين لا تبصر إلا بضوء كضوء الشمس كذلك هذه العقول الانسانية لا تبصر لها ولا تفهم إلا بأشراق تلك العقول العالية عليها وهذه العقول رسم فيها هذا العالم كله . إذن نرجع لمثالنا ونقول هذه العقول تبقى العلوم فيها سرمدًا أبدا فهي تفوق في البقاء الأمواج في الطواء والماء وصور النبات والحيوان وكتب المؤلفين والكتابيين على الأحجار وعقولنا نحن تصبح بعد الموت حافظة لكل ما وقع لها لاتنساه كما قال تعالى - وكل انسان أزمانه طأثره في عمقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا -

هذا كلام المتقدمين من الفلاسفة الاسلاميين وبه تمت الزرجدة الأولى

﴿ الزرجدة الثانية في ذكر مآقاله العلامة (أوليفرلودج) الموافق لآراء الرئيس ابن سينا ﴾

ها أنت ذا اطلعت على آراء الفلاسفة المتقدمين وطريق تفكيرهم بطريق الرئيس (ابن سينا) الذي نقل هو والعلامة الفارابي قبله (١) علوم علماء الاسكندرية الذين تخلصوا فلسفة اليونان والرومان (٢) وعلوم علماء اليونان الذين هم أساتذة علماء الرومان كسنيكا وشيشرون ومن بعدهم وقد جاء في تاريخ الفارابي أنه قرأ الفلسفة على أساتذة تعلموها من علماء بالاسكندرية . وقد كانت النصرانية حرمت عليهم التوغل فيها بعد الصدر الأول من التاريخ المسيحي . فها هو ذا طريق تفكيرهم . يقولون بالعقول والنفوس السماوية ثم بالعقل الانساني الذي تفيض عليه العقول العالية المفارقة للمادة وهو مثلها مفارق لها . فاذا مات الانسان لم تمت روحه لأنها في طبعها مفارقة للمادة فكيف تفتى . هذا كلامهم فاسمع إذن لما يقوله السر أوليفرلودج (١) المادة (٢) الحى (٣) العاقل (٤) الأثير (٥) كل من علاقة الحياة والعقل والنور والكهرباء والمغناطيس بالأثير (٦) تأثير العقل في المادة وسيادة مآلآراه من العواطف على مآلآراه من المادة (٧) انتقال الآراء من الدماغ الى الأعصاب الى الأيدي مثلا الى الورق أو الهواء الى عقول الآخرين بتوسط حواسهم وأعصابهم . ثم أبان فهم العقل الانساني لآثار العقل الكلى الذى أحاط بهذه العوالم كفهمة لآثار العقل الانساني هذه صفة تفكير السر (أوليفرلودج) . هذه صفة تفكير علماء العصر الحاضر . هؤلاء الذين درسوا عالم السموات والأرض فرأوا أن الشمس والكواكب ليست شيئا سوى انها مركبة من عناصر مثل التي ظهرت لنا في أرضنا كالنحاس والحديد والبوتاسيوم والصوديوم . عرفوا ذلك بطريق النور . ذلك النور الواصل من تلك الأجرام المضيفة الذى هو مركب من ألوان سبعة تتخللها خطوط سود تلك الخطوط تتنوع في الأجسام المضيفة بحيث تخالف خطوط الحديد السوداء مثلا نظائرها في النحاس عند التهاهما . فهنا عرفوا مواد الشمس وغيرها من الكواكب الثابتة والسيارة . فاذن صرفوا طرق التفكير عن منهج القدماء الذين ظنوا أن هذه عوالم من عنصر غير عناصر الأرض . الفلاسفة القدماء كانوا يفكرون ذلك التفكير ليوصلهم الى ما شعروا به في نفوسهم من بقاء الأرواح فتجسوا على ذلك بما سمعته فأنهم رأوا هذه النفوس الانسانية قد تجر بما غاب في الرؤى فيتم ذلك فاحتالوا بالطرق العلمية على اثبات بقاءها واتصالها بعوالم أخرى . هكذا علماء العصر الحاضر كاللورد (أوليفرلودج) . هؤلاء الذين لما صدق بعضهم بعالم الأرواح ومناجاتها أخذوا

يقررون ذلك بالطرق العامة المعروفة في زماننا فتراهم يقولون ان العالم الذي نحن فيه ليس من المادة وحدها بل فيه عالم غير مادي . يقول السر (أوليفر لودج) الذي هو سائر على نهج التفكير المعصرى . اننا نظننا المادة فوجدناها خالية من الحياة في العناصر والمعادن والسوائل والغازات والكهرباء ثم رأيناها ارتقت في (البروتوبلازم)

(١) المادة والحياة وهى (المادة التى ظهرت فيها الحياة) بصفة (مركب هلامي) ثم نرى تلك الحياة تزداد ارتقاء طبقا عن طبق حتى وصلت الى العقل

(٢) ولا ريب أن الحياة العامة والعقل الانسانى لم ندر كهما وانما عرفناهما بآثارهما . فنرى الحيوان يتحرك ويحس ونرى الانسان يبنى ويزرع وينظم حكمتنا بالحياة فى الأول والحياة والعقل فى الثانى

(٣) ثم رأى العلماء (أمريين عجيبين) منذ القرن التاسع عشر فى تيهيد (نيوتن) وهما الجوهر الفرد الذى أثبتوه بالامتحان العلمى والأثير الذى لم يحكموا عليه لعدم خضوعه للامتحان العلمى لأنه لا شكل له كالمادة ولا هو مركب وانما عرفوه كما قدمناه فى هذا المقال بطريق النور الى آخر ما تقدم

(٤) النور والمغناطيسية الخ مع الحياة والعقل . ثم ان هذا النور فيه حرارة والحرارة تنقلب الى حركة والحركة الى كهرباء والكهرباء تنقلب ضوئاً . فهذه الظواهر ينقلب بعضها الى بعض . فالنور كهرباء والكهرباء نور وكل هذه الظواهر فى العالم الذى سميناه (أثيراً)

﴿ تأثير ما لا نراه من العقل والحياة فيما نراه من المادة ﴾

يقول السر (أوليفر لودج) مملخصه ان هذا العالم كما تقدم فيه المادة وغير المادة وأكثر العلماء على ذلك فالحياة والعقل والحب والرحمة والغرائز المتنوعة فى سائر الحيوان هى التى لها السلطان على المادة . ألا ترى اننا نعلم أن فى خلايا الدماغ قوة تنبع من هناك وتسير فى الأعصاب فالأعضاء فيتكلم اللسان وتكتب اليد والكلام يحمله الهواء والكتابة يحملها الورق أو لأشجار أو المباني . والهواء يسلم الكلمات لأذن السامع وأذن السامع توصلها للأعصاب والأعصاب توصلها الى خلايا الدماغ عند السامع وهكذا الكتابة يراها القارئ صوراً فى الورق أو على الأشجار فيعقل صور معانيها فتنتقل الى المخ فيعقلها الانسان بطرق مجهولة للناس كل الجهل وهكذا ارسال البريد البرق بسلك وبلاسلك على هذا النمط بل من الناس من يخاطب بعضهم بعضاً بطريق أخرى لادخل للمادة فيه المسمى (التلطفية)

فها هو ذا الانسان يستخدم المادة لتحمل ما فى ذهنه الى ذهن الآخرين . إذن المادة متى وراكبها العقل والعواطف لانراها . رأينا الدابة ومارأينا راکبها . راکبها من عالم لطيف لا يرى كما لا يرى الأثير الذى يحمل رسائل عقولنا فى البريد البرق (التلغراف والتلفون) ويحمل صور الموجودات فى النور فيوصلها الى العين ومنها الى العقل . إن الحامل لذلك هو الأثير الذى يحمل النور أو النور ظاهرة من ظواهره . ويقال فى علم الأرواح الحديث ان للجسم الانسانى جسماً آخر على صورته من عالم الأثير أشبه بما يراه الانسان من صورته فى المرآة . فصورة الانسان فى المرآة من عالم الأثير ولذلك أمكن بقاؤها بالتصوير الشمسى . فهذا الأثيرى يتربى مع هذا الجسم الطبيعى . فهل اذا فنى الجسم الطبيعى تنفى الروح أى هل اذا فنى الفرس يحتم فناء الفارس . كلا . إن الجسم الانسانى أيضاً لا يفنى بعد الموت ولكن مادته تحوّل الى أجسام أخرى . إذن الجسم لا يفنى وقد تحوّل فكيف نحكم بفناء الروح . فهذه الروح الباقية التى لا تنفى والثى استقرت فيها علوم الانسان ومعارفه باقية وقد استخدمت المادة والأثير فى فهم عقل الانسان الآخر . وهكذا فهمت هذه النفس النظام العام للعقل الكلى المحيط بعوالمنا الأرضية والسماوية وعلى قدر فهمها من تدبير ذلك العقل ونظامه يكون ارتقاؤها واختراعها وباتصال بعض النفوس فى الأرض بذلك العقل تقدر على الاختراع والابتداع ونظام

الجمال وجمال الظلام وعلى ذلك أصبحت النفس اليوم في العلم الحديث أشبه بالرجل الذي يضرب على آلة الطرب
فإذا كسرت الآلة فهو حى باق . ذلك هو رأي اللورد (أوليفر لودج) في النفوس الانسانية والحمد لله رب العالمين
﴿ الزرجدة الثالثة في مساق هذه الآية ومناسبتها للعلم الحديث وأن هذه من عجائب القرآن ﴾
يقول الله تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من
ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا * وكل انسان أزمانه طائرته في عنقه ونخرج له
يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * إقرأ كتابك - الخ

يا عجب لكل العجب . هاهو ذا ذكر النور والظلمة وجعل النور مبصرا . لماذا . لطلب الرزق ولنعرف
علم الفلك ولنعرف علم الحساب ثم يقول بعد ذلك كلاما آخر . يقول ان كل شيء مما يرى ومما لا يرى فصله
تفصيلا . فأما ما يرى فقد تقدم . وأما ما لا يرى فهو مسألة كتاب حساب الانسان الذي جعله الله ملازما
للانسان وهذا الكتاب سيقرؤه الانسان يوم القيامة . إذن ما السبب في ذكر هذه الجملة بعد النور والحساب
المنتج منه ذكر النور وذكر سير الكواكب والحساب الذي لا يتم ذلك إلا به ثم أتبعه بجملة تصل ما يرى
بما لا يرى ثم شرع في ذكر ما لا يرى وقال انكم ستقرؤون كتابكم بأنفسكم وتعرفون حسابكم منه
أفلا ترى أيها الذكي أن للنور علاقة بهذا الموضوع والنور هو توجع في عالم الأثير وعالم الأثير هو الباقي كبقاء
أرواحنا وأرواحنا تكمن فيها آثارنا . إن لذكر النور هنا وذكر طلب المعاش الذي هو أمر مادي ثم اتبعه
بذكر ما هو أطف من علم سير النجوم والحساب ثم ما هو أطف وهو كتاب أعمال الانسان يدل على أن
المساق واحد وأن النور الذي نراه كما كان مكتملا لأمر المعاش المحسوس وأمر الحساب المعقول قد سرى الى
أطف من ذلك وهو كتاب الحساب للانسان به يد الموت الذي هو أقرب الى عالم الأثير الذي هو باق لا يفنى
والذي كان النور المذكور ظاهرة من ظواهره

فإذا سمعت الله يقول - الله نور السموات والأرض - فهت أن الأمر عظيم فان هذا النور الذي نراه
ولأنه قلله يصل بأمر باق عظيم لطيف وهو الأثير والأثير لا يضيئ فيه شيء بل هو حافظ لما فيه فلا يذهب منه شيء
فهو أشبه بمراة لالوح المحفوظ . إذن نحن نعيش في عالم الجمال ونصل بالبهجة والكمال وتحيط بنا العلوم
والعقول ونحن محبوسون . اللهم أنر بصائرنا حتى ندرك الجمال ونعشق ذلك العالم الجميل حتى نفرح بالموت
فرح العاشق الذي غاب عن معشوقه فتمنى لقاءه . إن هذه الحياة إن لم تكن سببا في حبنا للخلوص من
المادة وللموت فانها تكون حلا قليلا لم يعد الفائدة المطلوبة * وفي الحديث ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله الله
لقاءه ﴾ انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ اشراق وبهجة لفهم ما تقدم ﴾

لعل أكثر الأذكياء الذين يقرؤون هذا التفسير قد طالت عبارات الرئيس (ابن سينا) وعبارات السر
(أوليفر لودج) عليهم ففسر عليهم تلخيص المعاني . فهذا أنا أخلصها ليفهمها العموم فأقول

﴿ آراء القدماء من الفلاسفة ﴾

كان قدماء الحكماء من يونانيين ورومانيين واسكندر بين وفلاسفة اسلاميين أكثرهم يؤمنون بالله وبالعقل
وبالنفس . وملخص ذلك انهم رأوا نفوسا حيوانية يصدر عنها الحس والحركة وعقولا يصدر عنها الحكمة
والفهم . ذلك مشاهد في الحيوان والانسان فرأوا الشمس والقمر والكواكب ولها حركات كحركات الحيوان
فقالوا هذه حركات منظمات والحركات نتيجة نفوس قائمة بتلك العوالم العالية والنظام نتيجة عقول مدبرة لها
فكما رأينا للانسان حركات نتجت من نفس تدبره تدبيرا منظما غالبا من عقل يفكر به . هكذا نرى هذه
العوالم العالوية لها نفوس ولها عقول وكل عقل في السموات يستمد من عقل أعلى منه وهكذا حتى تنتهي

السلسلة الى العقل الأول والعقل الأول مستمد من الله مباشرة . وهذه العقول كلها لاعلاقة لها بالمادة إلا كعلاقة الملك بالمدينة فقد يديرها وهو خارج عنها . إذن العقل الانساني له صلة بالعقول السماوية المتصلة بالعقل الأول المستمد من الله . فهذه العقول الانسانية نسبتها لما يسمى بالعقل الفعال كنسبة العين والأذن وحاسة اللمس والذوق والشم للنفس الانسانية . فهذه العقول الانسانية مستمدة من العقل الفعال ومتصلة به وهذا العقل الفعال متصل بما قبله وهكذا - وان الى ربك المنتهى -

وماعنده النفوس الانسانية والفلكية إلا كالغضروف الذي يكون بين العظم واللحم فيكون صلة بينهما فالعظم لا يمكن اتصاله باللحم . لذلك جاء الغضروف مناسباً للحم من جهة والعظم من جهة . هكذا نفس الانسان الشهوية والغضبية وقوة الحس والحركة فهي تناسب العقل من جهة أعلاها وتناسب البدن من جهة أدناها فتكون صلة بين عقولنا واجسامنا . ونحن في كل آن نحس في أنفسنا بشئ يردعنا ويؤنبنا ويعطينا علماً وحكمة فذلك هو العقل المتصل بالعقول العالية . هذا كلامهم وهذا صورته

(١) عقل (٢) نفس لها حس وحركة يظهران في جسم

(٣) جسم مركب من لحم وعظم وأوردة وشرايين الخ

أما السر (أوليفرلودج) فانه يقول . هنا شيان لانزاهما الأثير والروح والأثير يقوم به النور والكهرباء والحرارة والمغناطيس . الروح يكون معه الحياة والعقل والحب والبغض والرحمة والحسد الخ والنور وما عطف عليه يكون منها وضوح المبصرات والتلغراف والتلفون وأن تدور الآلات النافعة للسقي والطحن والخبز الخ والروح وتوابعها يكون منها الحس والحركة وصون العاوم والاقتراب والابتعاد وإفاضة الخير وإيصال الاذى الخ وهاتان هما صورتان لهما

(روح)

(أثير)

رحمة لإيصال الخير	حس لإيصال الاذى للناس	حياة للحس والحركة	عقل لنظام الحياة	أثير لتقارب الاجسام	بغض لافتراق الاجسام
-------------------	-----------------------	-------------------	------------------	---------------------	---------------------

حرارة	مغناطيس	كهرباء	نور لظهور المبصرات
-------	---------	--------	--------------------

لادارة الآلات النافعة وإيصال

الأخبار وتسهيل الأسفار

فها أنت ذا رأيت أن هنا ٣ درجات ثلاث الروح والأثير وهما لانزاهما وقد صدر عنهما الدرجة الثانية وهي قريبة منهما فلانزرى الكهرباء ولا المغناطيس ولانزرى العقل ولا الحب وهذه الدرجة الثانية في المقامين ظهر أثرها في الدرجة الثالثة في الأجسام المحسوسة فترى الآلات اندائرة بالكهرباء والأجسام المتحركات بالحياة وتسكون النتيجة أن ما لانزاه يؤثر فيما نراه . ثم إن العقل والأثير والحياة كلها أصبحت من واد واحد وقد علمنا أن المادة التي نراها لا تنعدم بل تتغير صفاتها لا غير فن باب أولى عالم الأثير وعالم الحياة والعقل فانها أولى بالبقاء واذن تكون عقولنا وحياتنا وعواطفنا باقية . هذا ما أردت إيضاحه لتقف على آراء المتقدمين والمتأخرين واتفاقهم على بقاء الروح إما بالبرهان القديم من اشتقاق أرواحنا من عقول فوق عقولنا لانفنى وإما بالبرهان الحديث من أن الأثير والروح من واد واحد لا يفنيان انتهى

بهذا نفهم قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - . ويقول علماءنا ان العالم ﴿عالمان﴾ عالم الأمر وعالم الخلق وعالم الخلق يدخله التقدير والمساحة وعالم الأمر لا يدخله تقدير ولا مساحة ولا شكل له . أليس من عجب أن يكون كلام السر (أوليفرلودج) العالم الطبيعي في زماننا هو عين ما يقول علماءنا في تفسير الآية كالعلامة الرازي . الله أكبر . اجتمع علماء الدنيا أي أكابرهم على بقاء الروح وأحوالها ومن المدهشات أنك ترى علماء الاسلام قديما لما كفر المسلمون فلاسقتهم رجعوا الى المواربة والتقية فيقول العلامة محي الدين بن عربي كما نقلته في آخر سورة هود عنه ان عذاب الأنفس بعد الموت ماهو إلا كالمرض يعتري الجسم في الدنيا . ويقول العلامة الغزالي في بعض كتبه ﴿إن أكثر الناس أقرب الى الخير وأقلهم من نال أعلى مقام أو انحط الى دركات الهوان كما نشاهد ذلك في الجبال . فكما الجبال وكما القبح كلاهما قليل والمتوسطون هم أكثرهم﴾

أقول يقولان ذلك لأن هذين القولين مذكوران في كتاب (الاشارات) لابن سينا . إذن أكابر الصوفية من المسلمين تستروا بالتصوف وأدخلوا الحكمة وجعلوها من ضمن الكشف وذلك بسبب المرض العقلي الذي حلّ بأهم الاسلام فاختلت حياتهم وضاعت دولهم ولله عاقبة الامور . وسيرجع لهذه الأم مجدها ورفعها وعزها بعد ظهور هذا التفسير وأمثاله والله هو الولي الحميد . انتهى

اعلم أيها الذكي أنني لما كتبت هذا الموضوع كان ذلك في ليلة الثلاثاء ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٧ فاضطجعت للاستراحة فأخذتني سنة من النوم فرأيت جماعة يسألوني فقال قائل منهم هل كل ما كتبت في هذا الموضوع قام عليه البرهان . قلت كلا بل فيه بعض البراهين الاقناعية والخطابية وما هو أقل من ذلك وإنما فعلت ذلك لأبين للناس كيف كان الناس يفكرون قديما وكيف يفكرون حديثا فرأيت انهم سرّوا بهذا الجواب ثم استيقظت حالا فكتبت هذا وخطر لي أن هذا مناسب لما قاله (سقراط) الفيلسوف لتلاميذه قال ﴿لعل ماسمعتموه يكفي لاثبات بقاء النفس بعد الموت وفي الأقل ترجيح هذا الرأي على غيره وهي الغاية القصوى التي يمكن ادراكها في هذه الحياة في هذا الموضوع﴾ اهـ

فهذا القول من (سقراط) يفيدنا أن العلم بامور الحياة عقلا انما يعطى فكرة الترجيح لا التحقيق التام لأننا في هذه الأجسام الأرضية وذاك عالم أعلى . فهذا العالم الأعلى يعرف بحال أخرى غير البرهان مثل ما يوقن به بعض علماء الأرواح أو بعض أهل الرياضة والصلاح أو نحو ذلك وقد رأيت أن أنقل لك ما قاله الفيلسوف (سقراط) لتلاميذه نقلا عن كتابي ﴿الأرواح﴾ فرجما كانت هذه الرؤيا يقصد منها اثبات ذلك هنا فهناك ما كتبت هناك بنصه

﴿المجلس الحادي عشر في بيان براهين (سقراط) على بقاء النفس وكيف كان مبدأ التفكير عند

المؤلف وكيف استدلل ابن مكسويه عليها وهيئة المفكرين في هذا العصر الحاضر﴾

قابلي الشيخ شير محمد وقال . لقد فهمت في المجلس السابق كيف كان انتشار الروحانية في الدنيا وطرق الاحضار واليوم أرجو أن تذكر لي كيف أنكر الناس في هذا العصر وكيف ينسبون هذا الانكار الى رجال مجلة مشهورة في هذه البلاد . فقلت يا شير محمد ان الناس على أقسام فمنهم المفكرون الناظرون ومنهم المقلدون فأما المفكرون فما أحراهم أن ينظروا بعقولهم وكثير ما هم في بلادنا وقد يطلعون على آراء أفلاطون وسقراط وقدماء الفلاسفة ومحدثيهم . فأما براهين المتقدمين العقلية فمنها ما قاله (سقراط) ترجمة الفيلسوف (سبتلانه) الطلياني واللفظي المصري وهذا نصها

﴿أولا﴾ إنا نشاهد الضد يتولد عن ضده فالجبل ينشأ عن القبيح والعدل من الجور واليقظة من النوم والنوم من اليقظة والقوة من الضعف وبالعكس فالأشياء يستحيل بعضها الى بعض ثم ترجع بصفة دائرة

الى ما كانت عليه . والحياة والموت والوجود والعدم تقيضان فالوجود ينشأ من العدم والموت ينشأ من الحياة وعلى ذلك يلزم أن تنشأ الحياة من الموت إذ لا بد أن يكون للموت ما يناقضه والا فقد خالفت الطبيعة قاعدتها المطردة في جميع الأشياء

﴿ ثانيا ﴾ ما يستدل به من طبيعة العلم وذلك أن العلم إنما هو تذكر النفس ما كانت قد علمته في حياة سابقة ومصادقه أن أجهل الناس اذا سئل سؤالا منظما عن مبادئ الهندسة مثلا وانتقل به السؤال من أصل الى أصل شيئا فشيئا على الترتيب فقد يجد من نفسه مبادئ الهندسة ومبادئ كل علم وهذا لا يمكن إلا اذا كانت الاصول منطقية في فطرته موجودة عنده قبل ولادته . وهناك دليل آخر من هذا النوع وهو اننا لولا فرضنا علما سابقا موجودا في ذهننا ما يمكننا من فهم شئ من الموجودات فاننا اذا قابلنا شيئا بآخر مشلا ما أمكن أن نقول إنه مساو أو غير مساو لولم يكن في ذهننا قبل كل مقابلة معنى المساواة المطلقة التي لم نستفدها من الأشياء المحسوسة إذ لا شئ منها يتحقق فيه المساواة إلا بنوع التقريب ومساخنة توجب أن يكون معنى المساواة مرتسما في ذهننا حتى نحكم على الأشياء انها متساوية أو غير متساوية . ومثل هذا ما يحكم به فكرينا كالجمال والعدل والوجود وغيره فان ذلك يستدعي معرفة تلك المعاني قبل الحكم عليها فيلزم منه أن العقل البشري إنما اكتسب هذه المعرفة بمشاهدة تلك المعاني صافية غير مشوبة بالمادة قبل ورودها الى هذا العالم وهذا من كلام (سقراط) في الدلالة على أن النفس كانت موجودة قبل هذه الحياة . أما الدليل على انها موجودة بعد الموت فقد قال أيضا ما يأتي

﴿ ان النفس جوهر غير مرئي فيلزم انه على غير طبيعة الأجسام لأن من طبيعة الجسم أن يكون مدركا باحدى الحواس . واذا كانت على غير طبيعة الجسم فهي إذن غير مركبة لأن التركيب من طبيعة الأجسام واذا كانت بسيطة فانها غير قابلة للانحلال لأن الانحلال يعتري المركب الى المواد التي منها تركيب . فاذا كانت النفس بسيطة لم يتصور انحلالها . إن النفس هي الأمر والبدن هو المأمور . فن طبيعة الامور الالهية أن تكون أمرة ومتصرفة . ومن طبيعة الامور السفلية أن تكون مأمورة فالنفس إذن من الامور الالهية وهي غير قابلة للزوال فهي اذا بقيت على صفاتها وفطرتها من غير أن تشارك البدن في أدناسه فانها نلتحق بعد الموت بوجود مثلها فتبقى معه سعيدة مبهجة محررة من أهوامها وأخوافها وكل ما كان يسخرها ويهوش عليها إذ كانت في قيد الحياة . واذا تركت البدن ملوثة مدسنة غير معتمدة من الرجود إلا ما يؤكل ويشرب ويدرك بالحواس فلا يسعها إلا أن ترجع الى حياة مشاكلة لطبيعتها ﴾ الى أن قال

﴿ وأما الالتحاق بالعالم الأعلى الالهى فلا يحوز إلا لمن ترك الحياة وهو في غاية من النقاوة والصفاء وهذا مختص بالفلاسوف الحقيقيين دون غيره ﴾ ثم سكنت (سقراط) برهنة وقال ﴿ لعل ما سمعتموه يكفي لاثبات بقاء النفس بعد الموت وفي الأقل ترجيح هذا الرأي على غيره إذ هي الغاية القصوى التي يمكن ادراكها في هذه الحياة في هذا الموضوع ﴾ فاعترض عليه بعض تلاميذه ﴿ باعتراضين * الأول ﴾ انه لقائل أن يقول ان النفس للبدن كالألحان لآلات الموسيقى فاذا انكسرت الآلة وفسدت لم يبق للألحان وجود وهكذا يمكن أن يقال ان النفس ما هي إلا نتيجة تكافؤ العناصر واعتدالها في المزاج الانساني . فاذا فسد الاعتدال وتلاشى المزاج ففسد النفس لا محالة ﴿ والاعتراض الثاني ﴾ أن يقال . قد سلمنا وجود النفس قبل هذه الحياة وانها أفضل من البدن وأقوى منه وانها تبقى بعد موته . غير أنه لا يترتب على ذلك بقاؤها على السواء إذ قد يمكن أنها تبقى بعد موت بدنها ثم تفتى كما يموت الانسان وهو قد أخلق الثوب بعد القشوب ثم يموت عن آخر ثوب قد أخلفه فأجاب (سقراط) عن الاعتراض الأول بقوله ﴿ انا اذا سلمنا أن التعلم إنما هو تذكر النفس ما كانت قد علمته في حياة سابقة فلا يسوغ أن يقال ان النفس نتيجة اعتدال المزاج إذ لو كان كذلك ماسبق وجودها

وجود المزاج فكيف تتذكر معلوماتها في حياة سابقة فاذا وجب الاعتراف بأن العلم لا يتصور إلا بوجود هذه المعلومات السابقة في النفس لزم منه أن لا تكون النفس نتيجة المزاج . وأيضاً لو كانت النفس نتيجة المزاج لكانت تابعة للمزاج ولا تخالفه في شيء بل تكون مسخرة له وتجدد خلاف ذلك في الواقع إذ قد نرى النفس تنهى البدن عن أشياء وتأمره بأشياء وتتصرف فيه بوجوه مختلفة وهذا يدل على أنها مغايرة للبدن مستقلة عنه وإن جوهرها أعلى وأفضل من طبيعة البدن إذ لو كانت تابعة للمزاج لما كانت تفارقه في شيء ما ولما كانت النفس تختلف عن النفس إذ لا فرق بين الألحان والألحان إلا في القوة والضعف لا من حيث أنها ألحان . ونحن نشاهد أن بين النفوس تفاوتاً عظيماً . وأما ﴿ الاعتراض الثاني ﴾ فجوابه أن الأشياء المحسوسة الفانية لا يتصور قيامها إلا بوضع معان غير محسوسة أزلية كاملة الوجود وأن هذه المعاني مادامت فهي لا تقبل شيئاً مما يناقضها . ومثال ذلك أن العدل لا يقبل شيئاً من الجور والمساواة لا يدخلها شيء من التفاوت والفرد مادام على جوهر الفردية لا يقبل شيئاً من الزوجية والعكس بالعكس . والقول في النفس مثل القول في المعاني سواء بسواء إذ تقرر أن النفس جوهر مسيطر قائم بنفسه بخلاف المعاني فيكون حكمه مثل حكم المعاني من عدم قبول الضد والقيض . ولا شك أن النفس أصل الحياة فهي إذن حية من ذاتها وهي إذن لا تقبل نقيضها أي الموت مادامت على جوهرها وهو الحياة . فكما أن الفرد لا يكون زوجاً والعدل لا يكون جوراً ما بقيا على حالهما كذلك النفس لا تقبل الموت ولا يدخلها العناء فهي إذن أزلية . ثم إذا كان الموت نهاية كل شيء كان فيه فائدة عظيمة للشرير والظالم فانهما يستريحان بالموت من أنفسهما ومن البدن ومن شره ومن عواقب الشر دفعة واحدة . وهذا مما لا يرتضيه العقل ولا الانصاف فتبين أن نعتقد في النفس أنها إذا فارقت البدن فقد تحمل معها ما كانت عليه من الأوصاف إن خيراً فغيراً وإن شراً فشرّاً فمن ترك وهو في قيد الحياة ملاذ البدن ومتاع الدنيا واجتنبها كما يجتنب ما لا يعني أو يضرب ولم يطلب إلا ما يعين على العلم وزين ضميره بالعفة والعدل والمروءة والحرية والصدق فله أن يقرب وقت السفر من غير اضطراب كمن تمهياً للرحيل وكل ما تقدم من المحاورة الموسومة فاذن أوفيدون كتبته القفطي في تاريخه وفيها زيادات ترجعها الفيلسوف (سنتلانه) الطلياني أدخلتها هنا . وقد اطاعت على كتاب بالانجليزية مطوّلاً بهذا العنوان ومالدينا من كلام القفطي والاستاذ (سنتلانه) الطلياني مختصره

﴿ كيف كان مبدأ تفكير المؤلف في أمر الروح ﴾

ولما انتهى بنا القول إلى هذا المقام قال شير محمد قد فهمت ما قلت من آراء (سقراط) وأن الروح عنده قديمة وعرفت براهينه الاقناعية ولكنني أريد قبل أن نخرج من قسم المفكرين إلى قسم المقلدين أن نخبرني كيف كان أول ما فكرت في هذا المقام فقد رأيتك في كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ تبدأ بالشك في نظام هذا العالم وتبين كيف كان تشمكك وكيف كنت تطالب الحقيقة بنفسك فأرجو أن تبين لي السبيل التي سلكتها حتى تعرف حقيقة الروح وهل كان الشك مبدأ أمرك فيها . فقلت اعلم يا خير محمد إن مبدأ أمرى في مسألة الروح كان الشك المطلق بل الإنكار . ذلك أنني كنت يوماً واقفاً في حقلنا بأرض كفر عروس الله حجازي بجانب نهره المسمى ترعة كفر عروس الله وكنت أزالول بعض العمل فاعتراتني دوار لضعف صحتي فجلست مدة فلما أفتت مما أغشى على نظرت في أمر الروح وقلت ياليت شعري إذا كنت الآن لا أزال حيالاً فأفارق الجسم وما هو إلا أن أغشى على حتى فقدت الشعور والاحساس فكيف تكون حالي إذا فارقت الجسم وتفرقت الأوصال وتناثرت الأعضاء فهل يبقى لي عقل أو علم وكنت إذ ذاك في زمن العطلة الأزهرية وكانت سني حوالي العشرين ثم بعد ذلك رجعت إلى الأزهر وأنا منككب على طلب العلوم الإنسانية والشرعية فذات ليلة رأيت وأنا نائم في مقابر قرينتنا (كفر عروس الله حجازي) وكأن قائلاً يقول انظر فنظرت في الجو فראيت كأن هناك نوراً

أبيض مغمورا في وسط الزرقة فقال هذه هي الروح وكانت ليلة المجلس فلما استيقظت قت مع رفاقي المجاورين للرياضة خارج القاهرة قاصدين بيت أحد أقاربنا فلما جلست وجدت في الطاق كتابا فأخذته فاذا هو كتاب (تهذيب الأخلاق) للشيخ أبي علي أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ ولم يكن لي عهد بهذا الكتاب ولا بغيره من الكتب الفلسفية فتصفحته فوجدته ابتداء بالبرهان على وجود النفس وأتى ببراهين أشبه بما تقدم ذكره عن (أفلاطون) و (سقراط) فمنها أننا وجدنا شيئا يضاد الجسم وأعراض الجسم ويبينهما كل المباشرة حكمنا أنه ليس بجسم ولاجزأ من جسم ولاعرضا . ألا ترى أن الجسم المثلث لا يقبل التوزيع إلا بعد زوال الصورة الأولى وهي التثليث وهكذا سائر الأشكال والأعراض ليس يقبل الجسم واحدا منها إلا إذا خلع الآخر والعقل نراه يقبل سائر الأشكال والألوان والمقادير فليس يتغير بل يقبلها كلها دفعة واحدة وهذه العلوم تزيد العقل قوة بخلاف الجسم فلا يقبل إلا لونا أو شكلا ولا يجمع سكان معا . وهذا هو التباين العظيم بين المادة والعقل ومنها أن القوى الجسمية لا تعرف العلوم إلا من الحواس فتشوقها بالملامسة والمشاكلة كالشهوات البدنية ومحبة الانتقام والجسم يزداد بها قوة فهو يفرح بها . فأما النفس فاتها كلما اقتربت من المادة ضعف أدراكها . وكلما رجعت إلى ذاتها ازدادت قوة . ومنها أن النفس تنحصر على العلوم والأمور الإلهية ولا تشوق شيئا إلى ما ليس من طبعه ولا ينصرف عما يكمل ذاته ويقوم جوهره فالنفس بانصرافها عن الحواس عند التفكير لتكمل معارفها بخلاف أفعال البدن فهي إذن جوهر مفارق للبدن . ومنها أنها أخذت مبادئ للعلوم غير التي أخذتها عن الحواس فانها حكمت مثلا بأنه ليس بين طرفي النقيض واسطة وهذا لا تدركه الحواس . ومنها أن الحواس تدرك المحسوسات وحدها . وأما النفس فانها تدرك أسباب الانعاقات وأسباب الاختلافات وهي معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم وهي تحكم على الحسن أنه صادق أو كاذب . ألا ترى أن البصري يرى الكبير صغيرا والصغير كبيرا كالشمس والأصبع الغائص في الماء فان الأول أكبر بالبرهان والأصبع ليس يحجمه الحقيقي ما يرى في الماء بل أكبر عما هو عليه في النظر وأسباب ذلك مذكورة في علم المناظر . هذا ملخص ما ذكره ابن مسكويه ولم أشأ أن أخرج مع المجاورين للرياضة بل بقيت أقرأ الكتاب بقية النهار . فهذا كان مبدأ نظري في النفس وبقائها . قال شير محمد لقد أوضحت المقام وتبين لي ما قاله القدماء والمحدثون وعرفت كيف يتفكر العقلاء في بلادكم وإلى أي الكتب يرجعون وعرفت النحو الذي ينحونه في معرفة الروح . واقد رأيت ما قاله (سقراط) يشابه ما ذكرنا في المحاضرات السابقة في كلام غاليلي الملكي الشير حين استحضرت روحه وقال أنها من المادة الأولى بسيطة لا تقبل العدم وأخذ يفهم ما معنى الأبدية . فاذا صح ما قيل عن روح (غاليلي) سابقا وانها هي الروح حقيقة رأينا تطابقا غريبا بين كلام الأرواح ومقال (سقراط) وابن مسكويه فان اجماعهم أنها بسيطة لا تقبل العدم ألا ان العلم الحديث والقديم متفقان . فما أجل العلم وما أعجب الحكمة . واقد فهمت هذا المقام حق الفهم فلننتقل لبيان القسم الثاني من الناس بالنسبة للعلم وهم المقلدون كما وعدت في أول هذا المجلس . فقلت موعدا الصبح - أليس الصبح بقریب - انتهى ما نقلته من كتابي المسمى (الأرواح) (زيادة ايصاح عن علماء الأرواح في قوله تعالى - إقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا -) لقد تقدم في سورة التوبة عند قوله تعالى - اتخذوا أحوارهم ورفيائهم - الخ أني نقلت هناك ترجمة حياة (عمانوئيل سودنبرج) وأنه كلم الأرواح وذكرنا هناك مستأنسين للآية بما حدثته به الأرواح مما يوافق شريعتنا الغراء . ولقد جاء فيه ما يوافق هذه الآية تحت عنوان (أن الذاكرة والفكر والعاطفة وكل حاسة كانت للإنسان في العالم تبقى معه بعد الموت وأنه لا يترك شيئا من ورائه إلا الجسد الأرضي) قال ما ملخصه في صفحة (٢٧١) في النسخة المترجمة وما بعدها ان الانسان لا يحس أنه مات بعد الموت

لأنه يرى له جسدا كالجسد الأرضي مع انه أصبح روحا فهو يسمع ويبصر ويذوق ويلبس ويحب ويكره .
 فالروح على صورة الجسم وله سائر خواصه وهو يقرأ ويكتب كما كان قبلا . والفرق بين الحالين أن جميع
 الحواس بعد الموت أقوى وأشد وأعظم ومثلها بنور الظهيرة بالنسبة لظل المساء ثم ذكر ﴿ أولا ﴾ أن هناك
 قوما أسكروا جزأهم فكشفت لهم جميع أعمالهم وأعيد اظهارها من نفس ذا كرتهم بترتيب الأشهر والسنين
 من أول سنة الى آخر سنة وكان أكثرها زنا وعبارة وخديعة للناس بحيل رديئة وسرقات مريعة فلما حصل
 ذلك اعترفوا ﴿ ثانيا ﴾ ومنهم من أهدت الرشوة التي أخذوها بسبب القضاء وذلك ليس له واسطة ولا كتاب
 إلا ذا كرتهم ومن نفس هذه الذاكرة أحصيت جميع الأشياء التي أخذوها من أول عهد الوظيفة الى النهاية
 وأضيف الى ذلك أدق ما في هذه الامور وقيم تلك الهدايا وما قصدوه في نفوسهم . ذلك كله أعيد بنفس
 الذاكرة ثم ظهر لهم عيانا وقد بلغ عدة مئات . قال ومن غريب الامور أن مفكراتهم التي كتبوا فيها أشياء
 هكذا فتحت بعض الأحيان وقرئت أمامهم . صفحة فضيحة و بعضهم قادوا العذارى الى العار واغتصبوا العفة
 فقد دعوا الى القضاء والنساء عرضت كأنها حاضرة وحضر نفس الزمن ونفس الكلمات والمقاصد كأنه خيال
 ظهر فجأة . وهذه المناظر التي تشبه السينما (الصور المتحركة) التي تسمى الخيالة قد تدوم ساعات متوالية
 ﴿ ثالثا ﴾ قد كان رجل يرى أن النجمة ليست شيئا مذكورا فأحصيت نجماته أمامه بترتيب ونفس الكلمات
 التي قالها دما . وهكذا الأشخاص الذين وجهها اليهم والذين قيل القول أمامهم . جميع ذلك أخرج وظهر
 مع انه قد أخرج بكل دقة عند ما كان حيا ﴿ رابعا ﴾ أن رجلا معروفا كان قد خرم أقاربه من الارث بواسطة
 دعوى مزورة فظهر ذنبه وحكم عليه . والعجب أن الكتب والأوراق التي جرت مبادلتها بينهما تليت على
 مسمع مني ولم تفقد كلمة واحدة وهذا الرجل قبل موته كاد يقتل قريبه بالسم فظهر بكيفية واضحة وصورتها
 أنه حفر نفقة تحت قدميه ومنها تخرج رجل كأنه خارج من قبر وناداه ماذا فعلت بي فكشف كل شيء وذلك
 أن القائل تكلم معه بهيئة صداقة ومحبة وقدم له الكأس وحضر الفكر الذي تفكره قبل ذلك ثم ماذا جرى
 بعد ذلك . ولما ظهرت هذه الأشياء حكم عليه بالسقوط في جهنم . ثم قال وبالجملة فإن جميع شروهم
 وجرائمهم وسرقاتهم وتوحياتهم وخداعهم تعان لأرواحهم الشريرة وتخرج بنفس ذا كرتهم ويحكم عليهم ولا سبيل
 الى الانكار . ثم قال متى كشفت أعمال الانسان له جاءت ملائكة مفتحون فنظروا وجهه وفنشوا جميع
 جسمه مبتدئين من أصابع اليدين الى آخر الجسم . قال وقد عجب من أن الأشياء التي فعلها الانسان لم
 تكن مرسومة في الدماغ وحده . كلا . بل هي مرسومة على جميع الجسد . ومعنى هذا أن أوائلها في أول
 الجسم وباقيها مرسوم على الجسم كله مرتبطا منظما . فشكل ما فكر فيه الانسان أو عمله مرسوم على الانسان
 كله ويظهر كأنه كتاب يقرأ وذلك عند ظهوره من الذاكرة . قال وقد رأيت كتابا وفيه كتابات كما ترى
 في الدنيا وأخبرت انها كانت من ذاكرة أولئك الذين كتبوا وان لم تبق كلمة ناقصة مما كتبه ذلك المرء في الحياة
 الدنيا . ومن ذاكرة المرء تؤخذ كل صغيرة وكبيرة . وذلك كله من ذاكرته الروحانية الداخلية لا ذاكرته
 الخارجية الطبيعية والمرسوم في الذاكرة الروحانية الداخلية لا يحى ولا يزول وهي يرسم فيها كل فعل وفكر
 وقول وكل مارآة المرء أو سمعه أو أحس به . هذا ما نقلته من ذلك الكتاب ملخصا من صفحة ٢٧١ الى
 صفحة (٢٧٦)

أليس هذا هو نفس قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - وقوله - فكشفنا
 عنك غطاءك فبصر لك اليوم حديد - وقوله - ذوقوا ما كنتم تكسبون - وقوله - يوم تشهد عليهم ألسنتهم
 وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - وقوله - وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين - وقوله - وما تجزون
 إلا ما كنتم تعملون - وقوله - وقالوا للجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - الخ

وقوله - ويقولون يا ويلتنا ما هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها * ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقوله - وكل شيء أحصيناه كتابا - وقوله - وأحصى كل شيء عددا - وقوله - وكل شيء أحصيناه في إمام مبين - وقوله - وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون -

فهذه الآيات كلها موضحة أشد وضوح في هذه المحادثات التي ظهرت في علم الأرواح الحديث . نعم ان علم الأرواح حدث في القرن التاسع عشر وهذا المؤلف ظهر قبل ذلك ولكنه موافق لعلم الأرواح وهذا كل ما فيه انه موافق للقرآن فان صحَّ كان معجزة صريحة لأنه جاء بما نطق به القرآن . والحق أن هذا زمان ظهور الحقائق ومصادق قوله تعالى - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وقوله - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - الخ والحمد لله رب العالمين انتهى ﴿ جوهره في قوله تعالى أيضا - إقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيب - مع قوله تعالى فلما يأتي في هذه السورة - قل الروح من أمر ربي - الخ وقوله تعالى فيها أيضا - إن الشيطان ينزغ بينهم - الخ وقوله تعالى في سورة مريم - ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين - وقوله تعالى في هذه السورة - ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذّبكم - الخ ﴾

اعلم أيها الذكي أن النفس الانسانية لايسعها أن تصدق بعوالم تحيط بنا من كل جانب وتلهمنا خيرا أو تحدث في قلوبنا شرا . ولقد قدّمت في مواضع من هذا التفسير نصوصا عن كبار العلماء شرقا وغربا والذي ذكرته من ذلك كاف موجب للطمأنينة . ولكني الآن أريد أن أضمت الى ما تقدّم ما عثرت عليه بعد ذلك فأولا أذكر لك كلام الامام الغزالي في الاحياء ثم أتبعه بكلام بعض علماء الأرواح لتعجب من هذه الدنيا ومن علومها وأن الانسان قديمه وحديثه يبحث عن الحقائق . فها أنا ذا قد ذكرت فيما مضى في غير ما موضع وأقربها ما في آخر سورة النحل أن عالمنا الذي نعيش فيه قد جعل الله فيه الخير والشرّ مقرونين في قرن . ففري السباع في مقابلة الأنعام والحيات والعقارب فيها سمها يقابل ترياق أجسامها كما تراه هناك مبرهنا عليه بتجارب الأطباء وهكذا الحيوانات الدّرية التي لا ترى إلا بالنظر المعظم ظهر كما تقدّم هناك أن جرمها ترياق لسمها كالحيات، سواء بسواء . هذا كله تقدّم ثم تحطى الناس ذلك الى عالم الأرواح لأنه ما الذي بعد هذه الحيوانات التي لا ترى بالعين إلا العوالم التي لا ترى أصلا . فانظر الى كلام الامام الغزالي رحمه الله فهو يقول في المجلد الثالث من الاحياء تحت عنوان ﴿ بيان تسلط الشيطان على القلب بالسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ﴾ لقد أفاض في هذا المقام في بيان أسباب قبول العبد الوسوسة تارة والالهام أخرى الى أن أوضح أن هذه الخواطر المنقسمة الى ﴿ قسمين ﴾ خواطر الخير وخواطر الشرّ حادثة والحادث لا بد له من محدث ومحدث الخير غير محدث الشرّ فالداعي الى الخير نسميه ملكا والداعي الى الشرّ نسميه شيطانا والالطاف الذي يتهيأ به القلب لقبول الأوّل يسمى (توفيقا) والذي يتهيأ به لقبول الثاني يسمى (إغواء) والملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه أفاضة الخير وسخره لذلك والشيطان خلق ضد ذلك واليه الاشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - * وروى عنه عليه السلام أنه قال ﴿ في القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى وليحمد الله وله من العدو إيعاد بالشرّ وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء - الآية ﴾ ثم انظر الى ما يقوله علماء الأرواح في الأعصر الحديثه . جاء في كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ الذي نقلت عنه في سورة التوبة قال في عدد ٥٧٨ مالم يخصه

إن شرّ أهل جهنم جميعا أولئك الذين كانوا في حياتهم يحبون الشر ولا يحبون إلا ذواتهم وحدها ولا يسلكون

الإمساك الخداع وطرق الغش وهذا الخداع الذي تشبعت به أفكارهم يفيض منهم على غيرهم فيوسوسون اليهم ويكون ذلك عدوى . أقول كالعدي الحاصلة بالحيوانات الدرية . قال وهؤلاء يسمون جناً وهؤلاء يكون نعيمهم وسعادتهم وسرورهم بأن يدسوا السم في السم ويخدعوا غيرهم بالوسوسة فينفثون السم في نفوس غيرهم كما تنفث الأفاعي سمومها في الأجسام فالحيات بتفريق سمها تفرح وهؤلاء بتفريق سمومهم وغشهم يفرحون ويمرحون . قال والذين ليس عندهم هذا المكر وهذا الخداع المستمد من حبة الذات يكونون في عذاب أقل . ثم قال انهم يسمون العواطف كما تسم الكلاب البهائم البرية في حرش . ثم ان العواطف الصالحة متى أدركوها تتحول حالا الى عواطف شريرة وتقودهم بكيفية عجيبة وعذرخفي ويقعون بحيل أن يدخلوا المقاصد الرديئة بأوهام تؤثر في الانسان وهولا يشعروا ف هؤلاء يفعلون بعد الموت نفس ما كانوا يفعلون في الحياة الدنيا ويرون في هذا نعيمهم وسعادتهم وعزتهم . قال والله يبعد هؤلاء عمن هو صالح قال وهذه الأرواح الشريرة تهيج في الانسان الشرور والذائل الموروثة التي تبقى مخبأة ف هؤلاء يستخرجونها ويظهرونها فتكون ضرا وبلا على الانسان

وقال في عدد (٥٩٤) ماملخصه ان سكان الجنة طوائف وطوائف وهكذا سكان جهنم وكل عقاب لطائفة من طوائف أهل النار يقابله نعيم لطائفة توازيها في جهنم . ويقول إن هذين القسمين لابد منهما في الوجود كله . ففي عالم الطبيعة نرى الحر والبرد والظلمة والنور والرطوبة واليبوسة . ويقول ان الانسان لحرية له إلا بأن يكون له وسوسة وإلهام فيكون عنده الداعيان داعي الخير وداعي الشر وهذا الداعيان يتجادبان فهو بينهما يختار ما يوافقه ويجاهد في دفع الآخر حتى يختص بأحد الأمرين . انتهى

أفلا نتجرب أن ترى العقول البشرية في الشرق والغرب التقت في نقطة واحدة فنرى الامام الغزالي يأتي بالحديث ويذكر الوسوسة والالهام ويقول هما مسخران من الله ونرى هذا العالم الافرنجي الروحي يقول مثل ما يقول بعبارة أخرى ويرجع الى أن كل شيء زوجان . انظر كيف اتفق القولان مع ما بينهما من بعد الشقة والدين والزمان وهذا من العجب العجيب

اللهم ان العلم هو السعادة في هذه الحياة . انظر كيف يقول في كتاب (السماء وجهنم) أن هذه الأرواح الشريرة تحس بلذة . فيعجبنا . إذن هي مستلذة بالوسوسة كما يستلذ الناس في الدنيا بالتغلب على أعدائهم وبذل من يحسدونهم وهلاكهم

﴿ موازنة بين ما جاء في كتاب (السماء وجهنم) المذكور وبين ما جاء في كتاب الابريز الذي ألفه الحافظ أحمد بن المبارك عن أستاذه عبد العزيز الدباغ الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري أي قبل أيامنا هذه بنحو قرنين اثنين والكتابان في زمان واحد وهذا شرق وهذا غرب وكلاهما يرجعان لعلم الأرواح ﴾

ان الاستاذ الحافظ أحمد بن المبارك المذكور قد ظهر من كلامه الذي قرأته أنه كان بحرا في العلوم الاسلامية والحكمية والصوفية وهو ذكي قدير ولكنه لما قابل الشيخ عبد العزيز الدباغ رآه رجلا أميا . وهذا الأمي أدهشه فانه لا يحفظ القرآن ولا الحديث ولا يعرف من هذا شيئا ولكنه رآه يعلم فوق ما يعلمه جميع الفلاسفة وعلماء الدين في أمة الاسلام . وسأذكر في مواضع أخرى من هذا الكتاب بعض المحاورات التي جرت بينهما بمناسبة آيات من القرآن وأذكر هنا ما يناسب ما نحن فيه . ذلك انه قال في صفحة ١٦٥ ما يأتي

﴿ ان الرجل الذي اذا أمكنته المعصية أقبل عليها واستحلاها غاية الاستحلاء وتشوق اليها بالسكية يستحليها يوم القيامة فينقطع الى العذاب بجميع شراشره ويتشوق اليه بالسكية ويقع فيه المرة بعد المرة ويستحليه استحلاء المجرب للحك وعلى قدر ما حك يكون وبالله ﴾ . انتهى

أقول وهذا هو نفس ما شاهدته في الدنيا فإن الإنسان على مقدار حبه لزيادة المال أو المناصب يزداد نصيبا وتعبا فهو كالأجرب . أفلمست ترى أن هذا المعنى هو الذي جاء في كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ فيما قدمته لك هنا أن الأرواح الشريرة تفرح وتنعم بخداع غيرها . إذن نحن الآن في حياتنا الدنيا على هذين الرأيين تتجاذبنا أرواح وتحيط بنا نفوس منها من يريد بنا الخير . ومنها من يريد بنا الشر وكل يفرح بظهور آثاره فينا والأرواح الشريرة تزيد عذابا بتنعمها باضلالنا والعكس بالعكس . إذن صار عذاب هذه الأرواح الجهنمية في البرزخ بما به تستلذ كما تستلذ الحيات والعقارب والناموس بادخال السم والأمراض في أجسامنا فنهرب منا ونطاردها في أماكنها

﴿ نظرة أخرى في هذين الكتابين وذكرهما عذاب جهنم ﴾

جاء في كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ في هذا المقام ما يأتي
ان الكوى والأبواب تكون تحت السهول والأودية بهيئات متنوعة وتحت الجبال والتلال والصخور وتكون أشبه بالمغائر والكهوف أو كالفيضات وبحيرات الماء وهي مغطاة لا تفتح إلا عند ما طرح فيها أرواح شريرة من عالم الأرواح بعد امتحانها واذ ذاك يخرج بخار مع نار ودخان كالسخام الذي يخرج من المشاعل ومعها لهب وبعضها سراديب مملوءة ظلمة . وفي بعض طبقات جهنم أكواخ سيئة البناء كأنها مدينة طاحفة بالأزقة والشوارع وفيها تسكن الأرواح الجهنمية وهم في قتال مستمر وقد تقدم بعض هذا . انتهى
وانظر ما يقوله الشيخ عبد العزيز الدباغ فيما نقله الحافظ أحمد بن المبارك في صفحة ١٤٢ في كتاب البرزخ قال الحافظ أحمد بن المبارك . أذكر هنا بعض ما يشاهده المفتوح عليه . قال انه يكشف بأمور منها أفعال العباد في خلواتهم . ومنها مشاهدة الأرضين والسموات . ومنها مشاهدة نار البرزخ وهذا البرزخ ممتد بين السموات السبع والأرضين السبع وتكون فيه الأرواح بعد خروجها من الأشباح على درجاتها وأرواح أهل الشقاوة في هذه النار وهي على هيئة منازل ضيقة كالآبار والكهوف والأعشاش وأهلها في نزول وصعود دائما لا يكلمك الواحد منهم كلمة حتى تهوى به هاويته . قال وليست هذه النار هي جهنم لأن جهنم خارجة عن كرة السموات السبع والأرضين السبع وكذلك الجنة الخ . انتهى

فتعجب من اتفاق الكتابين على رأى واحد وأن جهنم تكون بعد الموت فعلا ولكنها جهنم البرزخ والذي عرفنا أنها جهنم البرزخ هو الشيخ عبد العزيز الدباغ . أما صاحب كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ الذي نقلت فانه يظن انها جهنم الأصلية . إذن الشيخ عبد العزيز الدباغ أعلم من صاحب كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ يظهر من هذا كله أن هؤلاء يرون أن المجموعة الشمسية التي نساكنها هي التي فيها البرزخ وأن هذا البرزخ هو هذا الجوّ الواسع الذي بين الكواكب السيارة الدائرة حول الشمس وأن أرواح الأحياء اذا خرجوا من الأجساد سارعوا الى الأماكن المعتبرة لهم في ذلك الجوّ . ولا جرم أن هذا أمر روحى لأننا في عالم الأجسام لانعرف شيئا له وجود في هذا الخلاء . ومتى قامت الساعة وطاحت هذه المجموعة الشمسية هي وغيرها جعل أصحاب النار وأصحاب الجنة في أماكنهم التي سيصلون اليها في الجنة والنار اللذين هما في عوالم أخرى لانسربها . وسترى ان شاء الله في سورة النور عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - مبحثا في نقطة الماء وأن هذه النقطة وجيع المادّة التي نعيش فيها ليس فيها من المادّة إلا جزء قليل جدّا وماهى إلا خلاء نسبة المملوء منه بالمادّة الى الخالى منها كنسبة واحد الى مائة ألف ألف ألف جزء . فاذا كانت نقطة الماء تسع (خمسمائة ألف ألف ألف ألف ألف) جوهرا فرد وهذه كلها لا تشغل من القطرة المذكورة إلا جزءا يكاد يكون معدوما . فاذن المادّة من هذه الوجهة تكاد تكون عدما . فلو فرضنا هذه النقطة مدينة تسع (مائة ألف ألف ألف) حجرة فلا تشغل تلك الجواهر الفردة المتقدمة إلا حجرة واحدة منها . وعلى ذلك

يكون هذا العالم الذى نعيش فيه من أرض وسماوات ومعدن ونبات وحيوان أشبه بالمعدوم وإنما الموجود كله هو الأثير المالى لهذه العوالم كلها وهذا الأثير هو الذى توجد فيه الأرض والسكواكب وفيه تكون الأرواح ولها حياة قبل اليوم الآخر روحية تقدم وصفها . اذا علمت هذا فانك ستفهم ما سيعرض لك من المراسلات بين الأرواح وبين الناس

إن علم الأرواح انتشر وملاً الأقطار كلها والمسلم لا يمكنه أن يعيش فى خلوة فهو يقرأ هذه العلوم التى ملأت أوروبا والشرق ويقرأ رسائل كثيرة ترد من الأرواح بالطرق التى ذكرت فى كتاب ﴿الأرواح﴾ فىحصل للمسلم من هذه المراسلات شكوك وأوهام فيقول فى نفسه ﴿إذا كانت هذه الأرواح فرحة مسرورة فأين عذاب الكافر منها أو الفاسق﴾ فإذا علم المسلم ما كتبناه هنا أدرك أن شقاء الفاسق والكافر منها أشبه بحك الأجر لجربه وأن العذاب يصحب اللذات كما أن الحية والعقرب فرحتان بحياتهما بل لا تعرفان حياة سواها فافهم ذلك . وهالك أسئلة على ذلك من كتاب ﴿بهجة الأفراح فى مناجاة الأرواح﴾ المؤلف حديثاً المطبوع سنة ١٩٢٨ م جاء فيه ما يأتى

﴿حملنا هذا الروحى الذى نسكنه الآن محل شغل وحركة لا محل كسل وبطالة غير أن قليلاً من الموسيقى والترنيل يكون مستطاباً ومقبولاً لكن بشرط أن لا يدوم النهار كله﴾ اهـ

وأوضح من هذا ما جاء فى رسالة من روح والد يسمى يوسف وردت فى نيسان (ابريل) سنة ١٩١٩ فى (واشنطن) بأمرىكا جاء فيها نصائح لابنه ومنها ما يأتى

﴿سيحصل الانسان مازرعه وسينال مكافأة أعماله فى هذه الحياة الأرضية . وأما الغفران فليس مجرد التخلص من القصاص بواسطة أمر الله بل هو مغفرة أو محو الأعمال المغيرة التى ليست مرضية وتؤثر ببطء تدريجاً فى نفس الانسان وهكذا عند ما يصير روحاً من الأرواح السماوية يجب أن يجد ويتكلم على نفسه فالروح يجب أن توفى كل ما عليها من الدين قبل أن تنال النفس المغفرة وتوافق النفس ارادة الله ونواميسه﴾ ثم قال ﴿وهنا أقول لك دعنى أقل لك انه لا يوجد إيمان أوسر أو معتقد كنيسة من الكنائس يقدر أن يمنح هذا الغفران إنما هو عمل من أعمال النفس وينبغى للانسان أن يسعى له ويجتهد ويحتمد . كتبت كل هذا حتى أريك يا بنى أن النظام قاس لا يلين . وقد تكلم قليلون وهم الذين يفهمون نظام الأعمال وتأثيرها فى الانسان فيهماونها ويسئون استعمالها خصوصاً خدمة الكنائس وعماظها المنتحلين دائماً السلطة الروحية . وقد عرفت مما تقدم أنه يجب على الانسان أن يبتعد عن هذه الأشياء التى تدنس نفسه وتفسد أخلاقه ولكن لا للأسف أكثر الناس بدل أن يتحاشوا هذه الأشياء يزيدون الطين بلة فيأتون الى العالم الروحى مثقلين أنفسهم بأحمال ثقيلة . وهكذا تبقى أعمالهم وأفكارهم غارقة فى لجج الأهواء التى لا ترضى فهؤلاء يجب أن يقضوا فى عالم الأرواح أدواراً عديدة لكي تطهر نفوسهم من هذه الأشياء . فالإيمان والرجاء الكاذب لا يفيدانهم شيئاً لتطهير نفوسهم بل يكونان حجر عثرة﴾ انتهى المقصود منه

أفلاترى أن هذا القول وما قبله صريحان فى أن كثيراً من هذه الأرواح معذبة وإن كانت تخاطب أحبابها فى عالمنا . ها هى ذه الرسالة الأولى يقول فيها ان الحياة كلها عمل والله يقول - وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة - الخ فهذا نوع من النصب وانظر كيف يقول ان الإيمان والرجاء الكاذب عقبة فى سبيل المغفرة إذن ليفهم المسامعون أن هذه الأرواح التى ترسل أفكارها فى أمريكا وفى أوروبا تكون فى عذاب . ومن العذاب الشغل القاسى وانظر كيف يقول ان النظام قاس لا يلين . ثم انظر كيف يتس من العقيدة الدينية الزائفة عن محجة الصواب بسبب القسيسين والقائمين بأمر الدين . وليعلم المسامعون قاطبة أن هذه العقابة هى عاقبة الكسالى المسامين الذين تركوا مواهبهم وعقولهم فى الدنيا واتكوا على شيوخهم ونظرانهم أولئك

هم المغمورون . انتهى والحمد لله رب العالمين

وجاء في الكتاب المذكور ﴿ بهجة الأفراح ﴾ أيضا صفحة ٩٣ و ٩٤ ما يأتي

سئلت روح (بؤب أنجوسول الجاحد) ماهو الشيء الذي أدهشك بالأكثر حينما انتقلت الى عالم الأرواح (فأجاب) معرفتي الحق وانى ذوقى أزلية خالدة لم أمت ولن أموت . ثم سئلت ما الدين الحق (أجاب) هي أن تبلغ نفوسنا أسمى درجة في القرب من خالقها وتكتسب من محبة الفائقة ومن ألوهيته العظيمة التي لا تنتهى . وقد سئلت أيضا الأسئلة الآتية

(س) هل تقدر أن تعرفنا ماهو الاله

(ج) إن الله هو الخالق والمبدع والكل فى الكل والذي بدوره لم يكن شئ مما كان وسيكون وهو علة كل العلل ومصور كل الحوادث الطبيعية . هو البداية والنهاية والأول والآخر الذى لم يكن قبله ولا بعده شئ من الكائنات

(س) هل الاله موجود منذ الأزل

(ج) نعم . نعم . نعم هو أزلى وكل مادة السكون صادرة منه

وجاء فى الكتاب المذكور أيضا أن طيبيا يسمى (الدكتور هانسمان) جرى شوطا عظيما وجد فى بحث علم الأرواح وكتب عشرات من الأرواح أسماءها على الأوراق تارة وعلى الأشجار أخرى بدون أن تمسها يد انسان بحضوره مع جم غفير من العلماء والفلاسفة . وهذه الامضاآت شهد الحاضرون أنها هى نفسها امضاآت أولئك العلماء فى حال حياتهم بالدقة . ومن جملة الذين كانوا يظهرون بأشخاصهم بسبب وجود الوسيطة روح رجل يسمى (جورج خريستى) فلم يسمع الدكتور (هانسمان) فى مقابلة مساعدة روح (خريستى) المذكور إلا أن يشكره شكرا جزيلا على مساعدته فى اظهار الحقائق ثم قال الدكتور (هانسمان) لروح (خريستى) المذكور انى مستعد لمساعدتك . فأجاب الروح بما يأتى

أيها الدكتور . أظهرت كل لطف ورقة بقولك لى انك مستعد لأن تجرى نحوى كل مساعدة فأقدر لك هذا القول اللطيف حق قدره ولكنك لاتقدر أن تصنع لى شئاً . إن الغلظة التي ارتكبتها المسيحية هى ترك ملابسنا الكتانية المماومة دعارة ونجاسة ليسوع المسيح لكي يغسلها وينظفها ويقصرها بينما نحن نقضى معظم حياتنا الأرضية فى ارتكاب المعاصى والآثام . الحياة الشريرة التي تضعف رجاء الآخرين وتقطع آمالهم من الخلاص والمحبة الالهية . هؤلاء الخطاة والأثمة انهمكوا بالخلاعة فتعلمهم الديانة المسيحية انهم اذا تابوا فى آخر ساعة وآمنوا بالمسيح وندموا ندامة تامة تغفر لهم كل خطاياهم ويغسلون بدم المسيح فيصبحون أبرارا أظهرا يستحقون أن يدخلوا السماء . فهذا الاعتقاد فاسد لان بشره هنا ولانعامه لأن النفس لا يلزمها كفارة بل يجب عليها أن تفلح لشراعتها كما تسير السفينة الى ميناء الأمان طالما تنطلق من الجسم المادى المسجونة فيه قاصدة أن تملك لنور الطهارة حيث تستعد لترفل فى حبل الراحة والسلام والسعادة الأبدية مع الله عز وجل الذى هو أصل المحبة والجمال وعلى كل انسان أن يقرع باب السماء بنفسه وبحسب استحقاقه ويرى صك المرور فلا يستطيع أن يختلس الدخول الى السماء خلسة بل يجب عليه أن يشتغل بجهد واجتهاد وكل منا يسكن المنطقة التي تليق به وعلى مقتضى تقدمه ودرجة اختباره وارتقائه وما يحصله من المعارف والعلوم وأسباب الرقى . وهكذا يظل يجاهد بنفسه ليرتقى من كون الى كون ومن كرة الى كرة ومن مسكن الى مسكن . وتختلف هذه المساكن الكثيرة بالمجد والثناء والكرامة والراحة والنور ولا تقدر أن نصفها بلسان ليفهمه العالم الأرضى . وفى هذه الأحوال قد بذلت مقدرتى لأوضح ما نحن فيه من السعادة والعدل انتهى . وبلى ذلك الامضاء

(جورج خريستى)

ويقول الدكتور (هانسمان) انه حصل على كل ما ذكر هنا في (١٥) دقيقة

﴿ تذكرة ﴾

سيرد على خاطرك أيها الذكي أن هذا مسيحي وكيف ينطق بهذا القول . أقول لك انه قد أظهر في قوله ان المسيحية مفشوشة ضاربة بالنوع الانساني . أليس هذا هو النسخ الذي ورد في ديننا فترجع وتقول لي كيف يصف الأنوار في الحياة الأخرى وانهم في ارتقاء . أقول لك هل نسبت ما تقدم عن الشيخ عبدالعزيز الدباغ وعن الاستاذ (عمانوئيل) العالم الروحاني . فهذا افرنجسي وهذا مسلم كما قدمت وكلاهما يقول ان العذاب في البرزخ أي بعد الموت يكون أشبه بحك الأجر جربه فهو يحك ليستلذ فيزيده الحك مرضا كما نرى في الدنيا أن الانسان يعطى المال فيطمع في الزيادة فكما ازداد مالا ازداد غما . وهكذا الصيت والذكر وهكذا الملك . فهاهوذا (نابليون) توغل في الملك وكان آخر أمره أنه حبس في جزيرة (سنت هيلانة) فهل نحن نعرف تلك الأنوار التي ذكرها فلعلها كالأنوار التي يراها الفراش فيطير اليها فيحترق . وقولي لك حك الأجر هي عبارة الشيخ عبد العزيز الدباغ . وقد تقدم أيضا عنه أن العصاة يشتاقون الى العذاب فاشتيق هؤلاء الى درجاتهم ربما كان اشتياقا الى العذاب . وأما (عمانوئيل) فعبارته المتقدمة تقرب من هذه . فانظر كيف يقولون انهم يعملون ويحبتون . أليس هذا العمل عذابا مع ان المعام عندنا في ديننا أن أهل الجنة في نعيم الخ . فقال وماذا تقول في قولهم ان الرقي بالعلوم والمعارف . أقول لك قد رأيت في كلام (عمانوئيل) المتقدم وفي كتاب الشيخ (عبد العزيز الدباغ) أن الأرواح الشريرة تكون علومها هي علوم السحر والطلسمات فهذه العلوم تكون عذابا لها ويكافها الله الى نفسها ويكون ذلك كله عذابا لها فلعلك تقول بعد هذا كله أنا غير مقتنع فأقول أحيلك على ما تقدم من أن هذه هي حال البرزخ وليست هذه هي الجنة ولا ضدها والرجل لم يقل ذلك إلا لأنهم ملوثون بالمعاصي وهم الآن يحبتون في العمل ليخلصوا منها فتقول لي وكيف يخلصون منها وهم كفار . أقول لك أذكرك بما نقلته في هذا الكتاب في موضع آخر عن الامام الغزالي ان عذاب الناس بعد الموت لا يكون على الكفر . كلا . وإنما يكون العذاب أولا بترك المشنهيات ثم بعد أمد يعذب على الذنوب وهكذا . فأما العذاب على الكفر فأنما يكون يوم القيامة فراجعه اما فيما سبق في هذا الكتاب واما في شرح العلامة المناوي على قصيدة ابن سينا في النفس التي أولها

هبطت اليك من المحل الأرفع * ورقاء ذات تعزّز وتمتع

ولعلك تقول كلامك لا يروى من غلة ولا يشفي من علة فأنا الى الآن لم أفهم . فأقول لك اقرأ كتاب ﴿ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ﴾ للغزالي فتقول أنت قرأته فلم أعرف ما تقصد . أقول ان الخواص مجهولة فربما يكون بعض من تتوهم انهم في راحة من الأرواح قد أسلموا ونحن لانعلم أوتسكون بعض تلك الأرواح لاعلم لها بالاسلام مطلقا ولم تسمع به أو سمعت به مشوها على غير حقيقته فتقول لي أنا الى الآن لم يسترح ضميري . أقول إذن يكون الكلام بعد هذا كله من باب الوسوسة ونحن نريد رقى الأمم الاسلامية بالعلم والحكمة . واياك أن تظن أن اعتناك الاسلام وحده بالعلم ولاعمل يكفيك فلا بد من الجهاد في الحياة الدنيا . واياك أن تضع وقتك فيما لا يجدي نفعا . ودع الوسواس وقرأ قوله تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقوله - أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون -

فلما أتممت هذا المقال حضر العلامة الذي اعتاد أن يسألني في هذا التفسير . فقال قد ذكرت هنا وفي مواضع أخرى من هذا التفسير أن أرواح الأموات يهتدون بأفكارهم ويعلمون أحوالهم كما ذكرت هنا فهذا

يدل على اتصال بين الحى والميت وان لم يعلم الحى . وهذه النصوص التى نقلتها عن أهل أمريكا وأوروبا لا يثق الناس بها وأنا أولهم إلا اذا جاء فى ديننا ما يماثلها . فقلت فاسمع ما جاء عن علمائنا الأجلاء جاء فى كتاب « مشارق الأنوار » نقلا عن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه مانصه « كان سعيد بن جبير رضى الله عنه يقول إن الأموات لتأثير أخبار الأحياء فما من أحد له حليم أى قريب إلا ويأتية خبر أقاربه فان كان خيرا سر به وان كان شرا عبس له وحزن » وقال أيضا وكان أبو الرداء يقول « اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملا تحزى به أمواتي » قال وكان وهب بن منبه يقول « إن الله تعالى بنى دارا فى السماء السابعة يقال لها البيضاء يجتمع فيها أرواح المؤمنين فاذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله اذا قدم من سفر » * وروى أن الأموات يسألون القادم عليهم عن أهل البيت كلهم ما فعل فلان . هل تزوج فلان . أو تزوجت فلانة ونحو ذلك »

ثم قال فى صفحة (٣٩) من كتاب المشارق المذكور ان بعض العارفين قال انه يؤخذ للروح صورة من بدنهما تتميز بها عن غيرها ولذلك تتصف بالاتصال والانفصال والصعود والنزول وغير ذلك من الاعراض والشخاص كل نوع تميل الى بعضها وتفر عن مخالفيها ونقل فى صفحة (٣٨) عن الامام النووى مانصه « وأصح ما قيل فى ذلك قول إمام الحرمين ان الروح جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكشيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر » وإلى هذا الخلاف قال اللقاني

ولا تخض فى الروح إذ ما وردا * نص عن الشارع لكن وجدا
لما لك هى صورة كالجسد * فحسبك النص بهذا السند

ثم قلت له . إذن ظهر لك أن علماءنا كانوا يتناقلون فيما بينهم هذه الآراء فهم يقولون ان الأرواح تهتم بأقاربها الأحياء . ويقولون ان صورة الروح كصورة الجسم الجسدى ولكنها لطيفة . وهذان الأمران هما اللذان ظهرا فى علم الأرواح . فهذه الصورة يقول علماء الأرواح انهم رأوها كصورة الجسم فى الحياة وأن الأموات مهتمون بالأحياء . وتقدم عن اللورد (أوليفر لودج) الانجليزى مثل ذلك فى مواضع كثيرة من هذا التفسير . إذن صار علم الأرواح الحديث موافقا لما كان يقوله علماءنا . فقال وهل هذه الأحاديث المتقدمة صحيحة . فقلت عجبا . نحن الآن لسنا فى مقام صحة الأحاديث وضعفها بل نحن فى مقام أن هذه كانت آراء يقولها المسلمون فلتكن هذه أقوال الصحابة أو غيرهم من الصالحين إنما المراد أن نوع هذه الآراء لا ينكرها الاسلام . فقال قد اكتفيت . فقلت الحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات . انتهى

« اللطيفة الثامنة - ولا تزور وزارة وزر أخرى - الى قوله - خيرا بصيرا - »

بعد أن بين قبل هذا كيف تتضح الذنوب وتظهر العيوب فقد سبجناه هذا الباب ليعين لنا مالنا وما علينا ومحصله أن الذنوب على « قسمين » قسم يختص بالمرء . وقسم يعم كثيرا من الناس . ولأوضحه بمثال فأقول . قتل رجل رجلا . فهذا القاتل قد أذنب ولا يعاقب سواه على جريمته لافى القانون ولا فى الشرع وهكذا جميع الذنوب . ورجل آخر أعلن فسقه وزينه للناس وأخذ يذيع شعره الفسق ونظمه المضار فاتبه أناس فذلك ذنبه على نفسه أيضا . ولكن هناك أمر آخر وراء ذلك وهو أن الأمم تتأثر بعوثرات ترسخ فيها فتنتقل العدوى من زيد الى عمرو . ألم ترى الى الأمراض المعدية والطاعون وبعض أنواع الحيات المعديات . ومن المشهور أن زيدا يتشاءب فيتمتدب خالد والعادات تؤثر تأثير الطاعون والأمراض المعدية . إن الناس يعيشون بالقدوة لا بالتعليم فالتعليم فى الكتب والأخلاق والعادات جاريات بين الناس معلقة بأذهانهم لاصقة

بهم محكمة فيهم لا يجدون منها حولا فيكون للأمة ذنوب عامة وعيوب جارحة تشملهم جميعا . وما مثل
الأمة إلا كمثل رجل ابتلى بمرض الزهري فوله أولادا مرضوا بهذا الداء فتصبح أجسامهم وأخلاقهم وآدابهم
معتلة فهنا عذب صاحب الذنب في الدنيا والآخرة ولحقه في هذه المنلة أبنائه ومن اقتبس المرض منه باللامسة
واسكن هذا العذاب ليس على الجناية بل هو نقص طبيعي يحرمهم من بعض منافع الدنيا وتسوء أخلاقهم
وتعطب فتكون سعادتهم في الآخرة أقل . ولذلك يقولون ﴿ إن البلاء بهم ﴾ فالذنوب إذن ﴿ قسمان ﴾
خاصة ووبالها على صاحبها وذنوب عامة يعذب بها الشعب كافة والعذاب في الدنيا بالخطايا والأعمال
وفي الآخرة بعدم ارتقايتهم لنقص أعمالهم . إن الشعب أشبه بشجرة لها أغصان وللاغصان فروع وفروع
أوراق فإذا ساء سقيها أوسادت عناصرها المغذية لها شملها الضعف وإن أودى غصن أو ورقة أوفرع اختص
به مانتج من ذلك . إن بين النفوس رابطة متينة فالأسرة مرتبطة والأمة مرتبطة ومستحيل أن تكمل
الأفراد إلا بجو جيل يجمعهم ورأى شريف يجمعهم ثم هم يتفاوتون على مقتضى اجتهادهم
اللهم إنا جئنا إلى هذه الأرض فرادى ولكنك جمعنا وطلبت من الجمع أن يتحد أخلاقا وعادات ولذلك
لما رأى الأنبياء ذلك اهتموا بأمر الشعوب فعملوهم . فأما إذا اقتصر النبي على تعليم نفسه لم يكن لهذا من
أثر فعال . ومن اقتصر على تعليم أولاده ورقاهم في أي شعب كان فليعلم أن الوسط له أثر السيئ فان الخادم
والطابع والجار والشريك كل هؤلاء سيأخذون مجراهم على حسب عاداتهم ويكون أبنائه غرباء بينهم فلا بد
من روابط عامة في المجموع . فالذنوب على ذلك ﴿ قسمان ﴾ أحدهما للشخص خاصة والثاني للمجموع
وهذا معنى هذه الآية . فقله . ولا تزر وازرة وزر أخرى - إشارة إلى الأول وقوله - وإذا أردنا أن نهلك
قرية أمرنا مترفيها - الخ إشارة إلى الثاني . إن الأمة كلها كشجرة سيء سقيها وعناصرها الأرضية فتسذبل
كلها . هذا هو قوله تعالى - أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - لأننا وجدناهم
لا يهابون للحياة فان الأفراد الذين فسقوا فيهم لم يجدوا من يردعهم فالقوم إذن في عداد الذين ليسوا بأحياء
فليموتوا أو فليذلوا . إن الأمة التي انغمست في الترف والنعم يتقاطع رجالها وتفسد أخلاقهم وهو الذي
حصل في أمتنا الإسلامية . انظر إلى الدول الإسلامية كيف اضمحلّت بالشهوات وحب الذات وجهل المنافع
العامة ففرقوا شيئا وذائق بعضهم بأس بعض في بلاد الشرق وفي بلاد الأندلس . فلقد استكثر الأمويون
في الأندلس من البربر وهم شيعتهم وهم الذين قاموا بنصر عبد الرحمن الداخل أول مرة على منافيه من شيعة
العباسيين الذين كان لهم الحكم قبله بل هم نصره أيضا على جيوش (شلمان) التي أرسلها لحربه ترلفا
لصد يده الخليفة العباسي في الظاهر وخوفا من اتساع ملكه إلى أرض فرنسا في الواقع . ولقد كان العباسيون
يستعينون بالفرس فكسروا شوكة الأمويين وأكثروا من الممالك . هكذا الأمويون بالأندلس
فانهم لما ثبتت قدمهم في الملك أخذوا يقادون العباسيين في استكثارهم من الممالك الصقلية وغيرهم خصوصا
في أيام الحكم بن هشام وعبد الرحمن الناصر حتى أصبحت لهم السكامة النافذة في البلاد وصار حكمها من بعده
في أيديهم وأصبح حالهم هنا حالهم في الشرق شبرا بشرا وقدما بقدما وكانت أنفس كثير منهم تتحدث في قراراتها
بتخطي الرقاب وطرق كل باب إلى الوصول إلى منصة الحكم ولا يقعد بهم عنها إلا ما كان يحيطها من ربح مشروع
وسيف مسلول وعظمة قائمة وسلطان قدمه في الأرض ورأسه في السماء . وعلى كل حال فانهم كان لهم التصرف
المطلق في داخلية الدولة . وخالف الأمويون في الأندلس آباءهم في دمشق في محافظتهم على عصبيتهم العربية
وضعت بذلك شوكة العرب وتقموا على حكومتهم وما زالوا يترقبون الفرصة للخروج عليها حتى أيام ابن أبي
عامر وزير الحكم بن الناصر وكان من العرب المنتصرين إلى عصبيتهم فأخذ بدهائنه في التفرقة بين العناصر
المغلبة من صقلية وأترك وبربر ثم بالإيقاع بهم شيئا فشيئا . وكان في أثناء ذلك يستقدم رجالات من بربر

المغرب من (زنانة ومصموده) وغيرهم وكان يوليهم مناصب الدولة حتى اذا شعروا بضعف الخلفاء ومن والاهم أخذوا يخرجون على دولتهم ويستقلون بأطرافها . وأول من بدأ منهم باستقلالهم بنو جود في قرطبة ثم بنو عباد في أشبيلية ثم بنو زيري في غرناطة ثم بنو جهور في قرطبة ثم بنو ذي النون في طليطلة ثم بنو عامر في بلنسية ثم بنو هود في سرقوسة حتى غلبهم على أمرهم الفرنجة من الشمال والمرابطون من الجنوب وكثيرا ما كانت ملوك الطوائف يحاربون بعضهم بعضا طمعا في استيلاء هذا على ما كان في يد الآخر حتى انتهى أمرهم الى الضعف وصاروا يدفعون الجزية الى (الاذيفونش) غير ما كانوا يلاقونه من الهوان من الفرنجة ومازلوا حتى ضاقت صدورهم من غدر ملوك الفرنجة بهم وسوء معاملتهم لهم فأجمعوا فيما بينهم على استدعاء عرب المغرب لنصرتهم وكان هذا رأي ابن عباد صاحب أشبيلية وكان المغرب وقتئذ في حكم المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين سلطان المغرب من أقصاه الى أقصاه فلما وصلت اليه دعوة ابن عباد قبلها وأجاز الى الجزيرة سنة ٤٤٩ هـ بجيوش جرارة على رأسها قائد العظيم داود بن عائشة وسار هو وفي مقدمته وزيره الكبير سير بن أبي بكر اللتوني فقابلته جيوش الأسبان متجمعة بقرب بطليوس وعلى رأسها الاذيفونش ملك (القوط) ووقعت بينهم موقعة تشيب لها الولدان انتصر فيها ابن تاشفين انتصارا باهرا . وهذه الواقعة يسمونها (واقعة الزلاقة) وهرب الاذيفونش بعد أن جرح في يده جرحا بليغا ثم طلب الصلح من بني تاشفين فندحه ذلك لمدة خمس سنين فأخذ فيها الاذيفونش على نفسه أن لا يتعرض للمسلمين بشئ مطلقا وخلعت بلاد الأندلس من مظالمه ومما كانت تدفعه اليه سنويا من الجزية وتسمى ابن تاشفين بعد هذه الواقعة بأمير المسلمين . وقد غنم المسلمون من هذه الواقعة شيئا كثيرا جدا من الأموال والأنفس ففف ابن تاشفين عنه وتركه جميعه لأهل البلاد وانصرف عن الأندلس الى المغرب تاركا وراءه جبال العمل وجبل السيرة

وفي سنة ٤٨٦ هـ أجاز ابن تاشفين الى الأندلس جوازه الثاني لأن أهله شكوا اليه من كثرة المكوس (الضرائب) التي تأخذها منهم ملوكهم . فلما وصل الى الجزيرة الخضراء خافه ملوك العرب وقطعوا الميرة عن جيوشه بعد أن اتفقوا مع ملوك الفرنجة عليه فقصد بلادهم واستولى عليها واحدة بعد واحدة وبعث بنى بلكين أصحاب غرناطة الى المغرب فقضوا فيه بقية حياتهم ثم قصد أشبيلية لما علم بفساد دخيلة ابن عباد وانه استجار بالاذيفونش عليه وأخذة أسيرا وأرسل به الى اغمات من أعمال مراكش حتى مات في اعتقاله بها سنة ٤٩١ هـ ثم قصد بطليوس وقبض على ملكها ابن الأفطس وقتله . وبذلك أصبحت الأندلس من أقصاها الى أقصاها في حوزته إلا (سرقسطه) وهي في شمال (اسبانيا) فانها بقيت في يد بني هود لاعتصامه بالاذيفونش ولبعدها عن مركز القوة الاسلامية . ولما خلاص ابن تاشفين من استيلائه على الأندلس فوَّض أمره الى وزيره سير اللتوني ورجع الى بلاده ومن ثم أصبحت الأندلس في يد المرابطين ومازالت في أيديهم الى أن دب الشقاق بين أحفاد ابن تاشفين طلبا للملك في أواخر القرن الخامس الهجري بما كان سببا لضعفهم وقيام بلاد المغرب عليهم حتى سقطت دولتهم بقيام دولة الموحدين على يد المهدي بن تومرت ولما مات المهدي سنة ٥٢٤ هـ انفتحت رجالات الغرب على مبايعة عبيد المؤمن بن علي وكان في مقدمة رجال المهدي علما وفضلا ودهاء وهو أول من تسمى في المغرب بأمير المؤمنين

وفي سنة ٥٤٦ هـ أجاز عبد المؤمن الى الأندلس جيشا من الموحدين للفتح فتغلب على عزيبه ثم حاصر المرية فاستغاث من كان فيها بالاذيفونش الذي أرسل اليهم محمد بن مردنيش وزيره على جيش من النصاري والمسلمين فكسره عبد المؤمن . وتم استيلاء الموحدين على الأندلس في مدة ولده أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وله اصلاحات كثيرة في أشبيلية وهو الذي بنى جامعها وأقام جسر ها . وأتى من بعده ولده المنصور يعقوب فأكمل الجامع بحيث أصبح لا يضاهاه شئ في الدنيا . وقد حارب المنصور يعقوب (الاذيفونش) ومعه ملوك

النصرانية فانتصر عليهم انتصارا باهرا في واقعة الكرك الشهيرة وفتح كثيرا من الحصون والبلاد التي كانت في أيديهم ومازال يتقدم في الفتح حتى طلبوا اليه الصلح فصالحهم على خمس سنين وذلك في سنة ٥٩٢ هـ وقد ذكر المؤرخون أن من قتل في هذه الموقعة من الافرنج أكثر من مائة ألف . أما ما غنمه المسلمون فيها فهو شيء لا يحصى الحصر ولا يحيط به العدد حتى أصبحت العرب تباع الأسير بدرهم والسيف بنصف درهم والجار بدرهم والفرس بخمسة دراهم وبعد هذه الواقعة استولى المنصور على طلمنقة . ثم قصد طليطلة وهي عاصمة (الاذيفونش) وحاصرها . ولما لم يبق غير نزول من فيها على إرادته نزلت والدته (الاذيفونش) وبناته وحرمه واستغاثوا به وبمروته فأكرم مشاهن وأعادهن إلى مقرهن معززات مكرمات وعاد هو إلى بلاده بالنفائس التي لاحصر لها

ولمات يعقوب المنصور سنة ٥٩٥ هـ استولى بعده ولده أبو عبد الله محمد الناصر فأجاز إلى الأندلس عام ٦٠٩ هـ بجيوش من العرب يقتربونها بستائة ألف . هنالك أعلن البابا الحرب المقدسة فهرعت جيوش النصرانية من إيطاليا وفرنسا وألمانيا واتحدت جيوشها في إسبانيا واستعدتوا الملاقاة الناصر بسهول (نافاد) و (تولوزا) وهي قرية تبعد عن قرطبة شمالا بمائة وأربعين كيلومترا . وكان الناصر قد أعجبه كثرة جيوشه فأخذ يفتك في طريقه برجالات (الأندلس) بإيعاز وزيره ابن جامع الذي أراد أن تكون له وحده الكلمة في البلاد وقد أهل الناصر رؤساء الأندلس ولم يستشرهم في أمر عدوه وهم أدري الناس بالجهة التي يأخذونه منها . ومازال حتى التحمت جيوشه بجيوش النصرانية في موقعة يسمونها موقعة العقاب لكثرة ما كان فيها من العقبات التي كانت سببا في خذلانهم وانتصار الفرنجة عليهم انتصارا باهرا تمزقت معه جيوش المسلمين على كثرتها بحيث لم ينج منهم غير القليل . وفي هذه الواقعة ظهر كوكب نحس المسلمين في الأندلس وغربت شمس سعادتهم والله تعالى غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وعلى أثر هذه الموقعة مات الناصر فبايع أهل المغرب ولده يحيى فليجأ أخوه المأمون ابن الناصر إلى ملك (قشتالة) يستنصره على أخيه وعلى الموحدين فاشتراط عليه شروطا جمة . منها أن يعطيه عشرة حصون يختارها هو مما في يد المسلمين مما يلي بلاده وأن تبني له كنيسة في صراكش وجهاز له جيشا من الفرنجة دخل به أرض المغرب وهنالك جمع المأمون شيوخ الموحدين وقتلهم صبرا وكان عددهم أكثر من أربعة آلاف نفس ومن هذا الوقت أخذت الأطراف تثور عليه في المغرب وأخذ حكم الموحدين في الضعف

وفي هذه الأثناء استولى الفرنجة على قرطبة ثم على جزر البليار وبلنسية واستولى أسطولهم على (سبتة) وغيرها من سواحل المغرب ثم استولوا على أشبيلية . ومازالوا يستولون على بلاد الأندلس وحصونه حتى لم يبق مع المسلمين غير (غرناطة) التي بقيت في يد بني الأحرار لضعفها وكثرة أهلها لأن سواد البلاد التي كان يقصدها الافرنج كانت تلجأ إليها ومع هذا فقد كانت تدفع الجزية للملك قشتالة

ولما استولى بنو مرين على المغرب كان بنو الأحرار يساعدون الفرنجة عليهم كما كان بنو مرين يقفون أحيانا مع ملك قشتالة على بني الأحرار . وما زال ملك بني الأحرار قائما بغرناطة حتى حصل الخلاف بين أبي عبد الله بن أبي الحسن وأمه إسبانية وبين عمه على الملك انتهى بتغلب الفرنجة على غرناطة في سنة ٨٩٢ هـ الموافقة لسنة ١٤٩٢ م وبه انقضى ملك المسلمين بالأندلس وانطوت صفيقتهم . وسبحان من له الملك يؤتية من يشاء وينزع من يشاء . ذلك كله لأنهم مترفون وقد فسقوا وعصوا ربهم . انتهت اللطيفة الثامنة

﴿ اللطيفة التاسعة في قوله تعالى - من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد - ﴾

هذه الآيات جاءت كالحتم لهذا المقام كله لأنه مبتدأ بما يفيد أن الإنسان عجول يدعو بالشرّ دعاءه بالخير ثم ذكر الطرق التي تجعله غير عجول كالعلوم الرياضية والتفكير في أمر النفس وأمور السولة . ولما تم الكلام

في ذلك أخذ يشرح النجاة التي كان الكلام مسوقا لها وأعطى قاعدة عامة وهي أن النتائج على مقتضى المقدمات فالأعمال الجسمية نتيجهتها الأمور الجسمية والأعمال العقلية نتائجها الأمور العقلية . والأولى مصيرها للقضاء والثانية مصيرها للبقاء وليس يقوم أحدهما مقام الآخر . فأمر أن اصراً درس العلوم والأخلاق وعمل بهما وواظب على ذلك ثم هوى في الوقت نفسه قد أغفل الرياضة البدنية فلم يش في خلاء نقي . أو أهمل مضغ الطعام جيداً . أو لم يحافظ على قوته العقلية ففسد رفيفها بكثرة الكلام والضحك . أو تعرض للبرد . أو كان جسمه معرضاً للأمراض الباردة فأخذ يمشى على شطوط الأنهار والحدائق مثل من لم يكونوا مستعدين لذلك . فقل هذا تصيبه الأمراض تكمل النفس وضعف الأعضاء في الحركات في الأول وسوء الهضم في الثاني وضعف القوة المفكرة في الثالث ومرض (الروماتزم) في الرابع

فهل أنتج الصلاح والعلم نتيجة في غير ما خلقا له . وهل صحّ البدن بهما . كلا . فنتيجة العلم والصلاح آثار خاصة بهما لاتستأدها إلى صحة الأجسام . وهكذا لو أن اصراً حافظ على جسمه فضغ الطعام جيداً ولم يزد ولم يخط أصنافاً كثيرة وكان في غاية البساطة مأكلاً ومشرباً وحافظ على الرياضة واحترس من كثرة الكلام والضحك حفظ عقله وجسمه واقتصر على ذلك . فهل ذلك ينفعه في العلم وهو لم يدرسه . كلا . فالثمرات توابع الشجرات فلا شجرة تثمر ما ليس من ثمراتها . هكذا أعمالنا إذا كان متعلقاً بالعاجلة فثمرتها في العاجلة وما كان في الآجلة فهو لها . ولا جرم أن الناس درجات في الأعمال والآراء والعلوم والثروة وأوضح شئ في هذا العالم الثروة فلوانك جمعت الناس في صعيد واحد لم تجد اثنين يتساويان ثروة فلا بد من التفاضل ولو قليلاً واذن يمكن أن يكونوا سلسلة لها أدنى وهو أفقر الناس وأعلى وهو أغناهم وهم جميعاً بين هذين . هكذا حكمهم في الجمال وفي العلم وفي الصلاح وفي الأخلاق وهكذا . فهذه درجات بعضها فوق بعض . هكذا سيكونون في الآخرة درجات باعتبار ما انطبع في نفوسهم من العلوم والأخلاق وهم درجات إنما التفاوت هناك أشد والدرجات أكبر . هذا ملخص هذه الآيات . انتهت اللطيفة التاسعة

﴿ اللطيفة العاشرة - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه - الخ ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابي قال أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك فأدناك رواه البخاري ومسلم وروى مسلم حديثاً آخر قال رسول الله ﷺ ﴿ رَغِمَ أَنْفُهُ رَغِمَ أَنْفُهُ رَغِمَ أَنْفُهُ قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ﴿ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال أحى والذاك قال نعم قال ففيهما فجاهد ﴾ انتهت اللطيفة العاشرة

﴿ اللطيفة الحادية عشرة - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً - ﴾

إن تفسير هذه الآية جميع الشرائع والعلوم فكيف نقول فيها إلا ملخص ماضى

﴿ اللطيفة الثانية عشرة - وإن من شئ إلا يسبح بحمده - ﴾

اعلم أن بعض الحكماء مثل الشيرازي في كتابه ﴿ الاسفار ﴾ في علم الحكمة قرّر أن هذا الوجود كله حي ولا معنى للوجود بغير حياة وأن الحياة على مقدار اشراق أنوار الوجود الأعلى على الخلق فلا إنسان وللحيوان ولنبات حياة أي أن هناك نوعاً من الشعور وهكذا الجسد له نوع من الشعور أقل لأنه أفيض عليه من الحي . هذا ملخص ما أطال به . وأنت تعلم أن الأدلة لاتكفي ونحن يصعب علينا تصديق ذلك إلا ببراهين أبهى وأدلة أوضح فلذلك ترى العلماء يقولون على أن التسبيح للعوالم إنما هو دلالتها وهو تسبيح بلسان الحال لا بلسان المقال ويظهر أثر التسبيح فعلاً لأهل الرياضة والنفوس التي شغلت بذكر الله فهو له حقاً إذا

سمعوا هبوب النسيم أو صرير الباب أو موج البحار أسرع إلى قلوبهم معان يقصر دونها التسبيح اللفظي ويرون لذّة ليس يدركها الذين لم يشوقوها فتسبيح العالم الذي بلسان الخيال قد انطبع في نفوس هذه الطائفة وأعطاهم معاني تدلّ على التسبيح وتؤدّي مؤداه . هذا لا يحتاج إلى برهان بل يرجع إلى الوجدان وليس يصدّق به إلا أرباب الوجدان ولكن ليس في ذلك أن الجناد نفسه يسبح غاية الأصرانه يكون سبباً في حدوث التسبيح في نفوس المسيحيين . أما كون المخلوقات نفسها تسبح وتعقل ما تقول فهذا ليس في مقدور الناس تصديقه والناس يرون في ذرات الماء وصريره وهبوب النسيم وزئير الأسد ومجائب الأرض والسماء من المعاني ما يجعل عن الوصف - يسبح له مافي السموات ومافي الأرض -

فأما ماورد عن ابن عباس أن النبات والحيوان يسبحان فذلك يؤمن به لأنه مسموع مسلم به إن صحّ

﴿ كيف يتجلى لك تسبيح السموات والأرض ومن فيهن ﴾

اجلس في الخلوات ودع الأعمال ولتسكن الحركات وتنظر فيما أمامك من حقل أخضر ونبات أزهر يأتلق رجال بهيج وشجر نصير ونخل ظليل وأثل طويل وسرو سحيق وكأل يزبن وقد هبت النسيمات وفاءت الأفياء وتقلب الزرع ذات البين وذات الشمال وغنت الأعواد بنغمات مشجية وانماق عتده وتمايلت عجا وتنبها وتناوحت تناوح الحمام واعتنقت اعتناق العشاق وطنّت الحشرات بمختلف الأصوات والظاير فوق الأفان تصدح بالألحان والكون يرقص طرباً والأرض تزدد عجا والسماء ترسل الضياء في فسيح الأرجاء والوحش في الفلوات يقتنص السخالات . فاذا جنّ الليل وأرغى سدوله تبدلت الأرض غير الأرض والسماء غير السماء وطويت صحائف النهار وأسدل عليها الستار وأقبلت عرائس الليل سافرات الوجوه مشرقات المصابيح ناعسات الطرف مرسلات نوراً بتسامهنّ على الأحياء في الأرض أن هلموا إلى والظفروا جلالى فتعالوا اتل ما أنعم ربكم على من جمال وبهاء وحسن وفضارة وقد حشركم في الأرض وزوى نور الشمس عنكم ليالى وليالى لتتوفروا على النظر إلى وتعلموا أن هذا الجلال هو الذي سترونه بعد الموت حين تغرب شمس أرواحكم فتصلون في العالم الثانى إلى جمال وسكون وبهجة نحن نمثلها الآن تمثيلاً . فلياتكم كضياء النهار وموتكم كظلمة الليل تشرق عليها المشرقات المنعشات الأنسات وتتجلى لكم أوانس العالم الجليل عالم الأرواح فانكم اليوم تشهدون مشهداً جليلاً يعرب لكم عن المشهد الذى ستلاقونه بعد الموت وشتان ما بين المشهدين . فهذا نور واشراق جسمى وذلك نور واشراق روحى مع الملائ الأعلى . انهم أرسلونى اليكم تبشيراً بمستقبلكم وطليعة لسمادكم وفرطاً لأنسكم فنعجن الأوانس وأتم المستبشرون فاقبلوا نعمة الجلال واستشعروا الجلال واذكروا ذلك في الأجيال . هذا نظامنا المتقن بحساب المرقى للألباب

هنالك أيها الذكى تفهم لغة العواصف والريح وقصائد الورد والتسبيح . وهنالك تفهم شيئاً من التسبيح

﴿ جوهره لتذكرة معنى هذه الآية فيما تقدّم في سورة هود عند قوله تعالى على لسان هود

- إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو خذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ﴾

تقدّم هناك معنى الصراط المستقيم . صراط الله وصراط الذين أنعم الله عليهم وتقدّم هناك معنى تسبيح كل شئ ونحن محجوبون عن فهمه فارجع إليه ان شئت . ولكنى أزيد هنا بعض إيضاح للمعنى فاقراً ذلك هناك ثم انظر إلى ما أقوله لك الآن . وسترى أيضاً فيما سيأتى عند قوله تعالى - قد أفلح المؤمنون - بعض صور الحيوان المرسومة بالتصوير الشمسى الدالة على أن لون الحيوان إنما خلق لحمايته بحيث يكون بعضه مماثلاً للون الرمل والحجارة التى يعيش عليها أولون الليل الذى يخرج ويأكل فيه أولون الورق الجاف الذى يقع عليه أوجدوع الأشجار التى يلجأ إليها أو تكون رأسه ورجلاه وصندوقه أشبه بأفرع الأشجار وجناحاه يشبهان الورق وهما ماوانان بلون ما يحيط بهما من الزهر بحيث لا يشك من يرى ذلك الحيوان أنه عبارة عن غصن ذى أوراق

وهكذا مما لا حصر له سبق ذكره هناك وسيأتي ذكره وصورته وقد قلنا هناك ان هذا هو تسبيح هذه المخلوقات وحدها لأن هذا دل على عدل الله وتنزهه عن الميل عن الصراط المستقيم فلم يكن اعطاؤه للفأر لون السواد لظلمه ولا للطائر الأمرىكى اللبلى المذكور هناك لون البياض والذيل الطويل تفصيلا له شلى الفأر . كلا . بل سواد الفأر ينفعه في اختفائه عن العيون ليلا و بياض هذا الطائر ليكون هو مع طول ذيله علما لأعدائه فلا تقربه لعلمها بما له من راحة منقنة يطلقها عليها فيكون ذلك العلم راحة لهذا الطائر ولما يريد اقتناصه من الحيوان . فهذا غيظ من فيض من ذلك المقام . ثم نقول . هذا هو التسبيح وهذا هو التحميد الذى لم نفهمه في قوله تعالى - ولكن لا نفقهون تسبيحهم - وكيف نفقه تسبيحهم إلا بالعلم المذكور في آية الأنعام إذ يقول - قل هل عندكم من علم الخ - فهذا العلم الذى فتح بابه في هذا التفسير لاسيا هذا المقال هناك عرفنا تسبيح كل شئ إذ يقول الله - سبح لله مافى السموات ومافى الأرض - . فهأنت ذا رأيت الله قد سبحانه أى نزّهناه عن الجور والظلم فلم يظلم الفأر بسواده ولا الحية بلونها الضعيف الذى ليس كاون الطاووس فاذا اسود الفأر ولبس الحلة الزنبور فسكلاهما قد دفع عنه الشر بما اتصف به

(١) فالتسبيح كالتسبيح بقاء الحيوان ودفع الشر عنه

(٢) فهذا تنزيه لله عن قصد الاذلال

فاذا سبح لله مافى السموات ومافى الأرض . واذا كانت الملائكة يسبحون بحمد ربهم . واذا كان أهل الجنة آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فإن ذلك كله يرجع الى هذا النظام الجليل . إن الفأر وان الزنبور وان الدب القطبى وان الطائر اللبلى الأمرى وغير هذه مما يعد بمئات الآلاف لو أعطيت ألوانا وأشكالا غير ما لها لكان وبالا عليها فهذا تنزه الله عن المحابة بل عمله متجه الى حفظ هذه الحيوانات فهو منزّه عن العبث باعطاء ما لا فائدة منه لهذه الحيوانات وعن المحابة وفى الوقت نفسه أعطى نعمة . فاعطاء النعمة مقرون بدفع المضرة فهو منزّه عن ما لا فائدة منه معطى نعمة البقاء والهناء . إذن التسبيح والتحميد مقرونان فى قرن فهذا هو تسبيح مافى السموات ومافى الأرض وهذا هو التسبيح قد ذكر ملتبساً بالحمد . يقول الله تعالى - وان من شئ إلا يسبح بحمده - فهأنت ذا رأيت التسبيح مقرونا بالحمد لا يفترقان فستحيل أن يدفع ضرر بالاجلب نفع للمدفع عنه كما رأيت

﴿ موازنة بين تسبيح اللسان وحده وبين تسبيح المخلوقات ﴾

يسبح الناس بألسنتهم وتسبح المخلوقات بأوصافها وألوانها . فماليت شعرى أيهما أصدق . لاجرم أن التسبيح العملى أفصح من التسبيح اللفظى . والملاطف بالتسبيح قد يغفل عن معناه وهكذا التحميد . أما صور هذه المخلوقات فانها ناطقة اطلاقا يفقهه الحكماء بالحمد والتسبيح . واعلم أن التسبيح الحقيقى من العقلاء كالانسان والملاك لن يكون إلا بمعرفة أمثال ما ذكرناه . فتسبيح كل شئ هو التسبيح الحقيقى فاذا عرفناه فقد سبحنا وحدها . فهذه الصور الحيوانية الدالة على التسبيح والحمد اذا قرنت بالتلفظ بهما كان الحمد والتسبيح حقيقين وهذا هو الذى جاء فى معنى قوله تعالى - فسبح بحمد ربك - مخاطبا رسوله ﷺ قرن التسبيح بالتحميد كما قرنهما فى تسبيح كل شئ فى آيتنا التى نحن بصدد الكلام عليها

يقول الله لرسوله ﷺ ليكن تسبيحك وحمدك مقترنين كما اقترنا فى تسبيح كل شئ . ولا يكون ذلك إلا اذا كان الوجود مثلاً أمامك على هيئته التى تقدم ذكرها (ذكر بعضها فى هذا المقام) وهكذا فى تسبيح الملائكة قال - والملائكة يسبحون بحمد ربهم - أى انهم عالمون بابداع هذه المخلوقات التى كلها تسبيح وتحميد عملى . ولا جرم أن العلم بالشئ حضور صورته فى الذهن . إذن تسبيح الملائكة وتسبيح الأنبياء بحضور أمثال ما ذكرناه من المعانى فى الحيوان أو النبات أو غيرها

﴿ الكلام على قوله تعالى - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - ﴾

قد يقول قائل إن الله يقول - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - والمخاطب بذلك جميع الناس فكيف يعقل أن ما لا تفقهه تسبيحه هو الذي يكون بتصوره وتعقله التسبيح . إذن بمقتضى نص الآية يستحيل على الناس أن يعقلوا هذه المعاني

﴿ الجواب على ذلك ﴾

اعلم أن هذا الخطاب وإن كان عاما فقد خصص في آية (آل عمران) . يقول الله - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فأنه يشهد أنه واحد لا شريك له . وأنه قائم بالقسط والعدل وهكذا الملائكة يشهدون بالأميرين وهكذا أولو العلم أي الدارسون لهذا الوجود على نحو ما قررناه . إذن الدارسون لهذا الوجود مستثنون من المخاطبين الذين لا يفقهون تسبيح هذه المخاوفات . فثبت إذن نقلا كما ثبت عقلا أن النوع الانساني إذا عرف نظام الحيوان ودقته كما ذكرناه هنا وفيما مضى وفيما سيأتي يكون مسبحا حامدا ويكون العارفون بهذا مسبحين حامدين ويكون التسبيح والتحميد اللفظيان مذكرين بهذه المعاني . فإذا قال المسلم ﴿ سبحان الله والحمد لله ﴾ عقب كل صلاة ثلاثا وثلاثين . وإذا قالها المسلم عند نومه كذلك بهذا العدد . وإذا قال المسلم في الركوع ﴿ سبحان ربي العظيم ﴾ ١١ مرة أوفى السجود ﴿ سبحان ربي الأعلى ﴾ ١١ مرة أيضا . وإذا كرر ذلك في كل صلاة واجبة أو مسنونة وكان العدد مئاة ومئاة كل يوم فغنى هذا كله أنه يدرك الأسرار التي ضربنا لها الأمثال هنا وفيما مضى وفيما سيأتي من العلوم المنتشرة في الدنيا كما كان ﷺ يقوم في آخر الليل وينظر في السماء ويقرأ آيات آخر (آل عمران) . كل ذلك قبل صلاة الليل . لماذا هذا . ليتدكر ذلك في تسبيحه وتحميده ويكون الوجود حاضرا مجالا في عقله فيسبح ربه ويحمده مراعيًا نحو ما قررناه ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ليدلنا على أن تسبيحنا الحقيقي وتحميدنا الحقيقي لا يكونان إلا بعد النظر في الوجود ونظيره هو ﷺ مجرد لمح لأنه ملوّه علما . أما نظرنا نحن فليتمن جميع العلوم التي ملأت الدنيا اليوم لأن الله عامه بالرحي ونحن لم يعلمنا الله بالوحي ولكن أمرنا أن نتعلم تعلما عمليا بعقولنا . وقوله تعالى - قائما بالقسط - أي العدل في النظام هو عين قوله تعالى - إن ربي على صراط مستقيم - الذي ذكره هود عليه السلام في معرض التوكل على الله وفي معرض أنه أخذ بنصية كل دابة . وأنت تعلم من هذا التفسير أن ذلك راجع لاعطاء كل ذي حق حقه من الحيوان فلا يعطى الحية لون الطاووس لئلا يكون هلاكها ولا الضب لون الزنبور لئلا يكون هلاكه . فبين إذن أن المسامحين تسليمهم أن يدرسوا هذه الدنيا ليكونوا في الدنيا سادة وفي الآخرة مع الله ومع الملائكة والنبين وذلك بالعلم بحقائق هذا الوجود . ودينا اعترض بهض الاخوان فقال . إذن جميع التسبيح والتحميد من أزمان النبوة إلى الآن لا ثواب فيه وقد مضى ١٣٠٠ سنة فأكثر والناس لم يلاحظوا هذه المعاني . إذن كل تسبيح كان باطلا وهذا لا يترك عليه عالم في الاسلام . فقلت له ان الذكر اللفظي يكفي المعنى الاجمالي فيسكني الذكر أن يتصور معنى اجاليا وهذا موجود عند جميع المسامحين بل ان الذي غفل قلبه عن المعنى الاجمالي يكون تكرار التسبيح والتحميد وقتا فوقتا مما يلفت الذهن الى الله وجلاله . فكل تسبيح من جهال المسامحين وكل تحميد وكل ذكر لها آثار في القلوب مشهودة . هكذا قراءة القرآن وتكرار الصلوات والعبادات . كل هذه سبب في استحضار الله في النفوس وهذا الاستحضار له فعل عجيب في النفوس وآثاره مشهودة معلومة . على ذلك درجت الأمم في الديانات قديما وحديثا وهذه فضلا عن لفت القلوب لحب الله بكثرة التكرار تجعل القلوب مستعدة لهذه العلوم عند قراءتها . وإذا كنا نرى المرأة التي استحضرت في ذهنها الضفدعة لشدة خوفها من الضفادع قد تحوّل ولدها في رجبها نوعا ما الى هيئة الضفدعة كما تقدم في هذا التفسير . وإذا رأينا قدماء المصريين كانوا يأتون بصورة العجل المعبود الذي له لون خاص

وعلامه أشبه بالثلث على جبهته فيضعونها أمام بقرة في حال حملها ثم يكون نتيجة ذلك أن يولد الجمل على الهيئة التي رأتها أمه فيجملونه إلهًا . أقول إذا كانت هذه هي هيئة النفوس الحيوانية فلا جرم أن يكون استحضار الله في القلوب بالتسبيح والتحميد داعيًا إلى حبه ويكون ذكره في القلوب ورسوخ الربوبية في الأفتدة ولذلك نتائج صادقة مشاهدة معروفة في الدنيا ثم هذه تكون ملازمة للروح في العوالم الأخرى ومن عجب أن هذه هي التي ورد في القرآن ما يفيدها إذ رأى زكريا صريم وهي لم يمسها الرجال وكانت سيدة النساء وعابدة فدعا الله فجاء له يحيى على صفات كصفاتها فهو سيد وهي سيدة النساء وهو حصور لا يأتي النساء وهي مثله مع الرجال وهو مصدق بنيسى وهي كذلك كما تقدم ذكر هذا في (آل عمران)

انما جاء ذلك في القرآن ليرينا الله أن النفوس آثارا ومن ذلك التسبيح والتحميد مع جهل هذا الوجود فلهما آثار في العقول ولكن هناك طائفة أرقى وهم أولو العلم الذين هم مع الملائكة ومع ربهم ويشهدون هذا النظام والحمد لله الذي ألهم وعلم

ولما وصلت إلى هذا المقام اطلع عليه من اعتاد من الاخوان أن يقرأ مسودات التفسير فقال هذا القول مشبع وجيل وقد ظهرت حقائق ما كنا لنذكرها ولكن أريد أبين من هذا . قلت ماذا تريد . فقال أريد أن أرى من القرآن ما يشبه النص على ما نقول أي ان التسبيح والتحميد الحقيقيين انما يكونان بادراك حقائق الوجود مع عاى انك أقررت بأن تسبيح العامة وتقديسهم وان لم يكن مقرونا بالعلم له فضل عظيم . ولكن أريد التحقق من مقام الحكماء وأولى الأبواب الذين ذكرت أن تسبيحهم لابد أن يكون مع العلم حتى يكونوا أقرب إلى ربهم وإلى ملائكتهم وإلى أنبيائهم . فقلت ألم تقرأ قوله تعالى - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون - . أليس ترى انهم سبّحوا الله مساء وصباحا وعشيا وظهرا وأتى بجملة بين الصباح والمساء وبين العشي والظهر وهي انه محمود في السموات والأرض . ولا جرم أن كونه محمودا في السموات والأرض التي أتى بها بين صلواتنا في الذكر لحكمة أن تسبيحكم يستحسن أن يكون مع ادراك الحمد المرسوم في صور السموات والأرضين الذي تدركه عقولكم والا فلماذا أتى بهذه الجملة بين صلواتنا الخمس كأنه يقول لنا ان تسبيحكم وصلواتكم بينهما وبين العوالم المحيطة بكم مناسبة وهي انكم تدرسون هذا الوجود قبيل الرحيل إلى السموات التي استعدتم للعروج اليها طبقا عن طبق حتى تصلوا إلى لقاء ربكم وتكونوا مع الملائكة في أعلى عليين وذلك لا يكون إلا بالعلوم . فقال حسن جدا . فقلت الحمد لله رب العالمين

﴿ التسبيح والتحميد وظواهر الصلوات وقصص الأولين في الكتب السماوية أشبه بأشجار

نمازها الحكمة والعلم ﴾

التسبيح والتحميد باللسان مثلها كمثل أشجار البساتين المزهرة . فانظر عاكف الله لهذا العالم الذي نعيش فيه . خلقنا بأجسام ذات أعضاء وحواس وأحشاء وأطراف . ومست الحاجة إلى طعام وشراب فسكان هناك نفس داخل وخارج . داخل بما يصلح الدم . خارج بما هو ضار . فهو اذن داخل مدخل صدق وخارج مخرج صدق . جالب خيرا في الأول ودافع ضرا بالثاني . انظر هنا قليلا . انظر إلى هذا الداخل والخارج لاصلاح الجسم ودفع الضرر عنه وإقامة بنيانه . لم يرد الله أن يذرك ذلك الداخل والخارج بلا عمل آخر في دخوله وخروجه نطق له هذه الأسنان واللسان والشفتين والخلق الخ . ففي أثناء دخول الهواء وخروجه يتميز على حسب هذه الأعضاء فيكون حروفا وحروف كلمات والكلمات تعبر عن هذه الدنيا كلها وعن الآخرة الله أكبر . هذا العالم الذي نعيش فيه أشبه بصورة جميلة جاء المصورون من كل فج عميق لينسخوا صورتها وهم آلاف آلاف أفواجا أفواجا لا ينقطع عددهم ولا مدهم من يوم أن خلق السموات والأرض إلى

قيام الساعة . أتدري ما معنى هذا . معناه أن الألفاظ المعبرة عن هذه المخاوف ترصد في الكتب وتقال في القصائد وتذكر في المجالس فيتصور كل واحد من الناس هذه الدنيا على مقدار ما سمع من القول وما علم بالحواس ومافكر بالعقل . إذن كل امرئ في الدنيا قد صور له هذه الدنيا بصورة ما أي أن كل دماغ أشبه بالخزانة المظلمة وفيه لوحة قد رسمت فيها كل ما يسهفه أو يراه والكلام الذي سببه الهواء يضع في النفس صور المعلومات علويها وسفليها . جلّ الله وجلّ العلم . نفس داخل وخارج لاصلاح الجسم حل معه صور العالم الذي نميش فيه فرسمت في دماغ كل امرئ . إذن هذه الدنيا لها صور لا عدد لها تقال باللسان في عالم الهواء وترسم في الدماغ . فإذا كان هذا العالم واحدا فهو آلاف وآلاف في آلاف بالصور المتخذة منه بالكلام وبالصور العقلية

﴿ آثار الكلام ﴾

للکلام آثار في القلوب . فبه بلغ الأنبياء . وأثر الخطباء . وبه ارتقاء الأمم وعظمة الدول وحفظ آثارهم في هياكلهم وكتبهم وحفظ الشرائع في الطوامير و بطون الدفاتر . فللكلام آثار وأثره تلك كلها قد جاءت تبعا لاصلاح الجسم بالهواء داخلا وخارجا . لا عجب إذا كان للتسبيح والتحميد والصلوات آثار في نفوس المسيحين الخاملين . ولا عجب إذا قلنا إن هذه التسبيحات والتحميدات بساكنين . وهل بعد مقال الروحى مقال . ألم يقل ﷺ في حديث الاسراء محدثنا عن الخليل عليه السلام قال يا محمد بشر أمتك بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وغراسها سبحان الله والجد لله الخ . إذن التسبيح والتحميد أشجار والأشجار لها أثمار . وما أثمار التسبيح والتحميد ياترى . أثمارها المعرفة والعلم أى أن يعرف المرء أن الله منزّه عن وضع الأشياء في غير مواضعها وهو مع ذلك محسن كريم . إذن الهواء في الزفير والشهيق يمثل التسبيح والتحميد فالشهيق يمثل التحميد لأنه يدخل النافع والزفير يمثل التسبيح لأنه لاخراج الضار . فإذا رأيت سبجانه قد جعل لون الحية أشبه بما حولها فهو بذلك دفع عنها غوائل ما يهلكها وحفظ حياتها فدفع الغوائل يشير له التسبيح وبقاء الحياة يشير له التحميد والأول كالزفير والثاني كالتحميد . الله أكبر . جلّ العلم وجلت الحكمة وجلّ الله . أليست هذه المعاني هي التي ورد بها الحديث في وصف أهل الجنة ﴿ يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون أنتم النفس ﴾ فانظر لذة المعنى وتجب لالهام النفس المشتعل على الدفع والنفع وللتسبيح المشتعل عليهما . اللهم انك أنت المعلم والمعلم . تبين من هذا أن التسبيح والتحميد ان تبعهما العلم العام كما في هذا التفسير فيها ونعمت وإن لم يتبعهما ذلك كانا أشبه بأشجار وأزهار من غير ثمر والأشجار والأزهار لها منافع الظل وجمال الزهر ومنافع أخرى . والمسيح الجاهل له في التسبيح منافع كثيرة فهو في أداء ذلك نزه نفسه عن الغيبة والغيبة وقول الزور . وأيضا بدخول النفس وخروجه تتأثر الأعصاب بالمعاني التي حملها الكلام فتسرى الى الروح سرعان الضوء في الأثير فتصل الى الروح آثار نورية فتكون أشبه بنور الشمس والقمر في العالم المادى ومن رأى نور الشمس والقمر اهتدى بهما وإن كان لا يدرك نظامهما وحسن انقار جزيهما . فمثل المسيحين الخاملين كمثل الناظرين للألوان . فالعامة والجهلاء ينتفعون بنفس الضوء والعلماء والحكماء يدركون سر سير الشمس والقمر . هكذا هنا فظواهر التسبيح تفيد نورا في القلب اجاليا ومعرفة العلوم تفيد معرفة الحقائق التي تدخل تحت التسبيح والتحميد . وتسبيح الناس في الجنة وتسبيح الملائكة وتحميدهم انما يرجع كل ذلك الى العلم والحكمة المستفادين من قوله ﴿ يلهمون التسبيح والتحميد الخ ﴾ والالهام للمعاني وتبقيها الألفاظ . ومثل ما ذكرت في التسبيح والتحميد يكون الكلام في قصص الأنبياء في القرآن فالعامة يفرحون بظواهر القصص والحكماء والعلماء لا يبقون على الظواهر . العامة بنفس القصص يفرحون والعلماء والحكماء يستخرجون السر من البحار ويعلمون أن المقصود ما هو مكنون في ذلك القصص

كما رأيت في سورة هود إذ بدأها بذكر عالم الطيوان وأن الله عليه رزقها وأعاد الكرّة بذلك في قصة هود إذ قال - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - وقد تقدّم هناك ذلك فكان المقصد من قصته أخذ الله بنواصي كل شيء كما جاء في مبدأ السورة . وهكذا هنا في سورة الاسراء ذكر انه أسرى بعبد له - ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . ولما كان ذلك أمراً يرجع الى خلوص الروح وشرفها أو ما الى ذلك بذكر أن الروح من أمر ربي ليتبين للناس أن النفوس ترجع الى ربها والنبوة نبراس ذلك الرجوع - وان الى ربك المنتهى - وهذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها تحوم حول هذا المعنى فان من يفقه التسبيح هو الذي يصل الى الله ومن لم يفقه فهو محجوب

﴿ تذييل . آثار كلام الناس وآثار كلام الله ﴾

هذه آثار كلامنا . آثار كلامنا صور في الأذهان أي صور ما نتكلم به . فاذا نطقنا بافظ شمس أو قر أو شجرة رسمت صورة الشمس وصورة القمر وصورة الشجرة في ذهن من نخطب به . فكلامنا أشبه بالزراع والأذهان أشبه بالمزرعة والصور تحدث في النفوس بمجرد نطقنا بها . ولا جرم اننا من آثار فعل الله وقد خلق آدم على صورته كما في بعض الآثار . فاذا قال الله للشيء كن فان ذلك الشيء يكون ولكن كونه هناك كوناً في العيان . واذا قلنا للشيء كن فبمجرد نطقنا يكون ذلك الشيء ولكن وجوده في الأذهان وهذا قوله تعالى - إنا قولنا للشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون - أي على منوال ما تقولون أنتم . فأنتم تنطقون باسم الشيء فتوجد صورته الذهنية في نفس السامع وأنا أقول كن فتكون صورته الحقيقية فآثاري عملية وجودية وآثاركم ذهنية خيالية . وأقرب شيء لتفهيمنا سرعة خلق الأشياء وطاعتها للأمر هو كلامنا . فكما ان كلامنا لا كلفة فيه وبمجرد حصوله ترسم صور الأشياء هكذا كلام الله ووجود مخلوقاته

﴿ جوهره في قوله تعالى - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحانك اللهم وبحمدك تقدّست أسماؤك وصفاتك وأفعالك . ههنا في هذه الآية ورد - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - والذي قالوه انه معه آلهة فهو منزه عن الشريك وقال في آية أخرى - سبحانه رب العزة عما يصفون - الخ والذي وصفوه به أن خلق السموات والأرض باطل - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا -

إن الله تعالى لم يره ولم ير إلا مصنوعاته . وهذه المصنوعات غامضة على أكثر هذا النوع الانساني . لقد أكثر علماء التوحيد غالباً من التنزيه في الذات والصفات والأفعال ولكن الجمهور لم يزيالوا ذلك العموم ولم يهتد أكثر الناس الى بعض التفصيل والحكم في العالم المشاهد . أكثر التسبيح في الصلاة وأكثر التسبيح في القرآن ويقول الله - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - هذا والله تهيب لمعرفة هذا التسبيح يسبح المسلم ويحمد . ليس الحمد وليس التسبيح قاصراً على ما تصنعون . إن هذا الدين نزل لرقبكم ولم ينزل لمجرد كلمات تقال ولا آيات تحفظ ولا صلوات تقام بلا عقل ولا تفكير . أكثر في الصلاة والتسبيح والتحميد وأكثر في القرآن ذاك الأمران . ألا انما مثل الديانات في الأرض كمثل ﴿ كذبة ودمنة ﴾ الذي ألفه (بيدبا الفيلسوف) الملك الهندي في زمانه قبل الميلاد بنحو ثمانمائة سنة وجعله على ألسنة الأسد والشهاب والحمام والغراب والسحفاة والغزاة والقرود والقبيلة وما أشبه ذلك . فهذا الكتاب ظاهره يتنفع به الجهال يتسلون بالصور التي فيه ويفرحون بأسد يتكلم وتعلب بنم على الثور وثور يسمع النجمة فيظن السوء بالأسد وهكذا الأسد يسمع ذلك فيفتك بالثور ثم تدور الدائرة على النمام وهو (دمنة) فيحكم عليه بالقتل فيقتل . هذه حكايات يفرح بها الجهال ولكن الحكماء لا يقفون عند الظواهر بل يدخلون في علوم السياسة ونظام الأمم والعمران . هذا

كتاب (كلياته ودمته) وهذا قصده ولكن إياك أن تقول إن البيانات على هذا الخط . كلا . وإنما أقول لك أن المقصد من هذا التشبيه أن كلام بعض مخلوقات الله في الأرض إذا كان له ظواهر يكتفي بها العامة و بواطن يفقهها الخاصة فبالأولى ثم الأولى كلام الله الذي لا يقاس بكلام الناس . إن كلام الله أشبه بفعله أن الله يخلق الأشجار المثمرة يستظل بها قوم وقوم يأكلون الأثمار . هكذا هذا القرآن وهذه الصلوات والتسبيحات . يسبح المسلم ويصلي ويحمد فإن كان جاهلا فقد نال مناه لأنه أثناء التسبيح والتعظيم والقراءة وهو غافل عن المعنى قد كلف نفسه عن المعاصي وأيضا يكون حين القراءة أو الصلاة في صورة الطاعة وفي استحضار الخالق وإن كان الكلام غير مفهوم وهناك تكون البركات والآثار على قدر اجتهاد العابد ونيتة فهو إذن كالمتستظل بالشجرة وإن لم ينل الثمرة . الله أكبر ههنا وصلت إلى المقصود من هذا المقال . سبحانك اللهم وبحمدك سبحانك وسبحك مافي السموات ومافي الأرض وذلك لا يعرف إلا بالعلوم التي ملأت الكرة الأرضية اليوم . اللهم إنك أنت القائل - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - والقائل - ثم إن علينا بيانه -

اللهم إن هذا هو زمان البيان وزمان العرفان . أنزلت القرآن وحفظه المسلمون وسبحوا وحمدوا وأكثرهم نائمون . حاربوا علماءهم كالغزالي وابن رشد فأنت قد ألهمت الأمم التي أخذت علوم المسلمين أن تدرس هذا الوجود ففسروه على قدر طاقتهم . وهانحن الآن في هذا التفسير وغيره نسترد الأمانة ونقول - هذه بضاعتنا ردت إلينا - . فإذا قرأنا في تلك العلوم . قرأنا أن كل مخلوق له خاصة بعضها كشف قديما وبعضها كشف حديثا وبعضها سيكشف . وهذا كله هو معنى التسبيح والحمد . انظره في سورة هود عند قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيته إن ربي على صراط مستقيم - وهكذا عند قوله تعالى في سورة الرعد - وفي الأرض قطع متجاورات - في بعض اللطائف التي ذكر فيها ﴿النفثات في الأشجار﴾ هناك ترى في هذا المقام أن لون الحيوان إنما خلق فيه لمنفعته هو . وترى في سورة - قد أفلح المؤمنون - نيفا وثلاثين حالا مذكورة للحيوانات بحيث يكون اللون حافظا لنفس الحيوان وكأن الزنبور مثلا وهو حامل سلاحه وملون بلونه قد نطق بتسبيح ربه أي تنزيهه عن العبث في اختصاص الزنبور باللون الزاهر لما له من السلاح الذي يحميه هذا هو التسبيح حقا . يسبح مافي السموات ومافي الأرض وكل ما فيهما يسبح كما يسبح الزنبور أي أن لونه الظاهر إنما وضع فيه لأنه له سلاح يحميه . ففي هذا اللون نجاته من الهاجم عليه لأن اللون أعلمه به ونجاة الهاجم عليه من الطيور الآكلات الحشرات لأن لون الزنبور أُنذر بها . فالله تعالى منزّه أن يعطى هذا الزنبور لونه بلامنفعة إذ نفس الزنبور تسبيح عملي وقس على مسألة الزنبور كل المسائل هناك فتربها وقرأها وقل في كل منها ما قلته لك الآن

هذا بعض سر التسبيح في هذا المكان وغيره وهكذا في سورة الرعد إذ ترى هناك في القطع المتجاورات أن الماء والأرض والهواء والبخار والأشجار قد اختص كل واحد بعمل وصارت جميعها أشبه بأوتار الموسيقى كما شرحته لك هناك . يرتفع البخار فوق الهواء ويتكوّن السحاب وينزل في أجزاء الهواء قطرات رحة بالناس لتلايها كوا أو يستضرّوا بنزوله مرة واحدة . وهكذا نرى أن لكل حجر وظيفة لا ينفع فيها سواء فلا الملح يغني عن حجر الرحي ولا حجر الرحي يغني عن الجرانيت ولا الماء يغني عن الهواء ولا الهواء يغني عن البخار . فما من هذه المخلوقات إلا له مقام معلوم لا يفيد فيه سواه - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - إذن الماء والهواء والبخار والملح والأشجار الأخرى كل واحد يقول كل واحد منها إن الله منزّه عن العبث في خاقي إذ خلقتي لعمل . إن هذه العوالم ليست مصادفة عمياء بل معقولة موزونة . فهذه لاعبث في خلقها وإيجادها . ههنا اتحد الحمد بالتسبيح فشجرة النخل مثلا تقول إني لا يستغيري مستدي في زمن المحل فاخصاصي بهذه الصفات ليست عبثا وفيها

منافع . فقول النحلة است عبثا معناه أن الله منزه عن عمل بالتدبير وكونها فيها منافع معناه أنه محمود على نعمه . تبين بهذا معنى قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - على قدر طاقتنا وتبين أن هذه المعاني لا تتم لنا إلا بدراسة علوم الأمم المحيطة بنا التي تساهلها من آبائنا . وتبين بهذا أيضا أن المسلمين لن ينالوا هذه المعاني التي توقفهم على حقائق الكائنات وتسببها إلا بعد بذل الجهد في توسيع نطاق المعارف العامة ابتدائية وتجهيزية وعالية . وهناك ينبغ من يدركون خواص الموجودات . إذن لا يتم ذلك إلا بعد ازدهار أنوار المدنية في بلاد الاسلام وقراءة علوم الأمم المحيطة بنا وبغير ذلك لا بقاء للمسلمين ولا علم عندهم ولا تسبيح ولا حمد ويكون أتباع هذا الدين الحكيم حفاظين كلمات لا تدخل عقولهم ولا تؤثر في نفوسهم وينطبق عليهم إذ ذاك قوله تعالى - ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون -

الآن أيها المسلمون كشف الغطاء وظهر السر وأشرق النور - وأشرق الأرض بنور ربها - . اليوم ظهرت أسرار هذا الدين . ومن أجل الأسرار أنه لا تسبيح ولا تقديس على الحقيقة إلا بدراسة العلوم التي عرفتها الأمم حولنا فإن لم ندرسها حق علينا قول ربنا - فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون - إن الساهي عن صلاته لا يعقل المعنى في مثل ﴿ سبّحان الله والحمد لله ﴾ ومن لا يعقل المعنى لا يطلبه ومن لا يطلب العلم جاهل وإن جميع العلوم داخلة في الحمد والتسبيح والويل الذي جاء في الآية حل بالأمم الاسلامية اليوم لأنهم قوم ساهون في عمراتهم وأعمالهم وديانهم . فهذه الصلاة مدراج . فهل عرج المسلمون عليها للعلوم التي فصلها الله في الأرض وفي السماء . ولكن الله يقول - وما كنا عن الخلق غافلين - فهو سبحانه لعنايته بالمسلمين أودع في العبادة التسبيح والتحميد فكرّرهما وملا الأرض بالعالم ثم أظهر هذا التفسير وأمثاله فظهرت الحقيقة وسيقرأ الناس هذا وأمثاله فترقى أولاد مدنهم ومع ارتقاء المدن بالعلوم يكون ارتقاء النفوس بها من حيث ادراك أمثال ما قلنا الآن من أن التسبيح والتحميد ساريان في سائر العوالم وهما معروفان للمفكرين والحمد لله رب العالمين

﴿ التسبيح والتحميد في القرآن لغير الوجود ﴾

هل يعلم المسلمون أن هذه الآية هي اللفظ الذي انتصب حله أهم الأرض قاطبة . التسبيح والتحميد هما مسألة (الخير والشر) . فالتسبيح تنزيه عن فعل الشر أو الاتصاف به والتحميد ايدان بالاتصاف بفعل الخير والشر والخير المذكوران هما موضوع دراسة الأمم كلها . اننا على هذه الأرض نحس بالام ولذات ومحجوب ومكروه . هكذا أبناء آدم من عهده وإن تقدم بحثوا في الخير والشر ونظروا . فانظر في دين المجوس وكيف كان المجوس يقولون إن الذي صنع هذا العالم ﴿ إلهان ﴾ إله للخير وإله للشر . فإذا قيل لهم من الذي صنع العقارب والحيات . ومن الذي أتى بالأمراض والموت فلاجواب لهم إلا أن يقولوا هو إله الشر . ولقد فروا بذلك من أن إلهنا رحيم يصبح فاعلا للشر وانتهى الأمر عندهم على ذلك . إن الناس قديما وحديثا لا يعقون إلهنا رحيمًا ثم هو يخلق الشر . فهذه العقدة حلها دين المجوس بهذا الحل الذي فصل الخير عن الشر وجعلوا أن إله الخير تغلب على إله الشر وصنع هذه الخيرات . هذا هو دين المجوس وهذا الحل يتناول الشرور التي في العالم والتي في نفس الانسان . فإذا قيل لم كانت الزلازل يقولون من فعل إله الشر . وإذا قيل لم كانت الحياة فيقولون من إله الخير وهكذا المرض من الأول والصحة من الثاني

﴿ آراء علماء اليونان في الخير والشر ﴾

ثم إنك ترى أن علماء اليونان بحثوا في الخير والشر ولكن من الجهة الانسانية وحدها . ولقد كان فيهم (الرواقيون) أصحاب (سقراط) و(الاشائون) أصحاب (أرسطو) (اليس) والذي نقل إلينا هو رأي أصحاب الرواق وكلامهم في هذا المقام خاص بالأخلاق . ولقد كان (سقراط) قبل الميلاد بنحو أربع قرون وكلام هذه الطائفة

الرواقية في الاخلاق كان مشهورا في مصر والشام منذ القرن الأول للمسيح ولأقوالهم ما يشبهها في كلام الحكماء والصوفية في الأمم الاسلامية ويرى في الاحياء للامم الغزالي ما يقرب من آرائهم من حيث المباحث الاخلاقية كالعفة والصبر والقناعة والحلم والبشاشة وما أشبه ذلك . واسننا الآن في مقام مباحث الاخلاق وتفصيلها بل نريد الفكرة العامة لهذه الطائفة من حيث الخير والشر . ولقد كنت وعدت أن أكتب (لغزاقس) جميعه هنا ولكن وجدت فيه بعض تكرار مع تقدم في التفسير فلم أذكره واكتفيت بما تقدم في سورة البقرة

﴿ سانحة ليلة الأربعاء ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٧ ﴾

﴿ في صلاة العشاء ﴾

(لم كان التسبيح عقب الصلوات وكذا التعظيم والتكبير)

اعلم أن هذا الانسان خلق على هذه الأرض منذ مئات الآلاف من السنين كما يظن العلماء اليوم ولم يزل يجاهد ويكافح هذه الطبيعة ويكشف مخباياها لاسعادته وارتقاؤه وهذا الدين الاسلامي قد جاء في أواخر القرون وأمر المسلم أن يدعو بدعوات يحفظها للتعبد وهذه الأذكار والدعوات تنفع العابد من حيث ثوابها وثوابها في العبادة واضح فهي تذكره بربه اذا كان جاهلا . ولكن هذا الجاهل يكون في هذا الوجود أشبه بالذباب المذكور في سورة الحجر الذي يقع على بعض الأزهار فيسقطها مستدفئا بها حتى اذا حركها ولقحت خرج منها فاستدفا بغيرها فقد نال دفئا ولكن الزهرة نالت منه حياة . فهكذا العابد الجاهل في أمة الاسلام يسبح ويحمد ويكبر وستأتي أم تسمع هذا القول فيقولون . لم كان التسبيح . ولم كان الحمد . ولم كان التكبير . ولم يقول الله - وأن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - ثم وصف نفسه بالحلم والغفران فعلم هذا العلم وعلم هذا الغفران . وهل كون الله تسبيحه السموات والأرض وكل شيء يتضمن ذنبا حتى يغفره الله ويحكم علينا . هذه الآراء ستقولها أم بعد ظهور هذا التفسير

﴿ الاجابة ﴾

وهؤلاء القائلون سيحيون فيقولون . نعم الله متكلم . نراه كالم النمل والشجر والعنكبوت والذرات وكل دابة وهكذا الانسان أصبحنا نراه يكاءه بالاحرف ولاصوت . ألا ترى اننا ننسج بجوع وبشبع وبسحق وبرحة وبخزن وبهمم وبغم وبخمس وبغير ذلك من أنواع الاحساس والعواطف ثم يقولون بعد ذلك إن هذه اللغات قد علمت آباءنا وأمهاتنا القدماء أن لبسوا الشيا وبزرعوا القطن والكتان وأنواع القمح والذرة وغيرها وسائر الفاكهة . كل ذلك حاصل بسبب تلك اللغة وبى كلام الله الذي يكلم به كل دابة تدب بالاحرف ولاصوت . ومن الكلام الذي عرفه الناس أنواع الأمراض فبسيها ظهر علماء الطب وعلماء البيطرة للدواب في سائر البلاد . ثم ان من بعدنا حين يقولون ذلك يرجعون فيقولون . إذن هذه اللغة صادقة وآثارها واضحة . بها ربت الأم ولدها وزرع الزراع وربى الربى . إذن فلندرس هذه اللغة أى لغة العواطف لنستبين ما صدق منها وما كذب والكذب إنما جاء من قبيل جهلنا نحن إذ جعلنا صفة المنافسة مثلا حسدا فبدل أن نجاهد لنساوي غيرنا نسي في إمانته . وسيقولون إذ ذاك أن الانسان اليوم أشبه بالمجنون الذي يخطو ويضرب نفسه ويكاد يكسر رأسه ذلك لأنه يمش على الأرض ومن جهالته وحقاقته إنه إلى الآن لم يستخرج كل قوة كسب فيه أوفى أرضه أو هوائه فبدل أن يبعث الناس جميعا في استخراج قواهم وقوى الطبيعة التي تكفل لهم السعادة يقاتل بعضهم بعضا ندالة وجهالة وحقا وقلة عقل . نعم الأم الجاهلة قد عطلت قواها وعطلت أرضها وحقا هذه لاحتق لها في أن تستولى على الأرض . هذا حق ولكن الأم التي تهجم عليها أيضا غافلة جاهلة . جميع أهل الأرض اليوم غافلون . ذلك لأن هذه الحاجة كان عليها أن تعلم سكان الأرض التي تدخلها وتجعلهم مساوين لهم في كل شيء ويكون الاستيلاء على الأرض على مقدار المنافع والمقدرة

أما الآن فالأهم كلها لا تزال غير قادرة على حفظ النظام العام . هذه هي اللغة العامة التي لم يتم الناس دراستها الى الآن . فهذا الكلام الالهي الذي ظهر أثره في نوع الانسان قد دخلت فيه آلام كثيرة . آلام لموت الولد ومرضه . وآلام الحرب . وآلام النصب في كسب المعاش . وآلام المرض بل ان أكثر هذا الكلام الالهي آلام . إذن اللغة التي يخاطبنا الله بها كلها إحساس والاحساس متنوع . إذن هذا الاحساس لم يكن لا بدنا بل هو لذتنا . فاذن قول المسلم ﴿ سبحان الله ﴾ معناه أن هذه الآلام لم ترسل لأهل الأرض ظاهرا كالا . بل هي اللسان الذي يفهمونه وليس هناك طريق توصل للحيوان وللانسان منافعها إلا من طريق هذه اللغة . فعلى قادة الأمم بعدنا أن يكونوا جماعات للتفكير في أسباب الآلام العامة حتى يتداركوا ما فرط من نوع الانسان وعلى مقدار الجهل بهذه اللغة يكون العذاب لهذا الانسان . فاذن يجب دراسة هذه الآلام الشاملة لنوع الانسان ومتى أدركها الناس سعدوا . فما هذه الآلام العامة في نوع الانسان من سياسية وجسمية وعقلية إلا مطالبات بالكمال وعلى الناس الدراسة . هذا معنى سبحان الله يعني يا أيها الناس إلى لم أنزل عليكم جوعا ولا عريا ولا غيرهما إلا لتكميلكم فالآلام مقدمات الكمال لا أني أريد تعذيبكم بل تهذيبكم . إذن تسبيح المسلمين يراد به دراسة هذا الوجود . أما التعميد فانه تكميل المسيح فانا اذا درسنا الآلام الانسانية وعرفنا أن القصد منها معرفة مقاصدها . هكذا من باب أولى فلندرس النعم المحيطة بنا فلا نذرهواء ولا ماء ولا عنصر أرضيا إلا درسناه لنستمتع بنعم الله لأن هذه النعم هي المطالب العامة التي لها خلق الله فينا أنواع الآلام . فالآلام تدفعنا للعمل والعمل يبلينا نعم الله التي تحيط بنا وهذه النعم هي المحمود عليها . فاذن يدرس الناس طبائهم فيكونون مسبحين لأنهم اذا عرفوا الحقائق نزحوا ربهم عن قصد إيذاؤهم وعذابهم بلا حكمة ثم يخرجون من ذلك الى تناول النعم فيكون الحمد ثم بعد ذلك يقال لهم أيها الناس انكم لم تؤتوا من العلم إلا قليلا وهذا معنى ﴿ الله أكبر ﴾ هذا هو التسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلوات وهذا بعض سر قوله تعالى - وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - فالجوع يؤلمك وفي الوقت نفسه ينزه الله أن يريد إيذاؤك وانما يرسل الجوع ليدعوك للطعام وبالطعام تحيا فالامك لاسعادك بالحياة فلأن الناس درسوا ما في نفوسهم لأدركوا أن كل ألم فانما هو لصلحة والمسلم يقول في سجوده وركوعه سبحان ربي العظيم وسبحان ربي الأعلى ثم يتبع ذلك بأنه خضع له سمعه وبصره وبأنه سجد وجهه للذي خلقه وصوره الخ كل ذلك من هذا الوادي . فهو يقول ان الله لم يرسل الآلام في الأرض إلا لرحمتنا فلندرس ما لم نفهمه لأن الله يقول - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - * وقد جاء في الحديث ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ﴾ ومثل هذا الفهم من أجل الفقه في الدين لأنه نهاية حكمة الحكماء وعلم العلماء وبعض ما فضل به ابو بكر رضي الله عنه الذي فضل الناس بشئ وقر في نفسه

اذا عرف المسلم هذا ينتقل الى طبائع هذه الدنيا ويدرسها وينظر منافعها ويحترس من المضار ويجلب المنافع وهو معنى الحمد . واذا وصل الناس الى منافع في الأرض فليس معنى هذا انهم قد وصلوا الى النهاية كالا . وهذا معنى ﴿ الله أكبر ﴾ فكما وصل الناس الى نعمة فليعلموا أن وراءها نعمة . واعلم أن أهل الأرض اليوم كلهم جاهلون لأنهم يجهلون ما خلق فيهم من الآلام مع انهم لودرسوها لأعظمهم علما جدا فاذا رأينا الجوع والعري وحسب التزوج مغروسين فينا فلنعلم يقينا أن هذا قصد وحكمة وهذا القصد وهذه الحكمة يجب علينا دراستها تهدينا الى حياتنا بل لنقد الله في ذلك وليكن تعليمنا صامتا اذا قدرنا . وكلما كان التعليم بالصمت كان أقرب الى التفقه والا فنحن ممثلون فكل الطعام ونزوح ونحن مهورون على ذلك ولا ندري اننا مهورون . فماذا لا يفكر أهل الأرض في انهم يكون بعضهم لبعض نافعا بطريق الحب والدافع النفسي كما رأوا أنفسهم يلدون ويأسكون ويشربون وهم يظنون انهم مختارون مع انهم جميعا يجهلون انهم مهورون

على ذلك . اللهم اننا خلقنا في هذه الأرض ونحن لم نتم مقصود هذه الحياة كما قال تعالى - كلا انها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة - الى قوله - قتل الانسان ما اكفره * من أى شئ خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره - الى قوله - كلا لما يقض ما امره - وترى القرآن يذكر أن نوحاً طغوا بعقر الناقة ويقول - كذبت نوحاً بطغواها * اذ انبعث أشقاها - الخ وهذا كله راجع الى جهل نعمة أرسلت اليهم وهي الناقة ولما جهلوا عقوقها وهي نعمة في الحياة الدنيا فعوقبوا . ومعنى هذا أن الناس على الأرض اليوم اذا جهلوا النعم التي أحاطت بهم فانهم للاحالة معاقبون وأكثر أهل الأرض اليوم في عقاب في الدنيا - ولعذاب الآخرة أشد وأبقى -

فليقرأ الناس جميعاً عواقبهم ومنافع أرضهم والله لن يتم ذلك إلا اذا تضافر أهل الأرض على هذه الدراسة ووجدوا الوجهة العلمية والعملية والافهم لا يزالون في عذاب مستمر . وأظن أن النوع الانساني سيقرب منه هذا اليوم - والله يعلم وأنتم لاتعلمون - انتهى

﴿ بهجة العلوم في قوله تعالى أيضاً - تسبح له السموات السبع - الخ ﴾

(من كلام الصوفية)

اعلم أيها الذكي أن الله عز وجل أنذر هذه الأمم الاسلامية بجميع طرق الانذار فلم يدر سبيلاً لتعليمهم إلا سلكه ولا طريقاً لهدايتهم إلا سنها . ذلك لأنه رحن رحيم فهو رؤف بخلقه . ولاجرم أن هذا العالم الذي نعيش فيه من العوالم المتأخرة التي تأتي الهداية لأهلها بطرق خاصة تناسب عقولهم . فانظر ماذا جرى قد عرفت فيما سبق في هذا التفسير أن المسلمين المتأخرين حرموا من العلم بجمال هذه الدنيا وزاد الطين بلة أنه شاع بين المتصوفة أن العلم حجاب وشاعت هذه القضية بين الناس فأصبحت هذه عقيدة معمولاً بها فإذا صنع الله مع المسلمين . جعل بعضهم في آخريات الأمم وساطع عليهم الفرجة فأحاطوا بهم من كل جانب وقبل ذلك ساطع عليهم الصليبيين فخار بوههم . كل ذلك ليوقظهم للعلم والمعرفة لأن العلم هو السلاح العام في كل زمان لاسيما في هذا الزمان فهو السلاح المتين فان السلاح في الحرب نتيجة من نتائج العلم وهكذا سائر أدوات الحرب من سفن وقلاع الخ

تعجب من صنعه مع المسلمين . علم سبحانه أنه عز وجل سيلهم أناساً في عصرنا هذا لنشر العلم وتحريض المسلمين عليه مثل ما في هذا الكتاب وعلم أن أكثر الأمم الاسلامية أتباع شيوخ الطرق وأكثر شيوخ الطرق ينهون الناس عن العلم وعن قراءة الكتب لتبقى السلطة في أيديهم لأن المسلم اذا كان أعلم من أستاذه تركه للاحالة . فانظر ماذا دبر الله لقراء هذا التفسير . أظم الرجل الصالح المسمى (بالشيخ الخواص) بمصر في القرن العاشر الهجري أن يلقى بعض مسائل للشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمهما الله تعالى وتلك المسائل تناسب الآية التي نحن بصددنا وتناسب العلوم التي كشفت حديثاً ولم تكن معلومة في ذلك العصر وإنما فعل ذلك لتكون حجة لأمثال قراء هذا التفسير وتلك الحجج بها يصولون ويهاجون أولئك الجهلة من المسلمين الذين يقولون ان هذه العلوم لا لزوم لها فتكون هذه المسائل أشبه بمن يضرب طيرين بحجر واحد فهي أولاً حجة على جميع من يدعى من الصوفية جهلاً أن الاسلام براء من هذه العلوم فيقال لهم إذن لماذا أظهر الله معرفة ما ستمعه من الحجاب العلمية على يد صوفي مثلك في وقت لم يعلم بهذه العلوم أحسد في الأرض . إذن هذه العلوم اسلامية صوفية وأنت جاهل بها ﴿ ثانياً ﴾ هذه متى سمعها المسلم وأيقن أن بعض الخواص من المسلمين عرفوا هذه المسائل قبل ظهورها أيقن للاحالة بأن هذا علامة على صدق هذا الدين وتكون هذه من معجزات صاحب الشرع ﷺ

اذا عامت ذلك فهالك ما قاله الشيخ الخواص للشيخ الشعراني في كتابه المسمى ﴿ الجواهر والدرر ﴾

ذلك أن الشيخ الشعرائي سأل الخوَّاصَّ شيخه الأتَمِّي الذي لم يكتب ولم يقرأ ولم يتعلم فقال إذا كان كل شيء في الوجود حياً دراكاً عند أهل الكشف فبأي شيء زاد الحيوان على الجاد في شهود العامة . فقال زاد على الجاد بالشهوة فقط زيادة عن الإدراك ثم ذكر له ماجاء في السنة الصحيحة مما يشهد بعرفتها لأوامر ربها وعرفتها بكل شيء وفهمها كل كلام ولكنها عاجزة عن اسماعنا النطق بالله . وذكر هنا أحاديث في هذا المعنى اكتفي منها بقوله أنه ﷺ لما هاجر إلى المدينة وتعرض كل من الأنصار لزمام ناقته قال ﷺ دعوها فإنها مأمورة . قال ولا يؤمر إلا من يعقل ثم قال وفي القرآن العظيم - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - قال والأمثال هم المشتركون في صفات النفس كالهم حيوان ناطق إلا أن كل جنس يقل في غيره معرفة اصطلاحه ثم قال تعالى - ثم إلى ربهم يحشرون - يعني كما تحشرون أتم وهو قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - يعني للشهادة يوم الفصل والقضاء ليفصل الله بينهم كما يفصل بيننا فيأخذ للشاة الجاء من الشاة القرناء كما ورد في ذلك دليل على أنهم مخاطبون مكافون من عند الله من حيث لا يشعر المحجوبون وذكر آية - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - قال والنذير خاص وعام . قال وورد أن الكلاب أمة من الأمم وهكذا الخمل والحشرات أنها أمم أمثالنا . ثم ذكر كلاماً لا تتصوره عقولنا مثل أن البهائم قد حارت أشد الحيرة في معرفة الله تعالى وإن أعلى ما يصل إليه العلماء في العلم بالله تعالى مبتدأ البهائم التي لم تنتقل عنه وإن كانت متقلبة في شؤنه . ويقول إن الناس احتاروا في أمر الحيوان لأنهم يرون أعمالاً صادرة بعقل وروية وفكر دقيق ولم يكشف الله لهم عن عقولها وعرفتها وهم لا يقدرُونَ على إنكار ما يرونه ويصدر عنها من الصنائع المحكمة فآروا وأخذ هؤلاء المحجوبون يتأولون ماجاء في الكتاب والسنة من لفظهم ونسبة القول إليهم . ثم قال فيأليت شعري ماذا يفعلون فيما يرونه مشاهدة كالنحل في أقراص الشمع وما في صنعها من الحكم والآداب مع الله تعالى . وكالعناكب في ترتيب الحبالات لصيد الذباب حيث جعل الله أرزاقها فيه . وما يدخره الخمل وبعض الحيوانات من أقوات وبناء أعشاشهم وإقامتها من القش والطين ونحو ذلك على ميزان معلوم وقدر مخصوص واحتياطهم على أنفسهم في أقواتهم فيأكلون نصف ما يدخرون خوف الجذب فلا يجدون ما يتقوتون به فإن كان ذلك عن نظر فهم يشبهون أهل النظر . فأين عدم العقل الذي ينسب إليهم وإن كان ذلك علماً ضرورياً فقد أشبهونا فيما لا ندركه إلا بالضرورة فلا فرق إذن بيننا وبينهم ولورفع الله عن أعين الخلق حجاب العبي كما رفعه عن أهل الشهود لرأوا عجا في عشق الأشجار بعضها بعضاً وطلبها القاقح وأظهر آية لأهل النظر إذا أنصفوا . ثم قال الشعرائي بعد ذلك وقد شهدت شيخنا علياً الخوَّاصَّ يعامل كل جاد في الوجود معاملة الحي فضلاً عن الحيوانات ويقول إن كل جاد يفهم الخطاب ويتألم كما يتألم الحيوان الخ انتهى

ثم إن الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك بقرنين اثنين حدث عن شيخه أيضاً المسمى الشيخ عبدالعزيز الدباغ بمثل هذا فقد سأله عن تسبيح الحمى ونحوه فقال إن ذلك كلامها وتسبيحها دائماً وإنما سألت النبي ﷺ ربه أن يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا ذلك منها . ثم أخذ يشرح هذا المقام بحسب طريقته فأفاد أن الجادات تعرف ربها كسائر الحيوان وإنما عابدة خاشعة خاضعة . هذه وجهتها لربها ووجهتها إلينا أنها لاتعلم ولا تسمع الخ وأتى بهذه الآية - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - وقال أيضاً إن للأرض علماً هي حاملته وعارفة به كما يحمل أحدنا كتاب الله عز وجل ويعرفه وكذا كل مخلوق من الجادات هو حامل له . قال الشيخ ابن المبارك فقلت له فتكون عاقلة عالمة كيف وهي جاد . فقال إنما كانت جادا في أعيننا وأما بالنسبة إلى ربها فهي عالمة به . وأكيد في قوله أن كل جاد خاضع خائف خاشع وجل من ربه والناس لجهلهم يظنون أنهم يحشون على جاد . وأنى بعد ذلك بأشياء لا يتخيلها العقل مثل أنه سمع الأشجار بطريق الكشف تذكر الله وتسبحه . انتهى

وهنا جاء صديق العالم الذي اعتاد أن يسألني في الامور الهامة فقال بعد أن اطلع على ما كتبت هنا .
عجبا لقد أتيت هنا بما لا تتصوره العقول . وهل هذا يليق بتفسير القرآن في هذا الزمان . فقالنا ولهذا القول
الذي لا تتصوره العقول وأي مناسبة بينه وبين الكشف في العصر الحاضر الذي ذكرته وأين الكشف الذي
كشف هذا . فقلت له ان ما تقدم كله يرجع لعالم الحيوان والنبات والجماد . فأما الحيوان فهذا العصر قد
كشف فيه علما جيا . ناهيك ما تقدم في هذا التفسير من علوم عصرنا ومن دقة صناعات الحيوانات وبدائعها
وتصرفها فارجع اليه في سورة هود والنحل وغيرها فذكر ذلك قبل أربعة قرون على لسان رجل مسلم أي
أمر عجيب . وأما النبات فأمره أعجب لأنك ترى الشيخ الخواص يقول ان الأشجار تعشق بعضها لأجل
الالتحاق وهذا عينه هو الذي كشفه العلم الحديث وأنا أجد الله عز وجل جدا كثيرا إذ جعل هذا التفسير مستوفيا
لهذه المسائل كما تقدم في سورة الحجر وفي غيرها فان إلقاء النبات أمر عام لا يختص بعالم واحد نباتي وقد مر
شرحه في سور كثيرة غير الحجر كالأنعام والبقرة وهكذا . وأما الجماد فهو أمر خفي جدا ولكن علماء العصر
الحاضر لم يذكروا إلا ما يأتي

يقول بعض علماء أوروبا إن كل الجادات متحركات وهذا أمر أصبح مبرهنا عليه وتقدم في هذا التفسير
ومعنى هذا أن كل قطرة ماء أو قطعة حجر مركبة من ذرات صغيرة والذرات الصغيرة ترجع الى جواهر فردة
والجواهر الفردة ترجع الى عناصر أولية كالاكسوجين والادروجين وقد بلغت العناصر الآن فوق الثمانين عدا
وجعلوا منها النحاس والحديد والذهب والفضة وهكذا وهذه العناصر متى تحلت لا ترجع إلا الى كهرباء وماهى
إلا تموجات و بينها مسافات متباعدات يدور بعضها على بعض كما تدور السيارات حول الشمس فالعالم كلها
متحركة دائما لا تكون لها وحركات تلك الذرات دائمة لا فتور لها فهي لا تهدأ من يوم أن خلق الله العالم
الى يوم أن يفنى العالم كله فناء تاما

ويقول العالم (هنشو) الذي نشر في مجلة (هارير) الأمريكية مقالا في نقطة الماء وانه فرض تكبيرها
حتى صارت بحسب الغرض أكبر من فلك الأرض حول الشمس ما يأتي

إننا نرى جوهر الاكسوجين مثلا وجوهر الادروجين ليس كل منهما إلا ذرتين من النور احدهما تدور
حول الأخرى قال واذا استنبطنا وسيلة تبطن حركتهما أينما في كل دائرة منها نقطة صغيرة من النور وسرعة
دورانها يظهر مدارها دائرة من نور لأنها تدور فيه ستة آلاف ألف ألف ألف دورة في الثانية الواحدة من
الزمان . وما هذه النقطة اللامعة النورية الدائرة إلا نقطة كهربائية . إذن الأجسام التي نراها كلها ترجع
لعناصر والعناصر ترجع الى كهرباء والكهرباء ماهي إلا نقط نورية يدور بعضها على بعض بسرعة ملايين
الملايين أى آلاف آلاف أضغافا مضاعفة وهذه السرعة باختلافها اختلفت العناصر وباختلاف العناصر اختلف
العالم الذي نعيش فيه من سموات وأرضين . هذا كلام علماء العصر الحاضر جميعا ثم ان طائفة منهم خاصة في
سائر أنحاء أوروبا يستنتجون من ذلك أن كل مخلوق له حياة لأن الحركة تصحب الحياة . واذا كان الحيوان
بسبب الحياة متحركا حركات مختلفات فهانحن أولاء نتحققا حركات الجماد كله وحركاته أسرع آلاف الآلاف
من حركات الحيوان فلم نثبت الحياة لضعيف الحركة وننفىها عن الحركة فيه أقوى وأدوم . فهذه الطائفة تقول
ان كل موجود حي . هذا آخر ما وصل اليه العلماء في العصر الحاضر . ثم قلت له . أفلا ترى أيها الأخ أن
كشف العصر الحاضر قد أتى بثلاثة أرباع ما قاله شيوخ المسلمين من باب الإلهام وقد نهوا المسلمين والمسلمون
بقوا غافلين لم يتفطنوا لما يقولون . فقال صاحبي حق انه من العجب أن يذكر ذلك بعض الشيوخ والعالم
الإنساني كله منذ أربعة قرون كان في غفلة فان تعاشق الأشجار التي ذكرها الشيخ الخواص لم تعرف إلا في
زماننا ومعرفتها جاءت من أوروبا ولم يعلم أحد من المسلمين ولا غيرهم أن للجماد حركات بطيئة أو سريعة إلا في

هذا الزمان ولكن كون الجاد له فهم أمره غير معقول . فقلت نعم نه غير معقول لنا ولكن نحن الآن في مقام الموازنة بين كلام بعض شيوخ المسلمين وبين الكشف الحديث وانا نتعجب من أن بعض ما قالوه ظهر صدقه فقال نعم هذا حسن وقد قرب لنا معنى أن كل شئ يسبح بحمد الله فعلا . ثم سأل ﴿سؤالين * أولهما﴾ ما الفائدة في ظهور مثل هذه الأقوال في زمان تأخر المسلمين مع انه كاه في ذلك الزمان كان خارجا عن العقول وبعضه الى الآن لا يزال بعيدا عن تصوّر العقل ﴿ثانيهما﴾ هل كل ما يقوله الصوفية بالنسبة لما نراه من تحقيق كثير من المسائل العلمية بدون تعليم . فقلت أما فائدة ظهور هذه الأقوال في زمان تأخر المسلمين فقد قدمت لك جلستها في هذا المقال وأزيد ما وضوحا الآن فأقول

إن فائدتها ترجع ﴿لأمرين * الأول﴾ أن الناس في زمان جهالتهم حين يسمعون هذا وهو فوق طاقة العقل يسمون به تسلييا بلا بحث وتكون فائدته لهم ثبات عقيدة الايمان فهي أشبه بمعجزات الأنبياء فهي من العلوم التي فوق طاقتهم كما ان المعجزة فوق طاقتهم فيكون نتيجة ذلك العلم ايمانا ثابتا ﴿الأمر الثاني﴾ أن يعرف المسلمون في عصرنا حين يطلعون على هذه العلوم والمباحث الطبيعية التي تسكاد تنطق بما قاله هؤلاء الشيوخ أن شيوخ الصوفية وتلاميذهم الذين هم أكثر المسلمين الآن اذا تركوا هذه العلوم وهم قادرون عليها وعكفوا على العبادات وحدتها والخلوات والدعوات والذكر وعقولهم خالية من معرفة هذه العلوم يكونون آثمين مغرورين مذنبين وذلك ﴿لأمرين * الأول﴾ ما عرفت من أنها فروض كفايات ﴿الثاني﴾ أن نفس رجال الصوفية هم الذين أخبروا بهذه المسائل قبل ظهورها في أوروبا و بقيت هذه نحو أربع قرون في بطون الكتب لتظهر الآن مشروحة في أمثال هذا التفسير الذي سيكون من الأسباب الفعالة في انطلاق العقول الى حوز هذه العلوم ان شاء الله تعالى . فاذا كان شيوخ الصوفية هم الذين أشاروا اليها قبل ظهور علماء أوروبا وقد وصل هؤلاء الى أهم ما ذكره شيوخ الصوفية . فاذن يكون الصوفية في زماننا اذا جهلوا هذه العلوم مذنبين مغرورين معاقبين . إن الله عز وجل أنطق هؤلاء الشيوخ بذلك تقريرا للصوفية في هذا الزمان على جهلهم . فقال صاحبي هذا حق من وجه ولكنه باطل من وجه آخر . إن الصوفية بسبب الانقطاع الى الله يفتح عليهم فيعرفون ما لا يعرفه الناس . فقلت هذا أمر نادر والنادر لاحكم له وهذه العقيدة عامة بين تلاميذ الصوفية وأكثرهم يموتون وهم لا يعلمون ولو كان هذا الفتوح عاما لأصبحت بلاد الاسلام كلها غنية عامرة أغنى من أوروبا في هذه العلوم . فقال المفتوح عليه لا يكلم الناس بعلمه لأنهم لا يعقلون . فقلت وما فائدتنا منه فرضا وهذا كله جهل * قال رسول الله ﷺ ﴿إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم﴾ والله عز وجل لا يعطي العلم إلا للجد فيه . وانظر الى هؤلاء الشيوخ مثل الدباغ الذي ذكر تسبيح الجاد والشيخ الخواص الذي قال ان الأشجار تتعاشق فان علمهما علم اجالي ولم يفد المسلمين فائدة عامة ولكن العلوم اذا درست دراسة حقيقية انتشر العلم وانتفع به الناس ولكننا رأينا المسلمين مع كثرة رجال الصوفية فيهم أفقر خلق الله في هذه العلوم . إذن من الجهل أن نتكلم على الفتوح بالعلوم مجانا وأن نترك عقولنا ومواهبنا كمن يترك حرث الأرض وزرعها انكالا على أنه ربما يثر على كثر فهذا جهل وغرور . انتهى الأمر الأول وأما الثاني وهو هل كل ما يقوله الصوفية حق فأقول جوابا عليه . كلا . وأذكرك بما تقدم في سورة البقرة عند قوله تعالى - ولستكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر - الخ إذ ترى أن في كل انسان قوة مخفية عنه وقد استعمل الناس طرقا صناعية بها فقد الانسان احساسه وانحطفت الخطا فافروحا فيسمع من بعد وينبى بمحوادث مستقبلية ويخاطب الأرواح حوله ويكون بالنسبة لجسمه كأنه غريب عنه ثم هو مع ذلك قد يخطئ . ذلك لأن الله عز وجل لا يريد أن يجعلنا في الأرض نعيش خامدين . فقال اذا صح هذا في التنويم المغناطيسي فلا يصح في حق الشيوخ . فقلت له . كلا . إن الله عظيم متعال متكبر وقد فعل مع الشيوخ ما فعله مع غيرهم

قال وكيف ذلك . قلت ألم تر الى ما ذكره الشيخ الشعرائي نقلا عن الخواص في آخر الكتاب المتقدم . يقول ﴿ إن يوم الأمة المحمدية ألف سنة أولها من ولاية معاوية قال ولا تزال الشريعة ظاهرة يحكم بها الى ثلاثين سنة من القرن الحادى عشر ثم تختل نظامها الأكبر وتصير كعقد انقطع سلسكته ﴾ وقال فى آخر كتاب ﴿ درر الغواص ﴾ ما يفيد هذا وقال مانصه

وقد بين الكشف والذوق اقتراب الأمر الدينى وانشقاق الفجر الأخرى وزاد فى البيان عكس الظلمة والظلال وقبض العالم الى أن قال وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدى عليه السلام وأخبره أنه قد قرب ظهوره الخ فهذه الأقوال كلها لم تتم وهانحن أولاء فى القرن الرابع عشر الهجرى ولم تقم القيامة مع أنها كان موعدها فى القرن الحادى عشر الهجرى . فينتج من ذلك أن التنويم المغناطيسى وشيوخ الصوفية يخطئون ويصيبون وما أصاب فيه الصوفية ايقاظ للمسلمين وما أخطوا فيه تعليم لنا أن لا تتشكل إلا على الله وتعلم بأفئسنا فهذا زمان رقى المسلمين وانى أجد الله عز وجل إذ علمنا ما لم نكن نعلم

وقبل الانتقال الى القسم الثانى أوضح ملجاء فى حديث الاسراء أنه ﷺ رأى ليلة أسرى به نهرين ظاهرين وهما الفرات والنيل وهناك نهران آخران فى الجنة وأيضا قوله انه رفع الى البيت المعمور وأن هناك ملائكة يدخلونه كل يوم ثم لا يرجعون وأن سدرة المنتهى لما غشيتها من أمر الله ما غشيتها تغيرت فما أحدهم خلق الله يستطيع أن ينعتها

(١) النيل والفرات . اعلم أن الجنة ليس نيلنا فيها ولا فراتنا وانما هذا الذى رآه رسول الله ﷺ من عالم البرزخ الذى هو المسمى عالم المثال الذى ذكره (أفلاطون) وكثير من الصوفية عندهم . فهذا العالم أرى الله فيه نبيه ﷺ الحقيقة مجسمة والحقيقة كذلك أى ان النيل والفرات من السماء . وبيانه أن الحركات الشمسية المنتظمة سبب فى الصيف والربيع والخريف والشتاء ومن هذه يكون المطر المستخرج بالحرارة من المياه فتى أرسلت الشمس أشعتها على الأرض وسخن ظاهر الماء اتجه البخار الى الجو فتلاقى مع الطبقة الباردة عند خط الاستواء فهطل المطر . إن الأرض يحيط بها خيمة من الهواء البارد مرفوعة عند خط الاستواء راسية على الأرض عند القطبين فهناك الثلج المتراكم والجو بارد فاذا ارتفع البخار فى هواء حار عند خط الاستواء وتلاقى بهذا الهواء البارد نزل المطر واذا اتجه الريح من المنطقة المعتدلة الى المنطقة الباردة كالرياح التجارية الضمنية المتجهة الى الدائرتين القطبيتين فان السحاب هناك تهطل . لماذا . لأن الهواء الحار قابله البارد ومثل هذا يحصل فى الرياح الموسمية التى تتجه من الشمال الى الجنوب شتاء ومن الجنوب الى الشمال صيفا ونهب على المحيط الهندى فهذه الرياح متى لاقت الرياح الباردة هطلت مطرا . فهذه الأمطار ناجمة من البخار الذى حملته الرياح التى أثارتهما وأثارت البخار حرارة الشمس المسيرة فى السماء . فاذا نزل ذلك بفعل سماوى لا أرضى فما النيل والفرات وغيرها من الأنهار التى بينها فى سورة الرعد إلا قطرة من بحر النظام السماوى فحركات الشمس وحرارتها هما اللذان بسببهما أجرى الله الأنهار من فرات ونيل وغيرها ولا جرم أن الشمس ونظامها متصلة بشمس أخرى وأخرى وهكذا الى أن ينقطع فسكر العباد فظهر أن كلام نبينا محمد ﷺ يقصد به البحث والتنقيب عن الجائبات والنظام فان الانسان اذا سمع أن النيل فى الجنة لا يصدق فيبحث فيصل الى ماقلته . إن علوم الطبيعة أوصدت أبوابها دوننا معاشر بني آدم إلا ما تجود به حواسنا وعقولنا وغيره محجوب . هكذا جعل الله للأنبيا رموزا لنبعث حتى نصل الى مقصودها ونقف على الحقائق بقدر الامكان

(٢) وأما كون سدرة المنتهى قد غشيتها من أمر الله ما غشيتها فذلك يعرف مبادئه بعض المقطعين للعبادة فان هناك لهم أحوال خاصة بهم حقيقة أنا لا أشك فيها وليس لها مفتاح إلا العبادة والذكر واستحضار الله

في الصلاة بحيث تشعر بانك تخاطبه فهذه مفتاح التجلي الذي يريك مبادئ لهذا الذي ذكر في الحديث وان كان الذي يتجلى للسالكين ليس شياً بالنسبة للنبي ﷺ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله . واذا كان حديث الفرات والنيل للبحث في العوالم فحديث سدره المنتهى وأنوارها للبحث في أسرار النفس . وأنا أقول لك ان فيها أسراراً لا تقف عليها إلا بمفتاح العبادة والذكر مع حضور قلبك وتعلم أن هذه الأنوار النفسية شئ وعلم النفس الذي في الفلسفة شئ آخر . فعلم النفس الذي ذكرنا بعضه في سورة البقرة يتناوله البحث ويدخل فيه المنطق والقياس والبرهان . فأما هذا فلا برهان له إلا العبادة والذكر والنتائج لا يعرفها إلا صاحبها فقد يرى مسرات وانشراحاً لا يحس بها الذي لم يزاوها فعلم النفس الفلسفي يشترك فيه الناس عموماً وعلم النفس الوجداني خاص بأصحابه ولهم ثمراته

(٣) وأما مسألة الملائكة وانهم سبعون ألفاً يأتمون البيت المعمور ثم لا يرجعون أبداً فهذا مقام فوق هذا المقام فان الجلال الذي يتجلى لأصحاب الذكر والمرتاضين مرتبته أقل من مرتبة الذين ارتقوا فشاهدوا عالم الملائكة . واذا كنا نرى في أرضنا الضعيفة عوالم لا تعد ولا تحصى حتى انك لو حسبت ما في دارك وحدها من المكروبات التي لا ترى ربما بلغت مئات آلاف آلاف الآلاف بل هذه الأعداد وما فوقها ربما كانت في قطرة ماء في فنجال فما بالك بما في المنزل . واذا كان هذا في عالمنا فما بالك بعالم الملائكة فالأنبياء يطلعون على عوالم شريفة لا تحصى لقرب نفوسهم من نفوسهم وللتجانس بينهما . انتهى ما أردناه تابعاً للقسم الأول

(القسم الثاني)

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا * وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِنَّ يَسَاءَ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا * وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا * وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا * وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا *

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا *
قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْخِرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا خَشْيَةَ دُرَّتِهِ إِلَّا قَلِيلًا *
قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَأَسْتَغْفِرُكَ مَنْ
أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
وَعِدَهُمْ وَمَا يَعْدهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَئِنْ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكُنِيَ
بِرَبِّكَ وَكَيْلًا * رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ
بِكُمْ رَحِيمًا * وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى
الْبَرِّ ائْتَوْا أَغْرَضْنَاهُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا * أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا *
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا * يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
قَالَ وَلَيْكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَإِنْ كَادُوا لَيَفْقَهُنَّوْنَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْتِرِيَ عَلَيْكَ غَيْرَهُ
وَإِذَا لَا تَجِدُوكَ وَكَيْلًا * وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا
لَا ذِقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ
مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا * أَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذَّلُولِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ
وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ
يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ
لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا *
وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا * وَإِذَا
أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا * قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى

شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
 رَبِّي وَمَا أُتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا * وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ
 لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا * إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا * قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ
 الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا
 * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا *
 وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَدْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ
 وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِيَالًا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ
 بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ يَدٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
 لِرُفُوقِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا يَقْرَوُهُ قُلُوبُ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا
 مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ
 فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُحُونَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا * قُلْ كَفَى
 بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
 يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ مُعْمِيًا وَبُكْمًا
 وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا
 وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ
 إِلَّا كُفُورًا * قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ قَتُورًا * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَأَسَاءَلَتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ
 فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاطِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا * فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ
 الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا
 جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا * وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا
 وَنَذِيرًا * وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَتُزَلَّلُنَاهُ تَنْزِيلًا * قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ

لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ
سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا *
قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا
تُخَافَتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

لما قالوا - أنذا متنا وكنا عظاما ورفاتا - قال الله لنبية ﷺ (قل كونوا حجارة) في شدتها (أوحديدا) في قوته وبأسه (أوخلقا مما يكبر في صدوركم) ويستعصى على قبول الحياة لكونه أبعد شيء عنها فقدره الله لا تقصر عن إحياكم فسيان عندها أصلب الأشياء وألطفها فالعظام النخرة أقرب إذن إلى قبول الحياة لا تستعصى عليها كما أطاع ماهوا أكثر منها شدة وأصلب (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة) وكنتم ترابا فمن قدر على الانشاء فهو على الاعادة أقدر (فسيذغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تحجا واستهزاء (ويقولون متى هو) استبعادا له (قل عسى أن يكون قريبا) عسى هنا للوجوب أي هو قريب (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) أي يوم يدعوكم من قبوركم إلى المحاسبة يوم القيامة فتجيبونه حامدين له إذ تنفضون التراب عن رؤسكم وتقولون سبحانك اللهم وبحمدك أومنقادين له انقياد الحامدين وإذا حمدوا الله على الأول فهم ﴿فريقان﴾ فريق ينفعه الجد وهم المؤمنون والثاني لا ينفعه لأنه بعد فوات الفرصة في الحياة وهم الكافرون (وتظنون إن لبئس إلا قليلا) أي وتستقصرون مدة لبئسكم في الدنيا عند الموت أومدة لبئسكم في القبر يوم القيامة - كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها - (وقل لعبادي) المؤمنين الكلمة (التي هي أحسن) ولا تخافوا المشركين (إن الشيطان ينزغ بينهم) يهيج ويفسد ويبقي العداوة بينهم (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة ثم قال تعالى (ربكم أعلم بكم إن يشأ ربحكم) أي يوفقكم للإيمان فتؤمنوا (أوإن يشأ يعذبكم) أي يمتكم على الشرك فتعذبوا (وما أرسلناك عليهم وكيلًا) موكولا لك أمرهم - فتقهرهم على الإيمان * يروى أن المشركين أفرطوا في إيذاء المؤمنين فشكوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) بأحوالهم فيقذف الإيمان في قلب من يشاء والكفر في قلب من يشاء ويصطفى منهم أفضلهم استعدادا للنبوة والنبيون أيضا درجات فلا بدع إذا كان محمد ﷺ نبيا وهو يتيم أبي طالب فإن استعداده هكذا ولا بدع أيضا في أن العراة الضعاف أصحابه فالتفضيل راجع للقوة الروحية لا للمادة الجسمية وللكثرة الأموال والنثرية . إن تفضيل داود عليه الصلاة والسلام لم يكن للملك وإنما هو لما أوتي من نعمة الزبور . فهكذا محمد ﷺ تفضيله واصطفاه الفقراء أن يكونوا أتباعه لم يكن إلا لما أثرهم النفسية وهذا رد لاستبعادهم أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأصحابه العراة أتباعه وهذا قوله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورًا * قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) أي الذين زعمتم أنهم آلهة كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام (فلا يستطيعون) كشف الضر عنكم ولا تحويلا) فالضر كالمرض والفقر والقحط لا يقدر على كشفه عنكم ولا تحويله إلى غيركم وليس الأمر قاصرا على عجزهم عن ذلك بل إن أقربهم إلى الله يدعوهم إلى الوسيلة فكيف يكون غير الأقرب وإذا كان هذا شأنهم عجزا عن كشف الضر عنكم وافتقارا والتجاء إلى الله أعلاهم وأدناهم فكيف تعبدونهم

وهذا قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) ثم أبدل من الوارد في يبتغون فقال (أبهم) هو (أقرب ويرجون رحمة ويخافون عذابه) فهم كغيرهم في الرجاء والخوف (إن عذاب ربك كان محذورا) أي حقيقا بأن يحذره كل أحد ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن سواهما (وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت والخراب (أو معدنوها عذابا شديدا) بالقتل وأنواع العذاب (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي مثبتا في علم الله القديم أو اللوح المحفوظ * لما سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهابا وفضة وأن ينحى الجبال عنهم ليزرعوا أوحى الله لرسوله ﷺ مخيرا له بين الاستئصال إذا أنزل عليهم الآيات كعمود فيسكذبون وتأخير العذاب مع عدم انزال تلك الآيات فاختار التأخير ليكون منهم مؤمنون وذريتهم سيكونون من المؤمنين فقال الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أي وما صرفنا عن اقتراح الآيات التي اقترحتها قریش (إلا أن كذب بها الأولون) أي إلا تكذيب الأولين الذين هم مثلهم كعاد وثمود فلو أنزلت لكذبوها فيستأصلون وكيف نستأصلهم وفيهم من يؤمن بنفسه أو يؤمن بإنائه (وآتيناهم الناقة) بسؤالهم (مبصرة) آية بينة (فظالموا بها) فكفروا بها وعقروها (وما نرسل بالآيات) المقترحة (إلا تخويفا) من نزول العذاب المستأصل فإذا لم يخافوا أنزلناها (و) اذكر (إذ قلنا لك) أي أوحينا إليك (إن ربك أظأ بالناس) فهم في قبضة قدرته (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) ليلة المعراج من العجايب والغرائب إذ أسرى به إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماء والعرب تقول ﴿ رأيت بعيني رؤيا ورؤية ﴾ (إلا فتنة للناس) فأنكر قوم ذلك وزاد المؤمنون اخلاصا فهذه الفتنة كنار تميز الخبيث من الطيب والمؤمنون منهم من قال انها رؤيا منام ومنهم من قال رؤية يقظة ومنهم من قال ان المعراج معراجان معراج في اليقظة ومعراج في المنام . ثم ان ما قدمناه يجمع الأقوال المعتد بها يقول الله فتنا بها الناس كما فتناهم بغيرها فكفر المكذبون فأما المؤمنون فلهم مذاهب شتى ويدخلون في أبواب من المعارف مختلفة وكل يقف عند ما تدع له نفسه وفريق يتناهى في البحث إلى كشف الحقائق العلمية والأقوال الروحية ليخرج الناس من ظلمة الجهالة . إن أمثال هذه أشبه بالنار توقد فيصهر المعدن في البودقة فوقها فيكون الزبد أعلاه والجوهر الصافي ادناه فقد امتازا بالنار امتيازاً كذلك هذه الرؤيا فعلت التي أريناك (والشجرة الملعونة في القرآن) أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس فانهم حين سمعوا أن شجرة الزقوم طعام الأثيم اختلفوا فقوم ازدادوا إيمانا وقوم ازدادوا كفرا كأبي جهل إذ قال ان ابن أبي كبشة أي النبي ﷺ توعدكم بنار تحرق الحجر ثم يزعم أنها تنبت شجرة وتلعون أن النار تحرق الشجر . وقال عبد الله بن الزبير ان محمدا يخوفنا بالزقوم وما الزقوم إلا الزبد والتمر وإنما كانت ملعونة لأنها في جهنم وهي أبعد مكان من رحمة الله وآكلوها مبعدون من رحمة الله فجعلت ملعونة مجازا . ويقال لكل طعام ضار أنه ملعون . فهؤلاء كما فتنوا بالرؤيا فتنوا بالشجرة فالكافرون ينسكرون والمؤمنون ﴿ فريقان ﴾ فريق يكل الأمر لله وفريق يرى أن يبحث في الحكمة وعالوم الطبيعة هل يجد شجرة لا تحرق النار فيبرون أن هناك حريرا يقال له الحرير الصخري . ولقد رأيت وأنا في دار العلوم وألقيت درسا على الطلبة بدل مدرس العلم فيها المرحوم أستاذي أحمد أفندي عبد العزيز فاني وضعت الحرير على النار مقدار ذلك ساعة تقريبا والحرير لم يزد إلا نظافة وهذا الحرير يلبسه الذين يطفون النار في المدن بأمر الحكومات كحكومة مصرية فالحرير الصخري كالحرير المعتاد وكالقطن فإذا جاز ذلك في هذه الحياة فكف في الأرض نفسها من عجب وكم في العوالم الأخرى من عجب بل مامن شجر أو حجر الا وفيه نار بل الأرض مملوءة نارا وماخلص من النار إلا قشرتها التي نحن عليها بل الماء نفسه مادة نارية فتحوه اتساعه كسوجين وهو مادة تشتعل سريعاً والتسع أودروجين فأرضنا نار وماؤنا نار وأشجارنا وأحجارنا مملوءة نارا وهذا العالم الذي نسكنه تتخلله النار ولو لم يكن في هذه الآية سوى هذا الذي ذكرناه لكفي بهذه الفتنة

أثارت حاجة البحث والتقصي وأوقفت أهل الجهل والتقصير فوق قفوا جامدين ثم قال تعالى (وتخوفهم)
 بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (إلا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم باجابه
 ما يترحون من الآيات فاذن لا ترسل الآيات المقترحات لهم إذ لا فائدة في ذلك . ان هؤلاء ساروا في طريقهم
 على مذهب ابليس إذ طغى وتكبر بعد ظهور الحق وأتى بشبهات ضلالت فهم اتبعوه في تسكديهم (و) اذكروا
 (إذ قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس) فاللائكة مع آدم يشبههم المؤمنون مع محمد وابلليس
 هناك يقابله الكفار هنا (قال) ابليس (أأسجد لمن خلقت) حال كونه (طينا) وهؤلاء قالوا أن تبع ينم
 أنى طالب ولا نصديق المعراج ولا نعقل شجرة في نار فهذا كله تكذيب بأدلة سفسطائية كأدلة ابليس ثم ان
 ابليس تمادى في ذلك ووعد باغواء بنى آدم وهذا قوله تعالى (قال أرايتك) الكاف للخطاب تأكيذا
 (هذا) مفعول به والمعنى أخبرنى عن هذا (الذى كرمت على) أى فضلت لم كرمته على وأنا خير منه خلقتنى
 من نار وخلقته من طين كما يقول كفار مكة - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - (لئن
 أخرتني الى يوم القيامة لأحتسبن ذريته) لاستأصلنهم بالاضلال (إلا قليلا) يعنى المعصومين وهم الذين قال
 الله فيهم - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - (قال اذهب) امض لما قصدته فطرده وخلقى بينه وبين
 ماسوئت له نفسه (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) أى فان جزاءك وجزاءهم جزاء مكمل
 (واستغفر) استخف وزعج (من استطعت منهم) أى من ذرية آدم (بصوتك) بدعائك الى الفساد (وأجلب
 عليهم بخيلك ورجلك) من الجلبة وهى الصياح أى صح عليهم بأعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة
 والرجل اسم جمع لراجل كركب لراكب وصحب لصاحب وهذا تمثيل لسلطته على من يغويهم برجل مغير صاح
 على قوم فاستغفرهم من أماكهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم ثم قال (وشاركهم فى الأموال والأولاد)
 فيكسبون الأموال من السحت ويصرفونها فيما لا ينبغى ويلدون الأولاد من حرام باغرائك ويكفر أولادهم
 ويضلون بتزيينك لهم الباطل مع جهل آبائهم ولواهتدوا للقنوههم الهدى (وعدهم) المواعيد التى لا تفيد كتأخير
 التوبة وأنه لا بعث ولا حساب وكشفاعة الآلهة أوشفاعة الشيوخ الذين ماتوا مع تقصير التلاميذ وما أشبه ذلك
 (وما يعدةم الشيطان إلا غرورا) فانه يزين الخطأ بما يوههم أنه صواب (إن عبادى) أى المخلصين (ليس لك
 عليهم سلطان) غلبة (وكفى بربك وكيل) لهم يتوكلون عليه فى الاستعاذة منك وأحافظا لهم منك . ثم بين
 سببه فقال (ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر) أى يجريها فيه (لتبتغوا من فضله) الربح وأنواع الأمتعة
 ويأكل الشرقى مازرع فى الغرب ويغزل الغربى مازرع الشرقى من القطن وتبادل أمريكا والشرق وأوروبا
 والصين واليابان المنافع ولولا هذا لكانت الحياة شقاء والانسانية ذلا وهوانا (إنه كان بكم رحما) فأتاح لكم
 النعم وأوصلها لكم على بعد الشقة وتنأى الديار إذ فصل بينها بالبحار ليسهل لكم الاسفار بالسكهرباء نارة
 وبالبخار أخرى وبالشرع آونة . وهذه النعم لا تعرفونها إلا عند وقوعكم فى الخطر ثم مثل لذلك فقال (واذا
 مسكم الضر فى البحر) خوف الغرق (ضل من ندعون) ذهب عن أذهانكم تلك الأصنام المعبودة وشيوخكم
 الذين اتكلتم عليهم فى انقاذكم من الهلاك (إلا إياه) وحده (فلما نجاكم الى البر) من الغرق (أعرضتم) عن
 التوحيد ونسيتم ما ذكرناكم به من نعمتنا العظيمة بتخويفكم الغرق ثم انجائكم منه وهذا كفر عظيم (وكان
 الانسان كفورا) فهل ظننتم أنه لاهلاك إلا فى البحر وما علمتم أن البر الى والبحر الى وان فى البر ما فى البحر
 من الهلاك والخسف فى البر آفات عارضة وفى الجوارح الريح التى ترميكم بالحصباء والمقذوفات الجوية الطبيعية
 والصناعية كالطائرات والمطاول جمع منطاد . فهذه كلها مما أعد لاهلاك من فى البر كما يهلك من فى البحر
 وهذا قوله تعالى على سبيل الاستفهام الانكارى (أفأنتم) أى أنجوتم فأنتم (أن يخسف بكم جانب البر)
 بالخسف كما حصل فى اليابان سابقا وقرئناه وذكرنا معه غيره فى سورة (آل عمران) (أو يرسل عليكم

حاصبا) ريجنا نحبب أي ترى بالحسباء (ثم لا تجحدوا لكم علينا وكيلنا) مانعا وناصرا (أم أمتم أن يهيدكم فيه) في البحر (تارة أخرى) مرة أخرى (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) وهي التي لا تمر بشئ إلا قصفته أي كسرتة (فيغرقكم بما كفرتم) أي بسبب اشراككم (ثم لا تجحدوا لكم علينا به تبعا) التبعية المطالب أي لا تجحدون أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودر كالتأركم . إن الاغراق في البحر والحسف في الأرض جا آكلاما معترضا بين نعمة ازجاء السفن في البحر لا بتغاء الرزق وبين تمام النعمة بتكريم بنى آدم وحلهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات والكلام المعترض للانذار والتخويف وليعرفوا النعمة وهذا قوله تعالى (ولقد كرنا بنى آدم) بحسن الصورة واعتدال القامة والعقل والصناعة واللغات والخط والهدى لأسباب المعاش الشريفة والتسلط على ما في الأرض والاطلاع على المجائب العلوية والسفلية (وحلناهم في البر والبحر) على الدواب والقطرات والطيارات والمطاود (جمع منطاد) والسفن (ورزقناهم من الطيبات) وهي الأغذية النباتية والحيوانية المصفاة المنقاة فلمهم خلاصتها لأن أمرجهم أرق الأمزجة وخلاصة الغذاء ينشأ منه خلاصة المعتدين (وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) بالغبلة والاستعلاء والشرف والكرامة والقليل الذي لا يفضل الانسان عليه خواص الملاشكة والمسألة محل نظر لا فائدة في التوغل فيها . اذكر (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) بكتاب أعمالهم التي قدموها فلا ذكر للأنساب لأنها مقطوعة ولا ذكر إلا للأعمال والأخلاق والآراء والعقائد والقوى النفسية التي هي مغروسة في النفوس فلا يقال يا ابن فلان وإنما يقال يا صاحب كتاب كذا فالأنساب جسمية والآراء علمية عقلية والباقي هذا الأخير والفاني خلفه الناس في الأرض (فمن أوتى) من المدعوين (كتابه) كتاب عمله (بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) مبتهجين فرحين (ولا يظلمون قتيلا) ولا ينقصون من أجورهم أدنى شئ * والقتيل الشئ الذي يكون في شق النواة وذلك ظاهر في علم الكيمياء فإن وزن الذرات لا يخلل فيه فلو أن ذرة واحدة زادت في نبات أو حيوان أو ماء من عنصر من العناصر الداخلة في تركيب ذلك لم يتكوّن ذلك المخلوق كما شرحناه في هذا الكتاب . والذي خلق الدنيا هو الذي خلق الآخرة فالظلم مستحيل هناك كما استحال هنا الظلم في نظم الطبيعة فتأمل وأعجب وأرجع الى ما تقدم في مواضع كثيرة في هذا التفسير (ومن كان في هذه أعمى) أعمى القلب لا يبصر رشده (فهو في الآخرة أعمى) لا يرى طريق النجاة (وأضلّ سبيلا) منه في الدنيا . ذلك لأنك رأيت في تفسير هذه السورة وفي غيرها أن الحياة الأخرى بعد الموت مباشرة وبوم القيامة ليست شئ سوى هذه الروح التي بين جنيننا قد خرجت وولدها هذا الجسم كما تلد المرأة الصبي وكما يثمر النخل الثمر والأشجار الأخرى الفواكه وما الثمر ولا الفواكه إلا ما كان من طباع الشجرة . هكذا ما الروح الباقية شئ سوى هذه الروح نفسها وقد خرجت بجميع صفاتها وأخلاقها وأحوالها وأعمالها وأدائها فهي التي تنظر الى نفسها وتنفر أو تنشرح بذاتها فالثمر على حسب الشجر والروح هناك هي الروح هنا فإذا كانت هنا ساهية لاهية فهي هناك أكثر سهوا وأكثر لهوا بل هي هناك أبعد مدى في الضلال والعمى لأن آلات العلم والعمل عطلت وبقيت فيها مناقبها ومثالبها ولا قدرة لها على الزيادة من الأولى ولا النقص من الثانية فهذا تقرير قوله تعالى (وأضلّ سبيلا) ثم أتى بمثالين للقسمين قسم المهتدين وقسم العمى الضالين فهؤلاء الآخرون كبعض قریش إذ قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك . وكذلك أيضا قال أن أهمل مكة كادوا يرجعونك منها واذن لا يبقون بعدك فيها إلا زمانا قليلا فهذه حال القسم الأعمى . أما القسم الذي أخذ كتابه بيمينه فهو الذي يعمل بما بعد ذلك من الآيات فيصاؤون الصلوات الخمس ويتجحدون وهذا هو قوله (وان كادوا ليفتنونك) أي وانه أي الحال والشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالاستئزال والصرف (عن الذي أوحينا اليك) من الأحكام (لنتفري علينا غيره) غير ما أوحينا اليك (واذن لا تتخذوك خليلا) أي ولواتبع مرادهم لا تتخذوك وليا وخرجت من

ولا تقي (ولولا أن تبتناك) ولولا تثبيتنا إياك (لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم والمعنى أنك كنت على أهبة الركون اليهم لا تضعف منك . كلا . ولكن لشدة مبالغتهم في الخداع لك والتحيل ولكن عنايتنا بك منعتك أن تقرب من الركون فضلا عن أن تركن اليهم (إذن لأذقناك) أى لو فعلت ذلك لأذقناك (ضعف الحياة وضعف الممات) ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات أى ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة وأصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا أى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهى الضعف ثم أضيفت الصفة كإضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات فهو صلى الله عليه وسلم لو ركن اليهم يكون عذابه ضعف عذاب غيره لأن الذنب من العظيم عقابه أعظم وهكذا زلة العلماء يعاقبون عليها أشد من عقاب العامة لأنهم يتبعونهم (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) يدفع عنك العذاب * لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تسكنني إلى نفسي طرفة عين * (وان كادوا) أى وان كاد أهل مكة (ليستفزونك) ليخرجونك بالعداوة (من الأرض) أرض مكة (ليخرجوك منها واذن لا يلبثون خلافا) أى ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك (الا قليلا) أى إلا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم قد غلبوا يوم بدر بعد الهجرة بسنة * وقال بعض المفسرين لو أخرجوك لاستؤصلوا بالعذاب ولكنه هو الذى هاجر . وهذه سنة الله في خلقه أنه يهلك كل أمة تخرج رسولها من ديارها ولذلك سن الله (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) إضافة السنة للرسول لأنها لأجلهم سنت (ولا تجد لسننتنا) فيهم (تحويلا) تغييرا . هذا آخر الكلام في مثال الذين همم عمى في الدنيا والآخرة وهم أهل مكة . ثم شرع في قسم المهتدين كما قدمنا فذكر أشرفهم فقال (أقم الصلاة لدلوك الشمس) أى لزوالها أى بعد زوال الشمس لأن الدلوك من الدالك وهو الانتقال والدالك لا تستقر يده في مكان (إلى غسق الليل) إلى ظلمته وذلك وقت صلاة العشاء الأخيرة إذا زال الشفق (وقرآن الفجر) صلاة الصبح وسميت قرآنا من تسمية الكل باسم البعض لأن القراءة من أركانها كما تسمى ركوعا وتسمى سجودا (إن قرآن الفجر كان مشهودا) تشهد شواهد القدرة وبدائع الحكمة ونظام الخليفة وبهجة العالم العاوى والسفلى من ظلام حاله أزاله نور ساطع وبهجة باهرة فبينما الناس في نومتهم خامدون إذ أيقظهم النور فهم منتشرون فهناك ظهور النور وجمال الصباح وبقظة النوم بعد الظلام وغيبوبة الحواس . ذلك كله محيط بالمصلى صلاة الصبح كأن ذلك كله طوائف من العقلاء مطلعون عليه يشهدونه ويراقبون حركاته . وهكذا الملائكة الموكلون بحراسة هذا العالم وحراسة المؤمنين يشهدون المصلى وقد أخذت ملائكة الليل ينصرفون وأقبل ملائكة النهار يرقبون كما أدبر الظلام وأقبل الضياء . وما منا إلا له مقام معلوم . وإذا كانت هذه الصلاة مشهودة من العوالم العاقلة كالمصلين والملائكة وغير العاقلين كما ذكرناه فإن المصلى نفسه يشهد معناها كأنه يطالع في صحيفته نفسه وقد أصبح وقلبه فارغ لم يصب بهموم النهار فتتدفق المعاني على قلبه وتجلى له الأنوار المعنوية كما تجلت الأنوار الحسية في آفاق المشرق وتشرق نفسه كما ينبج الصبح اشراقا . وإذا كان حاضر القلب وقد حضرت الملائكة ألهموه المعاني والهيام الصالح والتقوى لأنهم لا يلهمون بالخير إلا المستعد وهذا وقت الاستعداد . وهذه هى الصلوات الخمس فن دلوك الشمس إلى غسق الليل أى غروب الشفق الذى يتبعه الظلام أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقرآن الفجر هو الصبح ثم قال تعالى (ومن الليل فتهجد به) أى وبعض الليل فترك الهجود للصلاة . ويقال في النوم أيضا تهجد (نافلة لك) أى فريضة زائدة لك على الصلوات الخمس المفروضة عليك فأما أممتك فهو مندوب في حقها (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أى عسى أن يقيمك ربك مقاما يحمدك القائم فيه وكل من عرفه فالبعث هنا ضمن معنى الإقامة . وذلك أن اشراق النفس بالصلوات الخمس والنوافل يكسيها قوة وتأثيرا وهذا مما يبعث على انتشار أنوار الهداية كضياء الشمس والقمر إذ الهداة في الأرض إما شمس كالأنباء وإما كواكب كالعلماء ولا تشرق قلوب هؤلاء ولا هؤلاء إلا بتوجيهها

الى الله في أوقات خاصة عينت هنا وزيد فيها للنبي ﷺ صلاة الليل إذ يترك النوم ويقوم للصلاة فتشرق نفوس هؤلاء فيقومون في الخلق داعين ولا أثر لهم في العقول إلا على مقدار ما أوتوا من قوة النور النفسى واشراق القلوب وبهجة النفوس ومستحيل أن يكون الارشاد تأثيرولا للعلم نور إلا بهذه الطريقة فيقوم الأنبياء في الناس داعين ويكون مقامهم محمودا لثناء الناس عليهم وهم أنفسهم حامدون لمقامهم وموقفهم الشريف لما يحسون في أنفسهم من السرور واللذة والبهجة والرضا فهم يحمدون مقامهم والناس من حولهم يحمدونهم والله والملائكة من فوقهم كذلك . ولا جرم أن هذا المقام المحمود بالرشد والارشاد يتبعه مقام الشفاعة كما قررناه في سورة البقرة إذ لاشفاعة في الآخرة إلا على مقدار ما أوتي المشفوع له في الدنيا من علم ومن أخلاق فهذا تقرير المقام والله في الشفاعة ما يشاء من غفران واعلاء درجات . فاذا قال بعض المفسرين انه مطلق المقام أوقال آخره مقام الشفاعة كما دلت عليه الأخبار . واذا قال غيرهم هو مقام يعطى فيه لواء الحمد فقد دخل ذلك كله فيما قررناه لك فهذه الصلوات نتائجها ما يبينه هداية الناس أولا والشفاعة التابعة لها ثانيا وأى لواء مرفوع للمحمد أكثر من هذا اللواء والشرف العظيم هداية في الدنيا ونجاة في الآخرة ومشهد شريف هأئت ذا رأيت كفار مكة كيف بالغوا في ردة عن طريقه الشريف في الدين وكيف أرادوا اخراجه من مكة ثم خرج وكيف أمره الله بالعبادة والتهجد . ولا جرم أن التهجد والصلوات الخمس ترقى النفس وتشرح الصدر وتقرّب العبد الى ربه ويعطى مقاما محمودا ولذلك أعقبه بمقام من تلك المقامات المحموده وهو الدعاء الذى هو مستجاب فقال (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) المراد هنا كل ادخال وكل اخراج كالادخال في القبر وكالاخراج منه بالبعث وكالادخال في المدينة للهجرة والاخراج من مكة وكادخاله مكة فاتحا واخراجه منها مهاجرا . كل ذلك داخل في الآية وكل مفسر اختار واحدا منها والحقيقة نعم الجميع أى أدخانى ادخلا مرضيا وأخرجنى اخراجا محفوفا بالكرامة والرضا في كل موطن من مواطنهما (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) أى تسلطنا نصرفي بالحجة وبالملك فأقنع المستمعين للدعوة بالحجة وبنصر الاسلام على الكفر بالاستيلاء والغلبة . ولقد أجاب الله هذا الدعاء بقوله - فان حزب الله هم الغالبون - وبقوله - ليظهره على الدين كله - وبقوله - ليستخلفنهم في الأرض - فهذا الدعاء من المقامات المحموده هو ومقام الشفاعة (وقل جاء الحق وزهق الباطل) جاء الاسلام وذهب وهلك الشرك . يقال زهق روحه اذا خرج (إن الباطل كان زهوقا) مضمحلا غير ثابت * روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثمانمائة وستون صنما فجعل يطعنهم بعود في يده ويقول - جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا - جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد . ولما أتم الكلام على قسمي العمى والبصراء أخذ يبين أولئك العمى الذين أرادوا أن يصرفوا النبي ﷺ عن سبيله الى سبيلهم وقالوا ألم بالهتأ قبل أن تلحق الحجر فقال تعالى مينا أن القرآن شفاء (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من أمراض القلوب (ورجى) وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين ولا يزيد الظالمين) الكافرين (إلا خسارا) ضلالا لأنهم كلما كذبوا بآية نزل بها الوحي ازدادوا بها كفرا فأما المؤمنون فانه يشفيهم من العقائد الزائفة ومن الأخلاق المذمومة . ولما كان دعوتهم للنبي ﷺ أن يركن اليهم كفرا بنعمة القرآن الذى هو شفاء قال (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة وهكذا ازال القرآن على أهل مكة (أعرض ونأى بجانبه) لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بأمره أى تكبر فلا يذكر الله ولا يبالي بالناس (واذا مسه الشر) كالنقر والمرض والنوازل التى تنزل عادة بنوع الانسان (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله . ولما أتم الكلام على تقرير هذه الحقائق الثابتة للعمى وللهتدين ختم القول بأن كلا يسير على مذهبه فقال تعالى (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) أى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال وحال جوهر روحه وما يلابسها من البدن ومزاجه

فعلى مقتضى هذين يكون العقل والعلم والصالح والجهل والاطلاح فن قال الشاكلة الطبيعة أو الدين أو العادة فلم يخرج عما ذكرناه لأن جوهر الروح ومزاج الجسم يتبعهما كل ما تعلق بهما من ذلك ونتيجة ذلك كله يعلمها الله (فر بكم أعلم من هو أهدي سيلا) أسد طريقا وأبين منهجا . ولما كان هذا القول يستدعي السؤال عن تلك الشاكلة والجوهر الروحي الذي نشأ عنه كل هذا الاختلاف حتى رأينا أنبياء يهدون وعامة يقلدون وكفارا يعاندون فما تلك الروح التي أسند إليها هذا كله وعلى مقتضاها ومقتضى مزاج الجسم صدرت هذه الأمور بل ان هذا السؤال نفسه ورد فعلا * عن ابن مسعود رضى الله عنه قال مر رسول الله ﷺ بنفر من اليهود فقال بعضهم سألوه عن الروح وقال بعضهم لا نسأله لا يسميكم ما تكرهون فقاموا إليه وقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر فعرفت انه يوحى إليه ثم قال (ويسألونك عن الروح) الذي يحيا به بدن الانسان ويدبره (قل الروح من أمر ربي) مما أبدعه الله من غير مادة وقد استأثر بعلمه لا يعلمه سواه لأنكم لا تعلمون إلا ما تراه حواسكم وتتصرف فيه عقولكم وحواسكم لا ترى من المادة إلا بعض أوصافها كالألوان والحركات للبصر والأصوات للسمع والطعوم للذوق والمشمومات للشم والحرارة والبرودة للمس وقد وصلت هذه الى ست وثلاثين نوعا من أحوال المادة وغاب عنكم في المادة ما عداها فكيف تدركون ماهو غير مادي وهو الروح (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أخرجه الشيخان والترمذي * وفي رواية أخرى للترمذي قالوا أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي علما كثيرا فنزلت - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - الآية وأماما عدا هذا الحديث من حديث أن قريشا باغراء اليهود سألوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح مما ذكره المفسرون فذلك لم يرد في الأحاديث الصحاح فلذلك ضربنا الذكر عنه صفحا ورجعنا الى التفسير . ولما فرغ من مسألة الروح وأن الانسان عاجز عن ادراكها وذلك له اتصال بمسألتى الهداية والعمى المتقدمتين وأن قريشا حاولوا صرفه عن بعض ما وصى إليه . فلما أتم ذلك كله وأبان طريق المهتدين بالصلاة والتهجد وطريقة الغافلين بالضلال رجع يخاطب نبينا ﷺ بمناسبة اغرائهم له ليعين لنا أن لا نفتزع عن وجهتنا باغراء المغررين ولا بافساد المفسدين فقال مهتدا (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) أى والله إن شئنا لنمحون القرآن من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب ولا الايمان (ثم لا تجد لك به علينا وكىلا) أى ثم لا تجد لك بعد الذهاب به مانعا وكفى لا يرجعه لك (إلا رجة من ربك) لكن رجة من ربك تركته غير مذهوب به . امان الله ببقاء الكتاب بعد المنة بالانزال وهذا تحذير لنا أن ننزل عن نعمة الهداية بالضلال المضلين وارجاف المرجفين . فاذا كان الله يقول لنبيه ﷺ إياك أن يفتنوك وهو عاصمه من الفتنة ويقول إني ان شئت أذهب ما بقلبك من القرآن فكيف بأتباعه وهو لم يعصهم وهذا هو السبب في ضلال كثير من أهل العلم فانهم متى ظاهروا العامة بأعد الله بينهم وبين العلم ثم قال تعالى (إن فضله كان عليك كبيرا) إذ أرسلاك وأنزل الكتاب عليك وأبقاه في حفظك وفي مصاحفك وحفظ أتباعك ومصاحفهم ثم وصف القرآن بأعظم وصف ليثبت قلبه ﷺ وقلوب تابعيه وكذلك ليرد على أولئك العمى الذين بالغوا في طلب صرفه عن الحق فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) بلاغة وحسن معنى وتصرفا واحكاما وغير ذلك (لا يأتون بمثله) وفيهم العرب الفصحاء وأرباب البيان والمحققون وهذه الجلة جواب القسم المندلول عليه باللام وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا . ثم ذكر بعض محاسن هذا القرآن فقال (ولقد صرنا في هذا القرآن من كل مثل) أى بينا فيه من كل وجه من وجوه العبر والاحكام والوعيد والوعيد والقصص (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) سجودا وثبتوا على الكفر أى لم يرضوا إلا كفورا . ولما أتم الكلام وقام الاقناع بالجنة وقطعت أسنتهم ولم يبق لهم حجة أرادوا المراوغة باقتراح الآيات (وقالوا ان تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) عينا

غزيرة من شأنها أن ينبع الماء منها لا تقطع وهو على وزن يفعل من نبع (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب) أي بستان فيه ذلك (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) كقطع لفظا ومعنى (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) أي نراهم مقابلة عيانا كالعشيرة معني المعاشرة وفي آية أخرى - لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا - ثم قال تعالى (أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب (أو ترقى في السماء) في معارجها (ولن تؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) وفيه تصديقك (قل سبحان ربي) تعجبا من اقتراحاتهم وتنزيها له من أن عليه ويشاركة أحد في القدرة (هل كنت إلا بشرا رسولا) فأنا كسائر الرسل وليس للرسل أن يأتوا إلا بما يظهره الله على بديهم فليس لكم الخيرة * روى أن أشراف قريش سألوه ﷺ أنه إن أراد المال أعطوه حتى يكون أغناهم وإذا أراد السيادة سؤدوه عليهم وإن كان الذي أصابه من تابع من الجن غلبه حتى قال ما قال فإن أموالهم يحبسونها عليه ويدفعونها للأطباء حتى يزول مابه من الداء فأبى وقال لهم انه رسول الله وما عليه إلا البلاغ فقالوا له إذا كانت هذه منزلتك من الله فأزل عنا جبال مكة ولتكن لك جنة من نخيل وعنب وفيها العيون نابعة الخ . فلما قام من مجلسهم ومعه عبد الله بن أبي أمية ابن عمته عائكة شدد عليه في القول وقال له عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل فوالله لا أومن بك أبدا حتى ترقى السماء الخ فرجع إلى أهله ﷺ خزينا فنزلت هذه الآية وهذا هو الجواب الاجالي وهناك في آيات أخرى تفصيل لبعض ذلك كقوله تعالى - ولوفتحنا عليهم بابا من السماء - الخ . ثم أعقب الله ذلك بأن الناس دأبهم أن يقولوا كيف يرسل الله بشرا هلا أنزل ملائكة (ومانع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) أي إلا قولهم ذلك أي فلم يبق لهم شبهة إلا هذه (قل) جوابا لهم (لو كان في الأرض ملائكة يمشون) كما يمشى بنو آدم (مطمئين) ساكنين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) من جنسهم يفهمون عنه وملائكة السماء لا عمل لها مع أهل الأرض في الهداية إلا الإلهام وأكثر الناس ليسوا أهلا لالهامهم (قل) كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) اني رسوله اليكم باظهار المعجزات والبيان على يدي وهو الذي ينصرتي لعلمه انكم معاندون وشهيدا تميز (إنه كان بعباده خيرا بصيرا) فهو يعلم أحوالكم الظاهرة والباطنة فيجازيهم عليها وهذا تسلية للنبي ﷺ وتهديد للكفار (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) يهدونهم (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها أو يمشون * وفي البخاري ومسلم عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله قال الله - الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم - أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله ﷺ أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة * وفي رواية الترمذي * أن الناس يكونون ثلاثة أصناف في الحشر مشاة وركبانا وعلى وجوههم * هذا ونحن نرى الحيوان منه طائر ومنه ماش ومنه زاحف كالحيات وهوام الأرض . فهذا القسم أقرب إلى هيئة الزواحف بحيث يبقى الوجه جهة الأرض وتحيط به زوائد كالأرجل الصغيرة الحيوانية وهوهايم على وجهه وقوله (عيا وبكما وصما) أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون وذلك في مبدأ الأمر ثم تعاد لهم هذه الحواس فيحاسبون (مأواهم جهنم كلما خبت) أي سكن لهايها (زدناهم سعيرا) توقدا (ذلك) العذاب (جزاؤهم) بسبب انهم (كفروا بآياتنا وقالوا أنذا كنا عظاما ورفانا أننا لمبعوثون خلقا جديدا) ثم استدلل على البعث فقال سبحانه (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو القيامة (فأبى الظالمون إلا كفورا) بخودا مع وضوح الدليل وإذا طلبتم من محمد ﷺ ما طلبتم من بساتين وعيون تنبع وأن تروا الملائكة والله عيانا الخ فإن الله تعالى لا يرضى بذلك إلا بخلا منه ولكن الحكمة قضت أن يكون هذا نظام الدنيا ولارقي لهذا الانسان إلا على هذا المنوال بل هو يوسع الرقي ويضيقه بالحكمة وعلى مقتضى المصلحة ولو انكم كنتم ملكتم خزائن السموات والأرض وأتم على فطركم

هذه لأمسكتكم خيفة الانفاق فامسك الله بالحكمة والمصلحة ولذلك لم ينزل ما اقترحتموه وامسككم للشرح والبخل وهذا قوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) الى قوله (وكان الانسان قتورا) أى لو تملكون أنتم فأنتم فاعل الفعل المضمرة خزائن الرحمة الرزق وسائر النعم - إذن لأمسكتكم خشية الانفاق - أى لبخلتم خشية أن يفنيه الانفاق - قتورا - بخيلا يعنى ان الله لم يمنع محمدا نبيه ﷺ الآيات التى اقترحوها هو اناله فكأنهم قالوا ان محمدا إما أن يكون نبيا أولا فان لم يكن نبيا فالأمر واضح لأن الآيات التى اقترحناها لم يجب عنها ولم تنزل فاذن هو ليس بنبي وهذا ظاهر وان كان نبيا وهو مقرب من ربه فلم لا ينزل الله ما اقترحناه والله يؤيد عبده عند خلقه فكان الجواب أن الله اذا أنزل ما اقترحتموه لمكان ذلك خلا في النظام وسوء عمل وهذه العطايا الوفرة ربما كانت مصائب اذا أنزلت على غير وجهها وليس ذلك المنع لأن محمدا ليس نبيا بل المنع من جهة الحكمة ولا هو من جهة بخل الله فلا بخل من الله ولا كذب من نبيه ولم يبق إلا انه حكمة . فأما أنتم فنعمكم يحرى على طريقة البخل فلوسم لكم السموات والأرض وادرستموها لم تفهموا إلا الامساك على قدر عقولكم ولن يطلعكم على ملكوته في الحال ولا في المسال إلا اذا ارتقت النفوس فصارت إلهية وزن الأشياء بمقدار فيسلم لكم الاطلاع على عجائبه وارتياد مواطن الكمال ولذلك متى كان في الأرض مستنيرون وقلوبهم صافية ونفوسهم عالية وتعالوا عن المادّة وزهدوا في الأرض فهم من أهلها صورة وهم بينكم فهو لاه أوصلهم الى عالم قدسى يطلعون على عجائب لمناسبة عقولهم لتلك العالم الشريف . فهنا الخزان فتحت لأنهم عرفوا مقدارها وهكذا نبيكم محمد ﷺ سأمسكه زمام الامور لأنى علمت أنه سيعطى كلا ما يستحقه في الدنيا فأسامه بعض خزائن الأمم المحيطة بكم وسيقسمها بين الناس فعلا بالقسط لأنى أفهمته نظام هذه العوالم وقد حقر الدنيا . فأما أنتم فاني لا أسلمكم مفاتيح أرضي لئلا تملكوا المال لأنفسكم ولا تنفعوا خلق

فها أنا ذا أفتح خزائن العلم لمحمد فيوحى اليه ويلهم تابعوه من الله والملائكة وأعطيهم خزائن فيصرفونها في وجوهها ومتى زاغت أمة من الأمم عن تلك الجادة صرفت عنها رزقي فلم ألهم العلماء لغاوتهم ولم أملكهم زمام الناس لبخلهم وجشعهم سواء أكانوا من أتباع الأنبياء كأمة محمد ﷺ أم كانوا من غيرهم فأنا لا أعطى خزائن في الأرض ولا في غيرها إلا للصالحين . أقول وها هي هذه أمتنا لما طغت وبعث وجهت أساطت بها أم الفرنجية من كل حذب ينسلون واقترب الوعد الحق وشخصت الأبصار وذلت النفوس وستكون صرختنا في هذا الكتاب وأمثاله من كتب المسلمين فرطاً للإصلاح ومقدمات للرقى وظهور أمة جديدة غير التى مضت في الأجيال المتأخرة . ولما تقرّر ما تقدم شرع يهتدهم انهم ان لم يؤمنوا بعد ظهور الأمر والحجج الواضحة هاكوا كما هلك فرعون بالفرق كأنه يقول أما الآيات التى اقترحتموها فلا فائدة في انزالها وكفاكم الآيات العلمية التى أنزلناها على محمد ﷺ كما أنزلنا على موسى عليه الصلاة والسلام تسع آيات واضحات الدلالة فالما لم يؤمن فرعون أهلكناه فالهلاك لعدم اتباع الصلاح والعلم وهذا قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) دلالات واضحات (فاسأل بنى اسرائيل) كعب الله بن سلام وأصحابه (إذ جاءهم) موسى (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) مغلوب العقل مخدوعا (قال) موسى (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (إلا رب السموات والأرض) خالقهما حال كون هؤلاء الآيات (بصائر) بينات (وانى لأظنك يا فرعون مشبورا فأراد أن يستفزهم) يستأصل موسى وقومه (من الأرض) كلها (فأغرقناه ومن معه جميعا) بأن استفزه الله فغرق في البحر مع جنده (وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض) أى أرض الشام التى وعدتم بها (فاذا جاء وعد الآخرة) القيامة (جئنا بكم لقيفا) جماعات من قبائل شتى ثم نحكم بينكم ونميز الخبيث من الطيب . هذا هو القصة الذى يبين ما حدث لموسى مع فرعون فانه آتاه تسع آيات قدر رواها النسائي والترمذي فعن صفوان بن عسال رضى الله عنه أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه اذهب بنا الى هذا

النبي نساءه فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن قوله - ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات - فقال رسول الله ﷺ لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تمشوا بيريء إلى سلطان فيقتله ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تنفروا من الزحف وعليكم معشر اليهود خاصة أن لا تعدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد أنك نبي قال فما بمنعكما أن تسلما قالان داود عليه السلام دعا الله أن لا يزال في ذريته نبي وأنا نخاف أن أسلمنا أن تقتلنا اليهود . والمراد بالزحف القتال وهو الجهاد في سبيل الله . هذه هي الآيات التسع التي سمعها فرعون ماعدا الآيات المشهورة فجعلها كما يجد أهل مكة النبي ﷺ وأراد فرعون استغزازهم من الأرض ففرق . هكذا أراد أهل مكة إخراج النبي ﷺ فقتل صناديدهم يوم بدر . فهذه القصة منطبقة ولم يبق إلا انطباق الآيات على الآيات ولذلك أعقبه بقوله - وبالحق - الخ

لقد تبين في أول السورة أن النبي ﷺ أسرى به وعرج به إلى السماء وقابل موسى وبينه وبينه محاورات وأخذ ورداً وانتهى الأمر بالصلوات الخمس وارتقى ﷺ إلى ما فوق السموات العلى ولم يرد أن موسى ارتقى هذا الارتقاء . ولقد رأيت أن موسى عليه السلام أنزل عليه التوراة وأن قومه أفسدوا في الأرض مرتين وأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . فهنا نحن الآن وصلنا إلى آخر السورة . ومن عادة القرآن أن يجعل آخر السورة منطبقة على أولها . فهذا هوذا يقول . أنزلنا الآيات التسع على موسى عليه السلام وجاء في الحديث زيادة واحدة فكأنها هي الوصايا العشر . وقد رأيت هناك عن ابن عباس أن الوصايا الخمسة والعشرين المتقدمة فيها الوصايا العشر أو نحو ذلك . فهنا وصلنا إلى المقصود من هذه الآيات . فهذا هوذا يعيد الكرة على أول السورة فيقول . أنزلنا الآيات التسع على موسى وأنزلنا إليك (٢٥) وهناك غيرها في هذه السورة فكأن عماد ماني التوراة هي التسع وعماد ماني هذه السورة (٢٥) ويقول هناك - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - ويقول هنا مؤكداً ذلك (وبالحق - أنزلناه وبالحق - نزل) أي وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسا بالحكمة والحق فهو مشتمل على الهداية إلى كل . فإذا قلنا هناك أنها (٢٥) حكمة فيقال هنا إن القرآن كله حكمة وهنا بيت القصيد . فإذا كانت تسع آيات لموسى كفر بها فرعون ففرق فبالكم يا أهل مكة إذا كفرتم بما هو ملتبس بالحق والحكمة فلا جرم ستعاقبون على كفركم فعوقبوا بموت الكافرين يوم بدر وغيره وانتهى الكفر من بلاد العرب (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) للطيع في الأول والعاصي في الثاني (و) فرقنا (قرآنا فرقناه) فرقنا فيه الحق من الباطل أي فرقنا فيه (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتؤدده لأنه أسير حفظاً وأعون فهما (ونزلناه تنزيلاً) منجماً على حسب الحوادث في تضاعيف نحو عشرين سنة (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) هذا وعيد لهم وتهديد وأن القرآن لا يتوقف أمر انتشاره عليهم وعمله بقوله (إن الذين أوتوا العلم من قبله) من قبل القرآن (إذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للأذقان) يقعون على الوجوه (سجداً) تعظيماً لأمر الله وشكراً له (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الوعد (إن كان وعد ربنا لمفعولاً) أي أنه كان وعده كائن لا محالة . يقول الله أعرض عنهم فانهم إن لم يؤمنوا به فقد آمن من هم خير منهم وهم علماء الأمم السالفة الذين قرؤا الكتب السماوية وعرفوا الحقائق الدينية وأن الله سيبعث نبياً يفتوا سجداً لله وشكراً له على إنجاز وعده بارسالك (ويخرون للأذقان يكون) لما أثر فيهم من المواعظ فالسجود هناك للشكر على إنجاز الوعد وتكراره هنا لتأثير الوعظ ولذا ذكر معه البكاء (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعاً) كما يزيدهم علماً . ولما كان أهم شيء في القرآن هو التوحيد وكرر فيه تأكيداً كيدا وقد تبين في هذه السورة أن القرآن آمن به أهل الكتاب وهو أفضل من التوراة لأنه آخر كتاب سماوي . وهنا يد سؤال فيقال كيف يكون ذلك وأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات وقد سمعك المشركون كأبي جهل تقول يا الله يارحمن وأي فرق بين آلهتنا وآلهتك . إذن نحن نعبد الأصنام وأنت تعبد الآلهة

فنزله قوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرجن أيا ما تدعوا) أى سموا الله أو سموا الرجن أى هذين الاسمين
 ذكرتم وسميت فهو حسن وقد وضع موضع هذا الجواب (فلة الأسماء الحسنى) وإذا كانت أسماؤه كلها حسنى
 فهذان الاسمان منها . وانما كانت كل أسمائه أحسن الأسماء لأنها فيها التمجيد والتعظيم والتقديس لأعظم
 موجود خالق الوجود فشرف المسمى بنبوة شرف الاسم فأسماء الله أحسن الأسماء كلها * قيل قال ابن عباس
 سجد رسول الله ﷺ ذات ليلة فجعل يقول يا الله يارجن فقال أبوجهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو
 إلهين فنزلت . ثم انه لم يعترض أبوجهل والمشركون معه على الدعاء بالله والرجن إلا لما سمعوا القراءة فنزل
 (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) أى بالقراءة فى الصلاة (وابتغ بين ذلك سبيلا) وسطا بين الجهر والخافت
 فلا تجهر حتى يسمع المشركون ولا تخافت حتى لا يسمع من وراءك . وهذه من الاشارات العامة لعلم الأخلاق .
 إن الأخلاق ترجع لأربعة أمور * العفة للشهوات . والحلم فى الهفوات والبزوات . والحكمة فى المعقولات .
 والعدل فى نظم هذه المذكورات * فلا عفة إلا حيث يكون التوسط بين الشهوة وخود الشهوة ولا شجاعة إلا
 حيث يكون التوسط بين التهور والجبن ويتبع الشجاعة كثير من الأخلاق كالحلم انظره فى آل عمران ولا حكمة إلا
 حيث يكون التوسط بين المتناقضات فلا يكون المرء من المعاندين ولا هو من الجاهلين بل علمه يكون ميزان .
 فالتوسط بين الجهر والتخافت أحد هذه الأخلاق . ثم ختم هذه السورة بالثناء على الله لأنه لا ولد له ولو كان
 له ولد لحول نعمه اليه ودخل حب الاستئثار عنده بخلاف عباده الذين اذا أعطوا خزائن السموات والأرض
 فانهم يسكنونها تقبيرا وضنا بها على الناس ويبقونها لأبنائهم . فليحمد الناس الله لأنه عدل يعطى على قدر
 الاستعداد والعمل فليس هو كما أتم عليه من المحابة والحرص فالإنسان ناقص نقصا مفرطا لان قلبه وان كان
 يود لو يملأ الأرض نعمة على الناس ويحب أن يفيث كل مضطر فان حاجاته وحاجات أبنائه من بعده تضطره
 أن يختص به ويخص أبنائه من بعده . ولكن الأنبياء وأعظم الرجال لا يورثون إلا العلم ولا يعتبرون المال
 ويكونون قائمين بالعدل . يقول ﷺ إنا معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة وقال الله تعالى - وورث
 سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير - فهذه الاشارات تفيد أن أرقى الناس من يتخلقون
 بأخلاق الله . فاذا كان الله لم يتخذ ولدا فهو عدل عام الوجود والناس لما حشروا فى هذه الأرض والعالم
 المادى عالم ضيق اضطروا الى الامساك فقاومهم وأرواحهم من عالم أعلى من هذا العالم بل هم قبسة من نور
 جيل عال يحس به الإنسان من نفسه ويود لو يكون منعما على سائر الناس سيدا على هذا الوجود بعلمه وبماله
 ولكن غرسه فى الطين الأرضى حكم عليه بالتقير ولا يسل من هذه الخصلة إلا أناس عرفوا الوجود وخالفه
 فتخلصوا كالأنبياء وجعلوا نفوسهم آباء الشعوب لا آباء واحد أو اثنين . فهذه الآية ترجع لقوله تعالى - قل
 لو أنتم تملكون خزائن رحمتى - الى آخر ما تقدم ويقول هناك اجدوا الله على هذه النعمة وعظموه فانه قد
 اتصف بالرجة المذكورة وهنا لم يقصرها على أفراد خاصة . فاذا أرسل محمدا ﷺ فلم يخصه إلا لاستعداده فلا
 بنوة ولا قرابة بل هو استعداد واستحقاق . فلتجدوا أيها الناس فرجتى وسعت كل شئ . فهذه الآية تنسحب
 على ذلك كله فليس الله مقتررا كما تقترون ولا رجته محصورة كرجائكم بل هو يريد أن تتخلقوا بأخلاقه لأن
 من أحب أحدا سار على منهجه وقد سار الأنبياء على ذلك المنهج فقدموا الأمم ولم يخصوا أحدا ولذلك أرسل
 محمد ﷺ رجة للعالمين . فليكن العقلاء قدوة الأمم وسعادة الناس اتباعا لرهبهم واقتداء بكامله ونظرا لجماله
 ولما كان من النقائص فى الوجود أن يكون للمالك شريك فانه يعطل أعماله ويقف له بالمرصاد أو وعدو
 ليناوئه فيحتاج الى ناصر قال الله (ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الدل) أى لم يذل فيحتاج
 الى ناصر أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بوالائه بل أولياؤه هم الذين استحقوا تلك الولاية بفطرتهم
 وأعمالهم وكما لم يكن له ولد يحبس نعمه عليه لم يكن له شريك يقف أعماله فى الملك ولا ناصر يدفع العدو المذل

له . وهذه الثلاثة هي آفات هذه الحياة . فالعدو يمتننا والشريك يقاومنا والولد يجعلنا جننا جهلاء أشحاء . وإذا نزه الله عن ذلك فقد أمن الناس فضوب موارده وأصبحت مفتحة أبوابها لكل قاصد . فعلى هذا فليحمد الله . فإذا حمد المصلي ربه على أنه مربى العالمين فليحمده تعالى أن وجوده لا يمنع شريك ولا عدو ولا ولد وهذا اغراء على اكتساب الفضائل والارتواء من تلك المناهل . ولعمري كم اغتر جهال المسلمين بالانكسال على شيوخهم أو على بعض أمور أو عبادات ثم هم يعصون الله أو يقولون نحن أتباع النبي القلاني كهيسي وموسى ومحمد ﷺ وعليهم لقد كذبوا فأنه تعالى ليس له ولد وليس له شريك وليس له عدو فيحتاج الى نصر فأنه فتح أبواب الخير للعباد فلتعترف أيها العبد من مناهله وتعلم أنه لا يحاييك لأجل أهلك ولا نسلك ولادينك ولو كنت ابن نبي من الأنبياء ولا شريف من الشرفاء ولا عظيم من العظماء بل أنت أيها العبد عبد من عبيد ربك فاحذر أن تفتخر بأنك من أبناء الولي الذي يزوره الناس واحذر أن يقال لك كما قيل لنوح عليه السلام - إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح -

أيها المسلمون . ماضى فات والمؤمل غيب واسكن الساعة التي أنتم فيها . وضع الحق واستبان السبيل وتبدى في الوجود جلاله . يقول الله لكم أنا ليس لى ولد . إن الجائر من المسلمين واليهود وأكثر الأمم يعرفون أن الله لا يلد والمسلم موقن بهذا فكيف نحمده على أنه لا يلد له . إن المقام أعظم وأعظم . لماذا يكرر هذا القول ويقول احدونى . وهل هذا يستحق الحمد . نعم الحمد هنا يراد به معنى عظيم

﴿ الخطاب المفتوح من الله للمسلمين ﴾

يقول الله . أيها المسلمون لا تغفروا بأنكم أنزل عليكم آخر الأديان وأن نبيكم خير الأنبياء فليس لى أبناء ولا شركاء . ها أنتم أولاء جهلتم وكسبتم ونعمت فهل نفعكم انسابكم لأعظم الأديان فالنسبة شئ والعمل شئ آخر أنا لم أخلقكم لتكونوا غالة على خلقى . أنا لا ألد . فإذا تريدون . تقاعدتم أيها المسلمون فتمردت عنكم المعالى . أنعيشون فى غرور . أيكسب الناس وأنتم تأكلون . كلا . وعزتى وجلالى لا أجعل لأحد سلطانا على أحد . كلا . احذروا . اعملوا فسأرى عملكم وكيف تتكلمون على النسبة الدينية أو النسبة الأبوية وأنا لانسب بينى وبينكم انما أنتم عبيد مسخرون فان اتبعتم سبيل نبي أعطيتكم . أنا أعمل فلم لا تقلدونى أنا الذى خلقت السموات والأرض . أنا الذى لا أنام . أنا الذى أعمم النعم على خلقى ولا أبخل فأنا الله ولا أعطى إلا من يسير على نهجى وينفع خلقى ويجعل مواهبه وقفا على عبادى ويواسيهم بجماله أوجده أو علمه المنتشر بينهم . هذه أعمالى فلتقلدونى ولتخلقوا بأخلاقى . أيها المسلمون . ألم أنزل عليكم - يوم لا ينفع مال ولا بنون - فالنبوة والابوة وقتية لنظام الحياة - فاعتبروا يا أولى الأبصار -

ولندكر هنا ﴿ جوهره وزبرجدتين ﴾ أما الجوهرة ففي قوله تعالى - ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر - الى قوله - ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا - وأما ﴿ الزبرجدتان ﴾ فهما فى قوله تعالى - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا -

﴿ جوهره فى قوله تعالى - ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر - الى قوله - علينا به تبيعا - ﴾ إن فى هذه الآيات الكلام على البحر والبر وأن الله حل اللسان فيهما . فاعلم أن البحر أوسع مساحة من البر . ذلك أن مساحة الكرة الأرضية كلها (١٩٧) ألف ألف ميل مربع ونحو ثلاثة أرباع هذه المساحة بحر أعنى (١٤٠) ألف ألف ميل مربع . وفى هذه المسافات الشاسعة من البحار والتلال والأودية والسهول المختلفة والأراضى الخصبة مثل ما فى اليابسة والبحار أيضا تختلف فى درجات حرارتها باختلاف الأمكنة وفى أنواع حيوانها ونباتها التى تتوقف حياتها فيها على شروط خاصة كما فى أمر سكان اليابسة سواء بسواء . واعلم أن العلماء فى زماننا بحثوا فى عمق البحار فترى أهم الغواصين على (الاسفنج) فى العالم وهم اليونان لم يصلوا

في غوصهم الا الى عمق (٤٠) قامة لاغير فلذلك لجأ العلماء الى آلات استعمالوها لمعرفة الأعماق فوصلوا الى معرفة الأعماق المختلفة باختلاف الجهات . فترى العلامة (ويفل تامسون) يقول أن العمق وصل الى ٢٥٠٠ قامة أو ١٥٠٠ قدم وهذا باعتبار بعض البحار . وترى العمق في بحر البلطيق وبحر الشمال وهكذا لايزيد عن ١٨٧٧ قامة ومتوسط أعماق البحار في الدنيا إنما يكون في شمال المحيط الهادى المسمى (الباسفيك) فإن المتوسط المذكور هناك وصل الى (٤٥٧٥) قامة وقد مسح بعض العلماء العمق في الجانب الشرقى من بلاد اليابان فلم يجد له آخرأ بعد أن وصل الى (٤٦٥٥) قامة . ومن أراد الزيادة فليراجع هذا المقال في كتاب «علوم للجميع» في المجلد الثالث تحت عنوان «قاع البحر» باللغة الانجليزية وماذكرته الآن كاف في هذا المقام . وأما اليابسة فاقراء الكلام عليها عند قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - في سورة الرعد في المجلد السابع . يقول الله - وجلناهم في البر والبحر - أليس من العجب أن يكون عمق البحر قد يصل الى مايقرب من (٤٦٠٠) قامة ثم نجد السفن تجرى فوقه فهذه حياة مستقرة على هاوية بعيدة الغور سحيقة مهلكة فأى عاصفة قلبت السفينة لم يكن لها فيها في البحر من قرار بل تسقط الى ذلك البعد السحيق . فاذا حفظ الله حياة الناس في هذه المهالك فذلك لرحمته ودقة صنعه وحكمته ثم تكريمه لبني آدم الذين أراهم العجب فهم تارة يسافرون على الأرض وتارة يسبحون فوق الماء وآونة يطبسون في الجو فيصلون الى بعد معين بطياراتهم وتقف عند ذلك الحد . ذلك هو أعظم التكريم بالنسبة لعالمنا الأرضى والجد لله رب العالمين

﴿ زبرجدتان في قوله تعالى - وما أوتيتن من العلم إلا قليلا - ﴾

﴿ الزبرجدة الأولى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نظرت في السماء ليلة الجمعة (١٤) أكتوبر سنة ١٩٢٧ الساعة الرابعة بعد نصف الليل فقلت يا الله ما أحسن ما صنعت وما أجل ما أبدعت . خلقت تلك الكواكب العظيمة الشاسعة الأبعاد العظيمة المقادير فما منها من كوكب إلا وهو أكبر من الشمس غالبا جرما وأكثر منها ضوأ وأبعد منها مرمى وأجل منها قدرا . ولقد حشرتنا في أرضنا هذه لأننا لسنا أهلا بعد لأن نشاهد هذا الجلال الذى أبدعته وهذا الحسن الذى زينته وتلطفت وأبدعت فأحضرت هذه الشمس العظيمة وأتيت بها من أقطارها الشاسعة وأصغرت أحجامها وقللت من نورها وكللت بها سماءنا ونظمتها في جونا القريب الأسود ليلا الأزرق نهارا وجعلتها أشبه ببيض الطائر سخما وبهجة الدرة حسنا وببيض الآمال في لقائك رجاء . زينت سماءنا بشموسك . تلك الشمس التى خلقتها خلائق وأودعتها أما تسكن في سياراتها وأراضيها تطففت بها فأسكنتها جونا القريب ورصمتها بها وجعلتها حديقة جميلة تقرأ بها أعيننا ليلا . ذلك لأنك لطيف لما تشاء عليم حكيم تعطى الطفل لبنا من أمه على قدر طاقتها حتى اذا بلغ أشده فتحت له باب الرزق من العوالم المحيطة به . فهانحن أولاء الآن في الأرض كالأطفال لاقدرة لنا على مواجهة تلك الشمس الكبيرة نفلت عيوننا الأرضية مناسبة لعالمنا وصغرت هذه الشمس لئلا تراه تلك العيون وتطبق التحديق اليها . وهاهم أولاء لما رأوها مناسبة لعيونهم ومتنزلة لعقولهم جعلوها على شاكلة مألوفهم في الأرض فقالوا هذه المجموعة جل وهذه ثور وهذه جوزاء وهذه سرطان وهذه أسد وهذه سنبله وهذه ميزان وهذا جدى وهذا دلو وهذا حوت . الله أكبر . هاهوذا الانسان درس نجوم السماء أى تلك الشمس العظيمة فلم يرها إلا دلو لا يستقي به الماء ولا سنبله في حقول الأرض وجل من الضأن وثورا يحرق عليه الأرض وميزانا يزن به الفاكهة والذهب والفضة وعقربا يفر منه وقوسا يرمى السهم عنسه لمحاربه العدو وجديا ينتفع بلحمه وحوتا يجرى في الماء . هاهوذا الانسان بفضل ربه أخذ عوالم الله التى لا حصر لها وأنزلها الى أرضه وجعلها مما يلائم حاله . الله أكبر كبيرا والجد لله كثيرا . اللهم إنك كبير

عظيم تعاليت وعظمت فلم تغط الأطفال علوم الحكماء ولم تسمع الدواب وحى الأنبياء فأنت متكبر ومن هذه الصفة أنك ترأ بالنعم أن تعطى لمن لا يستحقها فتعجز في أرضنا لاستحق أن نرى هذه الحقائق بأعيننا فأزلتها إلينا في سمائنا مصفرة وأبقيت حقائقها مخزونة عندك فلم تغطها إلا بمقدار بحيث لا يعرف بعض هذا أحد من الناس إلا بعد البحث والتقيب . لماذا . لأنك متكبر ولأنك حكيم ولأنك عظيم . فهذه الكبرياء التي جاءت في كتابك . وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . قد تجلت في معاملة نوع الانسان اذا شيعت فيما بينهم وأذيعت في مدارسهم أسماء البروج فرسمها قدماء المصريين على صناديق موتاهم (كما تقدم في سورة يونس بالمجلد السادس من رسم البروج على صندوق حتر من قدماء المصريين فانظر ذلك الرسم هناك مصورا بالتصوير الشمسي) أصبحت أسماء الحل والثور الخ شائعة بين النوع الانساني لا ينكرها أحد ولا يغيرها مغير مع انها صور خيالية لاحقائق لها ولكن هكذا نوع الانسان في الأرض كالطفل والناجون منه الذين درسوا حقائق الشمس والأضواء هم الذين عرفوا ما أكتبه في هذا التفسير ولكنهم لن يغيروا تلك المصطلحات العامة للتعليم العام . الله أكبر . هكذا كل دين نزل من السماء فيه من ضرب الأمثال ما في منظر السماء من تصغير الشمس فصارت حيوانات خيالية . العلم واحد . علم المبصرات وعلم المسموعات . نبصر شموسا عظيمة فنجعلها حيوانات أو نباتات نعيش بها ونسمع في الكتب السماوية جنس ونارا ونعما ونجما فتخيلها بما نشاهده في الدنيا ثم نسمع الحديث النبوي أن في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وهذا بعينه أشبه بما نراه إذ ظهر أن الكواكب التي جعلناها جسيديا ودلوا وسبله هي شמוש لم ترها عين ولم تسمعها أذن الغافلين ولم تخطر على قلوب الجاهلين . أليس هذا الموضوع بعينه هو قوله تعالى هنا . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . كيف لا وأتم لانعقون الشمس العظيمة ولا تعرفون حسابها ومنازلها إلا اذا جعلتها صغيرة في أعينكم ثم أهدت علماءكم بفعلوها بصور مالا يكم من المشاهدات في أرضكم . فهذا القليل من العلم في جانب الحقائق في كوكب السماء أشبه بما لديكم من العلوم التي أنزلتها في الكتب السماوية والكتب العلمية عند نسبتها الى الحقائق في ذاتها قال تعالى . ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم . ونظير هذا قول الخضر لموسى إذ جعل عامه وعلم موسى عليهما السلام وعلم الناس بالنسبة لعلم الله بما أخذه الطائر بمنقاره من ماء البحر . انتهت الزرجدة الأولى

﴿ الزرجدة الثانية في قوله تعالى أيضا . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . ﴾

اعلم أن العلم القليل المذكور كلما تعمقنا فيه زدنا عاما بقلته فالانسان وهو على فطرته لا يعلم بقله علمه إلا اجالا ولكنه اذا درس وتعمق أدرك أن هناك أبوابا من العلم مغلقة وكلما فتح مغلقة أدرك أن وراءه أبوابا لم تفتح فيتسع الشعور بالجهل بنسبة اتساع المادة العلمية . واذا أردت مثالا لذلك فهناك علم فلسفة الطبيعة . إن هذا العلم يبحث في المادة وصفاتها العامة والخاصة وعند التعمق نرى أمامنا مالا يتناهى ونحن به جاهلون وهأنذا بعون الله ذا كرك نبتة صالحة تشرح صدرك وترى ذلك البرهان . اعلم أن المادة كل ما تشعر به بحواسنا وهي اما أن تحفظ حجمها وشكلها فهي الجامد واما أن تحفظ حجمها ولا تحفظ شكلها فهو السائل أو لا تحفظ حجمها ولا شكلها فهو الجسم الغازي والأول كالحديد والذهب والثاني كالماء والزيت والثالث كالبخار والهواء . انظر الى هذا التقسيم والى صنع القادر الحكيم . تراه أعطى المادة كل ما يمكن في عقولنا وعقولنا لاتصور إلا واحدا من ثلاثة حافظ للحجم وصورة . غير حافظ لها . حافظ للحجم دون الصورة وهناك صور رابعة وهي ما يحفظ الصورة ولا يحفظ الحجم وذلك مثل كل نام من حيوان ونبات فليس كالخشب ولا كالماء ولا البخار بل هو قسم رابع ولكنه ليس من الأقسام العامة في المادة بل هو داخل في قسم الجامد . هذه هي الأقسام التي يحصرها العقل وهما في ذه قد وجدت فعلا في المادة والانسان اذا قرأ هذا يرى انه عرف الاجال . فانظر ماذا

ترى . للمادة صفات عامة وصفات خاصة فالصفات العامة هي التي لا يتجاوزها جسم ما وأهم ذلك (ثمان صفات)

- (١) الامتداد وهو أن يشغل الجسم حيزا ومقدار الحيز الذي يملؤه الجسم يسمى حجما
- (٢) عدم التدخل وهو كون الجسم لا يشغل إلا حيزا واحدا في وقت واحد فإذا حلّ جسم في مكان لا يمكن أن يحلّ غيره في ذلك المكان

- (٣) التجزؤ وهو كون الجسم يقبل الانقسام فهما كان الجسم صغيرا فهو قابل للقسمة
- (٤) لكل جسم مسام كبيرة كما في الخبز والاسفنج أو صغيرة كالحديد والذهب
- (٥) الاستمرار ومعناه أن الجسم اذا حرك ولم يعارضه ما يوقفه لم يقف . واذا سكن ولم يجد له محركا يحركه لا يتحرك

- (٦) عدم فناء المادة إلا بأمر خالقها ونحن انما نغيرها من حال الى حال
- (٧) قبول الضغط وهو أن تضيق المسام والغازات أقبل للضغط من الجومد وهذه أسهل ضغطا من السوائل
- (٨) الثقل فكل جسم نراه منجذبا الى مركز الكرة التي هو فيها

هذه هي الصفات العامة للمادة بمعنى أن كل جسم متصف بهذه كلها . فالذهب مثلا يشغل حيزا وهذا الحيز لا يقبل غيره وهو يتجزأ وله مسام سندسرحها قريبا واذا حرك على سطح أملس لا خشونة فيه ألبتة لم يقف وهذا على سبيل الفرض . واذا تركناه في مكان لا يتحرك ألبتة . واذا أذناه في النار ذاب ولكنه لا يفنى ويمكن ضغطه ولو قليلا وهو ثقيل ومثله الماء والهواء والبخار . أما الصفات الخاصة فهي ما يأتي

- (١) فهي كون الجسم يمكن سحبه شريطا وأكثر الأجسام قبولاً لذلك الذهب والفضة والبلاتين أما مثل الزجاج والحجر فلا يمكن ذلك فهما فلذلك كانت هذه الصفة ليست عامة
- (٢) قبول الطرق . وأشد المعادن قبولاً للطرق الذهب وذلك لا يمكن في نحو الزجاج والحجر لذلك كانت هذه صفة خاصة أيضا

- (٣) الصلابة بحيث يعسر تفريق اتصاله أو مطه وأصلب المعادن الحديد
 - (٤) المرونة وهي رجوع الجسم الى حاله الأصلية بعد ما يكون مضغوطا أو مملوطا أو مشقولا
 - (٥) القساوة وهي كون الجسم لا يذعن للضغط إلا بصعوبة كالذهب والحديد
 - (٦) وقبول القصف بحيث يسهل كسر الجسم كالزجاج
- فهذه هي الصفات الخاصة وكلها ترجع لجاذبية الملاصقة وتسكينها بكيفيات شتى . وهناك أحوال أخرى

- (١) مثل قوة الجذب والدفع بين دقائق الجسم
- (٢) والجاذبية العامة
- (٣) ومثل أحوال الأجسام الساقطة ومركز الثقل ورقاص الساعة
- (٤) والكلام على الحركة ونواميسها والسطوح المائلة التي يرفع الحمل عليها
- (٥) والكلام على السوائل
- (٦) وعلى الهواء وعلى الصوت
- (٧) وعلى الضوء ونواميسه (٨) وعلى الحرارة (٩) وعلى الظواهر الجوية
- (١٠) وأشكال الماء ومنافعه (١١) والكهربائية (١٢) والمغناطيسية

هذا هو مجمل أقسام الفلسفة الطبيعية التي يدرسها الناس في الشرق والغرب وهي من القليل الذي عرفناه ويدخل تحتها علوم وعالوم وآلات وأعمال ينتفع بها الناس . هذا هو المجمل الذي أردت ذكره الآن فهناك بعض عجائبه فهو المقصود في هذا المقام لأننا لسنا في مقام علم الطبيعة بل في تبيان بأيّ طريق

نعرف اننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . أنت تعلم رعاك الله أن هذه المسائل التي ذكرتها لك قد قام بتعلمها جميع أهل الشرق والغرب في الأمم المتعدنة وقد شغلت سائر الأمم وفسدوا عليها آلاف المسائل والآلات الزراعية والصناعية والاتقالية والبصرية . وها هم أولاء يجتدون ولا نهاية للاختراع . فهذه المسائل المذكورة هنا أشبه بحروف المجهم أو بالأرقام البسيطة للحساب فهي عند تركيبها لا تقف عند حد . فالحساب لا ينتهي لأعداده والكلام لا ينتهي لتركيب كلماته . فحروف اللغة العربية وهي (٢٨) والانجليزية وهي (٢٥) حرفا يمكن الانسان أن يركب من كل منهما ما لا حد له من الكلمات فهكذا هنا وهذا الذي ذكرته مجرد تنظير لتقريب المقام هذا ولأترك عجيبه من عجائب العلم ينظره الناس عادة وأكثرهم لا يعلمون

(١) قد ذكرنا في الصفات العامة أن الجسم له مسام كبيرة وصغيرة كالاسفنج والفخار والذهب والحديد أفلا أريك العجائب في هذا المقام . قد أسمعتك الآن رؤس مسائل وهي مجموع علم فلسفة الطبيعة ولكن لم تأخذ بلبك ولم تكن مما يشرح الصدر لأنها اجمال ولأنها أشبه بدروس التلاميذ تاتي اليهم وان كانوا لا يعرفون بها ولا هم بها مجيبين . أتدري ماهذه العجائب . هي

﴿ المسام ﴾

كل الناس يشاهدون الأحجار والطين والزجاج والذهب والفضة والحديد والنحاس . يشاهدونها ولكن ليس يخطر لأحد منهم أن تلك الجوامد المصمتة مفتحة الأبواب ليس دونها حجاب واسعة الطرقات كبيرة الحجرات هذا ولما وصلت الى هذا المقام حضر ذلك العالم الذي اعتاد أن يناقشني في عوصات المسائل . فقال حياك الله . ماهذه السجعات والخطرات . تقول مفتحة الأبواب ليس دونها حجاب . ماذا تريد بهذا . أتريد أن تقول ان الحديد كالاسفنج . قلت كلا . قال فسكالغرايل . قلت كلا . قال فهل أجزاء الحديد مثلا بينها متسع كشوارع المدينة . قلت أوسع . قال فسكالفاصل بين البلدين . قلت كلا بل أوسع من ذلك . قال وهل هذا القول يقال في تفسير القرآن . أنفسر القرآن وتقول أيها المسامون ان الحديد منفصل لا متصل وهكذا بقية المعادن وأن فيها فتحات وتلك الفتحات أوسع من الحقول التي بين القرى في البلاد المصرية . وإذا كان هذا يقال في التفسير تضعي الثقة لأن هذا انكار للحسوس وهل بعد تكذيب الحس من ضلال . فقلت كم للحس من غلط وقد غلط الحس في قوله ليس هنا فتحات وصدق في فتحات الخبز والاسفنج فقال ربما كان ذلك ولكن هذه المبالغات التي تخالف العقول تذهب بثقة الناس بالمؤلفين . فقلت له لقد برهنوا على هذه المسام بما يأتي

(١) نملأ كأسا ماء ونزيده ملحاً ثم سكرافانا بعد هذا كله لا نرى الماء زاد أثبت لأن دقائق السكر أصغر من دقائق الملح ودقائق الملح أصغر من دقائق الماء فدقائق الماء كالبطيخ والملح كالليمون والسكر كحب القمح فالليمون يذهب بين البطيخ ولا يكبر حجمه وحب القمح يسعه الليمون بين وحداته

(٢) أخذ بعض أهل (فلورنسا) بإيطاليا كرة مجوفة من الذهب وملاها ماء ثم سداها سدا محكما وحفظها من الخارج فسطعت قليلا وصغر حجمها فخرج الماء من مسامها وتجمع على سطحها كالندى

(٣) ان الذين يجربون المدافع الكبيرة يضغطون الماء فيها حتى يرتشح من مسامها ويصير زبدا على سطحها ثم يجتمع ويقطر عنها

(٤) الأعمدة الحجرية والقناطر تضغط أحيانا فتقصر اذا كانت تحت بناء عظيم لزيادة ثقله وقد تقدمت في سورة آل عمران فهل كفاك هذا في أن لها مسام . قال هذا كافيني ولكن المبالغات المذكورة هي التي تخالف كل عقل . فقلت ان القوم بحثوا ودققوا كما رأيت أن دقائق السكر أصغر من دقائق الملح ودقائق الملح أصغر من دقائق الماء . فاذن دقائق الماء أكبر وقد رأيت أن دقائق الماء قد اخترقت دقائق الحديد والذهب

وهذا الاختراق معناه أن الفتحات تسع ذرات الماء وهذا الاتساع يحشوا فيه وفي الذرات المحيطة به فظهر لهم ما يأتى قالوا ﴿ لو تصورنا أن في المسام حيوانا صغيرا جدًا جدًا بحيث يعيش على جوهر من الجواهر كما يعيش انسان منا على الأرض وفرضنا أن ذلك الجوهر واقع في وسط حجر لكان الحيوان المشار اليه يرى أقرب الجواهر اليه بعيدة جدًا عنه كما نرى نحن الشمس والقمر والنجوم وربما كان يحتاج لمعرفة تلك الجواهر الى مناظير كبيرة كما نحتاج نحن اليها لمعرفة الأجسام السماوية فيظهر بهذا المثال اتساع المسام بالنسبة للجواهر انتهى كلامهم . ثم قلت ان بعد الشمس المتوسط عن الأرض يعادل تقريباً قطر الأرض (١١٦٥٠) مرة فقتضى كلامهم أن يكون بين الجوهر والجوهر في الحديد والذهب مسافة تبلغ مقدار أحدهما ١١٦٥٠ مرة هذا معنى كلام أولئك العلماء وقد قالوه ولم ينكر أحد منهم هذا بل أقرّوه والناس لا يقرّون مثل هذا إلا اذا كان واضحاً لديهم أجمعين . هذا شأن جميع العلوم . فاذن هذا أشبه باليقينيات لاجماع الأمم عليه . أفلمست بهذا ترى أن الأجرام الجامدة وغير الجامدة أمرها عجب وأن ما نراه مصمتاً هو خاو وكلها مسالك بل يكاد يكون أشبه بالخلاء الذى قلت الأجسام فيه وهذا مما يحير العقول ويدهش الألباب فأمثال الحديد والذهب على هذا المنوال فهذا أمر عجب وهومن أدل الدلائل أن العلم لانهاية له وأن علمنا قليل . فقال أريد بياناً أزيد من هذا . قلت قد تقدمت بعضه في أول (آل عمران) . فقال أريد ما يقرب منه هنا . فقلت ان رأى العلماء اليوم أن المادّة مؤلفة من جواهر غاية في الصغر والسكل جوهر شكل ولون وثقل وانها تبقى على حالها فلا يلحقها تغير طبيعي ولا كيمائى وهذه الجواهر لم يرها أحد ولا برهان محسوسا على وجودها وانما هي توافق العلوم لاسما الكيمياء ولذلك أجمع العلماء على قبولها ويستعان على تصوّرها بهذه الصفة

(١) إن بعض الحيوانات لشدة صغرها لا ترى بالعين المجردة وهناك آلاف آلاف منها تعيش في نقطة واحدة صغيرة من الماء تعلق برأس الابهرة مثلاً وتمتو هناك وتكاثر وتموت كما تعيش حيوانات البر في القفار وحيوانات الماء في البحار ويسطو بعضها على بعض ويقاثل ويفترس بعضها بعضاً كالكواسر والجوارح وهي في المستنقعات أيام الصيف وتصعد في البخار بحرارة الشمس وتطير في الجو مع الهباء ثم تعيش وتكثر حيثما نزلت ووافقتها الرطوبة والحرارة . وهناك في سورة (آل عمران) زيادة فارجع اليها وكفاك ما هنا أفليس هذا معناه - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - وأى علم عندنا اذا كانت قطرة فيها آلاف الآلاف من المخلوقات ونحن لانراها وكل حيوان منها له معدة أو أكثر لهضم طعامه والاغتذاء به وأن طعامه بعد أن يدخل معدته لا يغذيه إلا بعد ما يدور في قنوات كثيرة في جسمه وطعام الحيوان مؤلف من دقائق سائلة وأخرى جامدة مثل ما نرى في الحيوان المشاهد وكل دقيقة مؤلفة مما هو أصغر منها وهكذا فأصبحت تلك الحيوانات التي لانراها علماً جديداً لا ندري ما وراءه وربما كان في باطنه حيوانات ذرية كما نشاهد في الحيوان الذى نراه هنا . ونحن في حيرة فلا الصغير أدركنا صغره ولا الأجرام العظيمة من الشموس والكواكب أدركنا نهائيتها هذا تفسير قوله تعالى - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - وقوله - لقد خلقنا الانسان في كبد - أى نصب وتعب لأنه بعد هذا النصب كله أصبح جاهلاً جهلاً حقاً وقوله - وما ننزله إلا بقدر معلوم - فهو لا يعطينا العلم إلا على مقدار طاقتنا وقوله - ما شهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ حادثة عجيبة في الطيارات ﴾

أنا أكتب هذا في صباح يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٤ ولما وصلت الى هذا المقام ذكرت ما اتفق لي أمس . ذلك أن بعض الشبان قتلوا رئيس الجيش الانجليزى والمصرى وهو حاكم السودان من قبل الحكومة الانجليزية والمصرية . وقد ارتجت بلادنا من أقصاها الى أقصاها لوقوع هذا الحادث لأن بلادنا المصرية قد أعطى لها الانجليز استقلالاً وبلادنا تسوية الامور بيننا وبينهم . فلما وقع هذا الحادث

اختلطت الامور والناس في زهول عميق . فبينما أنا في الغرفة إذ سمعت أصواتا في الجو فقامت ووقفت خارجها اذا هناك طيارات تتلوها طيارات وهي محلقة في الهواء على هيئة طيور ذوات أجنحة وذبول ورؤس تقليدا لطيور السماء وطال الأمد على وقوفي وهي تمر مشي وثلاث ورباع وخماس احتفالا بدفن ذلك الحاكم الكبير الذي أقام انكاثرا وأقمدها كما أقلق مصر وأخافها وأنا شاخص اليها أراقب حركاتها وأسمع أصواتها وهي تخلق فوق البيوت ﴿ لغرضين * الأول ﴾ الاحتفال بالجنائز ﴿ والثاني ﴾ ليقولوا للمصريين انظروا انظروا هذه طياراتنا قد ملست السماء عليكم وسددناها في وجوهكم فالببحر من ورائكم فيه أساطيلنا والجو فوقكم فيه طياراتنا فإلى أين تفرّون . هذا ما يقصدون

﴿ لغة الطيارات التي فهمتها ﴾

أما أنا فكنت أسمع غير هذا . كنت أسمع اني الآن أكتب في التفسير وهناك أناس مثلي يكتبون لرق المسلمين وكأن تلك الأصوات تقول بلسان فصيح سيكون في هذه الأمة الاسلامية رجال غير ماترون وسينشر هذا الكتاب ويكون من ورائه ووراء أمثاله ما يرقى هذه الأمة ويكسبها حركة عظيمة وسيعود الاسلام كما بدا أي ينتشر انتشارا غريبا وليس الانتشار هو كثرة الأتباع فلا فائدة في اتباع أذلاء بل سيكون هذا الاسلام أمره غريب جدا وسيظهر فيه أناس بارعون في جميع الصناعات ويعملون أعمالا يججز عنها الاوروبيون ولكنهم يكونون خدام الانسانية . خدام الحضرة العلية . خدام الحق . خدام الحكمة يربون العالم تربية علمية ويكونون صلة بين الأمم المختلفة . هذا هو الذي فهمته من غويز الطيارات وأنا لا أقول تكلفا ولا أذكر إلا ما خسر قلبي وتلقاه فؤادي . فالأمة الاسلامية سيكون بها أناس أبرع في هذه الصناعات من جميع الأمم يؤدّبون الناصين ويرفعون المدنية الجاهلة الى أوج الكمال وتكون دعوتهم الدينية مبنية على الاقتناع ولا يستعملون السلاح إلا للفضيلة وتربية الأمم تربية علمية لأنهم يحبون الله حبا جافيعملون لمصالح عباده والخلق كلهم عباد الله . هذا هو الذي فهمته من الطيارات الطائرات الانجليزيات . وهذا هو الذي فهمته في قوله تعالى - وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا - وانما الامور بالاستعداد والعمل والحمد لله رب العالمين ولنذكر هنا ﴿ أربع اطائف ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - إن قرآن الفجر كان مشهودا - ﴾

أي يشهد معناه المصلي ويطلعه ويحضر فيه قلبه ونفسه إذ ذاك فارغة عقب النوم فهي مستعدة للفهم ولتلقى المعاني لاسيما وقد تجلى الله على الناس بالصبح منبع الأنوار المشرقة الفاضلة على الآفاق فتذكر النفس بالجمال والبهاء . وانما ذكر هذه الجملة لأنه لا معنى للصلاة إلا بحضور القلب ومطابقة القلب للسان وموافقته له كما قال في آية أخرى - إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا - أي أشد موافقة بحيث يوافق القلب اللسان موافقة أشد وأبين قولاً . فهذا هو المعنى المقصود من قوله تعالى - مشهودا - وأما الحديث فانه ذكر بعض لوازم حضور القلب من الانتفاع بحضور الملائكة للإلهام فيلهمون المصلي المعاني وترسم في نفسه عند صلاته ﴿ اللطيفة الثانية - ويسألونك عن الروح - ﴾

﴿ اللطيفة الثالثة - قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين - ﴾

﴿ اللطيفة الرابعة زيادة مبحث في القسم الأول في قوله تعالى - إقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - ﴾ هذه المطائف الثلاث يتجلى لك نبؤها وتشرق شمسها وتبهرك بحسنها وتراها عروسا حليت في حبر قد ازينت للناظرين وقالت هيت لك للعاشقين فهالك غادة هيفاء وكاعبا غيداء وعقيلة حوراء أزفها اليك باسمه الشجر حالية المنطق عذبة المورد شارحة الصدر مرقية العقل جالبة الأنس بمنطقها الرخيم وبيانها الفصيح فلازفها اليك ساعية اليك لم تجشمك مهرا إلا قبولها ولا نفقة إلا وصالها وهي متهجة بحلالها وحلاها

تحتال في غلائلها السندسية وأثوابها العبقريّة

فأقول نقلا من ﴿كتاب الأرواح﴾ الذي ألفته منذ بضع سنين ولا أحيلك عليه بل أذكر منه ما يناسب المقام لترى جمال الاسلام قد أوحى به الى الأنام ولتعجب أيها النكي كيف أشرقت أنوار الله على عباده وأخذ نوره يتجلى على المخلوقات الانسانية فأظهر الأرواح وأقامها من برازخها تصل السرى بالسرى لتقابل الأحياء فترىهم أن وعد الله حقّ وانهم أحياء فعلا وأن الأبرار والفجار بعد الموت هم هم الذين كنا نراهم في الدنيا ولقد ذكرت لك بعضا من هذا الكتاب في سورة البقرة مما يناسب المقام هناك فلا زدك الحقيقة الناصعة لترى أن الحياة الأخرى موجودة فعلا وأن الناس لم يموتوا إلا أجسامهم وأن أرواحهم تطالع ما كسبت في حياتها وأن العذاب والنعيم حاصلان فعلا في الدنيا وفي الآخرة وهنا يظهر لك سرّ هذه السورة وكيف تكرر فيها ذكر النفس وانها تطالع أعمالها ويكشف عنها غطاؤها وأن الملائكة لا يستطيعون المشي على الأرض • وبالجملة هذا الموضوع ستري فيه معجزات القرآن في آخر الزمان وهذه هي المعجزات الكبرى التي وعد بها الله إذ قال سبحانه - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - أما آيات الله في الآفاق فهذا الكتاب مملوء منها وأما آياته في أنفسنا • فهذا أنادأ أتولوها عليك من الكتاب المذكور بعد أن ذكرت مسألة الروح في سورة البقرة ومباحث العلماء فيها ومباحثي أنا أيضا عند قصة العزيز وحماره وإبراهيم وطيره الذي فرقّه على الجبال ثم دعاه فاقول جاء في هذا الكتاب ما يأتي وهوتبيان اللطيفة الثانية والثالثة

﴿فصل في طرق إحضار الأرواح﴾

قال شير محمد • قد فهمت تاريخ مناجاة الأرواح بأوروبا وقد شاقني هذا الى أن أعرف كيف أخضرت وإذا كانت العلوم الرياضية والطبيعية قد صدقها الجهال لعلمهم أنهم إن سلكوا السبل التي سار عليها المهندسون وعلماء الحساب والطبيعة وصلوا الى النتائج التي وصل اليها أولئك الأعلام حقّ لنا أن نسأل عن الطرق التي سار عليها علماء الأرواح في أوروبا حتى اذا اعتورنا الشك فيما أخبرونا به مما لم نخط به علما سلكنا سبيلهم ليحقق الحق ويبطل الباطل عند المحققين • فقلت اعلم يا شير محمد أن الطرق التي اطلعت عليها في كتبهم ست وسأوضحها جهدا طاقني ولا أخرج عن دائرة النقل مما يكتبون ﴿الطريقة الأولى﴾ لا بد من قراءة الفصل الآتي أولا في آداب المحضرين فتي عملت به فلتجلس أنت وأصحابك أو أهل منزلك حول مائدة ذات ثلاثة أرجل وتضعوا أيديكم عليها غير متكئين بقوة وقد لامست يد كل واحد منكم يد الآخر واتصلت بها ثم يدوم ذلك لا يزيد عن ربع ساعة فاذا لم تتحرك فليعد الى العمل في اليوم الثاني وهكذا كما سيأتي في الفصل الآتي ومتى تحركت فلتسألوا الروح الحاضر أن يرسل لكم من تريدون من أصدقائكم أو أساتذتكم ومتى حضر ففهمنا طرق تتفقون عليها معه لأنه إما أن يقال له أن الجواب نعم بضربة أو بضربتين وهكذا واما أن يقال يكون الجواب كتابة فتكون الألف بضربة والباء ضربتين والثاء ثلاثة واما أن تنطق بحروف الهجاء (ا ب ت الخ) والحرف الذي تضرب المائدة عنده يكتب ثم تكتب الحروف فتكون ذات معنى وهناك يحصل كثير من التهويش والتخليط عند المبتدئين كما في الفصل الآتي ﴿الطريقة الثانية﴾ تجلس أنت وأصحابك أو أهل منزلك وقد وضعتهم فنجانا فوق المائدة مثلا وقد كتبتم حروف الهجاء واضحة جلية حسنة الخط في ورقة لطيفة وجعلتم هذه الورقة محيطة بهذه المائدة ويكون الفنجان في وسط المائدة مقابوا وقد وضعتهم أصابعكم على قاعدته ويدوم ذلك ربع ساعة كما تقدم فان لم يتحرك فليعد العمل وهكذا اسبوعا أو شهرا الى ستة شهور كما سيأتي في الفصل التالي ولتكن أنت رئيس القوم ولتفكروا جميعا في روح صالحة حاضرة في المكان أو تريدون احضارها ومتى حضرت فاطلبوا منها أن تعرف اسمها فيتحرك الفنجان والأصابع موضوعة عليه بطريق الملازمة بلا ضغط ويتجه الى الحروف حرفا حرفا فتكتب تلك الحروف وتقرأ وتسكون مفهومة معقولة وقد يحصل

تهوئش وخاط عند المبتدئين لتداخل أرواح سفلية واذن تكف حالا عن العمل ثم يعاد مرة أخرى ولا بد من الصبر والثبات ﴿ الطريقة الثالثة ﴾ ان الأرواح أنفسها لما رأت أن في تحريك المائدة واستخراج الحروف بطرقها صعوبة وضياعا للزمن أشارت بما يأتي . وهي أن تأخذ قطعة صغيرة من الخشب مثثة الزوايا تجعل لها ثلاث قوائم صغيرة منتهية بدواليب صغيرة وتربط باحداها قلما من الرصاص وتضعها على صحيفة من الورق فلما فعلوا ذلك ووضع الوسيط يده على هذه المضدة الصغيرة أخذ القلم يتحرك بخط أحرفا ثم جلا وبعد ذلك أخذت المائدة تكتب بسرعة زائدة وتحرك رسائل مطولة ﴿ الطريقة الرابعة ﴾ أن يضع الوسيط يده على الورقة وهو ممسك القلم فيستولى عليها الروح ويحركها بذاته ويسمى هذا كتابة آلية لأن الكاتب إذ ذاك لا يدري ما تخطه يده . ولقد جاءتهم كتابات ورسائل بلغات مختلفة وعجائب من التصوير وبدائع من النقش ومن العلوم المختلفة ﴿ الطريقة الخامسة ﴾ أن توضع الورقة في علبة مخطومة ويضع الوسيط يده خارج العلبة ولما فعلوا ذلك خرجت مشحونة بالكتابة والتصاوير الجميلة ﴿ الطريقة السادسة ﴾ أن تظهر الأشباح والأنوار وصور أيد بشرية نورية ووجوه مستنيرة لامعة ويدعى القوم انهم لمسوا الأشباح أخيرا بأيديهم . ولا جرم أن هذا لا يكون إلا بطريقة التنويم المغناطيسي . قال شير محمد . أ أجريت بنفسك هذه الطرق الست أم هذا مجرد نقل . قلت بل مجرد نقل . قال أراك في هذا أشبه بمن يصف للناس علم الكيمياء القديم التي يزعم القوم انها تكون الذهب فتضر المسلمين بلا فائدة . فقلت ان الانسان قد يصف المزارع والأشجار والأنهر والبحار والأرض وهو لم يصنع شيئا من ذلك . فقال وهل شاهدت شيئا من هذا . قلت نعم قد شاهدت فقد فيض الله لي من عمل الطريقة الأولى والثانية وأنا جالس بالقرب منهم وهم قوم صالحون . وهذا كان عندي من العجب لأنه كان أثناء تأليف الكتاب فانهم طلبوا أنا سألنا منهم روح الاستاذ الامام الغزالي فتحرك الفئجان الى الحروف بهذه العبارة ﴿ مسكين شاب عرف الله ولم يهم شوقا الى جلاله ﴾ ثم سأله مسائل أخرى لا يعلمها الحضور فأنت الأجوبة مطابقة فحجبت أشد العجب . فقال شير محمد لعل أعصابهم تأثرت بما في ذهنك أو بما عندهم من الصلاح بخاف العبارة على مقتضاه . فقلت يا شير محمد هذا هو الذي أريد من الناس أن يبعثوه ولست أقطع في العلم بل هذا يعوزه جماعات وقوم عندهم استعداد - وما على الرسول إلا البلاغ - انتهى

﴿ أمثلة على ما تقدم ﴾

﴿ المثال الأول ﴾ وهاك حادثة مدهشة . وذلك أنه في سنة ١٨٧٣ ذكرت جرائد أوروبا وأمريكا حادثا مدهشا وهو أن المؤلف الانجليزى (ديكنس) فاجأته المنية في مدينة لندن سنة (١٨٧٠) م قبل تمة روايته الأخيرة المدعوة ﴿ أسرار ادوين برود ﴾ فأتمها بعد موته على يد الوسيط الأميركي (جيمس) في مدينة (بوستون) وذلك أن (جيمس) كان غلاما صانعا قليل العلم يقضى أيامه في العلم واتقان حرفته فحضر في احدى ليالى (تشرين الأول) سنة ١٨٧٢ جلسة روحانية تجلى فيها روح (ديكنس) وطلب أن يكون (جيمس) وسيطا يتم به روايته فقبل (جيمس) وصار يجلس في كل ليلة في نحو الساعة السابعة وتتحرك يده وهي تكتب في القراطيس أقوالا لا يعلمها ودام على ذلك سبعة أشهر أكل فيها الرواية بألف ومائتي قرطاس . ولقد شهد رجال الصحافة عموما أنه يستحيل على القارئ أن يميز بين ما كتبه (ديكنس) قبل موته وبين ما كتبه الوسيط (جيمس) بعد موته أقل اختلاف لاني الانشاء ولا في الخط ولا في نسق الرواية حتى ان الأغلاط الاملائية التي كان المؤلف في حياته يعنادها بقيت كما هي . ولقد جاءت مقالات في الفلسفة والعلوم والفنون والتاريخ واللغات الأجنبية كتبتها الأرواح على أيدي فتان حديثي السن أوفتيات ساذجات لا يحسن القراءة ﴿ المثال الثاني ﴾ قال . في المذهب الروحاني أن الأرواح قد أشارت الى واسطة أسهل من المائدة لمخبرتهم وهي أن يمسك الوسيط بيده قلما ويضعها على قرطاس

فبحسب بعد ذلك بيده قد تحركت من نفسها وأخذت ترقم نقطاً وخطوطاً ثم أحرقاً يتألف منها المقالة الروحانية
وهالك كيفية ممالك الدكتور (سرياكس) الألماني الوساطة الخطية بعد أن عزم على استجلاء الحوادث الروحانية
في بيته وما بين آله دفعا للاحتيال فبعد أن أقام تسع عشرة جلسة بدون نتيجة تذكر قال ما ترجمته ﴿ في هذه
الجلسة الأخيرة وهي العشرون شعرت فجأة وبالتوالي باحساس غير مألوف من الحرارة والبرودة ثم برمج باردة
مرت على وجهي ويدي فاعتري ذراعي الأيسر نوع من الخدر لا مناسبة بينه وبين التعب الذي كان يعتري
في الجلسة فكانت يدي مغلقة على نوع القول لا تقوى ارادتي على تحريكها وبعد هنيهة شعرت بقوة أجنبية
تحركها بسرعة لم أكن أقوى على تثبيطها ثم أحضرت لي امرأتى ورقاً وقلم رصاص ووضعتهم على المائدة
فوثبت يدي اليسرى على القلم وأمسكته وبدأت تخط في الفضاء اشارات لامعني لها وبسرعة عنيفة أجبرت
مجاوري على التخلف للوراء وبعد ذلك انقضت يدي على الورق وضربت بعنف حتى انكسر القلم ثم انحطت
على المائدة وهمت فتأكدت أنه ليس لارادتي دخل لافي الحركات التي أحدثتها يدي ولا في حالة السكينة التي
صارت اليها فيما بعد وبعد أن برى القلم من جديد ووضع أمامي أمسكته يدي وأخذت تتلف أوراقاً حمة مائلة
إياها شطوباً ونقاطيع الى أن هدأت بعد هنيهة ورأيتها تكتب تمرينات خطية يبدأ بها صبيان المدارس أى
خطوطاً بسيطة في الأول ثم أحرفاً هجائية وكل ذلك بسرعة عجيبة وبعدها هدأ اضطراب ذراعي وشعرت من
جديد برمج باردة مرت على يدي فعادت الى أصلها وتبدد منها كل ضرر وتعب فسررت جداً بهذه الجلسة
لتأكيدي فيها ظهور قوة لاتعلق لها بارادتي ولا في وسعي مقاومتها . وفي الليلة الثانية قننا من جديد الى العمل
ومامصت خمس دقائق حتى شعرت بالريح الباردة والاعراض ذاتها التي تمت في الجلسة السابقة فكانت يدي
اليسرى تهتز بعنف متزايد وتطرق أحيانا طرف المائدة طرقات شديدة مترادفة حتى ظننت انها قد سلخت إلا
اني لم أرفيها بعد الجلسة أدنى خدش ولا اعتراض فيهما أقل وجع ثم تمرنت وساطتي في الجلسات التالية وتكاملت
بسرعة حتى صارت يدي اليسرى تكتب مقالات شتى للأرواح وفي احدى الليالي صورت ثلة من الزهور في
منتهى الاتقان ولا حاجة للقول اني لا أستطيع أن أستعمل يساري حتى في الأكل فكيف في الكتابة . وأما
التصوير فليس لي إلمام باصوله ولو بيدي اليمنى وقد تأكدت تأكيداً لا ريب فيه أن القوة التي كانت تستعين
بيساري للكتابة والتصوير كانت خارجة عني ولا تعلق لها بارادتي وكنت في حال الكتابة على أتم الانتباه لا
أشعر من نفسي بغير خدر يدي وتسلط غريب عليها بمعزل عن اختياري . والدليل على ذلك اني كنت في
حال الكتابة أخطب رفقائي وأطرحهم الحديث دون أن تتوقف يدي عن الكتابة ولا أدري ما تخط

وقصد أحد الحضور في جلسة أن يوقف يدي فوضع عليها يديه وارتفع جسمه حتى وقع كل ثقله عليها
فبقيت مع هذا تتحرك للكتابة بقوة ونظام كأنها ليس عليها شيء وأنا لا أحس بالثقل الواقع عليها ﴿
قال في السكتاب المذكور أحيينا الملاحظات التي نشرها الدكتور (سرياكس) لأنها تحتوي على الأعراض
التي تعتري كل وسيط كاتب في أول وساطته فضلاً عما لصاحبها من الشهرة في العلم والكفاءة واهتمامه الى
الروحانية باختباره حوادثها في نفسه ﴿ المثال الثالث ﴾ قال في السكتاب المذكور قال العلامة (وليام كوكس)
في الوساطة الخطية ﴿ كثيراً ما شاهدت الآنسة (فوكس) وهي الوسيطة تكتب مقالة روحانية لأحد الحضور في
حين أن مقالة أخرى وفي موضوع آخر كان يتلقنها آخر بواسطة طرقات المائدة الواضعة الوسيطة يدها عليها .
وفي الوقت نفسه كانت الوسيطة تكلم انساناً ثالثاً بكل سهولة وانتباه في موضوع مخالف للموضوعين الآخرين ﴿
قال ﴿ ولا جرم أن الوساطة الخطية أكمل وأسهل طريقة لمناجاة الأرواح ولنيلها ببذل المبتدئون جهدهم
خصوصاً لأنهم يتمكنون بها من تمييز الأرواح واستجلاء بواطن أفكارهم وتقدير درجة ارتقائهم ﴿

﴿ الأرواح تكتب بلا أقلام ﴾

(المثل الرابع)

قال البارون (جيلد نستويه) في كتابه عن حقيقة الأرواح في أول شهر (آب) سنة ١٨٥٦ ما يأتي ﴿ خطر لي أن أجرب كتابة الأرواح من غير يد الوسيط لما قرأت في كتاب موسى عن كتابة الوسايا العشر وفي سفر دانيال عن الكلمات السرية التي خطتها يد غير منظورة في ولية بلقشاصر وماقرأته عن أسرار (أسنراقور) الأمريكي في هذا الموضوع فوضعت ورقاً أبيض وقلم رصاص في علبة أقفلتها ووضعت المفتاح معي ولاعلم لأحد بما فعلت وفي اليوم الثالث عشر من شهر آب سنة ١٨٥٦ رأيت حروفاً سرية مكتوبة فدهشت وعجبت أشد العجب وكررت العمل في ذلك اليوم عشر مرات فكلل مسعاً بالنجاح وفي اليوم الثاني كررته عشرين مرة والعلبة مفتوحة أمامي وأرى الحروف والكلمات تسطر أمامي بلا قلم فصرت بعد ذلك أضع الورق أمامي على المائدة فتسطر المقالات عليه بيد غير منظورة ﴾

بهذا العمل نفسه حظي الكونت (أورش) برسالة من أمه المتوفاة بالخط والامضاء نفسه الذي كان لها في حياتها على يد البارون المتقتم . وقد جرب مثل هذا العلامة (والاس) وكذا العلامة (أوكون) من جمعية العلماء في (اكسفورد) والعلامة (زولنر) الألماني والدكتور (جيبه) الافرنسي والمعلم (أويت كويس) الأمريكي في مؤلفاتهم بعد الاحتياط الشديد لرفع الريبة ونفي الشبهة والاثبات واليقين ﴿ المثل الخامس ﴾ روى المسترع الفقيه (سارجان كوكس) مآثره في ﴿ كثيراً ما رأيت غلاماً صيرفياً وهو وسيط عار عن كل علم وتهذيب يجادل عند استيلاء الروح عليه قوماً من الفلاسفة في مسائل المنطق ومعرفة الغيب والارادة والقسرة وغالباً كان يفحهم بأجوبة السديدة وأنا نفسي ألقيت عليه يوماً بعضاً من معضلات علم النفس فخلها لي يرايين قاطعة وألفاظ في منتهى الرقة والفصاحة مع أنه في حالته الطبيعية لا يدري ما الفلسفة ولا يجد ألفاظاً يعبرها عن أفكاره الصغيرة ﴾ . ﴿ المثل السادس ﴾ روى العلامة (والاس) في تكلمه عن أعمال الحاكم (أدمون) الأمريكي ما يأتي ﴿ ان ابنة الحاكم المدعوة (لاورا) أصبحت فيما بعد وسيطة متكلمة وصارت تنطق بلغات أجنبية لا تعرف هي منها شيئاً وكثيراً ما خاطب أصحاب الحاكم موتاهم على يدها وبلغاتهم الخصوصية . واتفق مرة أن نطقت بعشر لغات في مدة ساعة فقط منها الأسبانية والافرنسية واليونانية والاطالية والبرتغالية واللاتينية والهندية والانجليزية وغيرها من اللغات التي كان يجهلها الحضور ﴾ المثل السابع ﴿ هو وبعض ما تقدم خاص بالتنويم المغناطيسي وبعضها يتيسر لجميع الناس بلاتنويم على شرط المثابة والصبر والاحترام والاتجاه الى الله عز وجل فلنختم بهذا المثل فنقول . قال في المذهب الروحاني لآبد لأهل الشك أن ينسبوا الى الأحاديث الخرافية كل الوقائع التي أتينا على ذكرها رغماً من ثبوت صحتها وصدق روايتها زاعمين أنه لا بد أن يكون للتخيل الوهمي والمبالغة النصيب الأوفر فيها ولكن هل يثبت شكهم ازاء حوادث من هذا النوع تمت في معمل وحيد العصر وخيرة علماء انكثرا أعني به (وليام كوكس) ان ضيق المقام لا يمكننا من تفصيل الامتحانات التي أقامها على يد الوسيط هوم والآنسة (فلورنس كوك) فنكتفي بتلخيص بعض الأندية التي فيها تجسدت الروح المدعوة (كاثي كينج) وظهرت عياناً للحضور قال له لامة المذكور في كتابه المدعو ﴿ مباحث الروحانية ﴾ كنت أقيم الجلسات في معمل ذاتي والمكتبة التي ينفذ إليها أجعلها الحجر السوداء التي تدخلها الوسيطة لائقها في السبات ومنها يظهر خيال الروح بعد اضعاف النور . وقد قال في الكتاب المذكور كانت (كاثي كينج) هذه روح حي من عالم الغيب تجلت في البدء بهيئة بخار يظهر في الطامة ولا يقوى على تحمل النور ولكنها تدرجت شيئاً فشيئاً الى أن تجمعت في وسط الأشعة الكهر بائية وفي معمل عالم كبير تنزه عن الجهل والغش . ثم قال العلامة المذكور لم تظهر (كاثي) قط ظهوراً واضعاً كهذا فانها لبثت زهاء ساعتين تمشي في الغرفة وتكلم

بدالة كلا من الحضور ثم أخذت مرارا بذراعي لنتمشي معا . وناهيك ماتولاني من التأثر عند معرفتي أنني أماشي زائرا من عالم الغيب لا امرأة حية ثم قالت (كاتي) انها تستطيع في هذه المرة أن تتجلى مع الآنسة (كوك) وهي الوسيطة فأطفأت نور الغاز وأخذت مصباحا من الزيت النسفوري ودخلت الحجر السوداء فوجدت الآنسة (كوك) ملقاة على المقعدة فاقدة الحراك فجثوت بجانبها وأدنت المصباح منها فألفيتها لابسة حلة من الخمل الاسود ثم رفعت المصباح ونظرت الى ماحول فرأيت (كاتي) واقفة ازاء الوسيطة لابسة حلة بيضاء ضافية الذيل ثم أمسكت ثلاث مرات يد الآنسة (كوك) لأتحقق أنني ممسكة يد امرأة حية ورفعت مصباحي ثلاث مرات نحو يد الآنسة (كاتي) لأخضها بدقة وأنا كد اني أعين حقاً أماي من كنت أتمشى معها ويدي في يدها منذ بضع دقائق ثم تحركت قليلا الآنسة (كوك) فأوعزت (كاتي) حالا الى بالذهاب فخرجت من الحجر وبعد قليل استيقظت الوسيطة بعد أن توارى خيال (كاتي) وأعدنا مصباح الغاز الى ما كان عليه . ثم أخذنا العلامة المذكور يقارن ما بين الآنسة (كوك) الوسيطة والآنسة (كاتي) المتجلية فكان الفرق في اللون واللص والطول وثقب الأذن والنبض والشعر والرئين . فالآنسة (كاتي) كانت ذات شعر ذهبي ووجه أبيض ناصع وعنق ناعم الملمس وقوام أطول وأذن غير مثقوبة ونبضاتها (٧٥) في الدقيقة والرئة أكثر اعتدالا . فأما الآنسة (كوك) فانها ذات شعر كأنه أسود ووجه أسمر وعنق في بعضه خشونة وأذناها مثقوبتان وطولها أقصر قليلا ونبضاتها ٩٠ في الدقيقة وفي رثها زكام . ثم وصف العلامة المذكور آخر جلسة للآنسة (كاتي) وذكر فيها عجائب لا يستطيع الخيال فضلا عن العقل تصوورها . فعلى من عندهم قوة على هذه الأعمال أن يجربوها في بلادنا حتى نوقن بما يقولون . يقول إن الآنسة (كوك) وهي الوسيطة دخلت الحجر الساعة السابعة والدقيقة ٢٣ مساء وفي الساعة السابعة والدقيقة ٢٨ سمعنا صوت (كاتي) وفي الدقيقة ٣٠ تجلت وظهرت بحلة بيضاء قصيرة الأكمام وعنقها مكشوف وشعرها منسدل حتى خصرها ووجهها مبرقع بخمار طويل لم تنزعه إلا قليلا ثم أخذت (كاتي) تكلمهم عن رحيلها القريب وقدم لها أحد الحضور باقة من الزهر فقبلتها ثم قعدت على الأرض وأقعدتنا حولها وأخذت تفرق الزهور علينا وحررت رسائل لأصحابها ومنها رسالة للآنسة (كوك) مطولة وذيلتها باسمها الحقيقي على الأرض (حنا مرجان) وقد زعمت انها عاشت في عصر (كارلوس) الأول ثم تمنت مع هذا العلامة آخذة بذراعه في الغرفة مليا ثم جلست وقصت قطعة شتى من ردايها وخبرها وقدمتها لهم هدايا . قال العلامة المذكور فسألناها هل تستطيع أن تملأ الخروق التي في ثوبها كما فعلت ذلك مرارا فأجابت نعم وأخذت بيدها القسم المخروق وضربت عليه بيدها فعاد حالا الى ما كان عليه فسألناها حينئذ أن تأذن لي في تحقيق الأمر فأذنت فلم أجد في الرداء أقل أثر لافتي ثم دخلت الى الحجر السوداء وأيقظت الآنسة (كوك) وقالت لها لقد أزعمت الرحيل فانتعبت الآنسة (كوك) وطلبت أن لاتفارقها فقالت لها إني راحلة الى عالم آخر غير الذي أنا فيه الآن . ومما قالته لهم انها لاتقدر أن تتجلى فيسمعوا صوته اويروا شخصها وانها تأتي لهم بالوساطة الخطية على يد الآنسة (كوك) ولاتظهر لها إلا في السبات المغناطيسي . انتهى

وهناك حوادث شهيرة لتجسم الأرواح كالتى ظهرت من تجسم (اسنيل) قرينة الصبر في الأمريكى ليفرمور فانها تجلت بعد موتها لزوجها ٣٨٨ مرة بهيئة محسوسة في خلال خمس سنين كذلك العلامة (جيبه) الافرنسي شهد في معمله كثيرا من هذا النوع على يد الوسيطة (مدام سالمون) ونشرها مفصلة في تأليفه وفي سنة ١٩٠١ و سنة ١٩٠٢ ذكرت الصحافة الإيطالية غرائب الامتحانات التي أقامها العلامة (لومب وزو) في (جينوا) مع العلماء (مورسلي) و (برو) والسكانب النحري (فاسالو) مدير جريدة الجيل التاسع عشر الإيطالية وكانت الوسيطة (اوزايا بالادينو) وقد تجسم على يد مرارا ابن (فاسالو) المتوفى وقد أطفأ بتجليه لوعة

أبيه وأيدله صحة خلود النفس . ثم قال في الكتاب المذكور وإن لنا حوادث أخرى عديدة من تجسم الأرواح على يد الوسطاء وظهورهم لأحبائهم لتعزيتهم وتبديد حزنهم نضرب عن ذكرها لاكتفائنا بشهادات العلماء المتقدم ذكرهم . قال شير محمد وهل اطلعت على شيء مما يذكره جهلة المسلمين اليوم من قولهم إن العفريت لبس جثة فلانة أو فلان ويأتى شيخ يقرأ ويهزم . أحقّ هذا أم ضلال . أفلا يمكن تبليان الحقيقة حتى لا يقع الناس في شباك الكذابين . فقلت يا شير محمد انى قابلت كثيرا من هؤلاء فأفقيتهم كذابين غاشين للأمة ولطالما قابلت متعلما فاضلا حاز الشهادات العالية وقد أحسن الظن بأحد هؤلاء فاذا قابلته وجدته أفرغ من فؤاد أم موسى وإلى الآن لم أسر بواحد من هؤلاء وجدير بالأمة أن تتيقظ وتأقف من مسابرة هؤلاء لاسيما انها دخلت باب العلم والترقى وقد اطلعت على نبذة يسيرة تناسب هذا من الكتاب المذكور . قال

﴿ إن الاستيلاء الجسدى ليس لصاحبه قوة كافية للتخلص من مضايقة الروح فلماذا يشترط في الأمر تدخل شخص ثالث يفعل إما بقوة المغناطيسية وإما بسلطة ارادته . هذه السلطة أدبية محضة فلا يقوى على طرد الروح إلا من كان متغلبا عليها بالفضيلة والكمال ﴾ الى أن قال ﴿ وليس للتقسيم والتعزيم أقلّ فعل في طرد الروح المضايق ﴾ ثم قال ﴿ إن النقائص الأدبية أقوى جاذب للأرواح الشريرة ومن قصد التخلص منها فعليه أن يسعى في عمل الخير فيجذب اليه الأرواح وبمجرد ارادتها فقط تسكب جراحها وتطردا إلا أن مساعدتها لا ينالها إلا المجتهدون في اصلاح أنفسهم الساعون وراء الكمال والفضيلة . أقول ان هذا القول أقرب الى الصواب فعلى من يتولى أمر من يتخبطه الشيطان من المس أن يأمره بالأعمال الصالحة والاخلاص - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - وأن استيلاء الروح الشريرة على الجسد المذنب أشبه بما جاء في محاسن السابقة يا شير محمد إذ قالت الروح العالية فيما ذكرته لك في المجلس التاسع ﴿ ثم لولم تكونوا ناقصين ما وافاكم إلا أرواح صالحة فاذا مكربكم أحد فلا تلوموا إلا ذاتكم وما أنسب هذا لقوله تعالى في سورة ابراهيم - وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إني كُفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم - وفي آية أخرى - كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين - والحكمة في ذلك ترويضنا على الثبات وصدق العزيمة وكأن الله عز وجل يريد بذلك ترويضنا على مصادمة الأهوال والثبات في سائر الأحوال فكل شرّ جسمى أو وسوسة عقلية تدعو حثيثا الى الصبر والثبات فن صبر و صار ذلك عادة فيه سعد ومن مال مع الهوى فرضى بالتلف والنعيم ولم يحتمل المشقات أو أطاع الوسوسة سقط في الهاوية . وقد تقدّم في المجلس التاسع قول الروح ﴿ ان الله يسمح بذلك حتى تروضوا على الصبر والثبات وتعلموا أن تميزوا الخبيث من الطيب فان لم تفعلوا ذاك يكون هذا دليلا على نقصكم ﴾

﴿ مطابقات للشريعة الاسلامية ﴾

ثم قلت . أليس هذا يا شير محمد من العجب العجيب . أوليس حديث (ديكنس) السابق هذا يوحى الى قوله عز وجل - ولوترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لعداؤا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - وقوله - وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كذابا كاذبا - وقوله - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - فقال شير محمد أما - حديث (ديكنس) فهو عجيب ان صحّ بل هو أعجب ماسمعنا وأما هذه الآيات فلا أدري ماموقعها وأى علاقة لمرض جهنم على الكفار يوم القيامة وعلى الله وقراءة الانسان كتابه لما في حكاية (ديكنس) من نمط الانشاء وخطا الاملاء . فقلت اعلم يا شير محمد . ان هذه الآيات فيها دلالة واضحة أن كل عمل نعله واعتدناه

يصبح فينا سحابة وغريزة ثابتة فلا ينزعها منا الموت وأن (ديكنس) لم يقتلح الموت منه خطأ الاملاء وأبقى عنده حسن الانشاء . ولا جرم أن كل ذنوبه وأعماله من الخير والشر بقيت في نفسه يحاسب عليها ويعاقب وهذا قوله تعالى - ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - لأن الغريزة لا تقارم كما لم يمكن اصلاح الاملاء بعد الموت عند (ديكنس) وهكذا كل شر من الخير والشر حاضرة عندنا باقية في نفوسنا هي فكذلك لم تتغير فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وكفى بنفسنا حسبي علينا وإذا قلنا - أرجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل - أجبنا - أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا عذاب اللظالمين من نصير - ويقول لوردتكم لعدتم لما نهيتكم عنه وأنتم تكذبون كما كنتم تكذبون في الدنيا بنقض عهدي بعد مرض يصيبكم أوافقه تنابكم أونايلة تحقكم فلا عهد لكم عندي . يا شير محمد اننا غافلون عن نفوسنا في هذه الدنيا ولقد أفلح المؤمنون ولأذكرك بالحديث الصحيح الشريف ﴿ يبعث العبد على ما مات عليه ﴾ وقال الشيخ محمد الزرقاني

وتحشر أطفال وسقط كمثل ما * يكونون عند الموت ثم تكمل

وقال في شرحه للنظم . هل يحشر الطفل والسقط بصفته وقت الموت أم لا . جوابه قال الحافظ ابن حجر كل واحد من أهل الموقف يكون على ما مات عليه

أقول . أليس ترى يا شير محمد أن كلام النبوة صريح في أن الانسان حافظ لأخلاقه وآدابه حتى يحشر عليها . أليس هذا بعينه ما في حكاية (ديكنس) وأنه قد حفظ أخلاقه في أسلوب الانشاء وخطأ الاملاء وهكذا يقاس عليها سائر أخلاقه التي يحشر عليها إلا أن هذه الأخلاق الثابتة فينا بعد الموت أعدل ناقد وأكبر شاهد كنت فينا فأظهرها الله ألا وإن العادات المغروسات فينا بال تكرار لن تزول بل تبقى خزبا علينا وعارا وفضيحة يقرؤها الناس في صحائف أرواحنا ويكون عذاب الخزي . فليقلع المرء عن عاداته وليوطد النفس على منابذة الهوى ومحاربة العادات الذميمة فانها برسوخها فينا تشهد علينا . أوليس الخطأ في املاء (ديكنس) شهد عليه بذلك . أليس ذلك مصداقا لقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - اليوم نختم على أفواههم ونكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون - وقوله - حتى اذا ماجأوها شهد عابهم سمعهم وأبصارهم وجاودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجاودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون -

﴿ فصل في آداب من يحضرون الأرواح ﴾

قال في كتاب ﴿ المذهب الروحاني ﴾ ملخصا من أخص شروطه ما يأتي

الاختلاء والسكينة والرغبة الصادقة والارادة مع العزيمة والهدوء والتجرد من الاضطراب وقلة الصبر وليكن في مكان معتزل بعيد عن الضوضاء وتشيت الفكر وليليجا المرء الى الله تعالى وليحترم الأرواح . ولا ينبغي أن يطيل الامتحان أكثر من ١٥ دقيقة كل يوم وذلك مدة شهر أو شهرين أو أكثر اذا لزم ذلك فان من الناس من لا تتحرك أيديهم إلا بعد مرور ستة أشهر من التجربة وبعضهم تتحرك أيديهم لأول جلسة وهو نادر جدا . ومتى شعر المجرب بضعف في قواه أو ضيق في صدره ناتج عن فقد كهر بائته العصبية فليكيف حالا عن العمل ولا يستأنفه إلا بعد أن تكمل قواه . واذا أطال الجلسة أكثر من (١٥) دقيقة فهو غير حسن وليكن العمل كل يوم أو يومين على قدر امكانه وان خالف ما ذكرناه انتابه أمراض وييلة . وليجلس مع أهل منزله على مائدة بهدوء ويمسك كل منهم قلما على قرطاس فمسي أن يكون لأحدهم استعداد سريع . واذا جلس وحده أضربه . ومن جرب ولم يجد في نفسه استعدادا فليكيف . واذا ظهرت فيه هذه القوة فليصرفها

في الامور الشريفة لافي اللهو واللعب والامور الشهوية . وليختر يوما في الاسبوع يحضر مع آله لذلك العمل والأرواح ليسوا تحت أمرنا بل يحضرون متى وكيفما شاؤا . وإذا كانت الكتابة غير مفهومة فليطلب من الروح اعادتها و بعض الأرواح لا يمكن حضورها فلا يمكن في صدر الطالب حرج من ذلك وكثرة الاستحضار تضر المستحضر وقد يحدث الجنون لمن في دماغهم ضعف وهكذا كل ما يهيج العصب وهي ضارّة بالغامان إلا إذا كان طبعيا فيهم وليست هذه القوة دليلا على السكّال ولا عدمها دليلا على النقص انما هي ترجع للاستعداد وسوء التصرف بهذه القوة يضر بصاحبها لأن من يعلم يعذب أكثر ممن لا يعلم على التقصير وكمال صاحب هذه القوة ونقصه يرجعان للامور النفسية من التواضع وحب الناس والكبر وكرهه الناس وما أشبه ذلك .

ألا وان اجتماع الحاضرين في الفكر صالح لحضور الأرواح وضد ذلك تفرق الأهواء وخير للمستحضر أن يعين وقتا لأحبابه الذين يستحضرهم لأنهم ليسوا تحت أمره بل لهم أعمال غير ذلك هم لها عاملون . ومن الأرواح من يسر بالحضور وهم أحببنا أو من يحبون الخير العام ويرون اننا نطلبهم لغاية جيدة بنا والروح العاوى قد يحضر مجالس كثيرة في آن واحد . أما الأرواح السفلية فلا تحضر إلا مجلسا واحدا لأنهم أقرب الى الأرض . أما الأرواح النقية وهي التي ارتفعت عن المادّة فلا تناجي إلا قلوبا مخلصه لا يشوبها كبرياء ولا حب ذات . ومن أراد الفوز بتعليم الأرواح فليصنع الخير وليتجنب الكبرياء وحب الذات

﴿ درجات الأرواح ﴾

إن الأرواح على ﴿ ثلاث درجات ﴾ أرواح سفلية وأرواح علوية وأرواح نقية

(١) فالأرواح السفلية هي التي تعالبت عليها المادّة فالت الى الشرّ وهي إما نجسة وديدها الشرّ والقاء الخصومة . وأما طائفة تحبّ الخلاعة والخفة والتلاعب . وأما متكبرة بمعارفها القليلة وعلومها الضئيلة فتتعالى عن الحقّ . وأما عقيمة لا تصلح لخير ولا لشرّ

(٢) وأما الأرواح العلوية فلها سلطان على المادّة تحبّ الخير وتبعد عن الرذائل وهي

(٣) إما صالحة توصف بالجود وحب الصلاح وإلهام الناس أفكارا صالحة ومعارفها قليلة وترقبها العقلى دون ترقبها الأدنى

(ب) وأما حكيمة وصفاتها الأدبية جيدة لانقص فيها وعلومها أوفر اتساعا وأغزى مادّة

(ج) وأما رفيعة جمعت ما بين الحكمة والعلم والفضيلة ولا تلقى تعاليمها إلا لمن طلب معرفة الحقّ بخلاص نية وجرد قلبه من المطامع الدنيوية

(٣) وأما الأرواح النقية فهي التي بلغت ذروة السكّال وتجردت من كل نقص ولم يعد للمادّة أدنى تأثير فيها فأصبحت معانية لله مغتبطة به وليست تناجي إلا من كان ذا فضيلة سامية وقلبه مجرّد من كل ما هو ذميم وعليه فالمتوحد لا يغير طبع الانسان فالعالم يبقى عالما والمتوحش متوحشا والشاعر شاعرا وهلم جرا كما ورد في الحديث ﴿ ان العبد يحشر على ما مات عليه ﴾ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا . وعلى ذلك تكون رسائل الأرواح غير مسلم بها ففيها الغث والسمين فربما حضر للمستحضر روح طائفة أو نجسة أو متكبرة أو عقيمة فتذكر له حقائق ناقصة لجهلها أو لسوء خلقها . وكما اننا في الدنيا نرى طوائف الناس على أقسام . فهكذا نرى الأرواح فالآخرون من الأوّلين . فاذا شككت فيمن حضر من الأرواح فسله عن اسمه وقلبه وعدد السنين التي عاشها على الأرض والأما كن التي حلّ بها والظروف التي مكنته من التعرف بك الى غير ذلك وتسلّله أن يقسم لك بالله انه هو حقا روح فلان فأكثرهم لا يجسرون على هذا الكذب وقيل منهم يقسمون وهم الفاسقون . ومن الأدلة أيضا الامضاء ومضاهاته بالمعروف في الأرض . وأهم الأدلة سير الانشاء وأسأله ومعانيه فغالبا لا يمكن الجاهل أن يظهر علما ولا صاحب الرذيلة أن يزور الفضيلة فالأرواح

تتميز بالحديث . ألا وإن الرذائل تحيط بالروح بعد موته احاطة الهواء وأن العالم المتكبر أشد خطرا من الأرواح الشريرة لأن العالم جمع العلم والنباهة والكبرياء والمكر فيغري الجهال ويشربهم مبادئه السخيفة الكاذبة والروح العلوى قد يحضر لطلبه وقد ينب عنه من يعلم أنه كفؤ . على أن الأرواح كلما ازداد اتقاؤها ازدادت في وحدة الفكر وانضم بعضها الى بعض فإيراه أحدها يراه الآخرون وقد تنتحل بعض الأرواح السفلية أسماء الأرواح العلوية بغير ارادة الآخرين فتعاقب بعد تلك الجريمة ويكون ذلك امتحانا واختبارا للناس ليزيخ الخبيث من الطيب . وقد تأتي الرسائل محشوة بكاذب تفرق ما بين الأسرة فلا ينبغي أن يصدق ما فيها كما قدمنا . وللأرواح العلوية سلطة أدبية على السفلية فهي التي تمنعها عن اغواء من هم مخلصون صادقون قال تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - والأرواح في حال تمكنهم من فعل ما يريدون كما يتمكن الناس على الأرض ألا وإن الانسان قد يناجى الأرواح بفكره وإن لم يكن وسيطا وهذا يسمى الاحضار الفكري ولا يجوز له أن يحضر روحا شريرة احضارا فكريا إذا كان وحده . والذي يصد الروح عن اجابة محضره أمور كثيرة منها ارادته الخاصة به فله الحرية المطلقة . ومنها أن يكون في أعماله الخاصة فلا يتفرغ الى المحضر . ومنها أن لا يؤذن له في اجابة المحضر عقابا له أو لمن يحضره . ومنها أن يكون في عالم أدنى من العالم الأرضى وهو لا يتسنى له الحضور هنا لتنافى المبدأين . فأما إذا كان علويا وقد أرسل الى العالم السفلى تسكيرا عن ذنبه أو لرسالة يقوم بها فذلك ان يهجز حينئذ عن الحضور لمناجاة أهل الأرض . ثم ان الفكر تحمله المادة الأثرية الى الروح كما يحمل الهواء الصوت والأول لاحد له والثاني محدود . وجميع الأرواح لها الحرية المطلقة في الحضور وعدمه ولكن الأرواح السفلية ترغمها الأرواح العلوية على الحضور إذا كان ذلك نافعا لها . والرجل الفاضل تهابه الأرواح السفلية فلا تقربه ولا سيما ان كانت تحميه أرواح علوية والطالسم لا تأثير لها على الأرواح وإنما ذلك في عقول السذج والعوام . والروح قد يحضر عند موته ولكنه يكون في حال اختلاط واختباط وتحضر روح الحى إذا كان نائما ولكن اجابته لا تكون سهلة وليس يتذكر عند اليقظة ما فعله وقت الاحضار في نومه والجنين لا يمكن احضاره البتة واحضار المريض والصغير والشيخ الضعيف يضر بهم كما تقدم أنه يضر بهم أيضا أن يكونوا وسطاء . ومن المقالات ما يكون من روح الوسيط الكامنة وعالومه الخفية التي علمها قبل وروده الى هذا العالم فلا ندرى أمن النائم هذا أم من روح حاضرة . ولا جرم أن هذا مما يدعو الى التفكير والتبصر ليزول اللبس . والأرواح العلوية لا تحضر المجالس الروحية الهزلية وإنما تحضرها الأرواح الطائشة فتنتشى طرق الموائد ورفعتها وتلقى الأحاديث الهزلية والأكاذيب الفارغة إذ شبيه الشيء منجذب اليه وليس يؤذن للأرواح الطائشة أن تحضر المجالس الرزينة إلا اذا حضرت للاستفادة فلا تجسر أن ترفع أصواتها . والوسيط قد يفقد الوساطة مؤقتا إما لتصرفه بأن يجعلها بابا للرزق أو اللهو واللعب وأما اراحة الوسيط من التعب . ولا يسمح لآخر أن يحل مكانه والذي يميز بين الأمرين . ثم ان المبتدئ يرغب في مناجاة أحبائه وهم ربما لا يقدرين على مناجاته لجهلهم بطرق ذلك وأما لأنهم في عالم أقل من عالمنا فليستخذ الانسان روحا مرشدا من الأرواح العالية ويسأله عن محضره من الأرواح وهو يجيبه (أذلك ممكن) وليستعن المبتدئ إذا داخلته الأرواح الشريرة بالأرواح العالية مع التوقف حالا عن الكتابة وقد أظنت في هذا المقام لأهمية الموضوع وليكون القارئ على بصيرة ونور وهدى وكتاب منير . هذه الاحكام كلها من محادثات الأرواح أنفسها مع العلماء فيما تقدم قلا عن الآن كردك

﴿ تذكرة في مقارنة ما في هذا القرآن وكلام الامام الغزالي واخوان الصفاء ﴾

قال شير محمد . إذن كل هذا الفصل نقلته من كلام نفس الأرواح . فقلت نعم . قال سبحانه الله إن في هذا لعجبا عجبا . قد قسمت الأرواح الى درجات من صالحة ونقية وعلوية والصالحة جعلت أقل الجيع والنقية

أرقاها . فهل له نظير عند علماء الاسلام . وإذا كانت الأرواح لها حياة بعد الموت وحرية فلم يكره الناس الموت وجهلوا حياتهم بعده وهو في الحقيقة الحرية الناقصة وأرجو أن تزيدني يقينا في أن أرواح الأموات لها اتصال بالأحياء تعاملها وترتيبها . فقلت أما درجات الأرواح فقد وردت في قوله عز وجل - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله - فالأنبياء هم الأرواح النقية والصديقون والشهداء هم الأرواح العلوية ومنهم الصالحون وهم أقل الجميع درجات وقال الامام الغزالي في كتابه ﴿ بديع الهداية ﴾ ما ملخصه ان العلم أفضل ما يستغني الطالبون وبليه كل عمل عام للناس من المنافع المادية كإغاثة الملهوف ودفع الضرر والأذى وآخر الدرجات أن ينقطع للعبادة وشر السرجات له أن يكون شريرا مؤذيا طماعا جماعا . وأما كون الناس يكرهون الموت لجهلهم بالحياة بعده ولا يحبونه مع انهم بعده أحرار . فهناك أسمعك ماقاله (اخوان الصفا)

إن علة كراهة الحيوانات الموت هو ما يلحقها من الآلام والأوجاع والفرح عند مفارقة الأحياء فإن قيل فلم لا تدري النفوس بأن لها وجودا خالوا من الأجسام قلنا لأنه لا يصلح لها أن تعلم هذه المعاني لأنها لو علمت لفارقت أجسادها قبل أن تتم وتكمل . وإذا فارقت أجسادها قبل ذلك بقيت فارغة عطلا بلا فعل ولا عمل وليس من الحكمة أن يكون كذلك إذا كان خالقها لم يخل من تدبير ليكون فارغا بلا فعل بل كل يوم هو في شأن . وأما قولك كيف كانت الأرواح مهذبة ومربية للأحياء في الدنيا فقد ذكرنا في هذا الكتاب ما ورد في النبوة أن إلهام الناس من الملائكة والوسوسة لهم من الشياطين كما جاء عن الأرواح في الجامع النفسية . ونزيده بيانا الآن فنقول قال ﷺ ﴿ إن الله تعالى وملائكته عليهم السلام وأهل السموات وأهل الأرض حتى الغلظة في سحرها والحيثان في البحر يصلون على معلم الناس الخير ﴾ وقال ﷺ ﴿ إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ﴾ فانظر وتعجب . أليس ذكر الملائكة في هذا الحديث وانما تضع أجنحتها لطالب العلم دلالة على المناسبة والملازمة بين المتعلم وبين الملائكة والأرواح العلوية . أليس هذا نظير ما جاء في هذا المقال عن الأرواح ترجمة الآن كردك إذ يقول ان الأرواح العلوية لا تحضر المجالس الهزلية وانما تحضرها الأرواح الطائشة ولا يؤذن للأرواح الطائشة أن تحضر المجالس الرزينة . ونقول أيضا ان الأرواح العلوية قد تأمر الأرواح بالحضور في المجالس النافعة الروحية . فهناك إذن علاقة علوية . وترى مناسبة الملائكة لأهل العلم جاءت في السنة وفي كلام الأرواح ووردت في القرآن الشريف - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فجعل أولى العلم بعد الملائكة فان الأولين يعلمون الآخرين . وقال في (اخوان الصفاء) في رسالة (العلل والمعاللات) صفحة ١٣٢ ما يأتي

ثم اعلم أن النفوس الناقصة الكاملة اذا فارقت أحياءها تكون مشغولة بتأييد النفوس الناقصة المجسدة لكيما تتم هذه وتكمل تلك وتتخلص من حال النقص وتبلغ تلك الى حال الكمال وترتقي هذه المؤيدة أيضا الى حال هي أكمل وأشرف وأعلى - وان الى ربك المنتهى - والمثال في ذلك الأب الشفيق والاستاذ الرفيق وتعليمهما التلامذة والأولاد وإخراجهما إياهم من ظلمات الجهالات الى فسحة العالوم وروح المعارف ليم التلاميذ وليكمل الآباء والاستاذون بإخراج مافي قوة نفوسهم من العالوم والمعارف والصنائع والحكم الى الفعل والظهور اقتداء بالله تعالى وتشبها به في حكمته إذ هو السبب الأول والمبدأ في إخراج الموجودات من القوة الى الفعل والظهور . وكل نفس هي أكثر علوما وأحكم صنائع وأجود عملا فهي أقرب تشبها بربها وهذه هي مرتبة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويتبعون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب . وإذا قالت الحكماء ﴿ الحكمة هي التشبه بالله بحسب طاقة البشر ﴾ معناه أن تكون عالومه حقيقية وصناعته محكمة وأعماله صالحة وأخلاقه جميلة وإرادته صحيحة ومعاملته نظيفة وجوده على غيره متصلا والله سبحانه

وتعالى كذلك • انتهى ما أردته من (أخوان الصفاء)

فتعجب أيها الذكي • أليس ما قالته الأرواح في الجمعيات النفسية في أوروبا هو كما في القرآن وفي الحديث وفي كلام (أخوان الصفاء) • ذلك اجتماع من الغرب والشرق والعلم والدين أن أرواح الناس بعد الموت تكون متصلة بالأحياء تشبه الشياطين تارة والملائكة أخرى وأن الكاملة منها تعلم الأحياء وتهديهم الصراط المستقيم • أوليس هذا معجزة لسيدنا محمد ﷺ

ما كان ليجهول في خاطري أن العلم يكشف عن وجه الحقيقة النقاب ويجليها عذراء بهية لأولى الأبواب • إن في هذا عبرة لقوم مفكرين • أوليس ذلك قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ألا أنهم في مرية من لقاء ربهم ألا أنه بكل شيء محيط - ولقد تبين فيما مضى أن الانس لهم تأثير على الأرواح السفلية وهنا تجلي أن للأرواح السفلية والملائكة سلطانا على نفوس الأحياء وأن الفضلاء منا يتلقون عن الأرواح العالية والسفهاء من الأرواح يتعلمون من الانس لاقترب طبيعتهم السفلية من طبيعة الأحياء لانغماسهم في المادة • وكل هذا يستفاد من كلام الأرواح كما تقدم فانظر كيف صحت هذا في ديننا • تعجب • أليس النبي ﷺ لما قرأ سورة الرحمن وكرآية - فبأي آلاء ربكما تكذبان - أي بأي نعم ربكما يامعشر الجن والانس تكذبان • ذكر للصحابه رضوان الله عليهم أن الجن لما سمعوها قالوا ﴿ ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ﴾ وكثيرا ما كنا نسمع أن النبي عليه الصلاة والسلام مرسل للجن والجن ونسمعه في سورة الرحمن يقول سبحانه وتعالى - يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان - وقال في سورة أخرى - يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي - فاذا سمع العاقل أمثال هذا قال في نفسه كيف يرسل للجن وهم مجردون عن المادة وبهذا الكتاب وضع الحق واستبان السبيل وأن الأرواح التي ماتت ناقصة طبيعتها أقرب الى البشر فيفهمون عنهم أكثر مما يفهمون عن الأرواح العالية التي تفيض العلم على أفئدة العلماء في الدنيا • وقد تأذن الأرواح العلوية للسفلية أن تحضر مجالسنا لتستفيد منها علوما وبهذا تجلي لنا كيف كان ﷺ مرسلا للجن والانس • ما أجل العلم والحكمة

﴿ فائدة ﴾

ربما أشارت النبوة من طرف خفي الى بعض حوادث العصر الحاضر إذ جاء في السيرة الخلية الجزء الأول صفحة ٢٠٦ قال قال رسول الله ﷺ ﴿ والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك فعله وعذبة سوطه بما فعله أهله ﴾ وشراك الفعل أحد سيورها الذي يكون على وجهه وعذبة سوطه طرفه وقيل سيوره وهذا أشبه بشرط (المسره) النليفون ولعل في المستقبل مايبين معناه من هذا العلم أوخيره والله أعلم

﴿ جوهرة في النفس وقواها ﴾

بينما كنت في يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦ قائما إذ وقعت ساعتى فكسرت زجاجتها ووقفت وكان معي صديق هو ملازمي في الحضر والسفر فقال عقب ذلك • لماذا يألم الانسان لمثل هذا • ولم كانت نفوسنا تتأثر تأثرا يطاق في المادّة فان وقعت ساعة أو اختل حائط أو سقط منزل أو حصل خطأ أو هجم عدو أو زلزال أو نأثر على مقدار الحادث • هكذا نألم للحرق والبرد ولقلة المال والملابس والأغذية كما نموت من الغرق والحرق والعطش والجوع وبالسيوف والمدفع • يا محبا • لماذا هذا التلازم بين المادّة والنفس اذا جزعنا على ما يصيب أجسامنا من جوع أو عطش أو مرض • فلماذا نجزع على ما يحصل في المادّة حولنا من قبح أو تخريب الخ هل المادّة أم والنفس بنتها • أم النفس أم والمادّة بنتها • أم هما ابنتان لأم واحدة • فقلت انك بهذا السؤال قد تعرّضت لاصول علم المادّة وعلم النفس وارتباطهما • إنك قد أبنت الملازمة بينهما لإبانة تافهة وأوقعتني

في حيرة لأنني لأقوّة لي على الاجابة الناجمة لأن العلماء الى الآن لم يهتدوا الى سبيل هذه الحقيقة هداية تامة بل هم في حيرة . وغاية الأمر أن كلا يرجح ما يراه . إني سأبحث هذا الموضوع بحثاً عاماً سيتضمن آراء العلماء وسأكون فيه حراً لا أتقيد برأي بل أوجه النفس الى مبدعها ليعطيها من العلم ما به يستخير وجه الحقيقة . فقال مع مشاركتي . فقلت نعم . فقال (س) لم هذا الألم وهذا السرور صفهما (ج) إن المدة حولنا مرتبطة بمصالحنا ففرح ونعمت لأكملها ونقصها . إن الله لم يخلق في الأرض خلقاً إلا لحكمة ويظهر أن هذه النفس لا تسعد إلا بظهور جميع ما يمكن فيها وقد كمن فيها الألم واللذة وكأن هذا الألم مهمار يدفعها الى الرقي كالجوع والعطش وكسر الساعة . نحن نحتاج الى الغذاء والشراب والهواء والملابس ومراقبة حركات الشمس وسير الكواكب ونظام أعمنا والآلام والمسررات تتبع ذلك قلة وكثرة وذلك لارتقائنا ولو كان الألم لافائدة فيه ما خلقه الله فينا . إن ألم الأم لأجل ولدها والأنبياء والحكماء للألم والانسان لجرحه ومرضه كل ذلك مرق للانسانية (س) صف الانسان ومصاحبة للمادة (ج) الانسان والحيوان والنبات . كل هؤلاء ينمون في المادة أى في الماء والهواء والتراب بحيث يكون النقص بأجزاء مادية مكوّنة من هذه العوالم المحيطة بنا (س) ثم ماذا (ج) فيكون الحرّ والبرد المفرطان والجوع والعطش وعدم اللباس لمن يحتاج اليه كبعض بني آدم . كل ذلك مضعف للحى وكل من هذه الأحياء ينمو ثم يقف ثم يموت (س) إذن هذا دليل على أن المادة أصل والنفس فرع وما مثل النفس إلا كمثل اللون والشكل والصورة في المادة . إن كلا من هذه تضمحل على طول الزمان . فاذن هذه النفس تابعة للمادة . ألا ترى أن عقل الانسان يضعف بمعاورة بنت الحان وكثرة التدخين وتعاطي الأفيون والحشيش . إن للمادة سلطاناً على العقل . فالعقل نتيجة المادة لا أكثر ولا أقل . فأين الحساب والعقاب إذن (ج) اعلم أن هذه العوالم التي نعيش فيها لغز وهذا اللغز لا يحله إلا جميع العلوم . فإذا وقفت عند هذا فغننا مجارة العامة لأن ما أوضحته الآن يعلمه الجهلاء والحكماء والعلم يرتفعان عن مرتبة الجهلاء (س) فأبرز الحكمة إذن ولمن تبرزها اذا لم تسمعها لي (ج) ليست نفس الانسان كالمادة التي نعيش فيها (س) بين ووضح (ج) إن للنفس قوى ظاهرة وقوى باطنة . والقوى الظاهرة هي الحواس الخمس البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهذه الحواس أربعة منها في الرأس والخامسة في الجسد كله وهي حاسة اللمس والأربعة الأولى هي السمع والبصر والشم والذوق في الأذن والعين والأنف واللسان مع سقف الحلق . هذه الحواس الخمس جواسيس لمن رئيس وهو المسمى (الحس المشترك) وما الحس المشترك إلا أمير خضعت له هذه الجنود إن هذه الحواس خاضعة لأرادته . جارية على ناموسه . يأمرها فتأتمر . فترى حاسة البصر تحضر لهذا الأمير الألوان والأشكال والسطوح والأحجام والأنوار والظلمات والحركات والسكنات والقرب والبعد . وترى حاسة السمع تحضر له نغمات الموسيقى وأصوات الانسان والحيوان وأصوات الرياح من كل فج . وترى حاسة الشم تفرق بين الرائحة الذكية العطرة والرائحة المنتنة المكروهة . وترى حاسة الذوق تبين له الحلو والحامض والمالح والعفص والحريف والمز والمرّ والعذب وهكذا . وحاسة اللمس تبين الثقل والخفيف والبارد والساخن واللين والصلب والزرج وضده وقد عدّها العلماء (٣٣) لهذه الحواس الخمس (س) ثم ماذا (ج) هذه الصور كلها تقتنصها الحواس الخمس وتعطيها للحس المشترك والحس المشترك يسلمها لقوّة سموها (الخيال) فهذا الخيال نحفظ فيه الصور . والدليل على ذلك أننا نرى الصورة أوفشم الرائحة أوفنا كل التفاح أو نحس بالحرير ونغفل عن ذلك سنين ثم اذا تذكرناه وجدنا هذه الصور مخزونة عندنا فننتذكرها . فإليت شعري من أين تذكرناها . فإذا كان عقلنا مادة أى تابعاً لها كما يتبع اللون المتلون . فلماذا عكس الأمر لأننا نرى أن الأجسام لا تتحمل إلا صورة فصورة وشكلاً فشكلاً ومارأينا قط أن الانسان يكون شيخاً وطفلاً في آن واحد ولا المزارع مثمرة وغير مثمرة في آن واحد ولا الحجر مربعا ومثلثاً في آن واحد . إن المادة لظاهاضيق

انها لاتقبل إلا صورة فصورة . أما العقل فانا نراه قد جمع هذه الصور كلها وخزنها عنده وله جواسيس وله أمير وله مخزن وهذا المخزن قد حفظ تلك الصور لافرق عنده بين السماء والأرض ولا بين الشباب والشيب والقبح والجمال والحلو والحامض . إن الذى فرّق على الطواس اجتمع فى الخيال . جمع الخيال كل صورة رأيناها أو سمعناها أو شممنها أو ذقناها أو لمسناها بل هناك ماهو أعجب (س) وماهو ذلك (ج) إن هذه الصور تحصل فيها أعمال عجيبة (س) ماهى (ج) هناك قوّة أخرى فرضها القدماء كما فرضوا خطوط الهندسة فى المادّة فقالوا ان عداوة الذئب للشاة ومحبة الأمهات للأبناء تلك معان جزئية ليست من الصور المحسة فلها قوّة تسمى الواهمة وهذه المعانى تخزن فى خزانة لها سموها الحافظة . فاذن هنا أربع قوى الحس المشترك والخيال والواهمة والحافظة وهناك قوّة تتصرف فى أكثر من هذه وهى القوّة المتصرفة وهذه تتصرف فى الصور المرسومة فى الخيال والمعانى المخزونة فى الحافظة . ألا ترى اننا نرسم فى نفوسنا أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد اذا أردنا أن نشبه الورد وقد لعبت به الرياح فهذه صور مبتكرة ابتكرتها القوّة المتصرفة وهى حينئذ تسمى متخيلة . وقد ابتكر هذه القوّة المتخيلة صورة ومعنى أو معنى ومعنى فالصورة والمعنى كيباض صديقك وسخائه والمعنى مع المعنى كتصوّر الشاة أن الذئب منفور منه والولد معطوف عليه (س) هذه مباحث طويلة لاتناسب هذا التفسير فأوجز وائت بالنتيجة . ألا ترى اننا فى مقام الكلام على المادّة والنفس الانسانية فإذا يفيدنا من هذا كله . هل تريد أن تأتى بكل ماقرأته . ان التطويل ممل فالاختصار هو المفيد فإتينا بما يفيد . ان النفس فيها مزايا ليست فى المادّة (ج) إنك بهذا القول أشبهت من يسمع قصة أبى زيد طول الليل فلما انصرم الليل قال الشاعر أسمنا قصة أبى زيد . إن هذا هو الجواب . إن النفس لما جمعت الصور فيها وعجزت المدّة عن هذا الجمع دلّ ذلك على أن النفس غير المادّة . ومعنى هذا أن الخاطئ فى منزل لم يحتمل إلا لونا واحدا (س) بل فيه ألوان (ج) إن البقعة الواحدة لا تحتمل إلا لونا واحدا وصورة واحدة والجسم أيا كان لا يقبل شككين معا . قال ثم ماذا . قلت ونحن اخترعنا فى نفوسنا معانى وكليات فان القوة العاقلة فينا تأتى بقضايا كلية وتحلّ مشكلات وتحكم على المادّة . أليس الانسان بعقله قلب وجه البسيطة وتصرف فى المادّة وهندس وزوّق وبنى وهدم وزرع وحصد وغلف وجه الأرض بالأسلاك الكهربية وحكم على المادّة وأدرك انها كانت أثرا فصارت أجساما ثم ترجع أثرا ككرة أخرى والانسان بعقله فعلى الأعاجيب وحكم ودبر . فهل خزنت المادّة الصور كما خزنها العقل . فهل تصورت الماضى وأدركت القضايا العقلية كما أدركها العقل . كلا . إن الانسان فى الدنيا أشبه بمسجون فى سجن تكون أطواره تابعة لحال السجن وخدّامه ولكن المسجون ربما كان حكيما عليما والسجان جاهل غر . إن الانسان حبس فى المادّة وتغذى بها والتوى تبع التوائها ومات على مقتضى نظامها ولكنه ليس معنى موته انه فنى كما انه ليس معنى خروج المسجون من السجن انه مات . كلا . بل لا تظهر فائدة المسجون العالم إلا اذا خرج من السجن وليس احتياجه فى أثناء السجن للقوامين عليه فيطعمونه ويسقونه ويلبسونه بما نفع من نفعه ورقبته وسعادته بعد خروجه من السجن . هكذا ليس تطوّر الانسان فى المادّة صفرا وكبرا وضعفا وصحة وحياة وموتا بحجة على أنه لا حياة له بعد ذلك . تتشابه المادّة والنفس فى ظواهر الأحوال . كلاهما دائم الحركة ليلا ونهارا أمد الدهر . المادّة لاتنفث تتحرك شمسها وقرها وليلها ونهارها وجميع ما فيها . هكذا نفوسنا فى حركة مستمرة حتى أثناء النوم . النفس متحركة والأرض متحركة فهما فى ظواهر أمرهما كأنهما شئ واحد تشابها حركات ونعما وذبولاً . وهذا يشير له قوله تعالى . والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها * والنهار اذا جلاها * والليل اذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها .

علم الله قبل أن يخلق السموات أن الناس سيرون الشمس والقمر والنهار والليل والأرض كلها جاريات بلا

انقطاع وعلم أنهم سيعلمون أن النفس لاتفتأ تتحرك فعطفها على الأرض ولكن النفس فيها مزية أرقى فقال - ونفس وماسواها * فألهمها فجورها وتقواها - . ذكر الله هذه ليبين لك كل ما ذكرناه الآن . فالهام الفجور والتقوى يجمع كل ما تقدم من القوى وهي الخواص الخس الظاهرة والخواص الخس الباطنة والعقل المخزون فيه . فهذا فاق النفس هذه العوالم . الله أكبر . إن النفس هي الواسطة بين المادة وبين العوالم العالية بل انه قيل ان المادة صنع النفس

(١) وهل أذاك نأ الغذاء إذ يتحول فينا قوى كثيرة ومنها قوة الفكر فالفكر اشتق من المادة والمادة كانت أولا فكرا فعمل المادة فكر متجسد والا فكيف رجعت فينا نحن فكرا

(٢) وأيضا الأعمال المادية لاتكون إلا بعد فكر ويتبع الفكر نية والنية يتبعها العمل فلا عمل إلا بعد فكر . فالمادة بعد فكر والفكر في النفس فالعالم المادى من نفس كلية

(٣) وأيضا ان الانسان يمشى على الأرض فلا يقع وإذا مشى على الحائط وقع لأن فكره أفهمه أنه يقع مع انه على الأرض لا يمشى على أوسع من الحائط . فهذه ﴿ ثلاثة براهين ﴾ رجوع الغذاء فينا الى فكر وأن أعمالنا بعد الفكر . وأن الانسان يسقط عن الحائط بفكره وخوفه وهو على الأرض لا يمشى في أوسع من الحائط

إن نفوسنا محل الالهام والوسوسة . فباللهام نصلح الأرض وبالوسوسة نفسدها ولا إلهام ولا وسوسة تقتربان أشياء غير ما ذكرناه مما أتى من الخواص الظاهرة والباطنة . ولما كانت النفس بهذه المثابة وانها واسطة لأنها لطيفة والمادة غليظة قال الله فيها في هذه السورة - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - . ههنا بان معنى الآية . يقول الله - قل الروح من أمر ربي - أى الروح ليست من المادة بل من أمر الرب والرب فيه معنى التربية . إذن الروح مربية للمادة لأن الرب لطيف والروح أقرب اليه من المادة وكلما كان المخلوق أطف كان أقدر . ألا ترى الى الكهرباء كيف حركت الآلات بل ألم ترى الى البخار كيف أدار الآلات وحرك القطرات - إن ربي لطيف لما يشاء - والروح أقل لطفا من الله والمادة أغلظ شكلا والكهرباء والمغناطيس والبخار أقل لطفا من أرواحنا فلذلك تجرأ البخار والكهرباء سلطت على المعادن وعلى المادة خفضت لها بالحركات والأعمال . ثم ان البخار والكهرباء والمغناطيس لم تسلط على المادة إلا بتسخير نفوسنا لها بدليل انها بقيت ساكنة لآحرك لها حتى حركها الانسان فاستيقظت . فأما عقولنا فما أجلها وما أطفها وما أعلاها . ألم ترى انها سخرت هذه اللطائف فحكمت المادة وسخرتها . ألم ترى انها حكمت على الأفلاك حتى عرفت بالمنظار من كواكب السماء نحو (بليونين) أى ألفى ألف وهذا آخر كشف عند كتابة هذه السطور وعرفت أن هذا القدر قطرة من بحر وأدركت حركات كثير منها وأحجامها وأبعادها وأضواءها وعناصرها المركبة هي منها بواسطة ألوان الطيف هل تقدر المادة على هذا أو يقدر الضوء والكهرباء والمغناطيس على هذا . كلا . بل العقل الانسانى فوق هذا كله ولذلك ميزه الله عن الأرض فقال - فألهمها فجورها وتقواها - وأبان المقام أعظم إبانة في هذه السورة فقال - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - . أظن أن المقام واضح وأن قوله - من أمر ربي - ظهر بعضه في هذا الزمان

﴿ عجب عجاب ﴾

عجب لهذه النفس . انها قد خبئت فيها نفائس وعجائب (س) بين ذاك (ج) ان عجائب النفس لم تقتصر على قلب وجه البسيطة بل فوق ذلك أدركت مستقبلها وانها خالدة لانفى (س) أما هذا فعلى لا يقبله (ج) انظر الى العنكبوت . ألم تجد في جسمه مصنعا يصنع فيه الخيوط . قال بلى . قلت ألم تره يفهم كيف يجعله خيوطا وبيوتا وشبكات صيد كما ستره موضعا في سورة العنكبوت . قال بلى . قلت فعجب كل العجب

إن كل نفس تعطى من العلم على مقدار استعدادها . استعدت حشرة العنكبوت الى النسيج و بناء البيوت فوضع مصنع في جسمها وقوة فاهمة في مخها تدبر أمر هذا الغزل وتنتفع به . هكذا ترى الطيور والحيوانات الأرضية جميعا خلق فيها بيض وأجنة في البطون وعلى مقدار ذلك تلهم نفوسها إلهامات مطابقة تمام المطابقة لما فيها فلاطير ولاحيوانا أرضيا إلا ولها غرام بحسن بيضها وتربية ولدها وارضاعه وحفظه . يا عجباً كل العجب . أجسام تظهر فيها مخلوقات صغيرة ونفوس ترسم فيها ما يوافق هذه المخلوقات . أنظر الى الانسان . نراه يعيش ويتنى أن لا يموت . هذه فكرة عاتمة . فشيخه وشبانته كل يحب أن لا يموت وهما أنذا في هذا التفسير أقول أنا لأحب أن أموت إلا بعد تمام طبع هذا التفسير فأكون قد أدت ماعلى وأنا شيخ ولكنى لا أدري اذا تم ماذا يحدث في نفسى بعد ذلك فنفس الناس جميعا تحب الخلود والبقاء الأبدى

إن هذا الحب وحده قياس اقناعى دال على بقاء النفس . وأى فرق بين بقاء الانسان وغرائز الحيوانات كلها . ان غرائز الحيوان كلها صادقة كما عرفت فلم توضع في نفوسها معان إلا لأغراض صالحة . فاذا كانت غرائز الحيوان صادقة هكذا الانسان . فلماذا نستثنى منها مسألة واحدة وهي حب البقاء . أحب الانسان الولد فرباه وأحب الطعام والشراب واللباس والفاكهة والماء والهواء والزينة والشجر والنجم والدواء فوجد ذلك كله وأحب النعمات فلاأت السهل والجبل والماء وأعطاء فوق ذلك علما به يأتي بنعمات أجل فلماذا نقول إن غريزة البقاء كاذبة . الانصاف يقتضى أن تكون حقيقة كبقية الغرائز . إن هذا العالم موضوع على نسق جميل وحكمة (س) قد أثبت تفسير قوله تعالى - ويسألونك عن الروح - وأثبت لماذا ذكر الله النفس بعد الأرض ولم تأت بالنتيجة التى تناسب الآية هنا (ج) إن ما تقدم كله جاء مقدمة لتفسيرها بل تفسيرها يؤخذ ضمنا . ألم تر أن النفس تخزن فيها الصور . قال بلى . قلت فهذا الخزن يدوم فيها ثم يظهر بعد الموت بصفة أجلي . قال فبين هذا المقام . قلت قد تقدم في هذا التفسير أن النفس أحوالا حال اليقظة وحال التنويم في الدرجة الأولى ثم في الثانية ثم في الثالثة وفى كل حال يظهر للانسان عوالم لم تظهر فيما قبله . اقرأه في سورة البقرة عند ايضاح الكلام على السحر فانك اذا قرأت هذا المقام هناك تبين لك أحوال الآخرة من نفس علم التنويم وبذلك تعرف قوله تعالى هنا - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا -

(س) قد مضى ما في سورة البقرة وحقيقة هو يفيد ذلك ولكن زدنا شيأ بعده فلعلك اطلعت على زيادة فائدة (ج) ﴿ جرت حوادث ﴾

(١) عالم سويسرى يسمى (هايم) سقط من أعلى جبل فأخذ يدرس ما حصل للناس من الامور المختلفة وجعلها محاضرة ألقاها في نادى (زوريج) سنة ١٨٩٥

يقول إني عند مازلت قدمي وأخذت أسقط فقدت حاسة اللمس وظهرت أمامي جميع الحوادث الماضية أسرع من البرق بحيث طالعتهما كلها مرتبة مع انها تحتاج الى زمان طويل . فهذه اللحظة برز فيها هذا كله بجميع الصور التى مرت على الحوادث ظهرت مرتبة . فهى في ثانية واحدة ظهرت مرتبة كأنها في ساعات كثيرة ترتيبا ونظاما ووضوحا . وهكذا وجد كل الحوادث التى جمعها من غيره تشابه هذه سرعة ووضوحا وفقد حاسة اللمس سواء أكان ذلك سقوطا أم حرقا أم غرقا

(٢) المسيو (جون لامونت) كان رئيسا للجمعية النفسية في (ليفربول) فانه غرق في البحر وأحسن بأنه رأى جميع الصور والحوادث الماضية رانه بعد ذلك انزل عن الجسم وعاشت روحه وحدها . ولكن لما انشأوه طاح ذلك كله مرة واحدة فكتب ذلك للناس . وهانحن أولاء نضعه في تفسير قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا -

(٣) ومثل ذلك ما حدث لطبيبة انها عملت لها عملية جراحية ورجعت لصحتها بعد قطع الأطباء الأمل

من نجاتها . قالت ان جميع حوادثي وذنوبي مرت على وقد استحضرت أقارب القسيس وهو يلقني كلمات
وسمعت كأن قائلا يقول أرجع الى حباك فلما تذهبت قلت للقسيس قم فاني لا أموت اليوم فقام
هذه بعض الأحوال التي مرت على الناس . وهما تلك الأحوال المذكورة في سورة البقرة . انظر
الى حوادث الدنيا وأعجب من هذا الانسان وقواه . أعجب من نظام هذه الأرض . رأيت الحيوان تساعد
غرائزه على ما خلق له كالغسل للنحل والغزل للعنكبوت وحضن الطير ليضه وارضاع الأم ولدها . ورأينا هذا
الانسان مغرما بالبقاء يربى ولده كأنه يظن انه بقاء له ولو بقاء صوريا ويؤلف العلم ويشيد المباني كالاهرام ويكتب
اسمه عليها تخليدا له ويبذل المال للشعراء ليحيوا اسمه . أليس ذلك كغريزة الغزل المخلوق في جسم
العنكبوت لا بد من فائدته . انظر انظر كيف خزنت الصور في عقله . بل انظر انظر كيف جاء التنويم المغناطيسي
فأبان أن الحوادث كلها كامنة وأن الانسان يكشف عوالم أخرى حينما تضعف رابطة بالحدس . ولنا الآن
نذكر الصالحين وأهل الذكر وأهل الرياضة لأننا في مقام خطاب الجمهور . انظر الى الأمم جميعها كلها لها
ديانات ومامن دين إلا وهو يذكر الخلود . لماذا . أليس قبول الأمم للديانات معناه انهم يحبون حياة خالدة
ويحبون أن يكون لهم إله والا فلماذا يصتقون ويؤمنون . لم يخلق الله أمة إلا ولها دين . إذن هذا ليس
أنقص من غريزة النحلة والنملة والغرائز صادقات . إن الغرائز الانسانية والأميال قد ظهر صدقها بالديانات
والديانات ظهر صدقها في حوادث التنويم المغناطيسي وحوادث الفرق والسقوط من شاهق جبل . إن معنى
قوله تعالى - إقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - قد وضح في الغرائز وفي التنويم المغناطيسي
وفي حوادث الفرق والسقوط . إن المسلمين هم المقصرون في العلوم والأمم كلها عرفت من العلم ماهو سر
كتابنا وكتابنا لم نعرف منه إلا حفظ الكلمات وعلم الأحكام الشرعية ونحن عن علومه معرضون . اللهم
ألهم الأمة الاسلامية علما وحكمة والحمد لله رب العالمين

﴿ يا قوتة في الحياة بعد الموت ﴾

كنت كتبتها في مجلة ﴿ نور الاسلام ﴾ منذ سنين وهي التي كانت تصدر بالرقازيق
من العجب أن جميع الجرائد والمجلات العلمية العربية لم تبحث بحثا يعتد به في الحياة بعد الموت إلا ما ينقله
بعض من نصبوا أنفسهم لترجمة المقالات العلمية عن فلاسفة الافرنج أولئك هم الباحثون . فياسبحان الله
كأن أهل الشرق لما رأوا أنفسهم خسروا الماديات أتبعوها بالأدييات والعقليات فتركوا للغريبين العلميين
وقروا - ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير - وتراهم كل يوم يندبون الاتحاد وهم
الى الآن ما اتحدوا في الاعتقاد فعم الفساد في كل ناد . كيف وهذا البحث طالما كان الشغل الشاغل لفلاسفة
الشرق بل هو موضوع أبحاث كل ملة في مشارق الأرض ومغاربها وهالك ما اختلج في صدى . فها أحوج
الأمة الى الخوض في هذا الموضوع في هذه المنشأة المدنية التي التبس فيها الحق بالباطل حتى ان الناس يخوضون
في كل موضوع فاذا وصلوا الى هذا فلا تسمع منهم إلا همسا كأنهم ظنوا أنه من القضايا التي لم تحم حولها
الفلاسفة والكتاب مع انها أول خاطر يخطر للتفكير المتبصر ولنجعل مدار بحثنا على ﴿ ستة أوجه ﴾

﴿ الوجه الأول ﴾

من نظر الى الفطرة الانسانية وجدها تأبى أن تعمل عملا بلا فائدة وتحب أن يكون ما تفعله تاما . وانظر
لو رأيت أيها الانسان رجلا أوقد شمعة في ضوء الشمس لحسنت عليه أول وهلة أن موهبة الانسانية وغريزته
الفطرية انزعجت منه وقلت هذا فعل الأطفال الذين لا يعقلون والفطر فينا كلها صادقة قد اندمجت فيها الخبيث
والبيئات على أميالها الغريزية والحجة ههنا أن يقال هذا الفعل لا بد له من فائدة إما للفاعل أو للمفعول أو
لغيرهما وغير ذلك لا يكون . فأما فائدة المفعول وهو الشمعة ههنا فالعدم الخوض وبُست الفائدة ولا فائدة

للفاعل ولا لغيره لشروق الشمس التي لا أثر للصباح في ضوئها فلننظر الى أرقى من هذا ألا وهو هذه العوالم بأجهرها التي أشرقت بأنوار الحياة السارية في كليتها وجزئياتها - الله نور السموات والأرض - نرى نجومها طاعة وأقمارا لامعة وشموسا ساطعة فشروقها بنظام وغروبها بأحكام . فليفكر الانسان - الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان - أى يخضعان لما يراد منهما - يوجل الليل في النهار ويوجل النهار في الليل - فعوامل السموات وقوابل الأرض كالذكر والأنثى وأنت أيها الانسان نتيجهما ففصل التفصيل السابق في مثال الشمعة وقل ما الفائدة في خلقك إذن . فاما أن تكون للخلق ومعلوم أنه غنى واما أن تكون لك أنت ونحن نعلم أنك في هذه الدار تسعد يوما وتشتي أياما . وهب أنك ملكت مقاليد السعادة . أفلا يكون مصيرها الى الفناء فالتصور قصور والخور بور

أشدّ النعم عندى في سرور * تيقن عنه صاحبہ انتقالا

واما أن تكون لفسرك من المخلوقات وقد علمت أن فائدته من نفسه لا قيمة لها فكيف بفائدته منك فنتج انه اذا كان مصير هذا العالم الى الفناء المطلق كان عبثا وباطلا . واذا كنت أنت أيها العاقل تأبى نفسك أن تفعل العبث وتتكبر عن اللغو والباطل فهل يتصف بذلك الذى أودع تلك الفطرة السامية فيك كيف وقد ورد في القرآن ما يطابق الوجدان قال تعالى - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار - وقال أيضا - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية - وقال - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بعين * ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون أن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين - . فانظروا أيها العقلاء كيف أعقب خلق السموات والأرض بالحق - بذكر قيام الساعة وانقلاب هذا العالم الى نشأة أخرى كأنه يقول ان لم يكن لهذا العالم نشأة غير هذه بأن هدمناه وأعدمناه كان خلقه بغير حق ولا حكمة فلا بد أن يأخذ دورا جديدا بل نشأة أخرى أرقى من هذه كما هو شأن نظامنا العالى الذى تشاهدونه فى الانسان والحيوان والنبات وجميع العوالم فقيسوا ما غاب على ما شوهد . ولما كان الدليل واضحا ظاهرا ظهور الشمس فى رابعة النهار من طريق الاعتبار . أنكر الله على من لم يتفطن لذلك فقال تعالى - أخسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون * فتعالى الله الملك الحق - كأنه يقول ألم تنظروا فيما ترونه من حكم هذه العوالم وانها تأخذ فى الترقى فحسبتم أن خلقكم عبث وانكم لاترجعون أفلاتعقلون - وكأين من آية فى السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - فثبت بالدلائل العقلية والنقلية أن اعدام العالم بلا نشأة أخرى أرقى من هذه عبث والعبث مستحيل على الله تعالى فلا بد إذن من نشأة أخرى لهذه العوالم - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا - فوق ما تشاهده فى هذه النشأة الصغيرة ولولا خوف الملل لأطلت المقال

﴿ الوجه الثانى ﴾

اننا نرى فطرنا الصادقة فيها داعية عجيبة وهى حبّ الأخذ بناصر الضعيف على القوى فهؤلاء الحكام والقضاة وأرباب المنازل يجدون فى أنفسهم قاهرا وشوقا باعنا على مكافأة المحسنين على الاحسان والمسيئين على الاساءة وهو أمر يقع بالاضطرار من دواعى النفوس فبالله ما هذا الوجدان العجيب . أليس هو من العدل المنبعثة أشعته من الحكمة الالهية العالية فى نفس هذا الانسان الذى أشرقت عليه أنوار السكّال من الحضرة الالهية . فكل انسان من الملوك الى الصغار ومن أعلم عالم الى أجهل جاهل اذا رأى اذا روح اعتدى على غيره من انسان أو حيوان دعتهم أنفسهم الى المدافعة عنه بل ربما خاطروا بها مخاطرة وتمدحوا بذلك حتى عدّ هذا من فروع الشجاعة التي هى أحد أركان كمال الفطرة الانسانية كما أوضحه علماء الأخلاق . فهذه فطرنا الصادقة التي تشف من وراء ستر رقيق عن حكمة عالية وعدل تام فى مصدرها وهو القائم على كل نفس بما

كسبت وهو القاهر فوق عباده . أفككون أنت أيها الانسان مفطورا على العسل والجزء والقيام بالتسبط حتى ان فطرتك السامية كتبت على صفحات ضميرها المستر - هل جزاء الاحسان إلا الاحسان - ومع هذا كله لا ترقى في الفكر قليلا الى فاطر هذه الفطرة وموجد هذه الفكرة - ومار بك بظلام للعبيد - فساء ما يحكم الجاهلون . كيف ونحن لم نر جزاء في هذه الدار التي استوى فيها المحسن والمسيء - كلا نعمت هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا -

فالأرزاق في هذه الدار جعل الخالق موردها الحياة ولم يفرق فيها بين الخبيث والطيب والبر والفاجر حتى قال - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فبالله رعاك الله أين ما يوجد من الفرق بين ذوى النفوس الفاضلة والنفوس الناقصة . واذا ثبت أنه لا جزاء هنا فالجزاء إذن في دار أخرى وهي به أخرى - ومار بك بغافل عما تعملون - وهل يستوى عنده الأخيار والأشرار - أفنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار - وهل كل عنده متساوون - أفنجعل المسالمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون - فانظروا أيها العقلاء في هذا التوبيخ وتأملوا هذه الآية مع ما قدمنا سابقا تجدوا انطباقا تاما بين المعقول والمنقول

﴿ الوجه الثالث ﴾

إن فطرة الانسان لا تكاد تقنع بالحاجيات من المال ولا بالكاليات من الجبال والخور الحسان ولا بالعقليات من العلوم والمعارف ولا بالحياة الفانية فهي أبدا تحب الغنى والجمال والجاه وسعة العلم ودوام البقاء فلو أوتيت ما أوتي قارون وهو ذوالحظ العظيم في المال وحكمة لقمان وملك سليمان وحظيت بأجل أهل دهرها من بنات الانسان . بل لو ملكك البسيطة وما حوت والسماء وما وعت لقات - هل من مزيد - فكأنها تنادى معربة عما خط فيها بالقلم الالهي . إن هذا الملك لا يكون إلا في عالم أرقى من هذا ونشأة تناسب شوقه وتكون منتهى لذته - واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا - والا فبالله أين العلم الذي لاجهل معه وأين الغنى الذي لا فقر بعده وأين الحياة التي لا موت بعدها وأين مقتضى الفطرة من حبا دوام البقاء ونفوسنا مستشعرة بذلك فهل يحب أحدنا إلا الحياة الدائمة . ولما أيس منها في هذه الدار وخيل له الوهم بادى بدء أن لا حياة في غيرها وانحصرت أمانيه فيها إذ لا رسم في الخيال لدار غيرها أخذ يخترع صورا شتى تصور البقاء بأنواع من الخيالات وضروب من الأوهام التي لا حقيقة لها فلو كنا وعظماؤنا بل وعامتنا يحبون تخليد أسمائهم في بطون التواريخ وعلى المباني الباقية وأن يلدوا من يبق لهم شبه الحياة . كل هذا شهادة من الفطرة بالبقاء . ولا نظن أن الفطرة ليست من الأدلة فان جميع الفطر المنغرسه فينا لها حكم باهرة وكأها صادقة . وان كنت في شك مما رمزنا اليك فسل قوة الشهوة والغضب وما فينا من كبر وتواضع ورجسة وشجاعة وجبن وحياء وعفة وهكذا فكل منها له نبأ - ولكل نبأ مستقرّ وسوف تعلمون - فلم تكون هذه الفطرة وحدها براء وبقية الفطر صادقة . انتهى الوجه الثالث

﴿ الوجه الرابع ﴾

من المشاهد أن لا لذة في الدنيا إلا وهي ناقصة ولا ألم إلا وهو زائل فهما كالليل والنهار يحو أحدهما الآخر . ومن المسلم أن لكل شئ غاية يصل اليها . فأين غاية اللذات . وأين نهاية الآلام في هذه الحياة التي امتزج فيها الخير بالشر والخبيث بالطيب بل كل من اللذة والألم ينتج الآخر فهما فرسا رهان فلا بد من دار أخرى تكمل فيها اللذات لقوم والآلام لقوم آخرين - ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركم جميعا فيجعلهم في جهنم - ويجعل أهل الكمال على سرر في جنات النعيم حتى تتحقق نهاية كل من اللذة والألم والا كانتا ناقصتين لم يصلاح لهما وذلك يخالف القياس فنتهى الألم في دار يقال فيها - وحيل

بينهم وبين ما يشتهون - ومنتهى اللذات في دار يقال فيها - ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون -

﴿ الوجه الخامس ﴾

قد ثبت في الاستكشافات الحديثة في الجغرافيا الدينية أن جميع سكان الكرة الأرضية في مشارق الأرض ومغاربها متوحشين وتمدنين يدعون بجزء على الخير والشر بعد الموت . فبالت شعري كيف انغrust الفكرة في جميع الأذهان . وباللهجب ان سكان المحيط الأعظم مع تباعد جزائرهم وتفرقها في أقاصى المحيط وأدانيه عندهم هذا الاعتقاد ولا تواصل بينهم في محيطهم ولا بينهم وبين الأمم التي في القارات . فبالت شعري ما الذى أثبت تلك الفكرة في الأذهان من قديم الزمان . ولعمري ماهى إلا فطرة سارية في جميع النوع الانسانى . اللهم إلا من شذ من قليل من التمدنين الذين خرجوا عن الفطرة الأصلية ولم يصلوا الى الكمال في العلم فهؤلاء بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء * قال الشاعر

ولم أر في عيوب الناس عيباً * كعيب القادرين على التمام

وإذا كانت هذه الفطرة عامة فلا عجب إذا اتخذناها دليلاً وحدها . ولعمري لا يسلم بهذا الدليل إلا من كانت له قدم راسخة في العلوم وعرف صدق جميع الفطر المنغrustة فينا وأن شهادتها لا تقبل الرشا وهذا يحتاج الى بصيرة ونظرات في جميع العلوم لاسيما علم النفس والتشريح ونظير هذه شهادة جميع الفطر أيضاً بأن لها ربا صانعا ونوعته بحسب ما يناسب فكرها في كافة أنحاء الأرض . ولقد أشار الله سبحانه وتعالى لذلك بقوله - فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿ الوجه السادس ﴾

أردت بهذا الوجه تقريب حال الآخرة بأمشلة الظواهر الطبيعية قرباً قائلاً يقول نحن لا نعقل لليت نشأة وكيف يعذب أو يثاب قبل أن يأتى اليوم الموعود . قلت أنت في كل يوم وليلة تموت وتحيا فالنوم أخو الموت قال تعالى - الله يتوفى الأنفس حين موتها - يتوفى - التي لم تمت في منامها - وكثيرا ما نرى اثنين في لحاف واحد قد أحكمت عليهما الحجرة وغلقت الأبواب فقام هذا يقول واحسرتاه على لذة ذهبت قد كنت في بستان مع الغزلان والندمان اقتطف الريحان وأجنى الثمار ويقول الآخر الحمد لله الذى أيقظنى من النوم ولم يكن الحلم واقعا قد أخذوا بمخنقى الى رجال الشرطة وحكم على بما يسىء واشتد الأمر فهذا في النعيم وهذا في العذاب الأليم مع ان ظاهرها ساكن قد ضرب على آذانها وأطبقت أجفانها وخشعت أصواتها وهالك مثالا أقرب وهو التنويم المغناطيسى فان المنوم يسمع من المنوم كل غريبة * حكى أنه نوم بعضهم فتاة فقالت أثناء المحادثة أنطق انك أنت اليقظان وأنا النائمة لا فالأمر بالعكس فأتى وأسمع من بعد ما لا ترى ولا تسمع وسوف يأتى وقت نصل فيه لهذه الحال جميعا . وكأن هذه الفتاة تشير لمعنى الحديث ﴿ الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ﴾ وتشير الى الآية وهى قوله تعالى - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - أى قوى ثابت . فباللهجب لهذا الزمان الذى ظهرت فيه العلوم العقلية والنقلية للعيان بعد أن عرفها الأقدمون بالبرهان العقلى حيث أثبتوا أن الجسم متى ضعف واضمححل قويت حالة النفس ورأت المستغربات ولا أفتح على هذا الباب لئلا يطول المقال ويخرج عن حدة الاعتدال . ولكن أقول كلمة . قد ورد في بعض الأخبار ما يشير الى أن هذه الأزمنة المتأخرة مصدر الجائبات وظهور الغرائب . ومن أراد أن يطلع على كل جبال وكال ويرى مافى العالم الاوروبى والأمريكى من المستكشافات التى بهرت العقول مما يدل على بقائنا بعد الموت فعليه بعالم الأرواح فانها أنت من سبأ نبأ يقين وأظهرت للعالم الاسلامى غرائب يجب على كل متتور أن يطلع عليها لاسيما متخرجى المدارس . هذا ومثل النشأة الأخرى بالنسبة الى الدنيا كمثل الحياة الدنيا بالنسبة لحياة الانسان

في الرحم فلا يزال الانسان في ترقى من ظهر أبيه الى بطن أمه الى عالم الدنيا الى البرزخ . وكلما كان في حالة لا يكاد يصدق غيرها ولا يحب الانتقال منها فلو قيل للطفل في بطن أمه بفرض أنه يعقل انك ستزل الى فضاء واسع سماؤه قدر المشيمة التي أنت فيها ملايين كثيرة وفيها قوم مثلك وأشياء تأكلها وتركبها ولا تقتصر على طعام واحد والأطعمة هناك أحسن من دم أمك الذي يفديك وستأكل بفمك لا بمرتك بل هذا الدم الذي يفديك الآن ستستقذره هناك و يمجج طبعك ولا تود الرجوع الى هذا الرحم فلو ذكر بهذا كله لأحاله واستبعده كما نستبعد نحن حال الآخرة لولا البصائر والاخبار . وانرجع الى ما نحن بصدده أولا فنقول رب قائل يقول كيف مثلت بالنوم وهو أمر بسيط عادي . قلنا على رسلك أيها الأخ فإضاعنا إلا الجهل بما بين أيدينا فالأهم الغربية من حولنا ماترت إلا بنظرها حق النظر في الامور البسيطة . من كان بالله قبل اليوم يظن أن الكهرمان الذي كنا نضحك من جذبته للأشياء الصغيرة عند فركه يضيء الأمكنة ويحجر الأتقال ويولد الحرارة ومن بالله قبل اليوم كان يظن أن البخار الذي يشاهد كل يوم في كل منزل بحيث يراه العامة يحدث انقلابا عظيما في عالم المدنية ومن ذا الذي كان يظن أن المغناطيس يجذبه لقطع الحديد يساعد في ايصال الأخبار الى ما بعد من الأقطار مع الكهرباء . اذا كان هذا كله في الآفاق ونشأت منه هذه الجباب فكيف تركنا النظر في نفوسنا وعجائبها أظهر وأبهر من عجائب البخار والكهرباء والمغناطيس . فنحن كمن تركت بيضا بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا - أولئك الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم - وقال تعالى - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - النوم الحقيقي والصناعي هي حالة أخرى للانسان ضربت لك مثلا وتكررت كل يوم تمثل حالتك بعد الموت وان كانت نسبتها الى الموت كنسبة ضوء المصباح الى الشمس - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم - وقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام . وقال الحكماء ﴿ إن لذّة النوم لافرق بينها وبين لذّة اليقظة إلا أن لذّة اليقظة يمكن استبقاؤها بخلاف لذّة النوم فن رأى وجهها جيلا وتمتع بمشاهدته في نومه كانت لذته به كذاذته في يقظته لافرق بينهما ولودام النوم إذ ذاك لدامت الذات ﴾ ومن فهم هذه المقدمات عرف معنى قوله تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وقوله ﷺ للذين قتلوا يوم بدر يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فقل يارسول الله أتناديهم وهم أموات فقال ﷺ والذي نفسي بيده انهم لأسمع بهذا الكلام منكم إلا انهم لا يقدرّون على الجواب . وما ورد أيضا ﴿ القبر أول منزل من منازل الآخرة وانه إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ﴾ وغير ذلك مما لا يحصى . وبالجملة فأمر الانسان في حياته وبعد موته يدهش العقول ولولا خوف الملal لأطلت المقال وفي هذا بلاغ والله أعلم

وسأتي في سورة الكهف زيادة على هذا في مسألة الروح بمناسبة البعث وقصة أهل الكهف

﴿ بهجة اللطيفة الثانية والثالثة في قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - ﴾

اعلم أن الروح كانت قديما ولم تزل حديثا مناط مباحث العلماء والحكماء أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو ومن نحا نحوهم من علماء الاسكندرية الذين اخصوا فلسفة اليونان واستخلصوا زبدتها وأخرجوها للناس صافية في القرون الأولى للتاريخ المسيحي . ومن هؤلاء في نحو القرن الثاني لليلاد حكيم يقال له (أفلوطين) فكل هؤلاء بحثوا في النفس ودققوا فيها وجمهور هؤلاء انها نور إلهي تنزل من الله الى هذه الأشخاص الانسانية . ومعهم أن هذا اللفظ مجاز لأن النور لا يحس وهذه تحس ثم رتبوا على نسبة أرواحنا الى ربنا علم الأخلاق جميعه فتسمى (الرواقيين) منهم يحرصون الحرس كله كما يحرص متبوعهم (سقراط) على التخلّق بالأخلاق الجيلة من الصبر والحلم والشجاعة والعفة والحكمة لأن هذه هي التي تنقي هذه النفس وترفعها الى خالقها فترجع له نقية . لا تكاد تقرأ كتابا من كتب هؤلاء الحكماء ولا من حكماء الاسلام ولا كبار الصوفية إلا وجدت

نسبة الروح الى الله ويسمونها تارة ﴿الجزء الالهي﴾ وتارة نورا والنور مجاز . فانظر للقرآن كيف يقول - من أمر ربى - وهذا هو التعبير الصحيح الخالى من المجاز بخلاف النور . وتجد (سقراط) فى الاستدلال على أن طبيعة النفس غير طبيعة الجسد يقول ﴿إن النفس آمرة والجسم مأمور ومن شأن الامور الالهية أن تكون آمرة الخ﴾

فاستبان لك من ذلك أن نفوسنا لها شأن من الشؤون الالهية ﴿وبعبارة أخرى﴾ هذه النفس فى صفاتها وتعلقها وتفكرها تكون أقرب للعوالم المجردة التى هى أقرب الى الله من عالم الأجساد . فانظر الى أفعال هذه النفس فى علمنا الذى نعيش فيه لاسيما فى هذا الزمان . اعلم أنى اطلعت على كتاب يسمى ﴿راجايوفا﴾ باللغة الانجليزية كما ذكرته مراراً فى هذا التفسير وهذا الكتاب مترجم من اللغة الهندية فعرفت منه عجائب النفس وأن القوم لهم طرق يستعملونها لتقدر أرواحهم أن تحكم أجسامهم فيجذبون فى التسلط على أنفسهم بحيث يكون الشهيق والزفير أطول من المعتاد شيئاً فشيئاً الى دقيقة نفوس دقائق وهكذا . وبهذه الطريقة أمكنهم حبس النفس مدة طويلة . ومعنى هذا أن حركة الدم تكون ضعيفة وقد تقف وليس هذا الوقوف الاختيارى موتاً . كلا . ويقولون انهم متى حكموا هذا التنفس الذى (بواسطته حكموا الدورة الدموية) فقد تسلطوا على القوى العقلية بحيث لا يدخل فى عقله إلا ما ينفع نفسه فلا يلحقه هم ولا غم لأنه متى أراد شيئاً حصل له وهو لا يريد الغم فلا يغمّ وهكذا . وهناك فروع كثيرة وكتب مؤلفة ظهرت حديثاً بلغات مختلفة فى هذا الباب . وعلى ذلك قدر بعضهم أن ينام فى الصندوق ستة أشهر بارادته

هذا ما كنت قرأته فى هذا الكتاب ثم مضى زمن بعد ذلك فقرأت عن حوادث حصلت فى أوروبا وفى مصر تشابه ما قرأته فى ذلك الكتاب وهى ﴿ثلاث حوادث * الحادثة الأولى﴾ حادثة الفقير الألماني (ديبلر) الآتى تفصيل حوادثه هنا . فهذا لما وقع أسيراً قطع (عرق الوريد) من رقبته ثم أحب الحياة فاجتهد أن يقوى ارادته حتى انقطع الدم وكان هذا مبدءاً لحصول القوة عند الرجل فصار يفعل بجسمه ما يشاء ويريد من غير ألم . ﴿الحادثة الثانية﴾ الفتاة (تريزنيومان) هذه التى كانت فى ليلة الجمعة من كل أسبوع تظهر عليها أعراض تشبه الأعراض التى تسمعها فى الكتب الدينية وهى علامات آلام السيد المسيح . ولعمري إن ذلك لم يحصل لها إلا بكثرة تأملها فى أمر السيد المسيح عليه السلام فأصبحت تظهر عليها الأعراض التى سمعت أنه اتصف بها ﴿الحادثة الثالثة﴾ هى حادثة الدكتور (طهرا بك) الذى جاء الى مصر أثناء طبع هذه السورة وفعل مثل ما قرأته عن علماء الهند تماماً فى أوروبا وفى مصر . وقد آن أن أسمعك هذه الأخبار الثلاثة ثم أحدثك بعد ذلك عن هذه المناظر ما يلىق بالمقام من الجلال والجلال والحكمة والنور الالهي والسعادة الأبدية والسر العظيم ﴿الحادثة الأولى والثانية﴾

أرسل مكاتب جريدة (البتى باريزيان) فى (برسوا) البرقية الآتية الى جريدته تكلمت الجرائد الألمانية والأجنبية فى المدة الأخيرة عن المظاهر الغريبة التى بدت مؤخراً على الفتاة (تريزنيومان) البافارية التى كان يرى على جسدها فى يوم الجمعة من كل أسبوع علامات آلام السيد المسيح وقد تألفت لجنة من الأطباء هى الآن مجتدة فى البحث لمعرفة كنه هذه الوقائع . ويظهر أن الاستقراق الدينى لم يكن وحده السبب لهذه المظاهر وحدثت هذه العلامات فقد قام مؤخراً رجل من العمال فى (برسوا) اسمه (ديبلر) وجهر أمام الأطباء ورجال العلم والصحافة فى تلك المدينة بأنه قادر بمجرد ارادته فقط أن يحدث على جسده وبدون أى ألم كل الظواهر (الفسيولوجية) التى بدت على جسم الفتاة (تريزنيومان) وفعلًا كان ظهور (ديبلر) هذا حادثاً خارقاً للطبيعة اهتم بشأنه رجال العلم لأنه يضاهاى فى غرابته الأعمال التى يقوم بها فقراء الهند . عرف (ديبلر) لغاية الآن بأنه رجل لا يشعر بأى ألم من الآلام الطبيعية ولذلك لقبه مواطنوه

(بالفاقد الألم) وقد ظهر على جملة مسارج عمومية وسمر مرارا على صليب بواسطة دق مسامير كبيرة في يديه ورجليه وطعن أيضا في جنبه بحربة اخترقته . ومن المدهش أن كل جراحاته هذه لم تكن قط لتنزف دما وكان يصريح وهو في هذه الحالات بأنه لا يشعر قط بأي ألم . ولما بلغت أسماع (ديبلر) أخبار (ترينيوومان) طلب أن تعقد لجنة مؤلفة من الأطباء ورجال العلم والصحافة في مدينة (برساو) ليعرض أمامها مشاهد غريبة من نوع جديد . وفعلا أمام هذه اللجنة أظهر (ديبلر) على يديه ورجليه وجنبه لطخا جريا بشكل صليب كما كانت تظهر على (ترينيوومان) وجعل هذه اللطخ تنزف دما وبرهن (ديبلر) على أنه بمجرد إرادته فقط يستطيع إحداث هذه المظاهر في أي قسم من جسده وذلك بدون أي ألم . وقد يكون من المفيد أن نروى للقراء كيف توصل (ديبلر) المذكور إلى هذه المقدرة الفائقة لأحداث هذه المظاهر الخارقة للعادة

في بدء الحرب العالمية كان (ديبلر) هذا جنديا في آلاي (الهوسار) بمدينة أوهاو ثم أخذ أسيرا واعتقل في (بولونيا) حيث تعلم سريريا اللغة الروسية وساعده ذلك على الفرار مخفيا بملابس ضابط لسكن ألقى القبض عليه وحكم وحكم عليه بالإعدام بتهمة التجسس . وفي الليلة السابقة لليوم المعين موعدا لتنفيذ الحكم حاول الانتحار بأن قطع من عنقه الشريان المعروف (بجبل الوريد) ولكنه قبل أن يسلم الروح عاوده فجأة شوق شديد إلى الحياة وتمكن بقوة إرادة خارقة للعادة من توقيف النزيف الدموي ثم أغشى عليه ولما أفاق من اغشائه وجد نفسه منطرحا على حافة حفرة كانت بدون شك معدة لأن تكون قبرا ولا يعلم إلا أن سبب لم يطرح في داخلها . ولما لم يهل عليه التراب . وقد كان ذلك سببا لنجاته وتمكنه من الفرار ثانية . وبعد رجوعه لألمانيا أخذ يقص على مواطنيه الحوادث الغريبة التي طرأت عليه . ولما لاحظ أنهم كانوا يدهشون لها ولا يكادون يصدقونها آلى على نفسه أن يجتهد لكي يقوى لدرجة محببة . تلك الإرادة التي أحسها في داخله أثناء ظروف غير عادية وهكذا كان فإن النتائج المدهشة التي حصل عليها لا تجعل مجالا لأي شك . ونحن نتساءل ألا تكون هذه النتائج ردًا علميا يفسر ما غمض من مظاهر (ترينيوومان)

الحادثة الثالثة حوادث روحية في مصر

ظهر رجل يقال له (طهرا بك) في أوروبا وفي الشرق وحضر إلى مصر واجتمع به عدد من راغبي مشاهدة التجارب الغريبة ليلة ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٧ وكان بين الحاضرين كثيرون من الأطباء ورجال الصحافة العربية والأجنبية . ومع أن صاحب الحفلة كان قد نبه على استحسان عدم حضور السيدات لأن منظر تجاربه قد يؤثر في مزاجهن قد حضر هذه الحفلة كثيرات منهن . وقبل الساعة العاشرة بدقائق رفع الستار عن الدكتور (طهرا بك) في لباسه العربي الأبيض وعلى رأسه العقال وعن منضدة غرزت فيها خناجر ودبابيس طويلة وعن سائر أدوات تجاربه مما سنذكره في خلال وصف هذه التجارب وقد تصاعدت رائحة البخور في المسرح ووقف أحد أصدقاء الدكتور (طهرا بك) فأخذ يتلو باللغة الفرنسية شرحا لنظريات الدكتور ثم أكل هو هذا الشرح وبسط جانبيا من برنامج الحفلة . وقبل أن يشمر في تجاربه طلب من الأطباء ورجال الصحافة أن يصعدوا إلى المسرح فصعد عدد كبير منهم فأعلن لهم أنه سيبتدىء بتجربة وقوعه في غيوبة أوتيس وطلب من الأطباء أن يفحصوا نبضه ففحصوه ووجدوا أنه ١١٠ في الدقيقة ثم زاد النبض حتى بلغ ١٤٠ فأعلنوا ذلك للجمهور . وعندئذ وضع يديه على صدغيه وضغط بأصابعه على الوريدين الموصلين للدم إلى رأسه ضغطا شديدا فغاب عن صوابه وصار في حالة تخشب فحمله اثنان ووضعوه على أنصال من الفولاذ محمولة على حاملين ولكنها غير محددة ثم رفعوا عن الأرض حجرا ثقيلا كالخجارة التي تستعمل في أفاريز الشوارع ووضعوه على بطنه وهوى شخص بمطرقة على هذا الحجر فكسره نصفين . وعلى أثر ذلك أفاق الدكتور (طهرا بك) من غيبوبته دون أن يصاب بسوء . ثم طلب من الحاضرين من الأطباء ورجال

الصحافة أن يفحصوا الخناجر والدبابيس ففحصوها وأعلن أنه أصبح فاقدًا للاحساس بالألم وتناول خنجرًا كبيرًا وأدخله بمقدار (٥) سنتمترات في الجزء الأسفل من عنقه وطلب من أحد الأطباء الواقفين أن يوجع دبوسين في سطح جلد ساعديه ففعل وأوجع هو كذلك دبوسين في شديقه ودبوسين في ثندوتيه فسأل دم من هذه الجروح لوث ثوبه الأبيض ولكنه لم يتألم ونزل إلى البهو وطاف بين الحاضرين يرهم هذه الدبابيس المولجة في جسمه وعاد فصعد إلى المسرح وأخرجها منه . وكان قد أعد له لوح من الخشب ثبتت فيه مسامير حادة طول كل منها أكثر من ١٠ سنتمترات فاستلقى على ظهره فوق هذا اللوح وجاء بعض الأطباء وخصوا الأمر فقال طبيب منهم إن المسامير لم تمسه وأنه فيما بين أدنى نخذه قد وضع قطعًا من السكاوتشوك . وقال أطباء آخرون بل إن جانبًا من المسامير اخترق لحمه ولاسيما في الجانب العلوي من الظهر وحدث خلاف في هذا الشأن وأصر كل من الفريقين على رأيه وكان الطبيب المخالف يود أن يرى المسامير تخترق السلسلة الفقرية أو المقاتل الأخرى . وأخيرًا ثبت أنه وإن كانت المسامير لم تخترق موضعا قاتلا فقد اخترقت مواضع أخرى وأنه قام من فوق هذا اللوح دون أن يتألم . وإلى هنا انتهى الفصل الأول . ولما رفع الستار في الفصل الثاني أعان الدكتور (طهرا بك) أنه مستعد لقراءة الأفكار عن الماضي والحاضر فقط وطلب من أحدهم أن يفكر في أي شخص كان في القاعة ففكر في صديق له حزة في أحد اللوجات العليا فقرأ فكره وقاده إلى صديقه ثم طلب منه أن يفكر في بعض أشياء صديقه ففكر في مناديله فأخرجها من جيبه

على أنه لم ينجح تماما في قراءة أفكار آخرين . وعلل ذلك بتددهم في الفكر . وانتقل إلى تجربة مقدرته على تنويم الحيوانات تنويما مغناطيسيا فجاءه بهديكين وأرب كبير فنومهما بمجرد لمسه إياهما وختم تجاربه بتجربة دفنه في صندوق وكان قد أعد هذا الصندوق فوق المسرح وإلى جانبه كومة كبيرة من الرمل وجاء كثيرون ففحصوا قاع الصندوق وجوانبه وبعد ما شرح نظريته هذه وتعليها العلمي قال إن هذه النظرية منقولة عن المصريين القدماء ثم سأل الحاضرين كم من الوقت يريدون أن يظل مدفونا فاقترحوا أن تكون المدة ١٠ دقائق ثم جرى له بطن سدد به أنفه وأوقع نفسه في غيبوبة كما في المرة الأولى وحل إلى الصندوق وأهيل عليه التراب وسد الصندوق بغطائه وأحكم سده من الخارج بالرمل وعند ما انقضت الدقائق العشر كشف التراب عن الصندوق في الحال وأخرج منه فاذا هو حي ووقف على حافة المسرح وفي يده أوراق صغيرة وازدحم الجمهور حوله وتخطفوها من يده وهي كما قال (طلاس) مفيدة وكان الحاضرون يصفقون له وقد سئل طبيب كبير مشهور من أطباء الأمراض الباطنية في العاصمة وكان من جملة الحاضرين . بماذا يعلل عدم احساس الدكتور (طهرا بك) بالألم في تجربة الخناجر والدبابيس . فأجاب بأن ذلك نتيجة تشنج في الأعوية . وعلل تجربة الوقوع في الغيبوبة بأنها نتيجة تمرين المخ تمرينا مستمرا على ذلك وقال أنه يوجد أناس يستطيعون أن يوقفوا حركة القلب مدة معينة دون أن يموتوا . أما هوفية قول إن هذه الاعمال ترجع إلى أصل علمي أي أنها ليست سحرا ولا شعوذة . ثم أنه قد افترضت به أوروبا في العامين الماضيين عند ما طاف عواصمها وهو يدهش الناس بأعماله الخارقة للطبيعة ويجعل الصحف الغربية تعجب بتجاربه العلمية الساحرة وقد اهتم الأطباء بأمره وعقدوا الجلسات لفحصه ودراسة عجائبه فقرروا أنه ذو مقدرته عجيبة تسلط بها روحه على جسده فيأتى بالعجائب وطيرت التلغرافات في العام الماضي عجائبه فروتها الجرائد في مصر . ولما سئل قال إن هذا العلم اسمه علم (الفقيرزم) وقال إن الإنسان مركب من (ثلاثة عناصر) الجسم والنفس والروح . ولتنفس (قوتان) أحدهما متصلة بالجسم تدير حركاته والآخرى متصلة بقوة خفية عظيمة هي التي يعرفها أهل الأديان باسم (الله) والغرض من (الفقيرزم) البحث عن هذه القوة النفسية وانماها والتوصل إلى الانتفاع بها في جعل الحياة سعيدة هائلة . وقد ولد الدكتور (طهرا بك) في الاستانة وتخرج من كليتها

الطبية وشغف بالفقير زم فدرسه على شيخ مصري يدعى الشيخ الفلكي واستطاع أن يتبحر في هذا العلم ويقوم بتجارب به العجيبة ومنها أن يطعن نفسه بالمدى والخناجر ويتسلط على الدورة الدموية فلا تسيل السماء من جروحه ثم تتحجم في الحال وأن يسيطر على تنفسه وعلى دورته الدموية فيدفن نفسه في صناديق مفرغة من الهواء ويظل مدفونا ساعات وأياما ثم ينهض حيا . وقد قضى ١٨ يوما مدفونا في بطن الأرض في بلاد اليونان ويستطيع أن يصلب جسمه فلا يتأثر من الوحش ويعرز في جسمه المسامير والدايس فلا تترك أثرا . وقال ان في استطاعة كل انسان أن يقوم بهذه التجارب اذا مرن ارادته على التحكم في جسده بقوة روحه . انتهى الكلام على (طهرا بك)

انظر أيها الذكي الى العلم قديما وحديثا وانظر الى تعاريف القدماء إذ يقولون انها نور من الله أو شعاع منه . ثم انظر الى قول (سقراط) كيف استدلت على أنها مخالفة للأجسام بعلامة وهي انها آمرة والجسم مأمور والأمر انما يكون من الله . فهي إذن منسوبة اليه مستمدة منه . ثم انظر كيف جاء القرآن وقال - من أمر ربى - فعبر بما هو أدق . ثم تجب ألف مرة من هذا النوع الانساني ذلك النوع النشط المفكر فانظر أولا الى (ديبلر) الألماني . ألم ترى أن تسلطه على قوى جسمه انما جاء بطريق المصادفة بحيث انه لما قطع العرق ونزف الدم واقترب الموت وجد في نفسه نزوعا الى المغالبة فغلبت ارادته الدم وقوى عليه . أفلمست ترى أن هذه الحادثة التي جرت في أوروبا تلك الأمم المادية التي أصبحت تعبد المادة عبادة قد جرت قبلها قديما عند الهنود في مدنياتهم القديمة فأخذوا يفكرون فيما به يحكمون أجسامهم فوجدوا أن النفس الخارج الداخل موصل لذلك بحيث يحبسونه داخلا أو خارجا بنظام خاص . وأيضار بما ان بعضهم في الأعصر القديمة حصل له ما حصل الى (تريزنيومان) البافارية من ألمانيا أيضا فعملوا أن الأفكار الدينية لها تأثير على الجسم فأخذوا يفكرون حتى فعلوا ذلك علما . واعلم مسألة التنفس عندهم أقرب الى مسألة (ديبلر) المتقدمة إن الله لنو فضل على وعلى الناس بالعلم واسأل الله أن يلهنا شكر هذه النعمة العظيمة

﴿ عجائب العلم ﴾

فانظر كيف يحصل هذا أيام طبع هذا التفسير ونشره بين الناس وانبهج بالعلم الذي سئم معه فسترى من آيات الله عجا . فانظر الى هذا الانسان إذ عرف روحه الفلاسفة وأصلح القرآن تعرفهم ثم جاء العصر الحاضر فاطلعنا على أسرار للروح جاءت على أيدي أقوام قبل الهجرة بألاف السنين ثم اقترب العلم منا وظهر لنا ووضح وأصبح ما كان اجتهدا وفلسفة عملا ظاهرا مكشوف للناس ورأينا أن هذه النفس نافذة العمل في الجسم بالتصرف فيه تصرفا تاما كأنها تقول أنا نور الله وان لم تصدقوا فانظروا آثارى القاهرة العجيبة فيه .

﴿ ثمرة هذا المقال ومبجته ﴾

الأهم من ذلك اللهم إنك أنت الحمود على العلم والحكمة . اللهم أنت المعلم . أنت الحكيم بعلم الحكمة المرشد لنفوسنا المسعد لها . أنت الذى أنزلت العبادات على الأمم جميعها . وأنت الذى أمرتهم أن يصلوا ويقولوا - اهدنا الصراط المستقيم - فهانحن الآن فهمنا فائدة الصلاة . إن المصلى والذاكر لله كلاهما يحضر في قلبه عظمة مولاه فيفاض عليه حلل من أنوار ذى الجلال والاکرام من جنس ما فكر فيه . فاذا كانت الفتاة البافارية فكرت في أن المسيح مصلوب فقد ظهرت أعراض الصلب على جسمها وهكذا الفتى الألماني وهكذا طهرا بك الله أكبر . جل العلم وجل الله . إذن عقلنا حقا من أمر الله أو نور من الله ولولم يكن من الله لم يؤثر هذه الآثار الهائلة عند الاستعداد لها بالممارسة بالتنفس أو بقوة الإرادة أو بالفكر الدينى . أليس هذا بعينه هو قوله ﷺ في الحديث المشهور ﴿ أنا عند ظن عبدي بي ﴾ ولسنا نهم بكون الحديث بسند ضعيف أو صحيح لأن المعنى صحيح . وأظهر من هذا قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - . اقدس تبيان

بهذا المقام كيف وصل قوم الى معاني تظهر على ألسنتهم وتؤثر في عقول الناس بواسطة طريق واحدة وهي استدامة الذكر فيذكرون اسماء الله تعالى أو يلزمون الصمت والجوع والسهر وما أشبه ذلك فيحصل لهم أمور عجيبة . فهذا حقا من هذا الباب لأن النفس الانسانية تتجه الى الأغراض السامية اذا وجهت اليها الى الدينونة كذلك . ولما كان الذكر حديا للنفس الانسانية عن أمور الدنيا اتجهت النفس الى ماطلب منها وهذا أمر أجعت عليه أمم الأرض . ولقد قرأته في كتاب (راجا يوقا) مترجا الى الانجليزية عن الهندية . فهؤلاء الوثنيون بعد أن ذكروا نظام الجسم وفقرات الظهر وانها في وسطها فراغ يوصل الى المخ وفي نهايتها من أسفل مثلث محكم السد يشتمل على عجب الذنب . قالوا وهذا سر لا يعلمه الناس . وبكثرة المجاهدة يحصل اتصال مجهول بين هذا المثلث وبين المخ به تفاض العاوم على الانسان جميعها وان لم يتعلمها . هذا كلامهم

وهذه النعمة هي التي يرددها الصوفية وليس لهذا أهمية في هذا المقام إلا أنهم يقولون ان عجب الذنب موضع العاوم والأسرار والتهديب والعبادة يفتح سد مجهول بينه وبين المخ فيعرف الانسان العاوم كلها . هذا القول يذكرنا بقول العلماء ان عجب الذنب باق كالروح كما جاء في كتب التوحيد إذ قال صاحب الجوهرة (عجب الذنب كالروح الخ)

نعم إن المسألة فيها خلاف ولكن كيف يرد في ديننا مسألة عجب الذنب وبقائه وكيف يكون هذا القول حاصلًا عند البراهمة قبل آلاف السنين وأن العلم في ذلك المخزن واذن يكون الباقي هو العلم لانفس العجب . إذن عجب الذنب رمز الى العاوم والعاوم في النفس تبقى معها . فالروح باقية وعلومها باقية واذن يكون علم الهنود في هذا سر هذه المسألة ويزول الخلاف . وعندى أن هذه وحدها أعجب المعجزات فهذا القول لم يسمع به المسلمون في العصور الأولى ولا المتأخرة . وقد عثرت عليه مصادفة وأنا أقرؤه في الكتاب وجاء في هذا الكتاب أيضا أن ذكر اسم الله وتكراره في النفس يؤثر في الأعصاب فتمتلئ بالأنوار بحكم المجاورة فترتقي النفس وتعرف ربها . ولكن هم يقولون إن كبح جراح الشهوات لا بد منه لأن كثيرا من الناس بالذكر يصلون الى الله ولكن الوصول ناقص لأنهم يحبون الدنيا فلا بد من احتقار الدنيا وحصر الحب في الله وسنده . ههنا ظهرت صفوة العلم في هذه الدنيا

(صفوة العلم في هذا المقام)

إن النفس الانسانية بالتهديب والذكر وحصر الفكر والتفكير وقوة الارادة المكتسبة قد تصل الى الله أو تتحكم في الجسم كما تشاء أو تنفع الناس بعلمها ومواهبها . يظهر أن الله قد أعطانا هذه القوة وقال لنا سأفكر ماذا تصنعون ونحن منا من جعل ذلك سببا لرفع نفسه ورفع الانسانية ومنا من جهلها لذاته وشهواته هذا هو حل المشاكل التي كانت أمامي فلقد سألتني شاب مهذب ذكي من مدينة (نيطوان) من بلاد مرا كش قائلا . لقد شهدت جماعة ببلادنا لهم رئيس كبير وهو وأتباعه وأشياعه يجتمعون في مكان خاص ويوجهون همهم الى أمر واحد فلا يلبثون حتى يروا واحدا منهم ارتفع الى أعلى المنزل وهؤلاء لاصلاة لهم ولا زكاة ولا حج ولا طهارة . واذا أهدهم أحد كبشا من الضأن أو تيسا من المعز لم يذبحوه بل يخرقون بطنه بسكين ثم يتلقفونه ويأكلونه . ثم قال فهذه القوة الخارقة للعادة ليست عندنا نحن المسلمين فلا أدري أنحن على الحق أم هم . لهذا أطلت في هذا المقام وأثبت بزبدة علوم الأمم قديما وحديثا هنا قائلا للمسلمين وجميع المتعلمين ان روح الانسان فيها قوة إلهية كما رأيتم بالبرهان في هذا المقام وهذه القوة بحصرها تفعل الأعاجيب ولا تتوقف على دين بل هذه القوة كامنة في النفس تظهر في الوثني والمتدين بل ربما ظهرت في الوثنيين أكثر ذلك لأن الدين جاء لمنع اخراج هذه القوة وبعثتها فيما لا يفيد وماذا يفيد الانسانية من أمور مثل هذه وما هذا إلا ضرب مثل من السحر لأن السحر يرجع همه الى تأثير النفس تأثيرا سافلا . فههنا انصرفت النفس

الى تعطيل قواها وملكانها في هذه الحياة فانبعثت قوتها الى الشعوذة والشعوذة وهذه نفس معدّبة في هذه الحياة وبعد الموت لأنها عالة على الأم ضالة . فهذه القوّة التي ارتفع بها أحد المجتمعين هي نفسها التي صرفها المؤلفون والمدرسون والصانعون والمهندسون في منفعة الأمم ولهذا جاء الدين . الله أرسل الأنبياء للناس بوحى وقوّة قدسية وقال للناس فكروا واعقلوا وإياكم أن تتبعوا الكهانة لأن الكهان يوجهون همهم الى الاخبار بالغيب واعلام الناس بحوادث نافهة منها الصادقة والكاذبة ومن هذه الكهانة ما يرد على السنة بعض الذاكرين الذين اتبعوا طريقا من طرق الصوفية فهو لا ربما يرد بخواطيرهم ويظهر على ألسنتهم بعض حوادث الناس فيظنون هذا وصولا لله وما هو بوصول ولكن هذه قوى كانت كامنة فظهرت لتقوهم على العبادة لا لتكون آلة للشهوات فاذا اتخذوها صناعة وصاروا على الناس عالة أصبحوا شياطين ضالين كما نص عليه أكابر الصوفية وراه ظاهرا في كتبهم وبهذا ظهر الأمر واتضح وتحقق والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . فالأنبياء جاؤا لانقاذ الناس من أمثال هذا ووجهوا الناس الى كشف قواهم التي بها يساعد بعضهم بعضا وهي العاوم والصناعات . فأما أمثال هذا فهو المسمى سحرا أو شعوذة أو شعبوذة

إن في نفوسنا قوّة كامنة يظهرها مؤثرات عليها كما نرى في التنويم المغناطيسى وكيف يصبح الانسان عند تنويمه في الدرجة الأولى عالما بأمور يحفلها في اليقظة وفي الدرجة الثانية عالما بأمور يحفلها في الدرجة الثالثة يخاطب الأرواح ويكلمهم ويتصرف في جسمه كأنه غريب عنه ويساعد الأطباء في قطع عضو من أعضائه وهو ضاحك مستبشر . كل ذلك تقدّم في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر - فهذه القوّة النفسية ظهرت بالتنويم المغناطيسى وهو نوع من السحر ولم يخلقنا الله في الأرض لنفعل ذلك بل خلقنا لتقوى إرادتنا وندرس العالم الذى نحن فيه لتزيد قوتنا المتخزئة العظيمة . ومن هذه القوّة ما ذكره العلامة الرئيس ابن سينا أن القوّة الروحية في الانسان قد تظهر فيخبر بأمور غائبة أو يقوى على أعمال جسمية . أتول وهذا حق كما تبين لك في مسألة (طهرا بك) المذكورة فيما تقدّم . وقد ذكر هو أيضا أن الترك إذا أرادوا أن يستخبروا عن الحوادث المستقبلية يضعون رجلا معروفا عندهم باستعداده لذلك ويشدونه بحبل ويذهب ويحيى وهو كالمختنق به وزفيره وشهيقه مرتفعان حتى يفتشى عليه فيخبرهم ببعض الحوادث . وقد يضعون قطعة جبر أسود في كوب ماء ويأمرّون صبيا مثلا أن يحرق فيه بصره مدة طويلة فيخبرهم ببعض الحوادث . أقول وهذا هو (المندل) المعروف . وكل هذا نوع من التنويم المغناطيسى . ومن هذه القوّة ما ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته قال ﴿ وبالمغرب صنف من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية يعرفون (بالعاجين) وهم الذين ذكرت أولا أنهم يشيرون الى الكساء أو الجلد فينخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج لأن أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأغنام يهرب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها وهم متسترون بذلك في الغاية خوفا على أنفسهم من الحكام . لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه وأخبروني أن لهم وجهة رياضية بدعوات كفرية وإشراك لروحانية الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى (الخزيرية) يتدارسونها ﴾ ثم قال ﴿ وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها وعيناها من غير ريبة . هذا شأن السحر والطلسمات في العالم ﴾ انتهى ما قاله ابن خلدون

أقول وهذه الطائفة بعينها التي تقدّم ذكرها في مقال الشاب المرأ كشى المتقدم فإن هؤلاء يجلسون ويبججون الغنم ويتكلمون على الأئمة في احضارها بطريق انهم أولياء أو عندهم سر . فالمرجع في هذا كله للنفس الانسانية فيها قوّة كامنة إلهية ان حركناها بعد استخراجها للخير نفعنا بالعلوم والصناعات وان حركناها بعد استخراجها لاشر فعلت كما يفعل الناس اليوم في التنويم المغناطيسى إذ يأمرّون المنوم (بالفتح) أن يقتل

زيدا في وقت معين فاذا استيقظ وجد في نفسه الميل للقتل في نفس الوقت وهذا أمر معلوم مشاهد . ولا فرق بين هؤلاء البعاجتين ولا المخبرين ببعض الغيب كل عنده قوة حركتها الى ما لاخبر فيه . ولكن العلم في عصرنا الحاضر استخرج قووات الطبيعة فبدل أن يبيع ببقوته الروحية بطن الغنم أهلكتوا بقوة السلاح الأمم فالقوة الخفية يجب توجيهها الى العلوم المعروفة الآن لأنها ترقى الأشخاص والأمم . فأما فعل السحرة وصغار الصوفية فهو فسق وجهل بين وقد وقعت الأمم فيه . ومعلوم أن الخوارق للعادات إما معجزة لنبي أو كرامة لولي أو استدراج لفاسق أو معونة لعاص ولذلك قال تعالى - وما نرسل بالآيات إلا تخويفا -

وما مثل القوى المتقدمة إلا كمثل الحرارة والحركة والمغناطيس والكهرباء اللاتي اتضح شرحها في سورة الرعد فهذه ينقلب بعضها الى بعض فالحرارة تنقلب حركة والحركة كهرباء وهكذا وهي شئ واحد هكذا قوة النفس إن وجهت الى المنفعة أعطاها الله معجزة لنبي أو كرامة لولي . وبالعكس المعونة لعاص والاستدراج لفاسق كما تقدم . وقد وقعت الأمم الاسلامية المتأخرة في هذه الورطة وصار الناس فرقا متشاكسين لأنهم جهلوا أصول العلوم ولم يفرقوا بين التصوف الصحيح والتصوف المزيف الكاذب . وههنا سألتني بعض الأصدقاء هذا السؤال قائلا . أيها الحبيب أريد أن تذكر شيئا مما دخل من البدع في علوم المسلمين من الباطنية ونحوهم حتى تتور ونميز الغث من السمين . فقلت أنا سأذكر لك ﴿ ثلاث مسائل ﴾ من أفعال المضلين ﴿ المسألة الأولى ﴾ مذهب الباطنية الذي تغفل في بلاد الاسلام واتصل من العصور الأولى الى الآن ﴿ المسألة الثانية ﴾ الكلام على نظام الملك والوزير وعمر الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطني توضيحها للمسألة الأولى ﴿ المسألة الثالثة ﴾ زهد أكثر الأمم الاسلامية اليوم في فهم القرآن والاهتداء به مكتفين بشيوخهم وإن هذا مسبب عن المسألتين السابقتين . وسترى الكلام على هذه المسائل في سورة الكهف عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضدا - انتهى الكلام على اللطيفتين الثانية والثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة الجمال والبهاء والحسن والسحر الحلال في قوله تعالى - وإذا قرأت القرآن

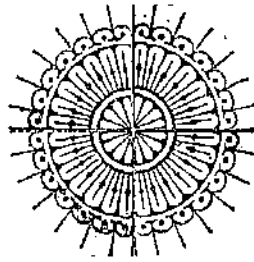
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا - ﴾

اعلم أن الحجاب ﴿ خمسة أنواع ﴾ حجاب جسمي . وحجاب خلقي . وحجاب عقلي . وحجاب علمي . وحجاب ديني . أما الحجاب الجسمي فإن الانسان اذا كان ضعيف الجسم خاثر القوة مريضا لم يفقه العلم بل تبعه قواه لاتمام ما نقص من قوة الجسم فلا تفرغ لعمل ولا تنصت لعلم ولا تستلذ بالحكمة ولا تنش للتحكماء وهذا يفهم من قوله تعالى - وزاده بسطة في العلم والجسم - فكأن فيه اشارة الى أن بسطة الجسم قد توافق بسطة العلم . وأما الحجاب الخلقي فهو ما يعتري الناس من الشهوات وأنواع العداوات فتشغل النفس عن العلوم وتصد عن سبيل المعارف بما ملئت به من الحسرات على مافات ومن الندم والألم وهكذا الآمال الكثيرة التي تستغرق أمر النفس وتوقعها في اللبس وتهمكها وتخرجها عن دائرة الحكمة وسواء السبيل وهذا قوله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - . وأما الحجاب العقلي فهو ذلك النقص الذي يخلق مع الانسان في مبدأ حياته وأول نشأته بحيث يكون قليل التمييز ضعيف الفكر فقل هذا لا ينفعه تعليم المعلمين ولا يرفعه تهذيب المهذبين ولكن هذا النوع نادر أو قليل وهذا معنى قوله تعالى - فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور - . وأما الحجاب العاصي فهو ما يغتر به الانسان من الشهادات الدراسية والمناصب العلمية والاجازات الفنية ومدح الناس وثناؤهم عليه والتصدد للفتوى ونحو ذلك فيظن أنه قد كملت نفسه وفاق الأقران علمه . فهناك لا تسكاد تقبل نفسه علم العلماء ولا حكمة الحكماء وهؤلاء يقول الله فيهم - فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون -

فيا حسرة على من طبع الجهل على قلبه وختم الغرور على سمعه وبصره فعصى عن حقيقة نفسه فصار من

الجاهلين المالكين والله تعالى يقول - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها - فاذن أكبر مصيبة وأجل رزية تغتال النفوس وتخصد الرجال الشهادات الدراسية من المعاهد العلمية والمدارس النظامية فهي حجاب بين العقول وارتقاء العلوم وقد يغتر المرء بعلم من العلوم كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والانشاء والتاريخ والفقهاء وكالطبيب والهندسة فيسمع أحدهم بما حواه من العلم فيكون في ذلك مصرع نفسه وذهب أنسه

فأما الحجاب الديني فهو ما يعتور القلوب من العمى بالاغترار بمذهب من المذاهب الدينية فيظن الجهول أن دين الله إنما هو في هذا المذهب فيحصر عقله فيه تقليدا لاستاذ ضيق العطن قليل الفطن فيقول مادمت أقرأ مذهب الشافعية أو الحنفية أو الزيدية أو الشيعية أو غيرهم فاني قد قضيت واجبي وأطعت خالقي . وما عرف المسكين أن ما قرأه إنما هو بعض الدين لا كله وان أصل الدين الوقوف على جلال هذا العالم ونظامه إذ ذلك به زيادة التوحيد وبه اليقين وبه شكر الله تعالى فلا شكر إلا بعلم وأجل العلوم معرفة هذه الدنيا ومادروس اللغات جميعها من عربية وفروعها الاثني عشر ونحوها ومن فارسية وتركية وأوردية والإنجليزية وألمانية ويونانية إلا مقدمات للعلوم . فعلم الانسان مقدمات لعلوم الجنان . وعلوم الجنان هي علوم نظام هذه الدنيا من السموات والأرضين . ومادروس الفقه إلا لنظام القضاء بين العباد لنظام هذه الدنيا فمن جعل حياته وقفا عليه فقد باء بأثم عظيم اذا كان عنده استعداد للعلوم . فهذه كلها حجب أسدلت على عقول طوائف من المسامين منذ تسعة قرون فكان ما كان وهذا أوان اشراق شمس المعارف في بلاد الشرق . انتهى تفسير سورة بنى اسرائيل



﴿ سورة الكهف مكية وهي مائة وأحدى عشرة آية ﴾

﴿ المناسبة بين سورة الاسراء والكهف ﴾

اعلم أن قوله تعالى - الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب - متصل بالحمد في آخر سورة الاسراء . يقول هناك - وقل الحمد لله الذي - لم يشغله ولد عن اسداء النعم ولم يعارضه شريك ولم يعوزه ناصر فهناك يحمد على أنه لا صارف له يصرفه عن القيام بشؤون خلقه وهنا أخذ يتم صفاته تعالى . فهناك صفات الجلال التي يكون بها التنزيه وهنا صفات الجلال وهي انزال الكتاب الموصوف بوصفين وصف سلبى ووصف ايجابى على الترتيب السابق . ومن العجب أن الحمد في آخر الاسراء مناسب للتنزيه في أولها والحمد في أول الكهف جاء متمما . فالله كامل في نفسه مكمل لغيره . وهكذا الانسان يجب أن ينشبه بالله فيكون كاملا مكملا لغيره وهذه صفات الأنبياء والحكماء والعلماء . وانظر الى الاسراء فأولها تسبيح والى الكهف أولها تكميد والتسبيح مقدم على التكميد كما تقدم في قوله تعالى في الاسراء - وان من شئ إلا يسبح بحمده - انتهى

والسورة ﴿ قسمان ﴾ القسم الأول ﴿ في قصة أهل الكهف وما يناسبها من أمر البعث وبقاء الأرواح

﴿ القسم الثانى ﴾ في قصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وذى القرنين

القِسْمُ الْأَوَّلُ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَرْبَابًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا * فَلَمَّا لَكَ بِأَخِي نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا * إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا * أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقًا وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هُوَ لَاءَ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذْ أَعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

إِلَّا اللَّهَ فَأَوْا إِلَى السَّكْهَفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا
 * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِدُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ
 الشَّمَالِ وَهُمْ فِي خَفْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
 وَلِيًّا مُرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ
 بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا * وَكَذَلِكَ
 بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
 طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ
 يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا * وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ
 وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا
 رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا * سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ
 كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ
 رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ * فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ
 أَحَدًا * وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِيَّايَ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ
 وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ
 وَازْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا
 لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا * وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ
 رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ
 مَنْ أَخْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ
 شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
 يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
مُتَكَثِرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا * وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ
آتَتْ أَكْثَلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَعَلْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ
تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنْ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا *
قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ
رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا
شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَتَّقَى فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَى عُرْوَتِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هَٰذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا * وَأَضْرِبْ
لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلًا * وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً
وَحَشَرَ نَاقَتَهُمْ فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا * وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُسْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أُحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا * مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا * وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
رَعَّمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا
أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا
رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِيُحَادِثِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخِذُوا آيَاتِي وَمَا
أُنْذِرُوا هُزُوًا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ
يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ
بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْحَدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا * وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا
لَهُمُ الْهَلِكَةَ مَوْعِدًا *

﴿ تفسير بعض الألفاظ ﴾

قال تعالى (عوجا) شيئا من العوج والعوج بوزن عنب في المعاني كالعوج بوزن سبب في الاعيان فتقول
في رأيه عوج وفي عصاه عوج (قيما) أى وجعله قياما مستقيما معتدلا أو قيا بمصالح العباد (لينذر) الذين كفروا
(بأسا شديدا) عذابا شديدا (من لده) من عنده (أجرا حسنا) الجنة (ما كشين فيه) مقيمين فيه (ما لهم
به) بالولد وباتخاذ أى ان قولهم لم يصدر عن علم بل هم جهلاء لا يعرفون الأدلة التى توصلهم الى العلم بنفيه
(كبرت كلمة) نصب كلمة على التمييز وفيه معنى التعجب أى عظمت مقاتلتهم هذه في الكفر وهى قولهم اتخذ الله
ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها والمخصوص بالذم مخدوف وصف بقوله (تخرج من أفواههم) استعظاما
للفعل وفعل كبرت كبئس وفاعله مضمير بالانكسرة (إن يقولون إلا كذبا) أى ما يقولون ذلك إلا كذبا
(فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أى آثار الكفار فكأنك رجل فارقه أحبته فهو هالع
القلب يتحسر ويتساقط حسرات على آثارهم وهو يبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا فكأنه ينتحز أسفا عليهم
(إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن (أسفا) أى لفرط الحزن والأسف (إننا جعلنا ما على الأرض) من نبات
وشجر وأنهار وعلماء وصالحاء وكل ما على الأرض فهو زينة لها بعضها معروف عند العام والخاص والجميع
معروف عند الخواص كالحيات والمقارب والحشرات (زينة لها) ولأهلها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) فى
فهم مقاصد تلك الزينة وخالقها والآثار المترتبة عليها وهل هناك لها نتيجة فى الوجود فيكون الناس محاسنين
عليها وهل هى متقنة حقاً وصدقاً وفى فهم جميع دروسها وهل يأخذون منها ما يكتسبهم ويواسون غيرهم بالباقي

وهل يعرفون نعمة الله أم هم ينكرونها (صعيدا جزا) الصعيد وجه الأرض والجزز الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء (أم حسبت) بل أحسبت (أن أصحاب الكهف والرقيم) الكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم لوح سحري رقت فيه أسماؤهم كالألواح الحجرية المصرية المشهورة التي يذكر فيها تاريخ الحوادث وتراجم العظماء (كانوا من آياتنا عجبا) أي لا تحسب يا محمد أن قصة أصحاب الكهف والرقيم المذكورة في كتب الأمم السالفة وبقاء حياتهم أمدا طويلا عجبا بالاضافة الى ما جعلناه على الأرض من زينتها عجبا فليست هي عجبا من بين آياتنا فقط بل زينة الأرض وعجائبها أبدع وأعظم من قصة أصحاب الكهف فإذا وقف علماء الأديان الأخرى على أمثالها فأنا أدعوك وأمتك الى ما هو أعظم منها والنظر في هذا العالم الذي تعيشون فيه لتفوزوا في الدنيا والآخرة بالعلو والجنة . فأما الوقوف على القصص وغرائبها فذلك ليس يكفي الانسانية في مستقبل الزمان وإنما يقف عندها العامة والخاصة يقرؤون ما نقشته في الطبيعة وهو الموصل الى خيرى الدنيا والآخرة والوصول الى الله . لقد تقدمت في سورة الاسراء أن الحديث المشهور وهو انهم سألوه ﷺ عن الروح وعن ذى القرنين وعن أصحاب الكهف لم يرد في الصحيح فلا يعول عليه . ولذا كركب نبذة صغيرة مما ذكره المفسرون على انه من غير الصحيح لتقف على ما قاله العلماء لمجرد المعرفة * يقال ان النضر بن الحارث كان يؤذى رسول الله ﷺ ومتى جلس ﷺ مجلسا ليبلغ الرسالة يخلفه النضر ويقول بعد أن يقوم أنا والله يامعشر قرىش أحسن حديثا منه ويحدثهم عن ملوك فارس ثم ان قرىشا بعثوه ومعه آخر الى اليهود ليسألوهم في أمر النبي ﷺ فلما وصلا الى المدينة قال الأخبار سألوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسألوه عن الروح وما هو فان أخبركم فهو نبي والافهو متقول فلما قدم النضر وصاحبه مكة سألوا النبي ﷺ قال أخبركم بما سألتكم عنه غدا ولم يستأنفانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ فيما يذكر من خمس عشرة ليلة حتى أرجف أهل مكة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة فشق عليه ذلك ثم جاءه جبريل من عند الله بسورة أصحاب الكهف وفيها معاتبه الله إياه على حزنه عليهم وفيه خبر أولئك الفتية وخبر الرجل الطواف وهو ذوالقرنين

﴿ قصة أهل الكهف ملخصة ﴾

روى أن أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكروهوا على عبادتها الناس فشدّد أكثر من الجميع في ذلك (دقيانوس) الملك فأراد فتية من أشرف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الدين فنزع ثيابهم وحلبهم وتوعدهم ولكنه ربحهم فأمهلهم حتى يرجعوا الى رشدهم وانطلق (دقيانوس) الى مدن أخرى ليأمرهم بعبادة الأصنام أوليقتلوا . أما الفتية فانهم انطلقوا الى كهف قريب من مدينتهم المسماة (أفسوس) وهذا الجبل يسمى (ينحايوس) وأخذوا يعبدون الله فيه حتى اذا هجم عليهم (دقيانوس) وقتلهم ماتوا طائعين عابدين وقد كانوا سبعة فلما مروا في الطريق الى الكهف تبعهم راع ومعه كاهن فجلسوا هناك على العبادة والتسبيح وكان أحدهم المسمى (عليخا) هو الذي يتناع لهم أرزاقهم ويوصل لهم أخبار (دقيانوس) وهو موجد في طلبهم وبقوا كذلك أياما حتى رجع دقيانوس الى بلدتهم وبحث عن عابدي الله يذبحهم أو فليسجدوا للأصنام فسمع بذلك (شمليخا) وهو يشتري الطعام في اختفاء فأخبرهم فبكوا ثم ضرب الله على آذانهم فناموا وتذكروهم (دقيانوس) فهتد آباءهم ان لم يحضروهم فدلوه عليهم في الكهف فتوجه الى الكهف فسدّه عليهم ليوتوا وانتهى الأمر على ذلك . ثم انه كان هناك رجلان مؤمنان في حاشية الملك (دقيانوس) يكتان إيمانهما وهما (بيدروس) و (روناس) فكتبتا قصة هؤلاء الفتية سرا في لوحين من حجر وجعلاهما في تابوت من نحاس وجعلتا التابوت في البنيان ليكون ذلك عبرة وتاريخا فيما بعد . ثم مضت قرون تبتعتها قرون ولم يبق لدقيانوس ذكر ولا أثر وملك

البلاد ملك صالح يقال له (بيدروس) وبقى ملكه ٦٨ سنة وانقسم الناس في أمر البعث فرقتين كافرة ومؤمنة فغزن الملك حزنا شديدا وتضرع الى الله تعالى أن يرى الناس آية حتى يعلموا أن الساعة لاريب فيها . وافترق إذ ذاك أن راعيا اسمه (أولياس) خطر له أن يهدم باب هذا الكهف ويبني به حظيرة لغنمه ولكن الله لم يمكنه من رؤيتهم فلما فتح الكهف استيقظوا جميعا فجلسوا مستبشرين وقاموا للصلاة ثم قال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما - قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحداكم بورقة لكم هذه الى المدينة فليستظرأ بها أركي طعاما الخ - فذهب تلميذا على عادته يشتري الطعام ويتلطف في السؤال متخفيا حذرا من (دقيانوس) فلما خرج تلميذا من باب الكهف عجب من الحجارة التي حوله وذهب الى المدينة فرأى جميع معالمها متغيرة أما الخيام فانها نكحياهم * وأرى رجال الحى غير رجالها

وسمع اسم المسيح ينادى به في كل مكان فقال عجباً لم لم يذبح (دقيانوس) هؤلاء المؤمنين ولما تحير قال ربما كنت نائما ولعل هذه ليست مدينتنا فسأل رجلا ما اسم هذه المدينة فقال (افسوس) وأخيرا تقدم الى رجل فأعطاه الورق ليشتري به طعاما فدهش الرجل وأخذ يقلبها ويعطيها الى جيرانه وهم يحبون ويقولون هذا كنز عثرت عليه فان هذه السراهم عليها اسم (دقيانوس) وذلك من زمان بعيد فسحبوه حتى دخلوا على رجلين يقومان بأحكام المدينة فظن تلميذا انهم أخذوه الى (دقيانوس) فلما عرف انه لم يؤت به الى (دقيانوس) سرى عنه الغم وذهب البكاء فسألاه الخا كان وهما (اريوس) و (طنطوس) أين الكنز الذي وجدت يا فتى . وبعد أخذ ورد ذكر لهما خبر الفتية (ودقيانوس) وأن أمرها كان أمس ولكنه متحير في أمره وانكم ان شئتم فهاهوذا الكهف فاذهبوا معي فانظروه وفيه أسجاني فقاموا معه حتى وصلوا الى باب الكهف وتقدمهم تلميذا فأخبرهم الخبر كله فعجبوا وعرفوا انهم ناموا ثلثمائة وتسع سنين وانهم أوقظوا ليكونوا آية للناس ثم دخل (اريوس) فرأى تابوتا من نحاس مكتوبا مختوما بخاتم وفيه قصتهم في اللوحين المذكورين وملخصها انهم فتية هربوا من (دقيانوس) خوفا على دينهم فسند عليهم بالحجارة . وقد كتبنا هذه القصة ليعرفها من بعدنا نقرأ (اريوس) ومن معه سجدا لله وأرسلوا بريدا الى ملكهم الذي تضرع لله (بيدروس) أن يعجل واحضر لئرى آية الله في أمر البعث فهو لاء فتية ناموا منذ (٣٠٠) سنة الخ فحمد الملك الله وركب وركب معه أهل مدينته حتى أنوا مدينة (افسوس) وكان يوما مشهودا . ولما رأى الفتية (بيدروس) خرسا سجدا لله ثم اعتنقهم وبكى وهم لا يزالون يسبحون الله تعالى . ثم قال الفتية له نستودعك الله ونعيذك من شر الانس والجن فرجعوا الى مضاجعهم وتوفي الله أنفسهم فأمر الملك أن يجعل كل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام رأيهم في المنام يقولون له أتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله فأمر الملك أن يكونوا في تابوت من ساج فجعلوا فيه ولم يقدر أحد بعد ذلك أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذ على باب الكهف مسجدا يصلى الناس فيه وجعل لهم عيدا عظيما انتهى

هذا ملخص القصة ذكرتها لك حتى يسهل عليك فهم الآيات الآتية ولم يبق إلا تفسير ألفاظها . فهذه هي القصة التي كان النصارى يجعلونها دليلا على البعث . فأما القرآن فان الله يقول فيه إن آياتي على البعث وعلى بقاء أرواحكم ورجوعها بعد الموت وعلى وجودي ليست قاصرة على هذه القصة فآياتي لا تعد والأقلام لا تحصى فلا تقفوا على هذا بل اقرؤا نقوش هذا الوجود لا نقوش أهل الكهف والرقم وحدها فأنتم خير أمة أخرجت للناس ونظركم عام في الكائنات لاني مجرد القصص والحكايات وان كانت فيها دلائل ولكن دلائلها أوسع . يقول الله تعالى اذكر يا محمد (إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وهي لنا من أمرنا) الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين (فضر بنا على آذانهم) أي ضر بنا عليهم حجبا

يمنع السماع بمعنى أننا أئمناهم أنما لا نمنهم فيها الأصوات لحذف المفعول الذي هو الحجاب (في الكهف سنين) طرفان لضربنا (عددا) أي ذوات عدد (ثم بعثناهم) أي قطنناهم (لنعلم أي الحزبين) الطائفتين المتنازعتين في مدة لبثهم منهم ومن غيرهم (أحصى لما أبشوا أمدا) أي لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده أنه سيوجد (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (إنهم فتية) شبان جمع فتى كصبية جمع صبي (آمنوا بربههم وزدناهم هدى) بالثبوت (وربطنا على قلوبهم) قويناها بالصبر لهجر الوطن والحال والجرأة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار (إذ قاموا) بين يديه في مدينة افسوس (فقالوا ربنا رب السموات والأرض) إلى قوله (شططا) أي والله لقد قلنا إذن قولنا ذا شطط أي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم ثم قال (هؤلاء قومنا) مبتدأ وعطف بيان عليه وخبره (اتخذوا من دونه آلهة لولا) هلا (يأتون عليهم) سلطان بين) على عبادتهم بحجة بينة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك إليه . ثم خاطب بعضهم بعضا لما رحم الملك شباههم وأرجأ أمرهم (إذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) أي واذا اعتزلتم القوم ومعبودهم إلا الله لأنهم كانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام (فأووا إلى الكهف) في الجبل الذي هو بالقرب من افسوس (ينشر) يبسط (لكم ربكم من رحته) في الدارين (ويهيء لكم من أمركم مرفقا) أي ما ترتفقون به أي تنتفعون وذلك لوثوقهم بأن الله معهم لاختصاصهم وقد فعل الله ذلك بهم إذ أقفل دقيانوس عليهم فم الكهف ليكون ذلك آية (وترى الشمس) أيها الانسان (إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين) أي تميل جهة اليمين أي الجهة صاحبة اسم اليمين * وقرئ - تزاور - بالتشديد وأصلها تزاور فأدغمت التاء في الزاى (وإذا غربت تقرضهم) تقطعهم وتتركهم وتعديل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي في متسع من الكهف أي أنهم في ظل نهارهم لاتصينهم الشمس في طالعها ولا غروبها وكان باب الكهف في مقابلة بنات نعش فهو إلى الجهة الشمالية والشمس لاتسامت ذلك أبدا لأنها لاتصل إلى أبعد من خط السرطان وكل بلاد بعده إلى جهة الشمال تكون من ورائها لا أمامها فيكون الظل مائلا جهة الشمال طول السنة كما يعرفه من له أدنى إلمام بعلم الفلك (ذلك من آيات الله) أي شأنهم وإياؤهم إلى كهف بهذه الصفة وإخبارك بقصتهم ووضعهم في موضع بحيث تزاور الشمس عنهم طالعة وتقرضهم غاربة . كل ذلك من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) أي من يوفقه الله بالتأمل في آياته الكثيرة هذه وغيرها فهو الذي يصيب الفلاح (ومن يضل) ومن يضله الله ولم يرشده (فلن تجد له ولما مرشدا) معينا يرشده (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) وتحسبهم أيها الانسان منتبهين لأن أعينهم مفتحة وهم نيام (وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تأكل الأرض لحومهم (وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد) أي فناء الكهف أو عتبة الباب (لواطلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) لما ألبسهم الله من الهيبة (ولمئذ منهم رجبا) خوفا يملأ صدوركم وكما أئمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا وهذا قوله تعالى (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا وليتقوا بالبعث (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم يورقكم) فضركم (أيها أركي طعاما) أي أي أهل المدينة أحل طعاما لأن منهم مؤمنين يخفون إيمانهم فلنا كل من ذبايحهم أو أجود (برزق) من قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) يترفق في الطريق وفي المدينة (ولا يشعرن) يعلمن (بكم أحدا) من غير المؤمنين (إنهم إن يظهروا عليكم) يعاموا بمكانكم (يرجوكم) يقتلوكم بالحجارة وهو أخبث القتل أو يعذبوكم (أو يعيدوكم في ماتهم) كما تقمتم في أعمال دقيانوس الذي أرجأ أمرهم (ولن تفلحوا إذن أبدا) أي ان عدتم إليهم (وكذلك أعثرا عليهم) أي وكما أئمناهم وبعثناهم اطعنا عليهم (ليعاموا) أي ليعلم الذين أطعناهم على حالهم (أن وعد الله) بالبعث (حق) فنومهم كحال الأموات واستيقاظهم كحال البعث (وأن الساعة لا ريب فيها) وأن القيامة لا ريب في إمكانها فن حفظ أجسامهم مدة ثمانية سنة ولم تتعفن ثم أيقظهم قادر أن يحفظ الأرواح أمدا طويلا ثم

يردها الى ابدانها (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) متعلق بأثرنا أى أطلعنا عليهم بيدروس وقومه حين ينزع بعضهم بعضا بعد ما فرحوا وفرح الملك بآية الله تعالى على البعث وذهب ما بينهم من الشقاق فى أمر القيامة وحدوا الله تعالى الى آخر ما فى القصة . ففر يق يقول نبنى عليهم قرية نسكنها . وفر يق يقول نبنى مسجدا يصلى فيه الناس فغلب هذا الفريق الفريق الآخر فى الرأى وبنوا عليهم مسجدا وهذا قوله تعالى (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم) الى قوله (مسجدا) وقوله - ربهم أعلم بهم - جملة اعتراضية من الله . ولما فرغ من الكلام على القصة وعلى نزاع المتخاصمين فيما يبنى عليهم أخذ الله يقص علينا ما دار فى زمن النبي ﷺ بعد ما قص ما دار فى زمن بيدروس الذى بنى المسجد إذ اختلف الناس فى عدد أهل الكهف فقال السيد وهو نصرانى يعقوبى من نجران انهم ثلاثة ورابعهم كلهم وقال العاقب منهم وكان نسطور يا هم خمسة وسادسهم كلهم وقال أصحاب الملك وهم المملوكية سبعة وثامنهم كلهم قطمير وهذا قوله تعالى (سيقولون ثلاثة) الى قوله (ما يعلمهم إلا قليل) وقوله - رجاء بالغيب - ظنا بالغيب بغير علم * وروى أن ابن عباس رضى الله عنهما قال أنا من القليل هم ثمانية سوى الكلب ولم يرد فى الصحيح عن النبي ﷺ شئ فى هذا دلالة على أن أمر العدد لا يهم والمهم الاعتبار بمجموع القصة وما يكون نافعا لعقولنا وارتقائنا فى حياتنا الدنيا وفى الأخرى . هذا هو القصص الذى طلبوه (فلاتعارفهم إلا مرءا ظاهرا) أى لاتجادل فى شأن الفتية إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه فتقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم ولارد عليهم (ولاتستفت فيهم منهم أحدا) أى لاتستفت فى أصحاب الكهف من أهل الكتاب أحدا أى لاترجع الى قول أحد منهم بعد ما أخبرناك وانما كان التعمق غير مرغوب فيه لأن المقام مقام عظات واعتبار فالبحث عن العدد مثلا هل كان (٣) أو (٥) أو (٧) لافائدة من تحقيقه ولاغرض فى معرفته . واذا كانت القصة كلها ليست بالنسبة لآيات الله إلا أمرا قليلا فكيف يكون البحث عن مفصلاتها . إن القصص لم يكن الغرض منها سوى الوعظ وهذه القصة يقصد منها أمر البعث وأمر البعث يعرف بأمور من العوالم المحيطة بكم لاتنتهى كما سيأتى بيانه من علم الطبيعة فى العلوم الحديثة فكيف تضعون الوقت فى ذلك والوقت يجب أن يوفر للعلوم الطبيعية التى دخلت فى ضمن - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - ثم قال (ولاتقولن الح) * يقول العلماء رحيم الله تعالى إن هذا تأديب من الله لنبيه ﷺ حين قالت العرب بأشارة اليهود ما تقدم من طلب الامور الثلاثة فقال لا تنوفى غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله أى ولا تقولن لأجل شئ تعزم عليه إلى فاعل ذلك الشئ غدا إلا حال كونك متلبسا بمشيئة الله أى قائلا ان شاء الله (واذكر ربك) أى مشيئته وقل ان شاء الله (إذا نسيت) أى اذا فرط منك نسيان لذلك أى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تذكرتها فتدركها بالذكر مادمت فى المجلس عن الحسن وبعد سنة عن ابن عباس وفى أقرب زمن عند بعضهم والأحكام الفقهية مبنية على أن يكون الاستثناء متصلا

﴿ حكاية ﴾

حكى انه بلغ المنصور أن أباحنيفة رجه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبوحنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالإيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك هذا هو الذى يقصده هذا الذى وشى بى اليك فاستحسن كلامه وأمر أن يخرج الطاعن فى الامام من عنده . انتهت الحكاية

﴿ وجوه أخرى فى الآية ﴾

(١) واذا كرر بك بالنسيب والاعتذار اذا نسيت كلمة الاستثناء

(٢) وصل صلاة نسيها اذا ذكرتها

(٣) اذا نسيت شئ فاذكره ليدركك المنسى

أقول وهذه الأخيرة جرت بها فتذكرت مانسيت وكان الذكر بلفظ يارب . واعلم أن هذه القصة المذكورة
جاء بها كما تقدم على أنها ليس الحجب خاصا بها بل أعجب منها عجائب الله في الأرض والسماء فما على الأرض
من نبات وحيوان الخ أعجب . وما في الفلك من بهجة أجل وأبهى وأبهى من خوارق العادات في هذه القصة
أوفى غيرها ولذلك أتبعه بما بعده فأمره ﷺ أن يسأله تعالى فقال (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا
رشدا) أى لأظهر دلالة على أنى نبي من نبي أصحاب الكهف الذى هو عبارة عن حديث جرى لأهم النصارى
مع ان آيات الله لا تنتهى في أرضه وسمائه فهو قادر أن يعطينى منها ما يشاء ولذلك أجاب دعاءه حالا وأنزل عليه
(وابشوا في كهفهم ثلاث مئة) وأبدل منها لفظ (سنتين) وقرئ بالاضافة على وضع سنين موضع سنة التى هى
الأصل في تمييز المائة . يقول الله اخبارا من عنده ولبث أهل الكهف الى يوم النبوة المحمدية ثلثمائة سنة
وتسع سنين . ولما سمع أهل الكتاب وهم نصارى نجران ذلك قالوا أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم
لنا بها فقال الله له (قل الله أعلم بما لبثوا) كما قلنا لك من قبل - فلا تمارفهم إلا صرا ظاهرا - الخ لأن
المقام مقام اعتبار وحكم والمشاهدة والجدال يضيع المقصود من الرسالة ومن العلم . ثم اعلم أيها الفطن أن هذه
معجزة أهم من ذكر قصة أهل الكهف لأن الله يقول أيها الناس هذا النبي الأتى الذى لم يقرأ ولم يكتب ولم
يدرس علم الحساب ولا الهندسة ولا الفلك من أين جاء له أن كل ثلثمائة سنة تزداد تسع سنين (و عبارة أخرى) من
أين عرف أن كل مائة سنة شمسية تزيد ثلاث سنين قمرية وكل ثلاث وثلاثين سنة شمسية تزيد سنة قمرية
وكل سنة شمسية تزيد نحو (١١) يوما . من أين جاء له ذلك وهو لم يدرس ذلك وكيف ينزل عليه لفظ
- وازدادوا - ليفصل بين الزيادة في القمرية والمزيد عليه في الشمسية . هل هذه رمية من غير رام . وإذا
وقف أهل نجران وقالوا لا نعرف التسع ونعرف الثلثمائة أفلا يتفطن الناس لهذا القول ويعرفوا أن هناك معاني
وأن أصل عصر النبوة عجزوا عن فهم مثل هذه الامور . وإذا كان حبر عظيم من أكبر علماء الاسلام كالعلامة
الرازي رحمه الله يقول ان الحساب لا يوافق هذا القول فكيف بغيره من الذين لا علم لهم . فاذا كان فلاسفة
الاسلام وحكامهم يترددون في هذا القول من حيث السنين الشمسية والقمرية ويقولون ليس ذلك حقيقة
فكيف بغيرهم ممن لا علم لهم بحساب ولا فلك . ولقد أريتك الحقيقة ناصعة كما أثبتتها المحققون وقرأها في الفلك
وأصبح معلوما مشهورا عند علمائه . أفلا تعجب من حكمة عالية وآيات ظاهرة وعجائب باهرة . إذن عرفت
كيف هداه الله لأقرب من هذا رشدا وكيف لفت الأنظار الى علم ما على الأرض من زينة لها ضوء الشمس
المشرق على وجهها وحسابه وزينته وماتج عن الضوء من بهجة الأرض وزينتها لأنه لولا اختلاف الفصول
لم تكن للأرض زينة ولا اختلاف للفصول إلا بتقلب الشمس وطاوعها من حيث لا تسمى وتنقلها في البروج
فهذا القلب هو الذى يعطى الأرض زينتها فما من دابة ولا حيوان ولا جبال إلا وكان أسه ضوء الشمس الذى
أرسله الله الى الأرض كما يرسل نبينا ﷺ ليهدينا للعلم ويقول لنا ان النظر فيما على الأرض من زينة الناجم
من ضوء الكواكب أقرب رشدا من قصص الأولين وحكايات الغابرين وان ماترونه في هذه الأرض أبهر
وأجل من كل ما يصدر من خوارق العادات فكيف في العوالم المحيطة بكم من خوارق فإياكم أن تذروها ابتغاء
ما يقع على يدي أنبيائكم وأوليائكم فإني أرسلت الأنبياء ليرشدوكم الى ملكى حتى انى لم أشغلكم بما جاء على
يدي المختارين منكم لأن ذلك يسير بالاضافة الى عجائبي في خلقى وما الأنبياء والأولياء إلا بعض خلقى . خلق
السموات والأرضين أكبر من خلقى الناس . فانظروا فيما هو أكبر والأنبياء ماجاؤا لكم إلا ليرشدوكم الى والى
نظامى وعجائبي فاذا قصرتم عقولكم على بعض ما يقع لهم كنتم غافلين عما هو أقرب رشدا . وسأني ايضاح
هذا المقام فانتظر يسيرا تر العجب العجيب . واعلم أن هذا ينافي ماجاء في القصة وهو أن ثلثمائة سنة كان آخرها
العثور عليهم وقت أن بنوا المسجد ولكن القصة فيها تساهل والحكايات يدخلها التحريف فالقول أن المدة

الى زمن النبوة أقرب الى التاريخ وهي المنقولة عن كثير من العلماء ورجحوها ثم قال تعالى (له غيب السموات والأرض) أى ما غاب وخفى فيهما ومن ذلك الغائب على كثير من العقول حساب السنين الشمسية والقمرية غيبه الله عن بعض الناس حتى يطلع عليه العارفون بحساب الفلك فيعجبون من أمر نبينهم ويعلمون أن هذا مبدأ زينة الأرض وزخرفها ويتعجبون ويدرسون العلوم المتعلقة بهذا التي مبدؤها العلوم الرياضية ونهايتها العلوم الطبيعية أى انى أعلم غيب السموات والأرض وغيبها هو ما غاب عن العقول وسأفطن لها الأجيال المقبلة حتى يدرسوا الرياضة التي أشرت لها بالسنين المذكورة ونتيجة الأضواء والشموس زينة الأرض وهي علوم الطبيعة (أبصره وأسمع) أى ما أبصر الله وما أسمع صيغة تعجب من أن الله يسمع ويبصر ما لا علم لنا به وهو خارج عن ادراكنا (مالهم) لأهل السموات والأرض (من دونه من ولى) من يتولى أمورهم (ولا يشرك فى حكمه) فى قضائه (أحدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا . ومثل هذا القول لا يذكر عادة فى القرآن إلا عند الأمور العظيمة للتنبيه على ما فيها من خفايا وقد أرشدك الله اليها فى هذا التفسير كأنه يقول انظروا فى جمال الفلك وحسابه ونتائج الاشراق وجمال زينة الأرض التي جعلتها لكم ابتلاء واختبارا لعقولكم وأعمالكم فلتجدوا فى العلوم لتعرفوا وتكونوا أقوياء فى الأرض

أيها المسلمون . هذا أوانه وهذا أوان ظهور مقاصد القرآن وعلومه وقد أرشد الله كتاب الاسلام أن يظهر الله على أيديهم غرائب القرآن لتجهوا الى عجائب ربكم فى أرضه وسماؤه والله ولى حميد . واعلم أن الكلام على ما زينت به الأرض المذكور فى أول السورة جاء فى ﴿ خمسة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ قصة أهل الكهف وانما أقل عجبا من زينة الأرض وما عليها

﴿ الفصل الثانى ﴾ حساب السنين الشمسية والقمرية وجمالها وبدائعها وهذا أول قطرة من بحر الزينة الفائض وهي جملة وقد تمت لأنها أصل ما على الأرض كما تقدم فى أن النيل والفرات جاآ من الحركات السماوية

﴿ الفصل الثالث ﴾ إيضاح المقام بذكر أن القلوب ﴿ قسما ﴾ قسم غافل وقسم مستبصر فالمستبصرون يفكرون والغافلون يطلبون الزينة المذكورة فى أول السورة للشهوات والحياة الدنيا الى قوله - وساءت مرتفقا -

﴿ الفصل الرابع ﴾ دخول فى المقصود فعلا وإيضاحه بضرب مثل لرجلين فأحدهما له بستان والآخر لا بستان له واغترار الأول وتبصر الثانى . فهذا بيان لمن خفل قلبه فتعلق بظاهر الزينة ومن فكر قلبه فعرف حقائقها وفناءها الى قوله - وخير عقبا -

﴿ الفصل الخامس ﴾ فى استخراج النتيجة كما هى والرجوع لأول السورة إذ ضرب مثل الدنيا بمثل النبات ينحصر ثم يصير هشيما تذروه الرياح وأن المال والبنين كالنبات كلاهما متاع الحياة الدنيا ذاهب أيضا كما يذهب النبات فالدار على الحقائق لا المظاهر . ثم أتبع ذلك بذكر خراب الأرض وذهاب الجبال وقراءة الناس كتبهم وذكر ابليس وعصيانته الذى هو أصل هذه الأخلاق وأن هؤلاء الضالين المضلين ومن تبعهم لا يعرفون سقائى الأشياء فى السموات والأرض الى آخر ما سياتى

﴿ تفسير كلمات الفصل الثالث ﴾

قال تعالى (من كتاب ربك) القرآن (لا مبدل لكلماته) لا أحد يقدر على تغييرها (ملتصدا) متابعا تعاد اليه ان هممت به (واصبر نفسك) احبسها وثبتها (بالغداة والعشي) أى فى جميع أوقاتهم أوفى طرفى النهار (يريدون وجهه) رضا الله تعالى (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تتجاوزهم عينك * يقال عداه جاوزه ولكن عدى هنا يعنى لضمين معنى نبا يقال نبت عنه عينه اذا لم تبصره (تريد زينة الدنيا) فى موضع الحال (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر كأمية بن خلف لما دعاك الى طرد الفقراء من مجلسك ليحل محلهم صناديد قریش (واتبع هواه) فى طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) مجاوزا الحق

مخالفه (وقل) يا محمد (الحق من ربكم) الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) لا أبالي بإيمان من آمن ولا بكفر من كفر (أعتدنا) هيأتنا (سرادقها) فسطاطها فقد شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق أو السرادق الدخان لأنه محيط بالنار وبهم فيها فهو كالفسطاط من وجه الشمول والاحاطة (وان يستغيثوا) من العطش (كالهمل) هودردى الزيت أو ما أذيب من الجواهر المعدنية كالرصاص والنحاس (يشوى الوجوه) أى ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب وساءت) فعلاان للذم والمخصوص بالذم المهمل والنار (مرتفقا) متكأ بجىء به لمشكاة قوله - وحسنت مرتفقا - فى الجنة (إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) أى لا نترك أعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم بأعمالهم الصالحة (أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار) خبر - إن الذين آمنوا - وجلة - إنا لانضيع أجر من أحسن عملا - اعتراضية وقوله (يحلون فيها من أساور من ذهب) خبر ثان من الأولى ابتدائية والثانية للبيان بين الأساور بأنها من الذهب أى أساور كائنة من ذهب وهى جمع أسورة جمع سوار (ويلبسون ثيابا خضرا) لأن الخضرة أوفى للابصار ولذلك جعلها الله عامّة فى النبات وزين بها الأشجار كما لقن السماء بالزرقة وهما معا مقبولان نافعان لا بصار الحيوان (من سندس وإستبرق) مارق من الديباج وما غلظ منه (متكئين فيها على الأرائك) السرر (نعم الثواب) الجنة (وحسنت) الأرائك (مرتفقا) متكأ . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع . ضرب المثل ﴾

قال تعالى (واضرب لهم مثلا) للكافرين والمؤمنين والمتبصر والغافل أى وبين لهم الخ صفة (رجلين) أخوين فى بنى إسرائيل أو من مكة (جعلنا لأحدهما جنتين) بستانين (من أعناب) من كروم (وحففناهما بنخل) أى وجعلنا النخل محيطا بهما * يقال حفوه إذا طافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعدي الى مفعول واحد وتزیده الباء مفعولا ثانيا (وجعلنا بينهما زرعاً) أى جعلناهما أرضا جمعت القوت والفاكهة وهى متواصلة متشابهة فليس هناك ما يقطع شكها الحسن الجليل البهيج (كلتا الجنتين آتت) أعطت وجاء الخبر على لفظ - كلتا - وهو مفرد ويصح أن يرأى المعنى فى اللغة (أكلها) ثمرها (ولم تظلم منه شياً) ولم تنقص من أكلها شياً . ثم ذكر ما هو أصل هذا الخير والبهجة فقال (وأنجونا خلاصاً نهراً) ليدوم شرهما وتظهر بهجتهما ووجود النهر مما يجعل الثمر لا ينقص (وكان له ثمر) أى وكان لصاحب الجنتين مال سوى ما فى الجنتين * يقال ثمراله إذا كثره فهو الأموال الكثيرة المثمرة من الذهب والفضة وغيرهما (فقال له صاحبه وهو يحاوره) يراجعه الكلام يقال حار يحور إذا رجع * يقال إن هذين الرجلين هما قطروس وهو كافر ويهوذا وهو مؤمن ورتا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشتري الكافر بها ضياعاً وعقاراً وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل أمرهما الى ما حكاه الله أو هما أخوان من بنى مخزوم ولا يهمننا شئ من ذلك لأن الآية تسرى على كل اثنين هذه صفتهم وهذه حال عامّة والناس فى كل جيل يحسون بهذه المعاني ويتعالى الفنى على الفقير غرورا وجهالة ولو كانا مؤمنين على سبيل الغفلة والمؤمن قد تكون له جهالة تنسبه الآخرة وإيمانه لا يمنعه من الغفلة . فقال صاحب الجنة لصاحبه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) حشماً وأعواناً وأولاداً ذكوراً لأن هؤلاء ينفرون معه (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويفخر بها (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بحببه وبكبره وكفره (قال ما أظن أن تبديد) تفتى (هذه) الجنة (أبداً) أطول أماله وتمادى الغفلة (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (والئن رددت الى ربى) بالبعث كما زعمت (لأجدين خيراً منها) أى يعطينى هنالك خيراً منها وهو لم يعطينى هنا إلا لأنه يعطينى هناك (منقلباً) مرجعاً (قال له صاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) كيف تقول - وما أظن الساعة قائمة - (أ كفرت بالذى خلقك من تراب) وذلك التراب تغذى به وبالماء النبات والحيوان فأكله أبواك فولدك وأكلته أنت فكان منه الدم فصرت بشراً سوياً وهو قادر أن يخلقك مرة أخرى

كما خلقك هذه المرة بهذا النظام وهذا قوله (ثم من نقطة ثم سواك رجلا لكنا) أى لكن أنا خلقت الهمزة بنقل حركتها الى ما قبلها وحصل الادغام * وقرئ - لكن أنا - على الأصل (هو الله ربى) الضمير للشأن (ولا أشرك برى أحدا * ولولا) هلا (إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) أى الأمر ماشاء الله مبتدأ وخبر أوما شاء الله كان على انها شرطية (لا قوة إلا بالله) اقرارا بأن عمارتها لم تكن بقوتك بل بقوة الله (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) ولذلك تكبرت على (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) فى الدنيا والآخرة (ويرسل عليها) على جنتك (حسابنا) جمع حساباته أى صاعقة (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها (أو يصبح ماؤها غورا) أى غائرا فى الأرض فهو مصدرا وصف به (فلن تستطيع له طلبا) أى للماء الغائر . فلخص المحاورات ﴿ ثلاث ﴾ الافتخار بالمال والأعوان والأمل الطويل ببقائها وانكار الساعة . هذه هى المقالات التى قالها الكافر والاجابات ثلاث على نظام عكسى إذ قال صاحبه - أ كفرت بالذى خلقك - الخ ردّا على الثالث وقوله - ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله - ردّا على الثانى وهو - قال ما أظن أن تبدي هذه أبدا - وقوله - إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا - ردّا على قوله - أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا يقول له هذا لا يدوم وزخرف الحياة ذاهب لابقاء له وكل هذا تطبيق على القاعدة التى فى أول السورة . ثم تمّ مقال له صاحبه إذ هلك ثمره قال تعالى (وأحيط بثمره) أى أهلكت أمواله أى أحاط بهلاك بثمر جنتيه فوقعت عليها نار من السماء وغار الماء (فأصبح يقلب كفيه) أى يصفق بكف على كف أو يقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها) أى فأصبح يندم على ما أنفق فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) أى ان عروشها سقطت على الأرض وسقطت الكروم عليها وهو يقلب كفيه (ويقول ياليتنى لم أشرك برى أحدا) هناك تذكر موعظة أخيه (ولم تكن له فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) يقدرّون على نصرته فيدفعون عنه الهلاك (وما كان منتصرا) أى ممتنعا بقوته عن انتقام الله (هنالك) فى ذلك المقام (الولاية لله الحق) الولاية بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك فهناك النصر بيد الله فلا فئة ناصرة أو السلطان والملك له فهو الغالب فنه النصر وله السلطان وحده (هو خير ثوابا) أى أفضل جزاء (وخير عقبا) أى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره . وهذا نهاية

﴿ الفصل الخامس ﴾

الفصل الرابع

قال تعالى (واضرب لهم) أى بين لهم (مثل الحياة الدنيا) أى صفتها الغريبة أو بين ما تشبهه الحياة الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها . مثلها كائن (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) فاختلط بعضه ببعض وتكاثر بسبب الماء (فأصبح هشيما) يابسا متكسرا واحده هشيمة (تذروه الرياح) أى تنسفه وتطيره (وكان الله على كل شئ مقتدرا) فهو قادر على الافناء والانشاء . شبه الدنيا فى نصرتها وبهجتها ثم تصير الى الزوال بحال النبات اخضرّ والتفّ وأزهر ثم صار هشيما تذروه الرياح . ثم أخذ بين المقصود من ضرب المثل فقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) لا تنفع فى القبر ولا يوم القيامة . وهنا أوضح المقصود من هذا كله فقال (والباقيات الصالحات) أعمال الخيرات التى تبقى ثمرتها للإنسان كالصلوات والصدقات والجهاد والحج وفعل البرّ ومساعدة المسلمين جميعا . ومن الباقيات الصالحات ﴿ سبحان الله والمجد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ وغيرها وكل كلمة طيبة (خير عند ربك) من المال والبنين (ثوابا) جزاء (وخير أملا) ما يؤمله الانسان . فانظر كيف يقول فى أول السورة - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - ويذم هنا المال والولد لأنهما من تلك الزينة فالكلام مرتبط ببعضه ببعض أيما ارتباط . ثم أخذ سبحانه يزيد المقام إيضاحا فقال (و) اذكر (يوم نسير الجبال) نذهب بها فنجعلها هباء منثورا (وترى الأرض بارزة) ليس عليها ما يسيرها مما كان عليها من الجبال والأشجار (وحشرناهم) أى الموتى (فلن نغادر منهم أحدا) أى فلم نترك أحدا

يقال غادره فتركه (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين لا يحجب أحد أحدا خالفهم أشبهت حال الجنند الذين يعرضون على السلطان وقد قلنا لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) عراة حفاة لاشئ معكم من المال والولد (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يقول ذلك يوم القيامة لتكرى البعث . فهنا سيرت الجبال وبرزت الأرض وحشر الناس عراة بعد ما استبان أن الدنيا لا قيمة لها وذلك على الترتيب الطبيعي ولم يبق إلا عرض الأعمال ولذلك قال (ووضع الكتاب) صحائف الأعمال في إيمان قوم وشمالك آخرين (فقرى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا) يا هلاكنا كما هو شأن من وقع في الهلاك (ما لهذا الكتاب) يتعجبون من شأنه (لا يفاد صغيرة ولا كبيرة) أى أى هنة صغيرة أو كبيرة من ذنوبنا (إلا أحصاها) إلا عدّها وأحاط بها لأننا قدّمنا أن النفس أشبه بالزجاجة التى يضعها المصوّر فى صندوق الآلة المصوّرة فكل صورة تقع عليها تحفظها . فهكذا نفوسنا تلتقط كل شئ تحصل عليه من ضار ونافع فإذا كشف الغطاء أبصرنا كل ما عملنا ورأينا صورنا بحالها فتظهر لنا جميع المحاسن وجميع الرذائل فتفعل فى عقولنا فعلها بلا كلام ولا كتابة وكل امرئ يقرأ هذه الكتابة والناس فيها سواء (ووجدوا ما عملوا حاضرا) كيف لا وهو مرسوم واضح (ولا يظلم ربك أحدا) ومن أين يأتى الظلم إذا كانت المسألة صورة مرسومة فى قوالب حافظه لها فليس يمكن الانسان دفعها ولا ظلم فى ذلك كما لا نعدّ التخمّة بعد الأكل الكثير ظمأ ولا المرض بعد الشرب من ماء آسن مملاؤه أدرانا ظمأ بل نرى ذلك أسبابا ومسببات . وهنا انتهى مبحث الانسان فى دنياه وآخرته ولما كان ذلك تابعا لعالم الأطف من عالمنا وكان للشياطين مدخل فى كل ما تقدّم أعقبه بذكر ابليس وعصيانه الذى هو قسوة هؤلاء فقال (و) اذكر (إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس) لأنه (كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه) فخرج عن أمر ربه بترك السجود ولو كان من الملائكة لسجد وقد شرحنا هذا الكلام مرارا فى سورة البقرة وفى غيرها فارجع اليها ان شئت . وإذا كانت هذه حاله وقد عصى أن يسجد لأبيكم آدم كما رأيتم الأساد والنور والحيوانات المحسنة للطاعون خلقت لا يذائكم . فحجبا لكم كيف تتخذونه وذريته أولياء توالونهم وهذا قوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى) أى أتغفلون وتجهلون فتقبلونهم فى (وهم لكم عدوّ) أى أعداء والجلّة حالية (بئس للظالمين بدلا) أى بئس ما استبدلوا ولاية الله بولاية الشيطان . ولا جرم أن عالم الأرواح فيه الأخيار والأشرار والأشرار يلحقون بعالم الجنّ والأخيار بعالم الملائكة وسترى بعضه قريبا كما تقدّم غير مرة فالأرواح الطيبة كالأنبياء والحكماء والملائكة يطلعهم الله على بعض أسرار خلقه والأرواح الشريرة من الناس الذين هم أحياء والذين ماتوا ومن نخا نخوهم من أرواح الشياطين يحجبون عن تلك العوالم وهذا المقام أوضحناه فى سورة البقرة أى مقام الملائكة والشياطين ونحوهما وهذا قوله (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) فهم لا علم عندهم والذى لا علم عنده بالحقائق كيف تتبعونه وتعملون بما يوسوس به اليكم والمتبوع يجب أن يكون ذا بصيرة ولا بصيرة هؤلاء كما نرى ذلك عيانا فى الدنيا . فالشياطين المجسمة تراهم لا يعرفون شئاً من هذا الوجود إلا طعامهم وشرابهم هكذا ابليس وجنوده فليس لهم علم إلا بالأمور التى تحوم حول الاضلال والزخارف (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى أعوانا وأنصارا وهم الشياطين فكيف اتبعوهم أو عبدوا الأصنام على مقتضى وسوستهم (و) اذكر (يوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم) انهم شركائى (فدعوههم) فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أى فلم يغاثوهم (وجعلنا بينهم موقفا) أى جعلنا بينهم وبين آلهتهم مهلكا يهلكون فيه وهو النار (ورأى المجرمون النار فظنوا) أيقنوا (أنهم مواقعوها) داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا فيها مصرفا) أى معدلا لأنها أحاطت بهم من كل جانب . وههنا وصل القول الى آخر الأحوال الانسانية . غرور بالحياة وزوال وموت وزوال الجبال وبروز الأرض وحشر وعرض وهم حفاة عراة وكتاب يقرؤنه وحرق المجرم وحضور جميع الأعمال ووسوسة

الشياطين وتوبيخ على اتباعهم وجهلهم وتجريدهم من العلم ودخول النار والهلاك فيها . وهنا قد تم كل ما يتعلق بالإنسان وأصل هذا كله - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - وهنا أخذ يصف القرآن وآثاره لأن هذه الفصول المتتابعة حوت علما جيا وسأنبئك ببعضه فيما يأتى فكانت جديرا أن يوصف القرآن بقوله تعالى (ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) أى بينا فيه من كل وجه من وجوه العبر والعلم والمثل هو وصف فيه غرابة (وكان الإنسان أكثر شئ جدلا) خصومة بالباطل وجدلا تمييز (ومانع الناس أن يؤمنوا) أى من الإيمان (إذ جاءهم الهدى) وهو الرسول والقرآن (ويستغفروا ربهم) من الكفر والذنوب (إلا) طلب أو انتظار (أن تأتيهم سنة الأولين) أى سنتنا فى اهلاك الأولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال وابتداهم (أو يأتيهم العذاب قبلا) أى عيانا أوجع قبيل أى أنواعا . ولما كانت الهداية بالقرآن والرسول هو الذى أنزله الله عليه قال بعد أن وصف القرآن (ومانرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات كأن يسألوا عن أصحاب الكهف ونحوهم تعنتا مع ان الأنبياء لم يرسلوا لهذا أى لم يرسلوا للبحث عن غرائب التاريخ ولا غيرها ولكنهم جاؤا ليدربوا الناس على العلم من طريقه وطرقه هى النظر فى الذى فوق هذه الأرض من عجائب فليدرسوها ولا يتخذوها للشهوات فحسب ثم ليتزودوا من الدنيا ليسافروا الى الآخرة . هذا هو المقصود وقد تقدم ذلك . فهؤلاء الكافرون يجادلون بالباطل (ليدحضوا به) أى ليزيلوا بالجدال (الحق) واتخذوا آياتي وما أنذروا) أى وأنذروهم (هزوا) أى استهزاء (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن (فأعرض عنها) فلم يتدبرها ولم يتذكرها (ونسى ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصى ولم يفكر فى عاقبة ذلك أى لا أحد أظلم منه ثم بين سبب ذلك فقال (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغشية (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) أى ثقلا وصمما (وان تدعهم) يا محمد (الى الهدى) فى الدين (فلن يهتدوا إذن أبدا) وذلك فيمن علم الله انهم لا يؤمنون (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذوالرحمة) الموصوف بها (لويؤاخذهم بما كسبوا) ليجل لهم العذاب) كما فعل مع قريش إذ أمهلهم مع كفرهم (بل لهم موعد) هو يوم القيامة (لن يجدوا من دونه موئلا) ملجأ (وتلك القرى) أى قرى قوم نوح وعاد وثمود الخ (أهلكناهم لما ظلموا) كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى أجلا لاهلاكهم . انتهى التفسير اللفظى للقسم الأول مع بعض تحقيق وهنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى فى ملخص هذا القسم وبعض مباحثه ﴾

لقد علمت أن هذا القسم من السورة أصل وخسة فصول . أما الأصل فهو - الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب - الى قوله - أسفا - . وأما الفصول الخمسة فقد بينا انها (١) قصة أهل الكهف (٢) وحساب السنين (٣) وبيان القلوب الفاضلة وغيرها (٤) ومثل الرجلين المتحاورين (٥) ومثل الحياة الدنيا وقد تقدم ذلك فلنبدا الكلام على الأصل الذى بنيت عليه تلك الفصول فأقول

ليكن الكلام عليه من وجوه

(١) وجه اتصال السورة بما قبلها فوق ما تقدم فى أول السورة

(٢) وبيان الحمد فيها والسور التى فى أولها الحمد وما قصد من ذلك

(٣) وبيان أن ماعلى الأرض زينة لها

﴿ الوجه الأول اتصال السورة بما قبلها ﴾

(١) لقد تبين فيما تقدم أن سورة الاسراء بدئت بخلاص أكبر نفس بشرية من علائق المادّة حال كونها فى عالمنا وارتقت طبقا عن طبق تدريجا حتى جاوزت الأفلاك والسبع الطباق وذلك راجع لصفاء النفس وخلوصها

من كشافتها سواء أكان الجسم يسرى ليلا مع الروح أم لا فالأمر واضح إن المقام مقام تجرد النفوس عن العلائق المادية وقد جاء فيها الكلام على الروح وانها من أمر ربي فهي من عالم الأمر لامن عالم الخلق الذي له طول وعرض وعمق وفيها - قل كونوا حجارة أو حديدًا الخ - وملخص ذلك أن السورة في أولها وفي آخرها تمهد وتبرهن على البعث وانتقال الأرواح من هذا العالم الى عالم غيره نعيم أو جحيم

(٢) وهذا القسم من هذه السورة مباحثه كلها في مسألة البعث وانتقال الروح الى ذلك العالم فإن قصة أصحاب الكهف ماقصت في القرآن ولا جاءت في الكتب السابقة عند الأمم الخالية إلا للبرهنة على بقاء أرواحنا وبعثها ولقد علمت كيف كانت الفصول الخمسة متلاحقة لاثبات ذلك

(٣) وأيضاً جاء في سورة الاسراء السابقة انهم قالوا - لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً - الخ وهكذا هنا طلبوا قصص أهل الكهف تعنتاً فأراهم في كلنا الحاليين أن هذا غير المطلوب والمهم العلم بالنظام والعجائب فيه

(٤) الوجه الثاني والثالث قوله - الحمد لله - وما بعده . ابتداء الله هذه السورة بالحمد لله وهذا الفاتحة وسورة الأنعام . يقول في الفاتحة الله يستحق الحمد لأنه ربي العالم كله من نبات وحيوان وانسان وقد شرحناه هناك ومعناه لتكونوا دارسين للتربية التي نظامها في هذه الكائنات حتى يكون الحمد على نعم عرفتموها وتكون قلوبكم مملوءة بحبه وحده واعظامه لا بمجرد اللفظ . وقال في سورة الأنعام ليكن حمدكم على أني خلقت السموات والأرض وجعلت الظلمات والنور فتكونوا دارسين لنظامهما وجمالها وآثارهما ونواميسهما حتى يكون الحمد على علم . وقال هنا لتحمدوني على القرآن وانزاله على محمد ﷺ وهذا الكتاب فيه الانذار والتبشير وفيه ذكر أن ماعلى الأرض زينة لها . فاذا كان ماعلى الأرض زينة لها ثم يكون معدوما فهو ﴿لثمرتين * الثمرة الأولى﴾ أن لا تحزن يا محمد فان كل شئ هالك وسيزول عنك هذا الألم بمفارقة هذه الدنيا فلا تحزن على عدم إيمانهم ﴿والثمرة الثانية﴾ أن كل ذلك عجب فآل الأمر الى أن الحمد على انزال القرآن يدخل فيه الحمد على عجائب هذه الدنيا وغرائبها العلمية فأصبحت الفاتحة والأنعام والكهف من حيث الحمد في أوائلها ترجع الى أن المسلم يحمد الله على هذه الكائنات وترتيبها وأنوارها وظلماتها وعجائبها وعلى القرآن ومعانيه فآل الأمر الى أن القرآن يوجه الهمم الى درس هذه الدنيا وعجائبها . وههنا ﴿فريدتان * الفريدة الأولى﴾ في قوله تعالى - الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً * قوماً - ﴿الفريدة الثانية﴾ في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً * وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جزاً * أم حسبت - الخ

﴿الفريدة الأولى﴾

وصف الله الكتاب بأنه لا هوج فيه فلا لفظه مختل ولا معانيه متنافية ولا دعوته منحرفة عن جنب الحق وفوق ذلك هو معتدل لا إفراط فيه ولا تفريط وقائم بمصالح العباد . فاذا كان كاملاً بالوصف الأول فهو مكمل بالوصف الثاني . فهنا أقول اللهم إن هذا وصف كتابك فكتابك لا نقص فيه فهو كامل وهو مكمل وهو معتدل . ولقد حرت في أمرى حينما نظرت في هذه الدنيا . ولما دخلت الجامع الأزهر وأخذت عن شيوخ الفضلاء عجب يارب من نظام هذه الدنيا ورأيت نظام التعليم في الأمم الاسلامية عموماً لا يوافق كتابك ولا نظام حقوقك ومزارعك التي أنعمت بها على الناس جميعاً فقد كنت حينما أذهب الى بلاد الريف والقرى أفكر بنفسى في هذه الدنيا وأبحث عن خالقها ومدبرها ذلك المتكبر المتعال القهار الذي لا يرينا ذاته وقد احتجب عنا فكنت لا أذر زهراً ولا ثمراً ولا فاكهة ولا أبا ولا ولداً ولا نبات ولا رائحة لأمثال الورد إلا فسكرت في أمرها ودرستها دراسة نظرية بلا مرشد ولا معلم وكنت أقول من هذا فليدرس الانسان ومن هذا فليكن العلم

وتارة أنظر في السحاب المستخرين السماء والأرض وما ينزل من المطر . وآونة أفكر في سير الشمس وكيف
اختلفت الفصول باختلاف قربها وبعدها عنا . وكيف كان هذا الزرع والثر يتبع ضوء الشمس وهكذا مما
كتبته في كتابي ﴿ التاج المرصع ﴾ ثم نظرت في أحوال الأمم الإسلامية كما ذكرته كثيرا في هذا التفسير
فوجدتهم مختلفين اختلافا بينا فما تركت صوفيا يمرّ ببلادنا إلا جلست أمامه طالبا اليقين ولاعلا دينا إلا
سألته عن الحقائق وهكذا كانت هذه حالي مدة الشباب فقد رأيت اختلافا بينا فأما أكثر الصوفية فهم يذمون
العلوم الشرعية ويقولون العلم حجاب ويظهرون بهيئة الوقار والخشوع ويقولون ان عندهم أسرارا وهكذا
رجال الدين أكثرهم يقولون ان أكثر هؤلاء جهال . ثم اني بعد هذه الخبرة قرأت العلوم التي تدرس في الأمم
المحيطة بنا وذلك في (دارالعلوم) وهذا دأبني الى الآن . وقد كتبت في سورة (آل عمران) ما فتحت به على
عند آية - ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب - إذ بينت بما شرحت به صدرى أن علماء الدين وعلماء
الصوفية والعباد والأغنياء جميعا مقصرون نقلا عن الامام الغزالي رحمه الله تعالى لأن الأمة انقسمت وصارت
فرقا وشيعا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم أجد سبيلا لتقاذ الأمة من هذا التفرق إلا بأمر واحد وهو الذى
كنت عليه أيام الشباب أى البحث في نظام العالم الذى نعيش فيه . فالصوفى والفقير والعابد والغنى بالمال
كل هؤلاء لامندوحة لهم عن دراسة العلوم التي تدرس في المدارس الثانوية في الأمم المحيطة بنا وهذه هى الطريقة
المثلى التي بها تعتدل العقول الإسلامية في العالم الذى نعيش فيه ويشاركون غيرهم . فكتاب الله لا عوج فيه
وهو مكمل لأتباعه قائم بمصالحهم في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة . ومن أراد المزيد فليقرأ هذا المقام هناك
ثم اني أقول الآن . لقد نظرت نظرا عاما في أمر الأمم الإسلامية بعد ما تقدم فكنت أقول ياليت شعرى
لماذا أرى رسول الله ﷺ وأصحابه في القرون الثلاثة لانسمع عنهم ما تقرأه عن المتأخرين من الصوفية بعد
الصدر الأول . أرى رسول الله ﷺ يأكل ويشرب ويتزوج وهكذا أصحابه والتابعون فلماذا أرى المسلمين بعد
الصدر الأول قد اختلطوا خطة أخرى فمنهم من يأمر تلاميذه بالجوع تدريجا حتى يأكل كل أربعين يوما مرة
واحدة ويترك بعضهم المال فلا يقننيه . وبعضهم يصير عائلة على الناس وهكذا مما هو ظاهر معلوم بل بعضهم
يرقصون رقصا دينيا وهم المولوية وقد رصدت لهم الأوقاف في مصر حتى ان ناظر الأوقاف أخبرنى بأن لهم
(٧٠) جنيا كل شهر من الأوقاف . ثم فكرت في هذا الأمر فوجدت المسيحيين سبقونا بأمر يشبه هذا
وذلك هو الذى ستره في سورة الحديد من معجزات القرآن الكريم إذ يقول تعالى - ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم - والرهبانية من الرهبة والخوف إذ كان رجال الدين المسيحي يخافون من الملوك الوثنيين
فكانوا يزهدون ويتركون التزوج ويعتكفون في الجبال ويننون هناك الصوامع فهؤلاء الرهبان لم يتعاملوا
ذلك من المسيح وانما ابتدعوه ابتدعا اضطروا اليه اضطرارا والله يقول - ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء
رضوان الله - وهذا هو الذى جاء به الكشف حديثا فانك ستري ما أسأته هناك من كتاب ﴿ الخريدة
النفيسة في تاريخ الكنيسة ﴾ الذى ألف في عصرنا الحاضر من أن عالما دينيا مصريا في القرن الثالث المسيحي
هو الذى خاف من جهره أن يقول للحكومة المصرية إذ ذاك انه من أتباع المسيح فتزهد وترك النساء وعبد
الله في الجبال فنجا . ثم ان هذه البدعة صارت من قواعد الدين . ويقول المسيحيون القبط بمصر انهم لم
يعرفوا هذه الحقيقة إلا في أيامنا هذه ونحن نقول ان هذه من أكبر المعجزات في الاسلام فان هذا الابتداع
لم يعرفه الناس إلا في هذه الأيام مصداقا للقرآن . والمهم في هذا المقام أن أقول فلعل ابتداع تقليل الأكل
واعترال الناس وترك المال بعد القرون الثلاثة الأولى في الاسلام كان أشبه بما ابتدعته النصارى من الرهبة
فأولئك ابتدعوا الرهبة للفرار من ظلم الملوك فصارت من الدين وهؤلاء ابتدعوا تقليل الطعام والاعتزال عن
الناس والبحث عن الأسرار إذ وجدوا الشهوات قد اغتالت الأمم الإسلامية . واذا قال الله تعالى في الرهبان

- فما رعوها حقّ رعايتها - فهل المسلمون راعوا التصوّف حقّ رعايته . المسلمون ابتدئوا طرائق حديثة في التصوّف غير طرائق أكابرهم الذين ذكرهم القشيري في القرن الرابع في رسالته . فهل هذه الطرائق التي ابتدئوها راعوها حقّ رعايتها . ألم تنحرف انحرافاً قليلاً أو كثيراً بعد القرون الأولى بل ألم يكن أكثر العاطلين والجاهلين وعباد المال والمناصب والمرشدين للفرنجة أن يحتلوا البلاد منهم . نعم هذا هو الذي حصل في أُمّ الاسلام حقاً وصدقاً . إن كثيراً من الصوفية قد تنعموا وعاشوا في رغد من العيش وأغدق الناس عليهم المال من كل جانب وجببت اليهم الثرات . وهوت اليهم القلوب . لما ركز في النفوس من قربهم الى الله . فلما راوا الفرنجة أحاطوا بالمسلمين لم يسعهم إلا أن يسلموا لهم القيادة ليعيشوا في أمن وسلام وهذا هو الذي حصل في أيامنا وذكره الفرنسيون في جرائدهم قبل الهجوم على مرا كس وقرأناه نحن فيها إذ صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشايخ الطرق وأن الشرفاء القائمين بالملك في تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلموننا البضاعة فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشايخ الطرق وعلى الشريف الذي يملك السلطة في البلاد . وقالوا هكذا بصريح العبارة ﴿ إن هؤلاء جميعاً متمتعون بالعيش الهنيء ورغد المعيشة في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم حتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركوننا في جرّ المغنم وبصريح العبارة يكونون أشبه بالغربان والنسور والعقبان التي تأكل ما فضل من فرائس الآساد والنور ﴾ ولقد مرّ بعض هذا في سورة البقرة ولكن الكلام هنا أوضح لاسيما ما ستره في نفس هذه السورة عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضداً - فسترى هناك مسألة حسن بن الصباح وتعاليمه ومنعه الناس من قراءة العلوم وأن طريقته لا تزال متبعة الى الآن في الهند . أقول هذا هو الذي كتبوه في جرائدهم وقرأناه في زمن الشباب ولقد نفذه الفرنسيون بالدقة وملسكوا البلاد وتعاونت أُمّ الفرنجة على ابتلاع تلك الممالك . حجة الله لا تزال قائمة على عباده فهل تحبّ أيها الذكي أن أسمعك بعض ما طلعت عليه بعد ذلك . لقد ذكرت لك في سورة الاسراء عند قوله تعالى - اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً - أن صاحب كتاب ﴿ الابريز ﴾ الفاضل الشيخ أحمد بن المبارك تلقى عن شيخه الأُمّي علوماً وذكرت بعضها هناك . فاعلمك تسمراً اذا رأيت ما ذكرناه هنا بطريق الاستنتاج قد صرّح به ذلك الصالح الأُمّي . الله تعالى هو الذي أرسل نور الشمس والمطر والهواء فالنور دائم والهواء محيط بنا . إن النعم تحيط بالناس ومن اطلع على هذا التفسير أيقن أن الله لم يذر نملاً ولا حشرات ولا حيواناً ذرياً لا تراه العيون إلا دبر أمره تدبيراً خاصاً . فاذا كان الله عز وجل حاضراً عند كل حيوان صغير فهو لاجرم يراعى أمة الاسلام في كل زمان ومكان . علم الله أن الجهل فشا في الاسلام وقل العلماء بعد ذهاب الدولة العباسية وأخذ الناس العلوم عن جهال المجاذيب ومشايخ الطرق فألقوا اليهم الأكاذيب والأساطير والخرافات باسم الدين . فاذا فعل الله تعالى تلقاء هذا . ألهم رجالاً لعلم عنده بالدين أن يعلم أكبر كبار علماء الاسلام في ذلك الوقت وأفاض عليه العلم حتى يأخذ المسلمون عنه العلم وذلك في القرن الثاني عشر الهجري وذلك ليس أمراً بدعاً فان علم الأرواح أثبت اتصال الناس بالأرواح . وقد اشتهر في أمريكا وأوروبا هذا العلم فاقرأه في كتاب ﴿ الأرواح ﴾ تأليفه فهناك ترى غلاماً صيرفياً جاهلاً أكمل رواية مات مؤلفها قبل تمامها في جلسات روحية بحيث يمسك القلم وروح المؤلف الذي مات قد سلطت عليها وكتبت فوق ألف صفحة وانتشرت تلك الرواية وذلك كثير مشهور . علم الله أن بلاد الاسلام خلت من الحكمة والتابعون من المسلمين كالعلماء أحمد بن المبارك بما كشف قد درسوا كتب الفلسفة القديمة وتصلعوا من العلوم الشرعية فألهم الله ذلك الأُمّي الشيخ عبد العزيز الدباغ علوماً تظهر بعض الحقائق والذي يهمنا في هذا المقام أن نذكر ما جاء عنه في أمر الصوفية وتاريخهم . ومما مثل هذا الشيخ في ظهور العلم على يديه بلا معلم في الأمة الاسلامية إلا كمثل الدين الاسلامي في الديانات مع الفرق بينهما وانما هو تنظير لا غير فان الكشف الحديث قد أظهر أن أديان الأمم

مقتبسة بعضها من بعض وأن التثليث متوارث ينقله كابر عن كابر كما تقدم في آخر سورة (المائدة) وكما سيأتي في سورة (مريم) فالذي في (المائدة) أن التثليث دين هندي والذي في سورة (مريم) أن التثليث دين بابلي آشوري وفي الوصفين إيضاح تام منقول من الآثار التي عرفت حديثا فاقرأه تر العجب العجيب هنالك أرسل الله نبيا أميا لم يقرأ تلك الديانات لئلا تعلق بذهنه فتمنع عنه قبول الوحي فصدمع بالحق وقال أيها الناس الله واحد . فهكذا هذه الأمة الإسلامية علم الله أن كل عالم إسلامي لا يقرأ إلا كتب أسلافه المصنفة في الأصول والفقه وبعض شذرات من الفلسفة القديمة المضادة للدين . هنالك أفاض بعض العلوم على قلب هذا الشيخ الذي لم يتعلم فأدهش علماء الإسلام . وسأ نقل في هذا الكتاب بعض ما قاله مما لم يكن معروفا إذ ذاك وظهر في الكشف الحديث أن شاء الله تعالى . وأ نقل هنا ما يناسب ما نحن فيه وهو ما جاء في صفحة ١٩٣ من الكتاب

سأل (الشيخ الديباغ) بعض الفقهاء عما قاله الشيخ (زروق) أن التربية انقطعت بالاصطلاح ولم يبق إلا التربية بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان الخ . فأجابه بما ملخصه أن مقصود التربية تطهير الذات بزالة الظلام منها وقطع علائق الباطل عنها ثم قسم الطرق لقطع علائق الباطل إلى ثلاثة أقسام * القسم الأول * طريق السلف الصالح فقد كانوا في القرون الثلاثة الأولى لا يصرفون وقتا في تطهير نفوس تلاميذهم قال وإنما يلقي الشيخ مريده وصاحب سره ووارث نوره فيكلمه في أذنه الخ * (القسم الثاني) * ما كان بعد القرون الثلاثة الأولى إذ فسدت النيات وعمت الشهوات الخ فأمرهم بالخلاوة والذكر وبتقليل الأكل لينقطع بالخلاوة عن المبطلين الذين هم في عداد الموتي وبالذكر يزول الكلام الباطل والهوى والغفوة بقلة الأكل تقل الشهوة فيرجع العقل إلى التعلق بالله ورسوله الخ * (القسم الثالث) * قال لما اختلط الحق بالباطل صار أهل الباطل يربون من يأتيهم بادخال الخلاوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق . وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات تفضي إلى مكر الله واستدراجاته . ثم قال إن الشيخ (زروق) لما رأى هذا نصح بالرجوع إلى الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقص . قال وهذا خرج مخرج الاحتياط والألفابركة باقية إلى يوم القيامة الخ . انتهى باختصار جامع لما فيه من المعاني

﴿ سؤال آخر من هذا الفقيه ﴾

وجاء في صفحة (١٩٦) أن هذا الفقيه سأله أيضا قائلا ﴿ أيهما أفضل أ طريق الشكر أم طريق المجاهدة الأولى طريقة الشاذلي إذ يأمر بالشكر والفرح والثانية طريق أبي حامد محمد الغزالي وهذه الطريقة تحت على الرياضة والتعب والمشقة والسهر والجوع ﴾ فأجابه بأن كلا من هاتين الطريقتين لها فضل ولكن فضل طريقة الشكر على طريقة المجاهدة . وجعل أن المجاهد بالسهر والجوع وقلة الطعام يعاني ما يعاني ليصفي نفسه قاصدا أن يفتح الله عليه فيطلع على ما لا يعرفه غيره . أما طريقة الشكر فهي التسليم لله وذكره في كل لحظة فلا يحول عنه كل حين . وهذه الطريقة لا يقصد سالكها إلا حب الله لاشئ سواه فلا هو طالب الاطلاع على أسرار كالمجاهد ولا هو متوان في ملاحظة جناب الحق . وماعمل المجاهد لإلابة من أبواب الحظوظ النفسية إذ كشف الحجاب لذة يصرف المرید أوقاته لنيلها . فأما الشاكر فإن كشف له الحجاب فإنه لم يعمل لأجله بل عبد الله حبا فيه لا طلبا لشيء سواه . ومتى كشف الحجاب عن نفس المجاهد ربما انقلب على عقبيه وفرح بما نال من الفتح واغتر بما يشاهد من العوالم ويفرح بما نال من ذلك ويرى أن ذلك هو الغاية وهذا من الأخسر بين أعمال الدنيا الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا . ثم قال ومنهم من تبدل نيته بعد الفتح فيرجعه الله ويأخذ بيده وهذه الحالة التي حصلت لهذا بعد الفتح هي التي كانت البداية في طريق الشكر . ثم قال فيا بعد ما تبين الطريقين وتبين ما بين المطالبين . فطريق الشكر سير القلوب وطريق المجاهدة سير الأبدان

وأعرب بعد ذلك عن أن هذا القول لم يقصد به إلا التعليم العام . وأما الامام الغزالي فهو إمام حق وصدق . ثم قال وطريق الشكر لا ينال الفتح فيه إلا المؤمن العارف الحبيب القريب بخلاف الفتح في طريق المجاهدة فإنه يكون للرهبان وأحبار اليهود فإن لهم رياضات يتوصلون بها إلى شيء من الاستدراجات . ومن قوله أيضا ﴿ إن النيسة في طريق الرياضة مشوبة وفي طريق الشكر خالصة والفتح في الأولى إنما ينال بحيلة وسبب والفتح في الثانية يكون هجوميا . قال وما هذه الطريقة إلا تعليق القلب بالله عز وجل والدوام على ذلك وإن كان في الظاهر غير متلبس بكبير عبادة ولذا كان صاحبها يصوم ويفطر ويقوم وينام ويقارب النساء ويأتي بسائر وظائف الشرع التي تضاد رياضة الأبدان . وقال مرة أخرى والطريقة رياضة الأبدان قصد بها الفتح ونيل المراتب ثم بعد الفتح منهم من يبقى على نيته الأولى فينقطع قلبه مع الأمور التي يشاهدها في العوالم ويفرح بما يرى من الكشف الخ ما تقدم . انتهى

وهذا عجب عجب . ثم انظر كيف أعلن الوهاية في زماننا أنهم يمتقون طرق الصوفية بلا استثناء ويرون أنها حائدة عن الصواب كما شرحه العلامة ابن تيمية واعترض على الامام الغزالي وعلى ابن الفارض

﴿ فتاوى الشيخ الخواص للشيخ الشعراني ﴾

ألا تعجب معي أيها الذكي كيف تكون هذه الآراء في أمم الاسلام وتبقى مدفونة في الكتب يقرؤها الناس ولكنهم لا يدعون إلى ما فيها من الآراء وتجد رجال الصوفية يجوبون البلاد ويهيمنون على العقول ويستنون المسالك أمام المسلمين وينعونهم من العلم الصحيح إلا قليلا منهم والله عليم بالفسدين . فانظر كيف كانت فتاوى ذلك الشيخ الذي لم يتعلم علما ثم وازن هذا القول بما حكاها الشيخ الشعراني قبل تاريخ الشيخ الدباغ عن شيخه الخواص الذي لم يقرأ ولم يكتب

جاء في كتاب الشيخ الشعراني المسمى ﴿ درر الغواص ﴾ * على فتاوى سيدى على الخواص ﴿ ما يأتي سألته عن قول أحمد بن حنبل رضى الله عنه إذ قال ﴿ رأيت ربي عز وجل فقلت له بم يتقرب إليك المتقربون قال يا أحمد بكلامي فقلت يارب بفهم وبغير فهم فقال تعالى بفهم وبغير فهم ﴾ انتهى فأجابه ان الفهم خاص بعلاماء الشريعة المطهرة وأما غير الفهم فذلك هو الكشف للعارفين وعلاماء الحقيقة لأن العلم يفاض عليهم بالذوق وليس ذلك ككشف الصور إلى أن قال واعلم أن الله تعالى قد أخبر في كتابه عن أقوام فقال - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - وأخبر ﷺ عن أقوام من أمته يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فكيف تكون هذه الأقوام متقربين إليه وكيف يتقربون بعدم العلم الذي هو الجهل هذا عجيب والله أعلم انتهى

قال ثم سألته عن مقام المجاذيب في الجنة . فأجاب ان المجاذيب ليس لهم مقام عمل فليس لهم في الجنة الأعمال نصيب ولكن لهم نوع من النعم يتميزون به . ثم قال بل أقول ان السوق وأرباب الحرف والصنائع أعظم نفعاً من المجاذيب لقيامهم في الأسباب النافعة لغيرهم ولكنرة خوفهم من الله تعالى اذا وقعوا في ذنب ولا يرون لهم عملاً يكفر ذلك الذنب أبداً مع احتقارهم نفوسهم وعدم رؤيتهم لها على أحد من الخلق فضلا وهذه الصفات عزيزة في أهل الجبال الخ

ثم قال وسألته عن قول بعضهم ان الفقير اذا عرف الله لا يؤثر فيه إلا كل من طعام الناس نقصا . فقال ان المدد يتاون بحسب القلب والقلب يتاون بحسب الطعمة وفسادها . ثم قال ان الله لينطق على لسان عبده بحسب مضغته فان كان طاهر القلب من سائر الرذائل كان كلامه شبيها بالوحى وان كان ملطخا بالقاذورات نطق بما يشبه كلام الشياطين ومنعه من أخذ الهدية إلا بمقابل لها ولو بالدعاء في أوقات الاجابة وسأله عن الأنبياء هل يتخذون واسطة . فأجابه قائلا لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبداً من نبي أو غيره

لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد وبين الرب في الدعوة إلى الله لا إلى نفسه فإذا وقع الإيمان الذي هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله ولم يبق للرسول إلا حكم الأفاضلة على العبد من جانب التشريع والانباع كما في حال المناجاة في السجود فنبفس الرسول يغار أن يقفوا معه دون الله فإنه تعالى يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على ذلك كما أشار له ﷺ بقوله ﴿ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ﴾ الحديث وانظر أيها الأخ إلى غير الحق تعالى على عباده لقوله سيدنا محمد ﷺ - وإذا سألت عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - فأعلمنا الله بأنه أقرب إلينا من أنفسنا ومن رسولنا الذي جعله تعالى واسطة لنا في كل خير مع أنه تعالى بالغ في مدحه ﷺ حتى كاد يصريح بأنه هو لكثرة ما وصفه بالكمال في نحو قوله تعالى - من يطع الرسول فقد أطاع الله - وبقوله - إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله - ومع ذلك قال له - ليس لك من الأمر شيء أو يتوب أو يعذبهم فأنهم ظالمون - الخ

ومما يناسب هذا ما ذكره الشيخ أحمد بن المبارك في كتاب ﴿ الأبريز ﴾ المتقدم ذكره أنه سأله قائلا لم استغاث الناس بالصالحين دون الله ويحلفون بهم . فأجابه بأن الناس انقطعوا باطنا عن ربهم وأظلمت قلوبهم وأطال في ذلك . ثم قال ومما يدل على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام في ذواتهم أنك ترى الواحد منهم يؤدّي البراهم إلى ضريح الأولياء ولا يعطى فقيرا من الفقراء الذين يقابلونه حاجة وهذا أقبح ما يكون وسبب ذلك أن الصدقة لم تخرج لله وإنما قصده أن يخص بها الولي ليقضى حاجته . ثم أفاد أسباب انقطاع هذه الأمة عن الله عز وجل وأبان الذنوب الشاغلة للناس حتى نسوا ربهم . انتهى

أقول وهأنذا أذكرك أيها الذكي بما تقدم في سورة (المائدة) إذ ذكرت هناك محادثة المسيح عليه السلام مع الحواريين وما قصه عليهم من ذلك النبي الذي سبقه وأنكر على الأعمى حبه له . فكأما ألحف الأعمى في السؤال عنه وهو لا يعلم أنه هو أجابه بأن من تسأل عنه حجاب بينك وبين الله فارجع إليه هناك فإنه هو روح ما ذكره الشيخ الخواص . وأنا أقول ما كنت أظن قبل هذا اليوم أن أحدا من علماء الاسلام صرح بذلك قبل ابن تيمية والوهابية وعجبت كل العجب أن يكون من علماء الصوفية من يقول هذا القول . وأعلم أيها الذكي أن الله عز وجل قد جعل هذا التفسير في هذا الزمان الذي ظهرت فيه مفسدات ومصالح وعالم لم تكن فيها مضى . فالخواص والشعراني وابن المبارك والسباغ كل هؤلاء في القرون المتأخرة وهذه نعمة من الله على هذا التفسير فنبه الحد على التوفيق . وانظر كيف يفضل الشيخ الخواص الصناعات على المجاذيب ويجعل أرباب الصنعة أفضل منهم وهذا هو عين ما جاء هذا التفسير لأجله . ولذا أحسن مصطفى باشا كمال صنعنا إذ أقفل التكايا وأخرج من فيها لينفعوا أمتهم بأعمالهم

إن الله عز وجل ألهم هؤلاء الصالحين أن يلقوا هذه العلوم على أتباعهم وبقى ذلك في الكتب حتى اطلعنا عليه ولكن نعمة أفكارهم ستظهر في زماننا هذا وستكون هذه النهضة الحقيقية بعد انتشار هذا التفسير إن شاء الله تعالى فهو الذي جمع زبدة آراء العلماء وأنعم على وشرح صدرى بنقلها لعامة عز وجل أن المسلمين لا يقنعون غالبا إلا بأن يسمعون كلام الأكابر وهذا في العامة . أما الخاصة فلا يسمعون إلا آراء الفلاسفة لاسيما علماء أوروبا . وهذا الكتاب والحد لله قد أعطى النعمتين ليرضى الفريقين وأن طريقة الشكر يقرب منها هذا التفسير والله عز وجل هو الملهم للخير وهو الجواد الكريم والحد لله رب العالمين . انتهت هذه الفريدة يوم الخميس ٣٠ رمضان سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ فوائد الفريدة الأولى ﴾

﴿ الفائدة الأولى ﴾ أن الطرق التي انتشرت في الاسلام بعد الصدر الأول جاءت لتصفية النفوس ولكن

هذا السواء انقلب داء فليرجع الناس الى نفس القرآن والسنة كالصدر الأول

﴿الفائدة الثانية﴾ ان الخلو والسهو وترك الطعام أصل القصد بها الاطلاع على ما وراء الحس وهذا مذموم بل يصرف القلب عن الله وطريق الشكر أفضل منها لأن القصد منها كمال النفس وحب الله لاحب الاطلاع على الغيب الذي هو شأن الكهان والعرفان وصغار النفوس . وأذكرك بما تقدم في سورة الأنفال عند قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - فقد أوضحت هذا المقال هناك بما فتح الله به وهاهو ذا كلام الصالحين قد أبدته تأييدا فاقرأه فسينشرح صدرك مما ترى من الموافقة التامة فالحمد لله الذي وفق وشرح الصدر وهو الحكيم العليم وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

﴿الفائدة الثالثة﴾ ان قراءة القرآن بلا عقل مذمومة والرواية المروية عن أحمد بن حنبل إمام باطلة وإمام مؤولة

﴿الفائدة الرابعة﴾ ان الصنائع لهم مقام في الجنة أعلى من نصيب المجاذيب لأنهم ينفعون الناس بأعمالهم وهذا هو الذي حث عليه هذا التفسير كثيرا وبه ظهر بطلان الفكرة العامة في بلاد الاسلام وهي أن الانقطاع عن الناس أو الاعتكاف على العبادة هما المقصودان من الاسلام

﴿الفائدة الخامسة﴾ ان تعلق القلب بالناس في أمر الرزق صارف للقلب عن الله وعن العلم

﴿الفائدة السادسة﴾ ان المسلم يجب عليه بعد الايمان برسول الله ﷺ أن لا يجعل بينه وبين الله واسطة بل يكون القلب معلقا بربه لا يصرفه عنه صارف وهو أقرب اليه من حبل الوريد فيقول - إياك نعبد - ويقول ﴿اللهم لك سجدت﴾ وأيضا الذي لا يرضى من المسلم أن يجعل واسطة بينه وبين الله في العبادة لأنه دله على الله وهو يعبد رأسا والفضل في ذلك له ﷺ

هذه ﴿الفوائد الست﴾ لم يكن يخطر بغير أكثر المتعلمين في ديار الاسلام أنها في دين الاسلام بل هذه تغلب أفكار أهل العلم جميعا لأنها صادرة ممن يعتقدونهم أكثر المسلمين . وأنا أعجب أن تكون هذه الصراحة عند رجال الصوفية والناس عنها غافلون . وليس يزيل الخرافات من بلاد الاسلام إلا الاطلاع على تاريخ العلوم ومنها التصوف

﴿علماء الألمان يعرفون حقائق التصوف وتاريخه والمسلمون نائمون﴾

من عجائب الحكم الالهية أن خمسة علماء أتوا ضيوفا في بلاد مصر وأنا أكتب هذا الموضوع . ثلاثة منهم يعاصرون الفلسفة الشرقية في جامعات ألمانيا واثنان من الانجليز يعملان تلك الفلسفة . أحدهما في انكلترا . والثاني في (اسكوتلانده) فحدثهم أحد مكاتبى الصحف المصرية وهذا نص المحادثة

ظننت في أول الأمر أنهم قنعوا بمشاهدة بعض الطرق وقد عرفتهم الشيء الكثير عنها فاذا بهم يريدون أن يشهدوا جميعها وأن يعرفوا كل شيء عنها وقد تم لهم ذلك أو كاد . وقد أدهشني منهم ما علمته أثناء الحديث من أنهم درسوا كل شيء عن التصوف والصوفية في الصدر الأول بل الأدهى من ذلك أن أحدهم يحفظ من كتاب ﴿إحياء علوم الدين﴾ للإمام الغزالي أضعاف ما يحفظ مدمنو قراءته منا وآخر منهم يعلم كل شيء عن آثار الحسن البصري والجنيد والامام جعفر الصادق . والبعض الآخر يعلم من أمر السيد أحمد الرفاعي والسيد عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد البدوي وسيدى ابراهيم الدسوقي أكثر مما نعلم نحن المسلمين بل طرق التفهم مع الدقة في الاستقراء والاستقصاء . سألتني أحدهم هلا يعقد شيوخ الصوفية لتلاميذهم دروسا في التصوف ونشأته وتاريخ أطواره في الاسلام . فأجبتهم بأنهم يعلمونهم بقدر ما يعلمون . وقال آخر هل يدرس التصوف في الأزهر . قلت نعم ولكن مع عدم اعتباره علما أساسيا . قال وهل يدرس في الجامعة المصرية قلت نعم تدرس الفلسفة الاسلامية . قال وهلا يحاضر عن غير الامام الغزالي من فلاسفة الاسلام . قلت قد يكون ذلك بعد هذا العام بحيث يفرد بكل عام فيلسوف مسلم . قال وابن رشد . قلت وجعفر بن الطليل

قد يكون لها نصيب من عناية أستاذ الجامعة . وهنا قال . هل تستطيع أن تطلعني على مقدار ما وصل اليه درس الاستاذ في فلسفة الامام الغزالي . قلت لا أستطيع لأن دروسه لم تدع بعد . قال يؤخذ من مجمل إجابتك أنكم لاتعون بدرس الفلسفة الاسلامية مع انها ثروة عظيمة من ثروات تعاليم الاسلام . قلت سنعنى ان شاء الله ولكن جامعتنا حديثة النشأة ومستوفى أكلها بعد حين وأسأل الله أن يكون شهيا حتى اذا وفدت استطعت أن تجد من يتحدث عن الفلسفة الاسلامية والتصوف الاسلامي ومبالغ علاقتهما بالفلسفة الحديثة . ثم اطلعني أحد العلماء الألمان على سبع كراسات مطبوعة احتوت مباحثه في فلسفة الغزالي فقلت في نفسي ليتها تعرب ليدرسها الطلبة والعلماء ماداموا قد أضربوا عن إحياء كتاب ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ وغيره

أما بقية فلاسفة الاسلام فعلى فلسفتهم في مصر الغناء مادام لا يعني بها أحد ولا حول ولا قوة إلا بالله ومن عجب أن يحض هؤلاء العلماء على دراسة تاريخ التصوف فان ذلك هو الذي يزيل الخرافات كما جاء في هذه الفريدة عن الشيخ (الباغ) الذي أجل تاريخ التصوف . انتهى

﴿ الفريدة الثانية في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا *

وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جزا * أم حسبت - الخ مع قوله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وقوله تعالى - ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها

للمناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم - .

ولأجعل الكلام في هذه الفريدة في ﴿ ستة فصول * الفصل الأول ﴾ في بهجة الجبال في قوله تعالى

- إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - وبيان حكمة التأكيد بان واللام من جبال علوم الطبيعة السارة

للمناظرين ﴿ الفصل الثاني ﴾ في قوله تعالى - وجعلناها رجوما للشياطين - ﴿ الفصل الثالث ﴾ في بيان

قوله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده - الخ ﴿ الفصل الرابع ﴾ في قوله تعالى في هذه السورة

- لنبلوهم أيهم أحسن عملا - ﴿ الفصل الخامس ﴾ في قوله تعالى - وزيناها للمناظرين - ﴿ الفصل السادس ﴾

في قوله تعالى بعدها - أم حسبت - الخ وبيان الصلة بين الآيتين

﴿ الفصل الأول في بهجة الجبال في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها -

اعلم أن ماعلى الأرض من المجائب لا حصر له ولتقتصر في هذا المقام على ﴿ صنفين ﴾ من الجبال وعجائب

المنحدرات ﴿ أولهما ﴾ عجائب الجبال في الماء ﴿ ثانيهما ﴾ عجائب الجبال في الحيوان

﴿ الصنف الأول عجائب الجبال في الماء وغرائب ﴾

لقد تقدم في سورة الأنعام عند قوله تعالى - هو الذي أنزل من السماء ماء - عجائب الثلج القطبي وأن

هناك جبالا من الثلج تعوم على سطح الماء وهناك في بلاد (لابونيا) و (المسكوف) و بلاد (الاسويجيين)

الثلج المصقول السميك الصلب المسهل للسير وأن الثلج يكون عند القطبين على الأرض ثم يرتفع يسيرا يسيرا

حتى يصير على ارتفاع (١٣) ألف متر عند قرب خط الاستواء وهكذا يأخذ ذلك الخط في الانحطاط حتى يبلغ

القطب الجنوبي وهناك ذكرت لك ألوان ماء البحر وانما تكون ذات ألوان بهجة فيما بين المدارين وهكذا

ذكرت المياه المعدنية النابعة من الأرض واختلاف أوصافها . فهناك اليوم عجبا عجبا لم يذكر هناك . أذكر

لك اليوم من جمال الله عز وجل الذي اختاره وأزله الى هذه الأرض واختصابه وقال انظروا وفي هذه

السورة يقول ﴿ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - . فاذا قلنا فيما تقدم في الأنعام ان الثلج يكون في الجوّ

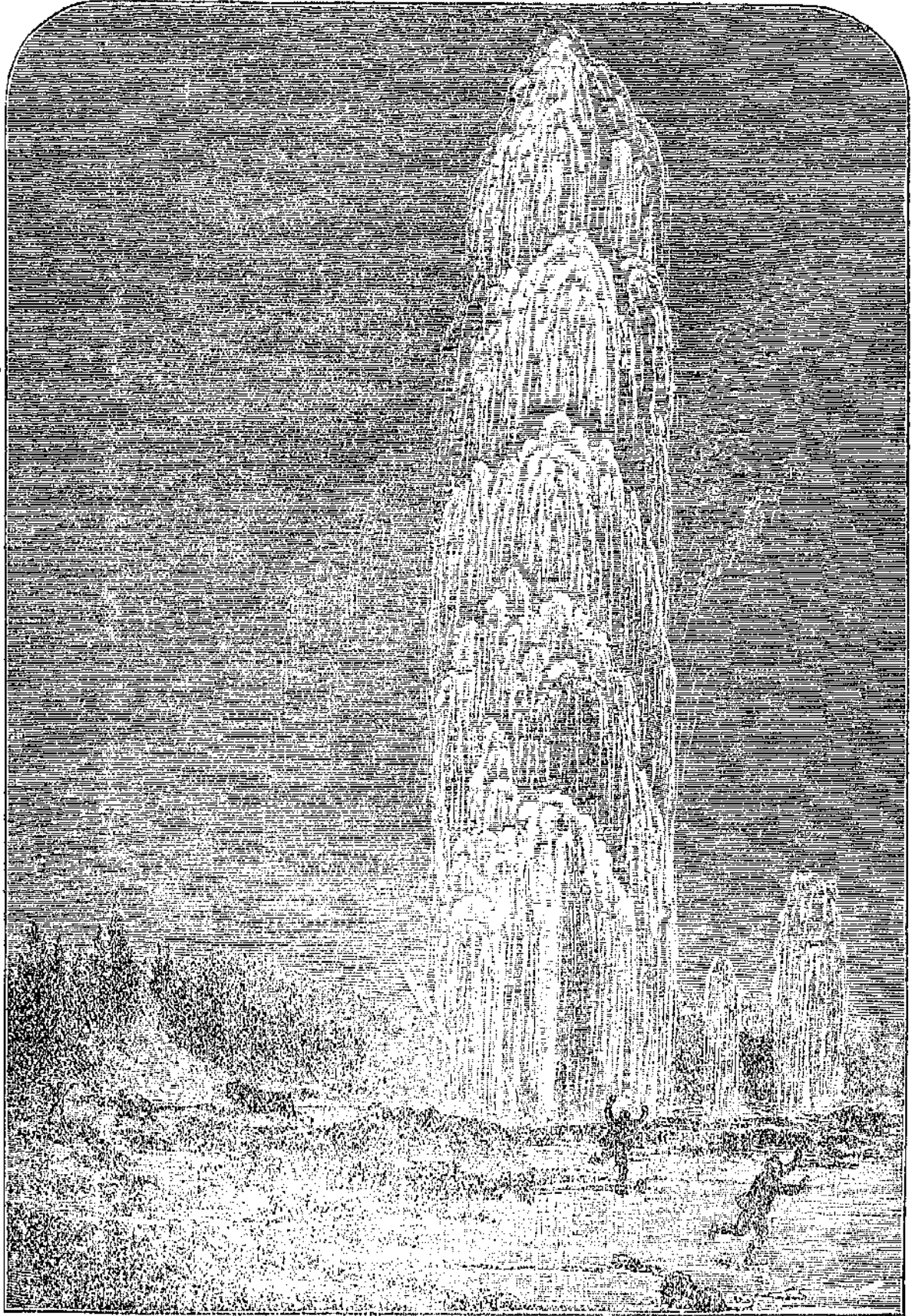
دائما فكما يدوم في القطبين على وجه الأرض يدوم في الارتفاعات المختلفة المذكورة هناك . نقول هنا ان

الثلج المرتفع لا تؤثر فيه حرارة الشمس في خط الاستواء إلا قليلا كما ذكر العلامة (بريت) فهو الذي بمقاله

فتح لي الباب على مصراعيه هنا ونقل الصور منه . وقد قال لاشئ من الأعمال العجيبة الطبيعية تلفت

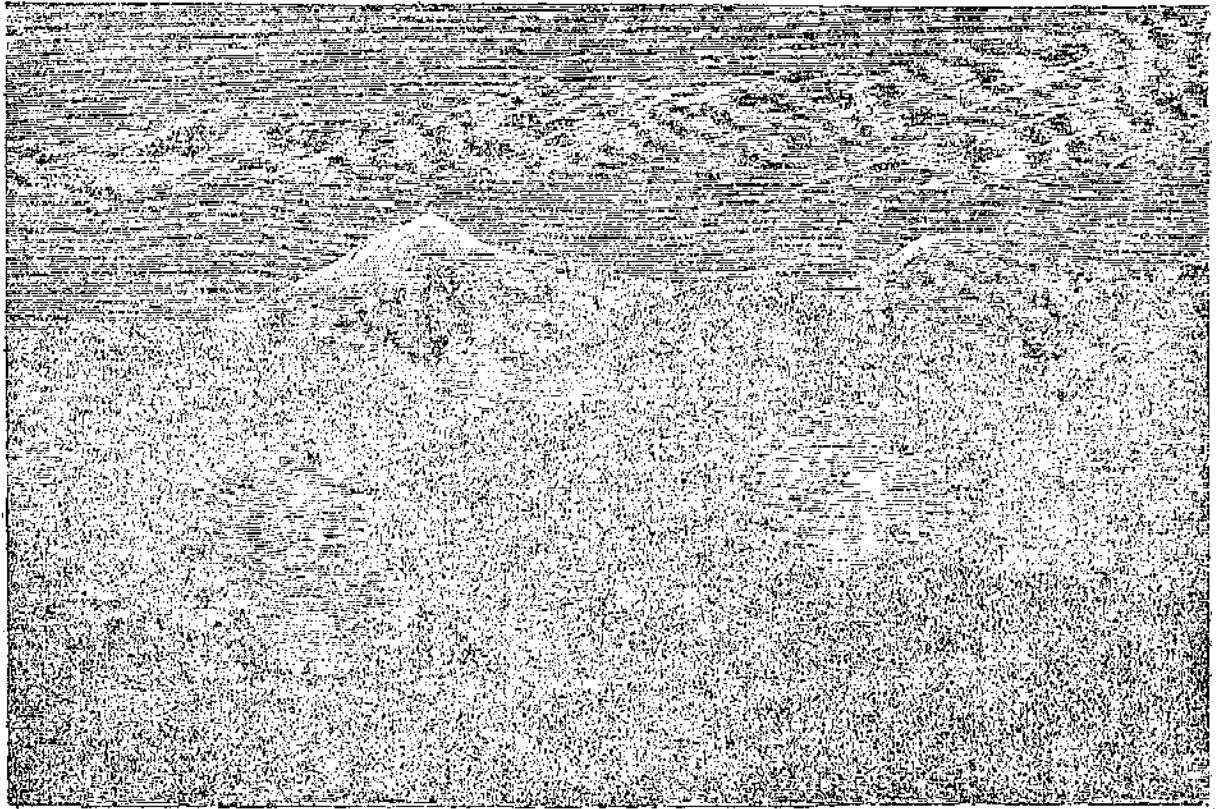
النظر وتدهش اللب وتحدث المسرة بالفكر الجليل أكثر من مظاهرتين فاحرتين وهما (١) يتابع الماء الحار

(٢) والمقادير الهائلة من الجليد . فينابيع الماء الحار تنبع في (١) الأقطار الثلجية بأبدع منظر وأبهج سناء وفي (٢) (زيلندا الجديدة) (٣) وفي أمريكا الشمالية كمثل أرض الاحجار الصفراء فيها (شكل ١)



(شكل ١ رسم ينبوع الحار الفاخر في أرض الحجارة الصفراء في أمريكا الشمالية)

فأما المقادير الهائلة من أجواف الجليد فهي عبارة عن أنهار عظيمة مملوءة بالثلج بدل الماء وهذا الثلج يتحرك بالتدريج حوالى جوانب الجبل ثم يأخذ بالتدريج فى السوبان بالحرارة التى تتخلله أثناء سقوطه فى الوادى كما يتجدد بالتدريج من تلك المملكة الثلجية فى الجوّ على الجبل . وهذه الأنهار الثلجية تكون فى (سويسرلند) أوفى (نروى) وهذا أصغر وأقلّ جدّاً من تلك المقادير الهائلة من الثلج التى تملأ داخل أرض (الجزيرة الخضراء) ومن التى كانت قديماً قد غطت أرض الجزائر البريطانية وعمت أرض قارة أوروبا بأكملها وليس الجمال فى ذلك والبهجة قاصرين على محاسن المناظر الحسية . كلا بل إن العقل ليقف أمام تلك المناظر مسحوراً . وكيف لا يسحر العقل وقد رأى حادثين غريبين (أحدهما) أن القطع الثلجية تنزلت من أعلى الجوّ وأضواء الشمس المحرقة تتخلل تلك القطع الهائلة ولا تذيبها . فكيف سرّت تلك الجروف الباردة وسط الحرارة المحرقة فى خط الاستواء التى دلتنا على ممالك واسعة النطاق ثلجية . وكيف اجتمع النقيضان حار وبارد وما أثمر الأوّل على الثانى . وسترى صورة تلك الشاوش المتنزلة من أعلى الجبال فى سورة النور عند قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ (ثانيهما) تلك الينابيع الحارة التى ينبعث من بين الشاوش المتراكمة على الأرض . فهناك صورة الينابيع الحارة فى الأقطار الثلجية (شكل ٢)



(شكل ٢ - رسم الينابيع الحارة فى الأقطار الثلجية)

فهذه هى الغرائب التى تسحر العقل وتبهجه . هذان نهرا نهر حارّ ينبع وسط البارد وثلج بارد تنزل وسط الحرارة . إذن تلك الينابيع الحارة الهائلة لها مخزن عظيم تحت وجه الأرض لا يبرد . وهذه الينابيع لقوتها اختزنت الثلج كما يخترق العالم طبقات الجبل فى أمتة ويبقى اليهم السلم فيبقى جوفهم البارد وذلك لأن البواطن أساس الظواهر فتى انقلب الباطن بالحكمة أثارت الظواهر فأدفأتها قال تعالى - ولقد صرفناه بينهم ليعذروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً - ويقول تعالى أيضا - وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج

وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - فإذا كان الله لم يخلط البحر الملح بالخال وهما متجاوران فهما وهما لم يخلط البحر الحار في باطن الأرض الذي لم نعرفه إلا من تلك الينابيع الحارة التي شاهدناها بالبحر الذي فوق سطح الأرض بل اخترق الحار البارد ولم يختلط به وطار إلى الجوّ حارّا كما هو وهذا من العجب . إذن ذكر الملح والعذب في الآية تنبيه على التمييز وجعل كل واحد منهما مستقلا عن الآخر إذ جعل الله بينهما حجرا محجورا . وهذه الينابيع نابعة صاعدة في الجوّ يراها الانسان كأنها الألماس البديع اللون الحسن الشكل لما تخلل الماء من المواد التي إذا قابلت الشمس عكست لونا بديعا فلذلك ذكرنا هذه هنا إذ صارت حلية للأرض وزينة لها وبهجة فأرضنا كهروس زينها الله لنا وقال يا عبادي انظروا هذه الحسناء الجميلة وانظروا أقراطها من الماس قد تدلى وظهر بهاء وسناء وهذا القرط دائم لينظره العاشقون . وإلى هنا انتهى الكلام على الصنف الأول

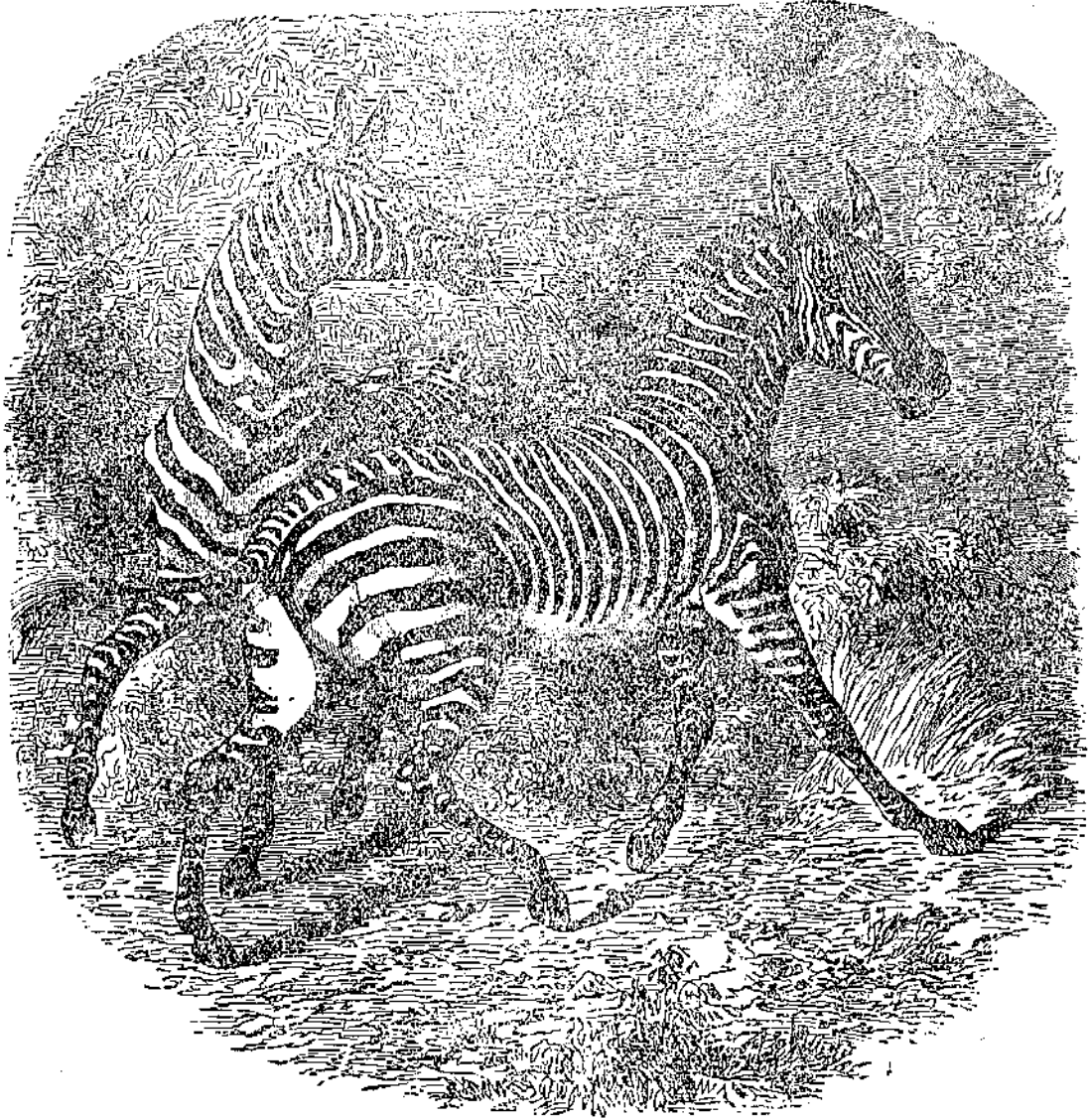
﴿ الصنف الثاني في عجائب الجبال في الحيوان ﴾

أذكر كره أيها الذي بما تقدم في سورة الرعد إذ ذكرت هناك عند قوله تعالى - ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله - الخ الصوت والحارة والنور وما سبب تكون الحرارة وأن الضوء مكون من سبعة ألوان أدناها الحرة وأعلاها البنفسجية . وهناك أيضا بعض الألوان وعدد اهتزازات الضوء فيها وهنا أريد أن أشرح لك شرحا مستفيضا في جمال هذه الدنيا وكيف رأينا الله عز وجل جعل شمس أشبه بريشة المصوّر فكما يرسم المصوّر بريشته ويصنع بفكر وعقل ويخرج صور بديعة . هكذا رأينا - والله المثل الأعلى - الله هذه الشمس التي يطلعها صباحا ويغيبها عينا مساء فنجدها قد أبدع الله بها التصوير والنقش الغريب والجمال والبهاء والحسن في الابداع . لقد ذكرت في هذا التفسير سابقا أن الله هو الذي أنزل القرآن وهو نفسه الذي أبدع العقول . فبينما نسمعه يقول في القرآن - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - الخ نراه قد فسر هذه الآية في أوروبا أي انه ألهم قلوبا وقلوبا فدرسوا بعض هذا النظام وجماله . وقد اطلعت الآن في كلام (وليم اكرويد) تحت عنوان ﴿ مظاهر ماشيئته العلوم ﴾ على بهجة الجبال في نظام النبات والحيوان وأن الناس اليوم جميعا لا يزالون أطفالا في معرفة أسرار الجبال في الحيوان والنبات وأن ما عرفوه اليوم وأن كان قليلا سيبهرك ان تقرأ وترى رسمه وتعرف بعض سرّ قوله تعالى هنا - إنا جعلنا - بالتأكيد باللام والتعبير بضمير العظمة في موضعين من الجملة

لقد ابتدأ مقاله بالقاعدة المشهورة في الضوء وانه مركب من ﴿ سبعة ألوان ﴾ وهي الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي وأخذ يوضح أمرا الألوان كما هو معروف . ذلك أن الناس فرضوا أن سطوح الأجسام على الأرض تتمص ألوانا من هذه السبعة وما فضل عن امتصاصها تعكسه فتراه العيون . وضرب مثلا لذلك بالأجر الذي تبنى به البيوت فان عيوننا ترى لون الحرة مع اللون البرتقالي قليلا فهذان اللونان هما اللذان نشاهدهما من الأجر الذي تبنى به بيوتنا . ومعنى هذا أن ضوء الشمس قد ابتلع الأجر منه خمسة ألوان وهي الأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي وعكس لونين اثنين الأحمر والبرتقالي فارتدا إلى أعيننا فقلنا هذا أجر برتقالي . وفي الحقيقة لالون للأجسام وانما هي أضواء الشمس عكست عن الجسم . وأقول كأن هذه الظاهرة تفهمنا نظام هذا الوجود كما فانك ستقرأ في سورة النور أن قطرة الماء مركبة من (٥٠٠) مليون مليون مليون مليون مليون جواهر فرد من الماء وأن هذه الجواهر كلها التي كوّنت منها قطرة الماء إذا حلت رجعت إلى ﴿ عنصرين ﴾ أحدهما هو الأكسوجين ﴿ وثانيهما ﴾ هو الهيدروجين وكلاهما مركب من كهرباء مضئة بحيث ترى الكهرباء السالبة في كل منهما تجري حول الكهرباء الموجبة دورات تعد بمئات آلاف الآلاف في الثانية الواحدة . إذن أصبحت المادة

كلها سواء أكانت ماء أم هواء أم حجارة وحديدا عبارة عن عناصر تبلغ نحو (٩٠) الآن . وهذه العناصر بتخليطها ترجع الى ضوء . إذن العوالم كلها نور في الواقع ونحن محجورون عنه وانما ظهر لنا جموده وسيولته وكونه جسما غازيا (كالخمر والماء والهواء) بتريكيننا ووضعنا في عوالم متأخرة . فما يقوله العلماء هنا من أن لون الأجسام لاحقيقة له وانما هو ضوء الشمس لاغير . هكذا يقول نظيره هنا عطاء الفلاسفة ان المادّة لا وجود لها وانما الموجود هو نور تنوّع فصار بجواهر فردة وهذه بتنوّع تركيبها صارت عناصر مختلفة والعناصر المختلفة كوّنت منها هذه المخاوفات في الأرض والسماء والنور ماهو الاحركات في الأثير . إذن المادّة قوّة فرجعت العوالم الى قوّة وهي الحركة . واذن قول القدماء ان المادّة لا دليل على وجودها هو عين قول علماء العصر الحاضر انها قوّة . فاذا قال الناس بحسب الظاهر هنا مادّة وهنا قوّة فالحقيقة لا موجود إلا القوّة وهذه القوّة صارت حركة والحركة تنوّعت فصارت كهرباء ونورا والنور باجماعه صار عناصر . ومن الأنوار ما نحن بصده من الألوان في كلام العلامة (وليم) الذي هو أصل كلامنا في ترجمة مارآه في جبال هذا الوجود إذ قال ﴿ ليست دراسة الألوان في الحيوان سهلة بل لا بد من أن نبسّط في البسائط قبل المركبات فاذا أحكمنا البسائط وفهمناها أدركنا سرّ المركبات فلندرس ألوان العناصر فاذا عرفناها أدركنا ألوان ماتركب منها من حيوان ونبات . قال وهالك مثلا . إن المعادن المتحدة مع الأكسوجين تحصل لها حال نسميها نحن (صدأ) فهذا الصدأ ماهو إلا أكسوجين الهواء اتحد مع معدن من المعادن كالرصاص والزئبق والزنك ويقال لذلك المتحد أكسيد الرصاص وأكسيد الزئبق وأكسيد الزنك . ثم ان ألوان ذلك المركب وهو الاوكسيد تكون تابعة لدرجة الحرارة فنجد (أكسيد الزئبق) لونه على الدرجة المعتادة برتقاليا مع الصفرة . ثم كلما ازدادت الحرارة يزداد تغير اللون تبعاً لها فيصير أولا برتقاليا ثم أحمر ثم أسود بالتتابع والتدرج ويصير ذلك قانونا مسنونا ونظاما ثابتا تغير في الحرارة يتبعه تغير في اللون . فهذا قانون لايتغير (الاسود . الأسمر . الأحمر . البرتقالى . الأصفر) وهكذا الى الأبيض . فالاسود أكثر حرارة وما بعده أقلّ والأبيض نهاية القلة في الحرارة فلايتشرب الألوان وبقيّة الألوان بين السواد والبياض على هذه القاعدة . نظر علماء الحيوان في أمره فقالوا هل ندرس الحيوان المنزلى . كلا ثم كلا . إن الحيوان المنزلى تحت سيطرتنا وتأثيرنا فلانبحث إلا في الحيوان المتوحش فانه تحت التأثير الطبيعي فدراسته تبين لنا القانون الحقيقى وقد انضم الى ذلك ماتحت سيطرتنا من الحيوان اذا لم يكن لنا عليه تأثير أو كان التأثير قليلا . فانراقب ذوات الأربع اللاتي ترضع أولادها ولها على جلودها شعر . وقد وضعوا هذه القواعد بعد البحث والاستقراء . أولا ما انكشف للهواء من أجسام ذوات الأربع يكون أزهي لونا من ظهورها . ذلك لأن ظهر الحيوان أشدّ تعرضا للشمس من بطنه مثلا . ولاجرم أن ذلك تبع القاعدة المتقدمة فان السمرة والسواد ناجم من شدة الحرارة والبياض وما يقاربه من الصفرة والحرة ناجم من ضعف الحرارة على تفاوت في ذلك فلذلك يكون لون الظهر أقرب الى السواد الذى هو الغاية العظمى للحرارة . وضربوا لذلك مثلا بحيوان (السنجاب) فظهره أسمر وبطنه وصدره أحمران والحرة ابتعدت عن السواد درجة الى البياض الذى هو النهاية الصغرى للحرارة . ومثل هذا يشاهد في الحمار المعتاد الذى أجزاء ظهره أشدّ سوادا من بقية ظاهر جسمه . قال العلامة (وليم) وهكذا يشاهد في بقرة المعتاد . قال ومن أراد أن يتحقق هذا القانون فلينز دار الآثار فانه يجد هذه القاعدة تامة إلا قليلا يشد عنها . ثم أخذ الكاتب يذكر ما زوّقه يد القدرة وما أبدعته من الصور الهندسية في جلود الحيوان . قاعدة وضعها الله في المعادن التى صدئت أن يختلف لونها باختلاف الحرارة ومثلها ذوات الأربع فيكون ما تعرض للشمس من ظهورها أقرب الى السواد مما بعد عنها كبطونها . هذا ظاهر ولكن هنا ظهرت بهجة العجائب إذ ظهرت نقط وخطوط هندسية متناسبة الأجزاء تناسبا تاما منتظما . فهذه خارجة عن القاعدة أبدعت على

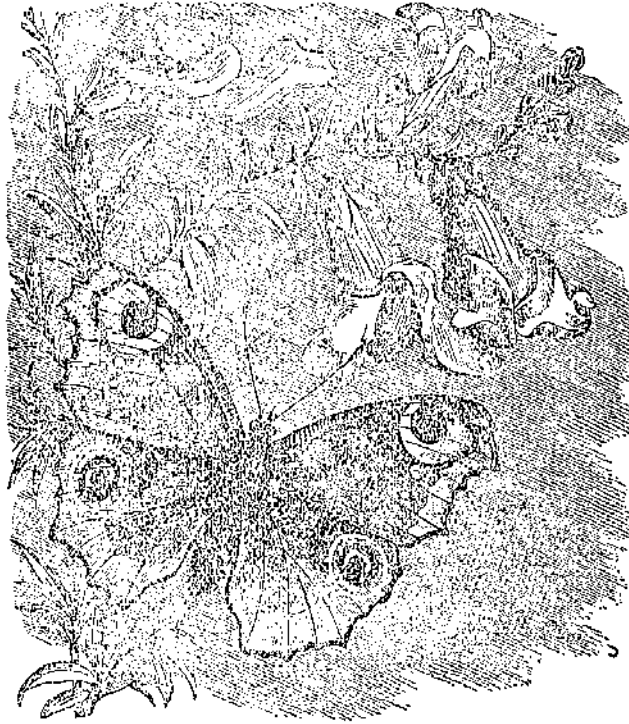
شكل يبهج الناظرين . ولذلك يقول العلامة (وليم) إن هذا العلم لا يزال في طفولته لم تنظم دراسته ولم تعرف حقائقه . فمن ذلك تلك الخطوط في رأس (نمرالبنغال) في بلاد الهند انهما تقترب اقترابا بينا من النموذج الهندسي من حيث تناسب الأجزاء وأن الخطوط على أحد الجانبين جعلت لها نظائرها بهيئة جبهة من الجانب الآخر . ومثل هذا التناسب الجليل يشاهد في جدار الحبشة وفي حيوان آخر في الهند اسمه (تبر) وبعض الطير المنزلية . إن ذراعي ذوات الأربع المذكورة وربطها وذيلها معروضات للشمس لاسيما الذيل فهذه أكثر امتصاصا للضوء فتكون أقرب للسواد من بقية أجزاء الجسم والذيل أكثرها امتصاصا وسوادا (انظر شكل ٣)



(شكل ٣ صورة جدار الحبشة)

الآ ترى الى (السنجاب) المتقدم ذكره فانه اذا كان بطنه أحمرا وظهره أسمر فان ذيله أسود . إذن الذيل يمتاز عن بقية الأجزاء . وقد وجدوا بالاختبار أن (٩٤) في المائة من الحيل السمرة تكون ذيلها سوداء وهذا تثبت لقاعدة الذيل المتقدمة . وقد وجدوا أيضا أن لون الذكر أوضح من ألوان الاناث والقاعدة التي ذكرناها في ذوات الأربع موضحة سارية أيضا في الطيور والزواحف وفي بعض أدنى الحيوان أي التي ليس لها ظهر عظمي . فهذه ترى فيها الأجزاء المتناسبة والخطوط المنتظمة من الجانبين التي تشبه النماذج الهندسية وذلك كالخشرات . خذ مثلا لذلك حشرة (أبي دقيق الطاووسية) . قال الكاتب (وليم) بحث

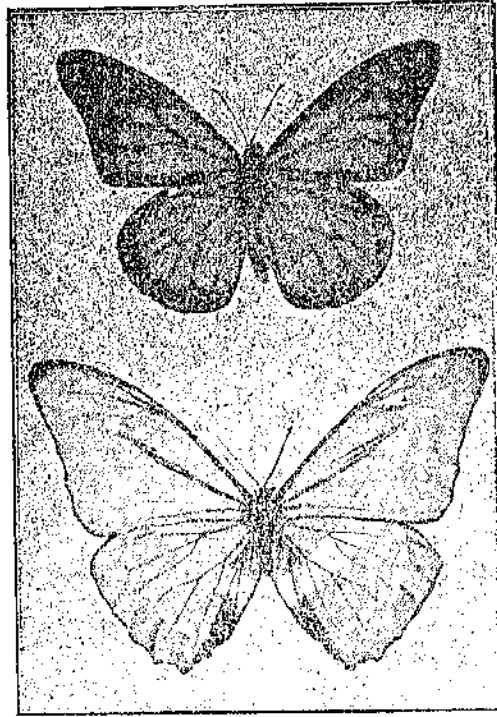
هذه الحشرة وانظر عجائب ألوانها فكل جزء منها يحلّى بهجة الحلى والجمال البهيج من أحد الجانبين قد ازدان بنظيره الموازن له في الجانب الآخر . وهذه صورتها (شكل ٤)



(شكل ٤ صورة حشرة أبى دقيق الطاوسية)

ثم أخذ الكاتب (وليم) يصف الطيور قائلا إن ظهر الطيور يكون أشد سوادا من بقية أجسامها مثل ذوات الأربع ويظهر هذا ظهورا أتم في الطيور المائية المنسوجة أصابعها . انتهى

فانظر كيف كان قانون الألوان ساريا في المعدن وذوات الأربع والطيور . فكل هذه نرى الأعضاء التي هي أكثر تعرضا للشمس كالظهر وكالذيل تكون أشد اسمرارا وسوادا وبالعكس ما كانت أسفل البطن مثلا فهذه تكون أكثر ظهورا في ألوانها لبعدها عن السواد . ولكن الذى سقنا له هذا المقال هو تلك النقوش المبدعة التي رأيتموها في جدار الحبشة وفي حشرة أبى دقيق الطاوسية . فانظر الى الدوائر البديعة المتوازنة في الجانبين على وزان المحل الهندسى الذى شرحناه سابقا في المجلد السابع في التفسير . فاذا كانت الحجرة والسواد جارية على ناموس عرفته . فما هو الناموس الذى به أبدعت هذه النقوش وزين هذا الحيوان المزرق كما يزرق الطاوس . هذه هي الزينة التي أشار لها الله فقال - إنا جعلنا - فيها هذا سبحانه يقول . ها أنتم أولاء يا أهل الأرض قد اعترفتم أن علم الألوان عندكم لا يزال في حال الطفولة بدليل أنكم لم تعرفوا من أين أتت هذه النقوش فانه لو كانت الألوان راجعة الى تأثير الشمس كما في ذوات الأربع والطيور فلماذا يكون التوزيع المختلف الأشكال البهيج في (غمر البنغال) وفي هذه الحشرة . إني أنا الذى وضعت القاعدة العامة لضوء الشمس وأردت مخالفة القاعدة في هذه الحيوانات لتعلموا أنني أنا الذى صوّرت هذه الصور وحليتها بتلك الحلى ليتذكر أولوا الألباب . واعلم انه انما اختير هذا النوع لأن جماله أظهر وأبهى من جمال غيره من أنواع (أبى دقيق) وفي كل جمال . ولنعد رسم حشرة (أبى دقيق) التي تقدمت في سورة النحل عند الكلام على اختلاف الألوان لتظهر عجائب ربك وتفهم حكمته وتعجب مما ذكر هناك وذكر هنا فهناك قد ذكرت لك أن الحشرة الواحدة في جناحيها ألف ألف وخمسة آلاف بيت وكل بيت منها مملوء بمادة ملونة في ذرات الغبار التي فوق أجنحتها . واما أن يكون مملوءا هواء وهذا الهواء متى وقعت الشمس عليه انعكس



(شكل هـ صورة أخرى لحشرة أبى دقيق)

الفراشة العليا سبب اللون فيها مادة ملونة في تلك الآلاف من البيوت . والفراشة السفلى في بيوتها هواء يعكس النور كما علمت . فانظر لأنواع الجمال والتفنن في الحشرة وكيف كانت أولاها من أجلهم فهي كالطاووس وكانت الثانية فيها مواد ملونة والثالثة ليس فيها إلا الهواء والنتيجة الجمال وهذا بعض تفسير التأكيدي في الآية يقول الله أيها الناس . إني جعلت للنور ناموسا وهذا الناموس يقتضي أنه كلما كانت قوة الحيوان أضعف كان لونه أميل إلى البياض وكلما كانت قوته أشد كان أميل إلى السواد وهو هكذا بالترتيب (أبيض . أزرق أخضر . أصفر . برتقالي . أحمر . أسمر . أسود) . فالرجل أيام قوته شعره أسود ومتى شاب أبيض شعره والمقام لا يحتمل التفصيل وقد علمت بعض التفصيل فيما مرّ آنفا . فإذا يقول الحكماء في تزويج حار الوحش وحشرات أبى دقيق المرسومات هنا وما هذا الإبداع في أجنحتها . الله أكبر . الأجنحة كما تقدم مكشوفة للشمس معرضة لها . وقد تقدم أن هذه تكون أميل إلى السمرة والسواد فما هذه الحرة وما هذا البياض . أين القاعدة إذن . ما هذا التزويج . الله أكبر . ههنا ظهر الاختراع والإبداع . القاعدة كانت تقتضي أن يكون الجناح لونا واحدا . ولكن الحكمة قضت أن تضع فيه مخازن وتملأ مواد ملونة أو هواء والنتيجة النظام الجليل . هذا هو السبب في التوكيد . يقولون في علم البلاغة

جاء شقيق عارضا رحمه * إن بني عمك فيهم رماح

فشقيق لما ورد على بني عمه ورد عليهم غير مكثرت بهم وجعل رحمه بهيئة من لا يكثر بني عمه كأنه يعتهم لاسلح معهم وكأنهم عزل من السلح فهو يعلم أن عندهم سلاحا ولكنه لما لم يكثر بهم نزل منزلة من ينكر سلحهم وقوتهم فلذلك قالوا * إن بني عمك فيهم رماح * هكذا هنا يقول الله للناس قاطبة سواء أكانوا من الجهلة أم من علماء الطبيعة . أيها الناس . ما لكم لا تتعجبون من صنعى فأنتم ﴿ قسمان ﴾ إما معرضون لا ينكرون لجهلهم . وأما مفكرون ولكنهم مقصرون . فالأولون هم العاتية والآخرون هم علماء الطبيعة الذين يقولون كما ذكرنا أننا أطفال في علم ألوان الحيوان فيقول الله للطرفين ما لكم

تعرضون عن هذا الجبال . إذن أنتم كالمسكرين فلذلك قال - إنا جعلنا - فأكد لانزال الطائفتين منزلة المنكرين فانهم يشاهدون تنوع الألوان في مثل هذه الحشرة . ومن عجب أن يقول - جعلنا - ففيها معنى التحويل كأنه حوّل وصرف هذه النواميس فلم يجعلها جامدة بل لون وأبدع وزوّق عند الحاجة . ذلك أن الجار العادي لم يألوه بألوان مزخرفة وكذلك كثير من الحيوان . ولكن هذه الحشرة لما لزم الأمر لتزويقها لم يجعل قاعدة اللون مطردة على وتيرة واحدة بل حوّلها ونوعها وصرفها وزوّقها . هذا هو المعنى الذي يؤخذ من لفظ - إنا جعلنا - . ألسنا بهذا نفهم قوله تعالى - الذي أحسن كل شيء خلقه - انتهى الفصل الأول ﴿ الفصل الثاني في قوله تعالى - وجعلناها رجوماً للشياطين - ﴾

الله عز وجل جعل الجبال في هذا العالم ليتذكّر به أولو الألباب . فأما غيرهم فإن الجبال يكون لهم فتنة فإذا بهرهم الجبال في الأشكال الحيوانية والمعدنية والانسانية أخذوا يحرصون عليه ويكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ويحرصون على المال وجمعه غراماً به ويصدّون عن حكم هذه الدنيا ويفعلون عنها ولا يفقهون من جبال هذا العالم إلا امرأة يشتهونها أو صوراً يغرّمون بها . فأما جبال هذا العالم من سماواته وأرضه فلا يعرفونه فأصبح الجبال لهؤلاء رجوماً يرجون به وكأنما هم يريدون الصعود فيرقههم هذا الجبال فيقعدهم عن النهوض إلى العلا وهذا قوله ﷺ ﴿ إن الدنيا خضرة حلوة وأن الله مستخلفكم فيها فنادوا كيف نعملون ﴾ فخاوة الدنيا هذه هي التي تقعد بهم عن أكثر الناس عن العاوم والمعارف فهي رجوم للشياطين الانس والجن الذين لا يعقلون

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

لقد تبين في هذا المقام وفي غيره من هذا التفسير أن الضوء ينزل على الأرض فتكون منه نفس الألوان إذن لالون في الأرض إلا من الضوء . فألوان الشمس السبعة هي الألوان التي نشاهدها في الأرض . إذن جبال الوجوه وبهجة الحقائق ومحاسن الناس والحيوان كلها أصباغ من لون الشمس وهذه الأصباغ يعكف عليها الجهال فهم لا يعرفون إلا الجبال الظاهري المثل للشهوة التي يشاركون فيها الحيوان في الأرض . أما جبال الحكمة وبهجة العلم ورق العقل فهم محرومون منها فصيح إذن أن المشرقات من الكواكب تقدفهم من كل جانب بما يثير شهواتهم التي تصدهم عن العقل . ولا فرق بين شهب تقتل قتلاً حقيقياً وبين صور تصدّ عن العلم فتमित القلب * قال الشاعر

ليس من مات فاستراح يميت * إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيباً * كاسفاً باله قليل الرجاء

﴿ الفصل الثالث في قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - الخ ﴾

هذه الآية وردت لاباحة اتخاذ الزينة والجبال من كهرباء وحدائق وبساتين جميلة وحقول ظريفة ومساكن لطيفة . فكل هذا من المباح ولا حرج في المباح . ومن ذلك الحلى المختلفة الأشكال البديعة الأوصاف ولازال الناس قديماً وحديثاً يقتنون الأشجار الكريمة . وقد شاهد الناس ما خلفه الأولون من تلك التحف الجميلة فقد كشف الناس في عصرنا حلى كثيرة لقدماء المصريين مثل ﴿ توت عنخ آمون ﴾ وهكذا ورد عند كتابة هذا الموضوع أنه قد كشفت آثار في العراق هذا وصفها يوم الأربعاء (٢١) مارس سنة ١٩٢٨ م إذ زار مندوب الأوقاف البغدادية المتحف العراقي وشاهد الآثار النفيسة التي أضيفت حديثاً إلى المتحف والتي اكتشفها بعثة المستر (وولي) في هذه السنة فكتب عن تلك الآثار ما يلي

﴿ تقدم عهد الحضارة ﴾

كلما توالى الحفريات في العراق ظهرت لنا آثار جديدة تدل على حضارة السلف ومعظم الآثار عن حضارة

العراق القديمة لا يزال مدفوناً تحت أطباق الثرى متوارياً عن الأنظار . وكل ما كان يحكى عن الاشوريين والكلدانيين والعيلايين لم يكن يخرج عن حدود ماورد في بعض فصول التوراة وما نقل عن سياحات (هيرودوتس واكسنوفون واسترابون) ولم يكن اسم الشعب الشومرى معلوماً إلا قبل بضع سنوات لذلك لم يكن هناك من يجسر على القول بأن حضارة العراق تضارع حضارة مصر في قدمها . أما اليوم فلم يبق شك في أن حضارة العراق القديمة لم تكن متأخرة عن حضارة مصر في شئ ان لم تكن هي السابقة لها في القدم وأن الكنوز الأثرية لا تزال مطمورة في جميع أنحاء العراق لم تمسها آلة الحفارين والمنقبين بعد . وهنا نذكر كلمة للبروفسور (كلى) العالم الأثرى الأمريكى الذى كان قد قدم العراق وألقى على المعامير محاضرة في المدرسة الثانوية في شتاء سنة ١٩٢٥ فقد قال ﴿ لو أتت عشرات البعثات الأثرية الى هذه البلاد واستمرت في العمل ٢٠٠ سنة لاستطيع أن تكشف جميع الكنوز الأثرية التى فى أرضها ﴾ فلا يعلم والحالة هذه المدى الذى يرجع اليه مبدأ الحضارة في العراق بعد أن اكتشفت في (أور) آثار حضارة زاهية وبقايا قصور مشيدة يرجع عهدها الى ٤٦٠٠ سنة قبل الميلاد أى قبل عصر (الاهرام) بقرون كثيرة

﴿ ١٧ قرناً قبل توت عنخ آمون ﴾

ليست الاكتشافات الحديثة التى عثر عليها المستر (وولى) في الشهر الماضى أقل قيمة من الوجهة العلمية والتاريخية من الاكتشافات التى عثر عليها المستر (هوارد آرثر) منذ أربع سنين في وادى الملوك . فاذا كانت آثار (توت عنخ آمون) تمثل الحضارة المصرية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد فان المتحف التى ظهرت في قبر الملكة (شوباد) ملكة (شومر) على يد المستر (وولى) في الشهر الماضى تمثل حضارة (الشومريين) الى ما قبل القرن الثلاثين قبل الميلاد أى انها سابقة لعهد (توت عنخ آمون) بنحو سبعة عشر قرناً

﴿ العظمة الحربية الثالثة ﴾

يروى لنا التاريخ العربى أن أمير البصرة (مع بن زائدة الشيبانى) كان يصيغ نصول سهامه من الذهب وذلك ما جل شعراء عصره على التغنى بعظمته والاشادة بمدحه واطراء سلطانه . ولم يكن يحكم أحد بأن ملوك العراق وأمراءه قبل خمسة آلاف سنة أو أكثر كانوا يلبسون الخوذة الذهبية ويمتطقون بالخناجر المرصعة بالحجارة الكريمة ولكن ذلك ما ثبته لنا الآثار التى أودعت المتحف العراقى قبل بضعة أيام . ومن أهم الآثار التى وقعت في حصة المتحف العراقى وشاهدناها خوذة ذهبية كبيرة تلبس على الرأس وتغطيه حتى أسفل الأذنين وتتجلى دقة الصنعة في هندامها ونقشها واتقانها ولها عقدة كبيرة لطيفة تشبه عقدة العقال في مؤخرة الرأس وللأذنين فيها محل نائى مصنوع على قدر الأذن والقسم الواقع أمام الأذن وتحتة يكفى لأن يستر الصدغين والوجه ويحجب الخوذة الأسلحة الذهبية الأخرى وهى عبارة عن خناجر وحرايب ذهبية وضعت في المتحف وشكلها بديع يدل على عناية الشعب الشومرى بأسلحته الحربية وجميع ذلك قد ظهر في الحفريات الأخيرة التى نحن بصدد ذكرها

﴿ حسن النوق ﴾

لقد ألفنا في عصرنا هذا أدوات الزينة الدقيقة للرجال والنساء وشاهدنا أنواعها المختلفة ومع ذلك لانمالك من ابداء تعجبنا عند ما نرى قرطاً جليلاً أو خاتماً أو دبوس صدر يوضع على رباط الرقبة أو ماشاء كل ذلك ولكن الأعجب من جميع ذلك أن نجد من هذا القبيل ما كان مألوفاً في العراق قبل خمسة آلاف سنة . ففي المتحف العراقى اليوم دبوس فضى ملتوى الرأس وعلى قمته تمثال (قرد) ذهبي صغير لا يزيد ارتفاعه عن ثلث قيراط فيه من دقة الصنعة وجمال المنظر ما يدهش الناظر . إن مثل هذا (الدبوس) كان يحلى عصابات النساء في ذلك العهد أكثر مما كان يحلى صدور الرجال . وعلى كل حال فهو دليل على حسن ذوق الأسلاف وتفنههم في أساليب

الزينة . وهناك دبوس آخر ينتهى رأسه بحجر كريم (لازوردى) ودبابيس أخرى مجرّدة

﴿ التماثيل ﴾

من أجل التماثيل التى ظهرت فى الحفريات الأخيرة التى أودعت (المتحف العراقى) رأس أسد ورأس ثور وكلاهما من (البرونز) إلا أن رأس الأسد يضرب الى اللون النحاسى والذى يدهش الناظر أن التماثيل عيناها الصناعيتان اللتان قد قلدت الطبيعة فى صنعهما أجل تقليد وقد وجدنا كثيرا من التماثيل المصرية والافريقية والرومانية وشاهدنا صورها فلم نجد إلا عينا من مادّة التمثال نفسه . وقاما شوهدت تماثيل لها أعين تحاكي العين الطبيعية وتقلدها . أما فى هذه التماثيل فالأعين تكاد تجعل التمثال حيا يحرق فى وجه الناظر اليه

﴿ الحلى والمصوغ ﴾

يظهر من القلائد الذهبية التى أودعت المتحف أن الشومريين كانوا يميلون جدّا الى تقليد الطبيعة فى معظم مصنوعاتهم وأدوات الزينة عندهم . فهذه القلائد الذهبية عوضا عن أن تكون على شكل عقود الخرز كما ظهرت بين آثار الأكاديين والاشوريين وفى (بابل) نجد هذه القلائد منظمة من قطع ذهبية ومطروقة ومسنتة على هيئة أوراق الأشجار وكانت هذه القلائد تحلى صدور الأوانس والسيدات قبل خمسة آلاف سنة انتهى . وانما ذكرت هذا لتعلم أن الله الذى أنزل القرآن وأبدع الجمال فى تلك الحيوانات وغيرها هو الذى أودع فى قلوب الناس حبّ الجمال . فطائفة فتنت به فهلكت وطائفة أبيح لها فاعتدلت وماطغت وقد ظهر هنا أن الناس قديما وحديثا مغرمون بالتحلى بكل جميل وهذا التحلى مباح . انتهى

الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فى قوله تعالى فى هذه السورة - لنباوهم أيهم أحسن عملا - ﴾

اعلم أن الصناعات كلها فرض كفاية كما تقدّم فى أكثر هذا التفسير ومنها صناعة الحلى التى رأيتها فهى مباحات للابسين وواجبة وجوبا كفايا على الصانعين . ويبيانه أن هذه الحلى وإن كان لبسها مباحا ومندوبا لم تخرج عن كونها إحدى الصناعات والصناعات اذا لم يقم بها طائفة من الأئمة ولو كانت للزينة كهذه الحلى اضطر الأغنياء اذا أرادوا أن يستعملوا الحلى أن يجلبوها من البلاد الأخرى وهذا من أهم أسباب خراب الأمم كما هو الحاصل الآن فى بلاد الشرق كمصر وغيرها ففرق ما بين اللابسين والصانعين بل الأمر فوق ذلك لو أن امرا وجدت فيه قابلية أكثر من غيره لمثل هذه الصناعة وجب على رجال الدولة أن يخصوه بهذه الصناعة تعاملا وتعلما فيكون فرض عين عليه وإن كان هو فى ذاته فرض كفاية والأئمة كلها تدين اذا تركته كلها والله هو الوليّ الحميد . انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس فى قوله تعالى - وزيناها للناظرين - ﴾

اعلم أن الله عزّ وجلّ لم يخلق الخلق عبثا ومن أعجب خلقه الجمال والنقش والتصوير الذى رأيت فى نحو الصورتين السابقتين . أما العاقبة وسائر الجهلاء بل مثلهم أكثر المتعلمين فى ديار الاسلام لا يهتمون بهذا الجمال لأنهم غالبا محرومون من تذكير المذكرين به وفاقد الشيء لا يعطيه . إذن هذا الجمال لطائفة خاصة من الناس وهم المفكرون . تعجب ثم تعجب من نظم القرآن لم يقل الله وزيناها للابسين ولا زيناها للعاملين بل جعل هذه الزينة خاصة بالناظرين وهؤلاء الناظرون الذين زين لهم السماء وهم المفكرون فى خلق السموات والأرض . فأما بقية الناس بالنسبة لهم فهم أشبه بالخدم والعبيد مسوقون للنظام العام ولا ملوك لهؤلاء إلا حكماءهم المفكرون فهم الذين زين الله لهم السماء

﴿ حكمة باهرة فى خرافة ظاهرة ﴾

لقد كنت فى زمن الصبا أسمع فى قرينتنا الناس اذا رأوا فى السماء سحابة منقطعة زمن الشتاء لامطر فيه

يقولون ان السماء ازينت فهذا اليوم مات فيه عالم فهم يظنون أن العالم اذا مات زين الله السماء له . أقول وهذه الخرافة من الحقائق لأن الله هنا يقول - وزيناها للناظرين - ولا ينظر إلا المفكر العالم . إذن زينة السماء لن تكون إلا لمن يفرح بالزينة ويعقلها . فانظر كيف كان هذا الجبال مصائب على صغار النفوس الذين هم كالشياطين وحللا للربسين وعملا واجبا على العاملين وزينة للمفكرين والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل السادس في قوله تعالى بعدها - أم حسبت أن أصحاب الكهف - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية أشبه بآية يوسف عليه السلام إذ ذكر القصة بتمامها ثم أفهم القارئ أن هذه القصة من آيات الله وهي كثيرة . وإذا كانوا لا يعقلونها فكم تركوا آيات في السماء والأرض فلم يعقلوها فهذه عادتهم هكذا هنا يقول سبحانه - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - وهذه الزينة إنما أبدعها لينظرها ويعقلها المفكرون . إذن ليست قصة الفتية في الكهف أعجب آياتنا . فكم لنا من آيات ومنها صور الحيوانات والنباتات البديعة البهية السارة للناظرين . ولكن هذه المجائب والجبال والزينة ليست مقصودة لذاتها بل أنا سأجعلها - صعيدا جزا - وأزيلها من الأرض . فأيكم أيها الناس أن تجعلوها قبلتكم وتؤمنوها مقصدكم فاذلك الجبال إلا صور من العوالم زوّقتها لتدرسوها . كتبتهما بيدي كما تكتبون في الألواح للصبيان فإذا قرأتموها محوت ما كتبت وجددت غيره . وما هذه الصور المتلاحقة إلا دلالة على جبال أعلى فاتهزوا الفرصة واخزنوا هذه الصور الجميلة في خيالكم وادرسوها في عقولكم حتى ترجعوا إلى وقد علمتم نموذج أفعالي وجبال حكمتي - وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام . انتهى ليلة الأحد الثالث من شهر شوال سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ شمس عقد الزينة في بهجة الجبال ﴾

ألا يارعى الله العلم وحيا أهله وأتار سبل الهدى بنوره . الجاهل لا يعقل الجبال . ليس الجبال كل الجبال ما يفهمه ذكران الناس والأنعام والغنم والبقر والأساد والخنافيس من محاسن إنائها ولأما يفهمه الاناث من قوة ذكورها وجالهم . هذا جبال حيواني شهوى تساوى فيه الانسان والحيوان قد أعد لغرض خاص وهو التناسل . ألا إنما الجبال كل الجبال ما خبأته يد الأقدار عن عيون الجاهلين وأبرزته لبصائر الحكماء والعلماء والفهماء . أول الجبال جبال البصر . وثانيها جبال البصيرة . أبصار الجهال كأبصار الخفافيش لا ترى الصور والسبيل إلا حيث يكون الظلام . وبصائر الحكماء والعلماء أشبه بأبصار سائر الحيوانات ترى بنور الشمس من الصور والجبال وأنواع المحاسن ما أظلم على أعين الخفافيش في وضوح النهار . أكثر أهل الأرض الجاهلون وأقلهم الحكماء والمستبصرون والله عز وجل لم يدع طريقا لفتح البصائر حتى يبلغ منه الجهال إلى حظائر الجبال في العاوم والمعارف إلا أوضجه وجلاه ولاسيلا من سبل الهداية لإسناها وسهلها . ألا انما مثل عقول الناس بالنسبة لجبال هذا الوجود كشل الأرض ومثل العلم كشل الماء والله تعالى يقول في الأولى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحبها لمحبي الموتى إنه على كل شيء قدير - وهذا أمر مشاهد فالناس يرون الأرض وهي ساكنة خاشعة لامرعى فيها ولا نبات ولا شجر ولا حيوان إذا طرأ صابها فنراها أخذت تنتفخ وتنفلق عن صغير الحشائش والشجر وأنواع النبات فتزهر وتتمو وتصير عروسا جميلة شابة مقبلة بعد أن كانت عجوزا شوهاء مدبرة . الله أكبر هكذا العقول فانك اليوم ترى أكثر العقول في بلاد الشرق نائمة خاملة خاملة هامة . ولكن انظر انظر . انظر إلى غيث العلوم وفنون الحكم والصناعات أفلست ترى سحائبها أخذت تظمر عليها صيبا . فها هوذا يحببها ويخرجها من جهالتها وينيرها ويقضى على ظلمتها . أليست ترى أن أهل الشرق الآن أخذوا يقرؤون العلوم ويحبونها ومنهم بل أكثرهم المسلمون ومن هذه النهضة الحديثة هذا التفسير الذي شرح الله قلبي له وزينه فيه وجعلني أكتب بشوق وحب عظيمين وسترى في هذا المقام من الجبال والبهجة ما يشرح صدرك وصدور المؤمنين لحوز العلوم على اختلاف أنواعها

وفنونها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . إن قياس العقول الانسانية على الأرض وقياس العلم على الماء جاء في نفس القرآن فليس هذا بدعا فالتة يقول - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل - الخ فجعل الله القرآن والعلم أشبه بالماء والعقول أشبه بالأودية * وجاء في حديث البخاري انه عليه السلام قال ﴿ مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ﴾ فاذن هذا التشبيه معروف معقول وانما أوضحته لأرتب عليه ما ترى من الجبال

﴿ حصر أهم الطرق التي بها تثار العقول لادراك الجبال وفهم زينة هذه العوالم ﴾

(١) خوارق العادات على أيدي الأنبياء (٢) ظهور غرائب من العلم على ألسنة قوم لم يتعلموا وهم صلحاء في أمة الاسلام (٣) غرائب من العلم ينتجها الخيال الانساني فيثير في النفوس حب المعرفة فتدرك الجبال (٤) الجدة والنصب في معرفة العلوم وذلك ﴿ بطريقتين ﴾ طريق الدراسة المعروفة . وطريق السير في الأرض لمشاهدة عجائب الطبيعة . فهذه خمس طرق (١) طريق الأنبياء (٢) طريق الأولياء (٣) طريق وضع القصص والأخبار لأجل الحكمة (٤) طريق التعليم في المدارس (٥) طريق السير في الأرض كالسفر الى القطبين مثلاً كما سيأتي بيانه ﴿ الطريق الأول ﴾ طريق الأنبياء ومعجزاتهم . قلت لك إن أكثر العقول في هذا النوع الانساني خادمة جامدة خرد الأرض وجودها وقد ابتلاها الله جميعها بالسير في الأرض لطلب المعاش ومدافعة الأعداء حتى سدت عليها طرقها وعميت عليها مسالكها فأرسل أنبياء فجاءوا بمعجزات فرأوا أو سمعوا أن العصا قلبت حية والميت قد حي وأن أقوالا نزلت على لسان انسان لم يتعلم نقره المتعلمون من الأمم سجدا وخضعوا له . سمعت ذلك الأمم أورأته فقالوا أيام موسى كيف قلب العصا حية فقال قوم هذا يدل على أن هناك قوة فوق قوتنا وهذه القوة بها صار هذا نبيا فأخذوا يفكرون في العالم وفي صانعه وقال آخرون . كلا . هذا سحر فنحن لانصدق . فاذن يكون الناس ﴿ فريقتين ﴾ مصدق ومكذب وهناك يكون جدال ونضال وأخذ ورد وهذا فتح لباب العلوم والمعارف ومعرفة الجبال في هذا الوجود . إن الله قد جعل هذا العالم كله قائما على الاعطاء بعد المنع ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ على الشوق . فأما شوق أحد الصنفين للآخر فهو طبيعي والجبال فيه لا يعوزه كبير عناء . أما الشوق لمعرفة جمال هذه الدنيا وما على الأرض من الزينة فانه لا يحصل إلا بمقتدات تتقدمه ومنها ثورة الفكر بحرب أو ظهور نبى يحدث حوله جدال . وبالجملة فكل ما يؤلم النفوس أو يهيجها يفتح لها بابا من أبواب المعرفة ويصلها أنواع المزعجات من صروف الليالي وثورة الأفكار كلها صاقلات للعقول منيرات لسبل العلوم وادراك الجبال . هنالك ينقسم المؤمنون ﴿ فريقتين ﴾ فريق لا يتعدون الايمان بالأنبياء وفريق يقولون اننا اذا رأينا أو سمعنا أن العصا قلبت حية أو أن ميتا رجع حيا على يد نبى أو أن نبيا قرأ للناس قرآنا فاتبعته أمة وأمم من دول شتى ولغات مختلفة وهولم يتعلم حرفا واحدا فعنى هذا أن هذا الوجود فيه عجائب مخبوءة عنا وجبال مستتر فلنض قدمنا في العلم ولنجد حتى نعرف قصة هذا الوجود الذي نعيش فيه وقصة العصا والحية فتفتح لنا بابا لدروس علوم العجائب وهي الكيمياء والطبيعة وأمثالها من كل ما يعرفنا جمال هذه الدنيا وقصة الميت الذي حي على يد المسيح كذلك تشير لنا أن ندرس مناهج عجائب الحيوان والنبات كما سيأتى في سورة مريم . هذا اجمال الكلام على الطريق الأول وهو طريق معجزات الأنبياء الموقظات عقول الناس لادراك ما على الأرض من زينة وجمال

﴿ الطريق الثانى العجائب التي تظهر على أيدي الصلحاء ﴾

أماي الآن ﴿ كتابان ﴾ أحدهما ﴿ كتاب (الابريز) ألفه نجم العرفان الحافظ الشيخ أحمد بن المبارك وهذا الكتاب يشهد بأن هذا المؤلف قرأ علوم الأوائل الفلسفية وعلوم الدين الاسلامي وقد كان في القرن الثانى عشر الهجرى . ولكن هذا العلامة النحوي ريجلس أمام الشيخ عبد العزيز السباعي الذي لم يتعلم علما

ولادينا فيجد الرجل حكما في كل علم ديني أو فلسفي فصار الشيخ ابن المبارك تلميذه يتلقى عنه العلم وهذا عجب أن يكون من لاعلم عنده أعلم من علماء الاسلام جميعا بعلمهم وغيرها . ومعنى هذا أن الله عز وجل يخلق في هذا العالم خوارق لعوائدهم تفرع أسماعهم وتوقفهم الى التعقل والتفهم وانما فعل ذلك الله في ذلك الزمن لأنه زمان جهالة والمسلمون قد أدبرت دولهم وذهبت ريجهم وكثرت خرافاتهم فجاء لهم بالعلوم من طريق ما يعتقدون وهم لما أدبرت دولهم وغابت شمس علومهم كانوا قد عكفوا على قبور الصالحين وتقربوا اليهم وطلبوا منهم المعونة فأرسل الله لهم في ذلك الزمن علوما على السنة بعض الصالحين ليرشدوهم ويقولوا لهم أيها المسلمون أتم في ضلال فارجعوا عنه وافهموا بعقولكم ولا تتسكوا إلا على ربكم والصالحون والأنبياء ما هم إلا عبيد امتازوا عنكم والله ربكم وربهم . هذه بعض الحكم في خلق هذه النفوس النادرة الوجود في أمة الاسلام . هذا أحد الكتابين . أما الكتاب الثاني فهو كتاب ﴿ درر الخواص ﴾ * على فتاوى سيدى على الخواص ﴿ ومعه كتاب آخر وهو كتاب ﴿ الجواهر والدرر ﴾ مما استفاده الشيخ عبد الوهاب الشعراني من شيخه على الخواص وكلا الكتابين للشعراني وكان ذلك في القرن العاشر الهجرى أى قبل ابن المبارك بقرنين . إذن الموقوفات للأئم الاسلامية ترى عليهم من حيث لا يشعرون فيكون ظهور الحكمة على السنة بعض الصالحين في فترات لتوقفهم . ولكن يظهر أن هذا الزمان هو الذى سيكون فيه أجلى ظهور للعلم وأبهج السبل وبدائع العرفان . فانظر الى ما جاء في الكتاب الأول فقد سأل الشيخ ابن المبارك شيخه الدباغ قائلا مالم خصه أن الناس يستغيثون بالصالحين دون الله عز وجل ولا يحلفون إلا بهم ولا يخافون إلا منهم فأجابه بما يفيد أن هناك أسبابا أوجبت انقطاع الناس عن الله عز وجل طرأت على هذه الأمة من غير أن تشعر بها . وهذه الأسباب هي التي أوجبت ارتباط قلوبهم بالصالحين وانقطاعها عن الله عز وجل وذكر منها

- (١) الهدية للصالحين ليشفعوا لهم عند الله لوجه الله
- (٢) والتوسل للصالحين بالله عز وجل ليقضوا حاجاتهم
- (٣) أن يترك المسلم فرض الصلوات ويזור الصالحين
- (٤) أن يخاف الانسان من الظالمين على العمر والرزق مع أن المرء اذا قوى علمه بتصرف الله وحده في ذلك قرب منه بقدر ذلك العلم
- (٥) التقرب للظالم لينال منه رزقا
- (٦) عدم النصيحة للمسلمين إذ يرى ما يضرهم ولا يأمرهم بالتحرر منه ويرى ما ينفعهم ولا يأمرهم بالتأهب له
- (٧) أن يعبد الانسان ربه ليرجيه وينفعه مع ان الأفضل أن يقصد وجهه مرة واحدة لاحظ الدنيا ولا الآخرة . انتهى

وجاء في كتاب الشعراني حكم مثل ان الشعراني رضى الله عنه سأل شيخه الخواص عن الأوراد التي يقرؤها المريدون التي لم ترد في الشرع مثل ما فعله البوني . فأجابه شيخه المذكور بما يفيد أن عباد الأوثان أحسن حالا من هؤلاء لأن هؤلاء اتخذوا هذه الأوراد لأجل النصر والجاه والرزق وانقياد الخلق لهم وعباد الأوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى . وقال له في موضع آخر من آخر الكتاب الثاني ان الشيخ يلحق ألف تلميذ أذكرا وأورادا فلا ينتج له مريد واحد . وعلى ذلك لا يعول على هؤلاء الأسياف في هذا الزمان ولا على أورادهم وأقول ان هذا مبالغة ولكن فيه حقائق

واعلم أيها الذكي أن هذه الكتب وأمثالها قد قرئت في أمة الاسلام في القرون المتأخرة وفيها حكم كثيرة جدا وعلوم جمة ومنها علوم لم تكن معروفة رظهر بعضها في الكشف الحديث ولكن فيها هناك أمور أخرى

غامضة وبعضها لا يوافق الحقائق . أندري لم هذا . لأن الله يأتي بالمتناقضين في هذه كنهها ليوجب علينا البحث والتنقيب ولا يجعلنا متكئين على أحد لا على الأولياء ولا على غيرهم بل لا تشكل إلا على الله والله هو الذي أعطانا العقول والأنبياء أيقظونا لاستعمالها . خرام أن نترك عقولنا ونشكل على أحد ولذلك جاء هذا التفسير وأمثاله من كتب المعاصرين لنا لتجدد في بحث العلوم والحكمة بأسرها لتعرف الجبال فالعلم جمال ومأقبح وصف الجهال

﴿ الطريق الثالث غرائب العلم التي يتتبعها الخيال الانساني فيثير في النفوس حب المعرفة فتدرك الجبال ﴾ ان العقول الانسانية التي ليست بأنبياء ولا أولياء هي نور مستمد من نور الله عز وجل . فكل نور فهو مستمد من نوره . ولو خلا الانسان بنفسه وفكر فيها لدش من هذا العقل والخيال اللذين يسموان به الى الأفلاك ويقطعان فيافي ومواحي بمجاهل تخترق السبع الطباقي وتهيم في تلك المخارق الفسيحة ولا تقف عند حد ثم هي تعرج في مجاهل بعد مجاهل فتعرف ماشاء الله من الكواكب الثابتة طبقا عن طبق ودائرة وراء دائرة الى أن ينقطع الفكر . وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر . ثم نراها يرجعان الى الأرض أى الخيال والعقل فيخترقانها ويجوسان خلالها ويدركان معادنها وفهمها ثم يغوصان على جواهر علومها فيقولان ان هناك بحرا من نار في داخلها بحسب ما يتقبل التخيلون . فهذا العقل وهذا الخيال الجيلان المرسلان من الله عز وجل لنا الذي أحاطنا بالأنوار الحسية والأنوار المعنوية هما اللذان بهما اخترعنا أنواع النقش والتصوير والنحت والشعر والموسيقى وأنواع صور الجبال والبهائم في هذه الدنيا . ومن ذلك الاختراع ما أنتجته العقول في علم البيان والبديع من الصور الجلية الخيالية مثل تشبيه معركة حربية واختلاف السيوف فيها بهيئة ليلة انتشرت نجومها فهي مضيئة في وسط الظلام وتقول

كأن مشار النقع فوق رؤسنا * وأسافنا ليل تهادي كواكب

ولاريب أن الشعر وبدائعه أمر مشهور معروف فلا نطيل به . وأبدع من ذلك ما تراه من ضروب الخيال والسحر الخلال الذي يسميه الناس خرافات في أمثال كتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ وكتاب ﴿ كالملة ودمنة ﴾ وفي الثاني محاورات بين أنواع الحيوان فيها ضروب الحكم والعلوم والسياسات . وفي الأول اختراع أقاصيص تصور الامور المستحيلة فتشوق العقول للاغتراف من بحار العلم . فهذه أكاذيب جعلت وسيلة للصدق في العلوم لقوم يعاقون . وأذكر لك منها الآن ﴿ قصتين اثنتين ﴾ قصة مدينة النحاس وقصة أبي قير وأبي صير

﴿ الأولى قصة مدينة النحاس ﴾

ان المؤلف اخترع قصة خيالية ملخصها أن موسى بن نصير المعروف في التاريخ أنه هو وطارق بن زياد فتحا الأندلس كان معه رجل يقال له الشيخ عبد الصمد وقد كان أمامهما جنى من الجن التي حبسها سليمان عليه السلام في عمود ولما خرج من العمود حكى لهما عن تاريخ حبسه وعن كل ماجرى له من أيام سليمان الى أيام عبد الملك بن مروان وموسى بن نصير وبعد ذلك رأيا مدينة من النحاس التي طاف حولها رجال على خيولهم يومين كاملين وفي ثالث يوم رجعا الى اخوانهم فأدهشتهم المدينة لعظمتها وارتفاع أسوارها ثم اجتمعوا حتى عثروا على مفاتيحها ففتحوها ووجدوا فيها من الجواهر والذهب والفضة ما لا يحصر له والقوم فيها صرعى جميعا والأسواق مفتحة والبضائع كثيرة وهي خالية إلا من جثث الموتى وانهم عثروا على فتاة جميلة بعينين نظران فسأها فلم ترد فعرفوا أن هذه مينة ولكن عينا تتحرك بالحكمة فالحركة صناعية . ولما قرب واحد منها تحرك سيفان واقفان حولها بتصور الحكمة فضر به بالسيف فقتله وقد كانت محلاة بابدع الحلي التي لا نظير لها في المدينة فتركوها ثم وجدوا لوحا مكتوبا فيه ما ملخصه

﴿ ان ترمز بن بنت عمالة الملوك قد حبس المطر عن مملكته سبع سنين ولم يبق شيء يأكلونه بعد كل

الدواب والجيف فأرسل بالمال من طاف الأقطار فلم يجد قوتا يشتريه فأغلقنا حصوننا ومتنا وهذه أموالنا لم تفدنا ﴿

ولما رجع الأمير موسى ومن معه الى عبد الملك بن مروان أخبره بما حصل وأراه اثني عشر رقما من القمام التي زعموا أن فيها جنة وكلما فتح عبد الملك رقما خرج له شيطان صارخ يقول التوبة لله يا بني الله وما تعود لذلك أبدا . هذا ملخص القصة والقارى لها أحد رجلين إما جامل يعتقد صحة هذه الخرافات التي لا توافق الحقائق ولا التاريخ ولكنه قد خرج بعلم وحكمة وأشعار كلها حكم ترهد في الدنيا وتصغرها في عينه وأما عالم أدرك أن هذا مجرد خيال وقد خرج بحكم شعروجال . ولا يجرم أن أمثال هذا من الزينة التي زين الله بها أرضنا فقال ... إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنباوهم أيهم أحسن عمالا - فهذه زينة لم تكن زهر البساتين ولا نور النجوم وانما هي أنوار العقول برزت فبهرت قوما وهدتهم وأضلت آخرين فأغوتهم . انتهت القصة الأولى

﴿ القصة الثانية قصة أبي قير وأبي صير ﴾

وملخصها أن الاسكندرية كان فيها رجلان صباغ وحلاق . فأما الصباغ فانه كان رجلا كاذبا خادعا يبيع ما يعطى له ليصبغه . وأما الحلاق فكان رجلا صادقا مخلصا وقد عضهما الفقر بنابه فخرجا معا في بلاد الله يطلبان الرزق فصار الحلاق يعول الصباغ أسابيع وأسابيع . ثم ان الحلاق أصابه مرض وأغشى عليه فسرق الصباغ الدراهم من جيبه وأقل عليه الحجرة وسافر في المدينة التي هما فيها يتجول فيها وقابل الصباغين فوجدهم لا يعرفون إلا قليلا من فن الصباغة فتوجه لملك وأخبره قائلا ﴿ أنا أصبغ ألوانا كثيرة مثلا الأزرق والورد والبنفسج والأخضر منه الفستقي والزيتي وجناح الدرة والأسود منه الفحمي والسحلي والأصفر ألوان مختلفة منه النارجي والليموني وهكذا ﴾ فأمدته الملك بالمال وفتح له مصبغة صبغ بها جميع الألوان وأقبلت الدنيا عليه من كل حدب وصوب . ثم ان الحلاق بعد أن هرب الصباغ بقي ثلاثة أيام وهو في الغيبوبة وفي اليوم الرابع أفلق فعلم أن صاحبه هرب ومعه نقوده فصار يتعده جيرانه . ولما صبح جسمه خرج في المدينة فوصل الى المصبغة المذكورة فوجد صاحبه فيها فلما رآه أمر بضربه ضربا شديدا فرجع حزينا بائسا ثم خطر له أن يستحم في الحمام فلم يجد في البلاد حماما فتوجه الى الملك فواساه بمال كثير جدا وصنع الحمام واستحم فيه الملك وجنوده ومن أراد من الناس ومنهم الصباغ فجاء اليه فعرف أن الحلاق هو الذي فتحه فأخبره بأنه لما ضربه لم يعرف انه هو وحلف له على ذلك فتصافيا وتصادقا ثانيا لأن الحلاق صدقه ثم ان الصباغ قال للحلاق صاحب الحمام ضع الزرنيخ على الخبز وأزل به شعر الملك حينما يدخل الى الحمام ثم ذهب الى الملك فقال له انه يريد قتلك بدواء قتال فلما دخل الملك الحمام دلске الحلاق كعادته ولما أظهر الدواء الذي ينظف الشعر أمر بأن يمسكوه ولما خرج من الحمام أعطاه لرجل ليرميه في البحر فأخذه الرجل وتوجه به الى جزيرة وقال لا أقتلك بل خذ شبكة واصطد سمكا فوقعت سمكة في الشبكة فرأى فيها خاتم الملك الذي سقط منه وهو يأمر بأن يرمى الحلاق في البحر فلبس الخاتم وصار كلما أشار على انسان بيده قتل وهو لا يشعر فدهش أشد الدهش وهذا الخاتم هو الذي لا يحكم الملك إلا به فلما سقط منه بقي ضعيفا والقوة انتقلت الى الحلاق فلما عرف هذه الحاصية في الخاتم حفظه معه وتوجه الى الملك فقال له أنا أمرت بقتلك فكيف جئت حيا فأخبره الخبر وأن هذا الخاتم خاتمك واني أخاف أن أشير به فيقتلك أو يقتل أحدا من حاشيتك فتقبله الملك منه وشكره شكرا جزيلا وطلب الصباغ وحقق أمر هذه السعاية فعرف بعد التحقيق بينهما أن هذا الدواء ليس سما وانه يريد قتل الحلاق الذي أحسن اليه بعد أن عرف قصتهما فأمر الملك بأن يفضحوه في البلد ويضحوه في زكية ويرموه في البحر . وأما الحلاق فانه استأذن من الملك بعد أن عرض عليه أن يكون وزيره فرفض فأذن له في السفر وأعطاه

مالا وفيرا كثيرا لاحصره فرجع الى الاسكندرية بحشمه وخدمه ورأى بعض خدمه أن هناك زكينة بجوار الاسكندرية فأخرجوها فإذا هي جثة (الصباغ) فأمر الحلاق بدفنها وأوقف عليها أوقافا كثيرة وعمل لها منارا وكتب على الصريح أبيانها منها

المرء يعرف في الأنعام بفعله * وفعائل الحر الكريم كأصله

الى أن قال

وتجنب الفحشاء لاتنطق بها * مادمت في هزل الكلام وجته

ثم عاش الحلاق معاشا في هناء وسرور . ولما توفي دفنوه بجانب قبر (الصباغ) فالصباغ اسمه أبوقير والحلاق اسمه أبوصير . فأبوقير هو الغادر الماكر الذي أحسن اليه أبوصير في حياته وبعد موته والمكان الذي بقرب الاسكندرية كان يسمى باسم (أبي قير وأبي صير) وصار الآن يسمى (أباقير) لاغير . انتهى
فهذه الحكاية التي انتجها العقل الانساني خرافة ولكن الخرافة فيها موعظة حسنة والموعظة هي أن فاعل الخير عاقبته السلامة والغادر الخائن عاقبته الندامة فأبوقير خائن فأت مقتولا وأبوصير صادق فعاش في نعمة وحبور . وللأهم الاورورية حكايات مثل هذه ألفوا لها الكتب وقرؤها صغارهم وجهالهم فيها صور من الخيال ينتفع بها الجهال والأطفال كما في حكاية البنت المستضعفة المتواضعة التي ذهبت الى البحر لثلا منها فقابلتها عجوز فطلبت منها الماء فسقتها فدعت الله لها أن يخرج من فيها كل ما نطق جواهر وورد فلما رجعت أدهشت امرأة أبيها بالورد والجواهر فأرسلت امرأة أبيها ابنتها الى البحر فأظهرت الكبر على السيدة الجميلة التي قابلتها هناك فدعت عليها أن يخرج من فيها عند الكلام الحيات وأنواع الثعابين فلما رجعت الى أمها ورأت ذلك طردتها من البيت ثم خرجت فماتت . أما البنت الأولى فلما رآها ابن الملك تزوجها وهناك حكايات أخرى كثيرة تمثل الصدق والكذب والحيانة والأمانة وهكذا وفيما ذكرناه كفاية . انتهى الكلام على الطريق الثالث للعلوم الذي ينتجه الخيال

﴿ الطريق الرابع . طريق التعاليم في المدارس ﴾

وهذا معلوم مشهور وهذا يرجع الأشياء الى حقايقها كما رأيت من دراسة الألوان بارجاعها الى ألوان الشمس السبعة

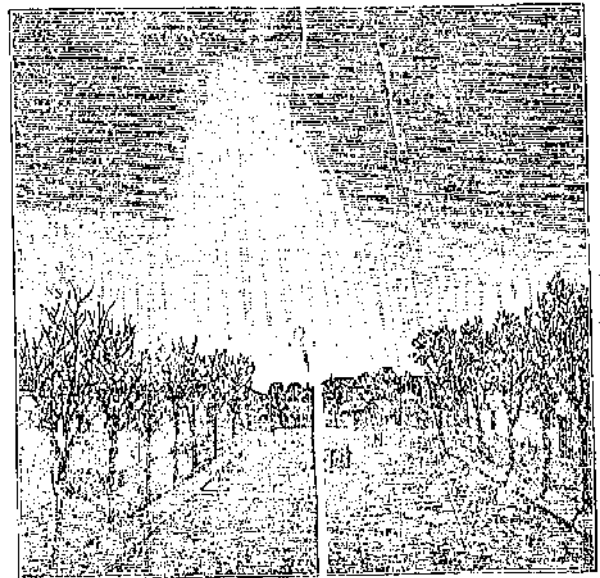
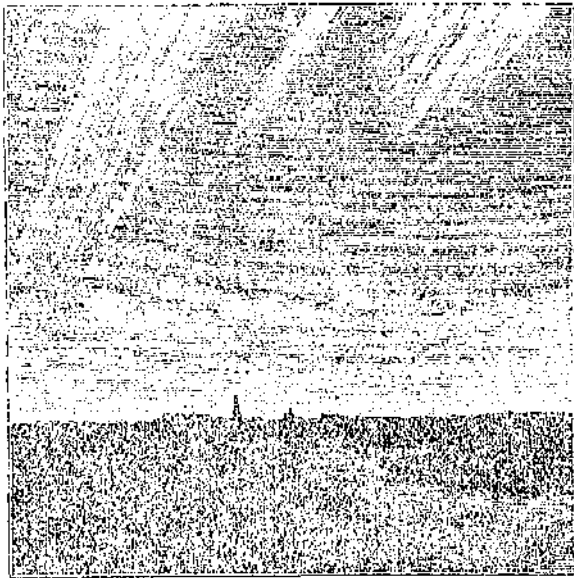
﴿ الطريق الخامس طريق السير في الأرض ﴾

وهذا هو الذي نريد الافاضة فيه ولقد ذكرنا فيما سبق قريبا عجائب ألوان الحيوان من حيث كونها زينة وهكذا أنواع الماء الجميلة التي تنبع من الأرض وهي حارة وسط الثلوج أو من مواضع حجرية وهذا يعرف بالسير في الأرض ومشاهدة هذه العجائب فلا ذكر الآن عجائب مما على الأرض من الزينة التي تشترك فيها غرائب الأرض وبدائع النور في السموات . فلا ذكر مادبجه يراع الكاتب القدير (جورج ويليم) تحت عنوان (الضوء الشامي) . (انظر شكل ٦)



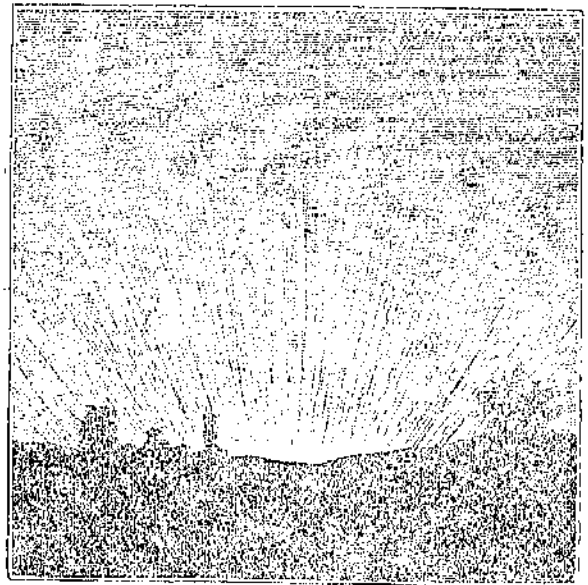
(شكل ٦ - صورة الضوء الشفالي من كتاب (علوم للجميع) مأونة بالجرة والخضرة والصفرة الح في الأصل)
 هذا (الضوء الشفالي) كنت في شوق الى معرفته لما كنت أسمعه دائماً ونحن نتعلم في مدرسة (دار العلوم)
 من أستاذنا المرحوم اسماعيل بك رأفت إذ كان يقول لنا هناك أنوار عجيبة تسمى (القنجر الشفالي) فهذه
 الآن أحدثك عنها من قلم العلامة (ويليم) في كتاب (علوم للجميع) قال

إن بعض الناس في بلادنا (بلاد الانجليز) قد يرى (قبابا) جميلة بهجة المنظر حسنة الشكل من النور تعترض ممتدة في الأفق بسرعة شديدة وتأخذ صورتها وألوانها تتغيران بما يعرض لها من الأشعة والأنوار التي تكون عمودية عليها . ومن أراد أن يحظى بمحاسن هذه المناظر في أبهى جلالها واسطع أنوارها وأعجب أشكالها فلي توجه الى خطوط العرض العليا مثل عرض (٨٢) درجة و (٢٧) دقيقة شمالا فقد شوهد ذلك المنظر الجليل هناك سنة ١٨٧٥ وسنة ١٨٧٦ م وبعض هذه المناظر تكون ذات ألوان بهيئة قباب الساعة مشرقة متألثة ممتدة من أفق من آفاق السماء الى أفق آخر منها محلاة بلون أحر و باخر أصفر مشرقين بهجين . وهذه الأنوار تسمى (الضوء الشمالي) أو (الشفق الشمالي) وإنما سميت بهذا الاسم لأن خطوط العرض الشمالية التي تظهر فيها هذه الأنوار يؤتمها الزائرون ويسافرها محبو الاطلاع أكثر من خطوط العرض الجنوبية العليا . إن مناظر هذه الأنوار ترى في الجهات الجنوبية في خطوط عرضها العليا كما ترى في خطوط الشمال ويسمى النور هناك (شفقا جنوبيا) . ثم قال ونحن قد اصطفينا له اسم (النور الشمالي) وهذا الاسم مقبول عند الجمهور وإن كانت التسمية المستعملة له عادة (الشفق القطبي) . قال وإذا كان بعض قراء هذا المقال ربما لاتتاح لهم الفرص لارتداد النور الشمالي في الأقطار الشمالية أو النور القطبي الجنوبي في الأقطار الجنوبية . فلنفرض أننا في الفصول القصيرة من السنة أى الخريف والشتاء وقد ركبنا سفينة وسارت بنا بسم الله مجراها ومرساها الى الجهات الشمالية القطبية وليكن ذلك في أوائل فصل الخريف قبل أن يقترب من الليل الطويل القطبي . أقول وإيضاح هذا أن الليل يكون ستة أشهر في السنة في الجهات القطبية من أول فصل الخريف الى آخر فصل الشتاء فتكون الزيارة في أول الليل أى أول الخريف ليسكون ضوء الشفق هناك كافيا لرؤية الأجسام . ثم قال فهناك نلاحظ أن كل ما حولنا في برد شديد وهو عرضة للرياح الشديدة وإن هناك من الأنوار ما يكتفى لترى في كل مكان تلك الصور السحرية العجيبة المناظر من جبال الثلجية عائمة على الماء في الظلام وهناك نسمع أصواتا هائلة بتصادم تلك الجبال الثلجية وتعارضها وارتطامها فلا يمكننا أن ندفع عن أنفسنا اطلع والفرع والخوف من أن تقع سفينتنا بين جزيرتين من جزائر الجليد العائمة فيكون هلاكنا . إننا نشاهد المناظر حولنا أشبه بما يفعله السحرة والمشعوذون بقضبانهم وصواجلهم إذ تخيل لنا تلك المناظر أننا في قصور مزخرفة محلاة بأنواع الحلى والجواهر في «ألف ليلة وليلة» وهذه صورة (الشفق الشمالي) الذي شوهدني ٢٤ فبراير سنة ١٨٧٢ عند (أورلين) (شكل ٨٧)



(شكل ٨٧ - صورة الشفق الشمالي الذي شوهد عند (أورلين) في ٤ فبراير سنة ١٨٧٤ م)

إننا نرى هنا (قباباً) من النور المتلألئ البهيج ممتدة متسعة في أكناف السماء من الشرق إلى الغرب وهي تارة تكون واقفة وآونة تسير الهولينا نحو الشمال . ثم نرى ألواناً أخرى تأتي عمودية على تلك القباب المذكورة وإذا كانت القباب تحت فانا نرى تلك الأشعة وإن كانت متوازية غالباً تتجه إلى أن تكون على هيئة خطوط متجهات إلى نقطة سمت الرأس . وهذه الأشعة الضوئية في النادر جداً إنما تكون متجهة إلى جهة سمت الرأس في السماء وكثيراً ما تولي وجهها شطر الشرق بهيئة حركة الثعبان التواء وانعطافاً من طرف إلى طرف وقد يغطي هذا النور أكناف السماء . هذا نظراً في السماء فإذا حولنا وجهه نظرنا إلى مباحج المناظر فيما يحيط بنا من الجبال الثلجية وهي مظلمة معتمة ساكنة فانا لانثق بثبات هذا المنظر فإن هذه الجبال الهائلة تعكس علينا في سفينةنا ضوءاً مكنوناً من ألف لون آتياً لها من الحق فوقها . فلو رأيت ثم رأيت قم تلك الجبال الثلجية الهائلة قد حليت بأنواع من الألوان كأنما هي محلاة بأنواع من الجواهر المختلفة الألوان وباهر الأنوار الساطعة التي تسكاد تذهب بالأبصار . هذه الأشعة تظهر في صور مختلفة متنوعة ونماذج من أبهج الجبال . وهذه الأشعة قد تستبين كأنها مدلاة من السماء مشية كهية الرداء . (انظر شكل ٩ و ١٠)



(صورة الشفق الشمالي مشاهداً عند (الاسكا) (صورة الشفق الشمالي الذي شوهد عند (بريفلبوت)

في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٦٥ (شكل ٩) في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٣١ (شكل ١٠)

هذا ما أردت شرحه في آية - إنا جعلنا ماء على الأرض زينة لها - ولما كتبت هذا اللقال سألتني صاحبي الذي اعتاد أن يبحث معي في هذا التفسير . فقال هل هذه الآية يدخل فيها هذا كله . إن الزينة إذا صحت في الجبال الثلجية وفي الينابيع النابعة من الأرض لما فيها من جمال المناظر وفي مناظر الحيوان لا يصح أن تكون في آراء الصوفية التي تلتها ولا في خرافات « ألف ليلة وليلة » و « كليله ودمنة » و أمثالها . فقلت إن الزينة لا تختص بما يرى بالعين وهي « ثلاثة أنواع » زينة تعرف بالبصر . وزينة تعرف بالبصيرة والبصر وزينة تعرف بالسمع . فأما الأوليان فهما كل زينة رأيناها أو عرفناها كما تقدم والأخيرة هي التي نسمعها عن الأنبياء والصالحين أو مما تخيله أصحاب الروايات . فقال هذا الأخير لا يسمى زينة . فقلت قال الله تعالى - ولستكن الله حب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم - . إذن الزينة تكون مرئية بالبصر ومرئية بالبصيرة . ولا جرم أن المجالس تزدان بزينة العلم سواء أكان دينياً أم دنيوياً . قال أما الآن فاني قد اكتفيت فقلت الحمد لله . انتهى صباح الخميس ١٤ شوال سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ الكلام على الفصل الأول في قصة أصحاب الكهف وهو (وجهان * الوجه الأول) في

قوله تعالى - أم حسبت - الخ (الوجه الثاني) في مقصود القصة ﴾

﴿ الوجه الأول والثاني معا ﴾

اعلم أن قوله تعالى - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا - دالٌ كما تقدم على أن آيات الله في السموات والأرض لانهائية لها وأن أمثال هذه القصة ليست كل شيء وهذا في الحقيقة غريب جدا وعجيب بل إن هذه الآراء وإن كانت حقة وقاطبة المفسرون بقيت مخبوءة عن العقول مبعدة عن ذكرها في المنقول . فليسمع المسلمون في أقاصي المعمورة كيف يقول عاملاؤنا رحمهم الله أن آيات الله في السموات والأرض أعجب من هذه القصة التي طلبوها تعنتا وأن الله يقول إذا كان ولا بد من البحث عن أمر البعث فليكن في علوم الطبيعة وآياتها البديعة فعلينا إذن أن نشرح ذلك في كلمات فنقول .

(١) انظر ، أليس الناس ينامون كل ليلة ويستيقظون وهذا نفسه وإن كان معلوما أشبه بأمر البعث ولعمري أي فرق بين نوم الآلاف المؤلفة من الناس ليلة وبين نوم سبعة أنفس مئات من السنين ألا إن الغرابة هناك هي التي ذهبت بعقول الناس فقط والا فالبرهان واحد ففي ثبت نوم وإيقاظ لحظات كان ذلك كالسنوات ولكن عادة الناس ألا يخضعوا إلا للفرائب

﴿ عادة قدماء المصريين ﴾

كان الكهنة المصريون يستخدمون هذه الطريقة في عباداتهم الوثنية ويجعلون غرابة الجمل وكونه على هيئة مخصوصة نادرة جاذبة لعقول العامة فهم كانوا مطلعين على أسرار الكون وقد حجبوا العامة عن تلك الأسرار بالغرائب والمجائب . ألا ترى أنهم إذا مات الجمل أخذوا يبحثون عن عجل غيره وهو المسمى (أيس) ولا يزالون يبحثون حتى يجده فيفرح الكهنة بذلك وتخدمه سيدات خاصات أربعين يوما ثم يضعونه في زورق ويذهبون به إلى الهيكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالكهنة وسراة القوم وجواهر عظيمة من طبقات الأمة ويستعملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوقعون عليها بمختلف الأنغام ثم يحتمون الاحتفال بأنواع الرقص المدهش وهو رقص ديني . فما الذي أفرح المصريين القدماء بذلك . لاشئ إلا الغرابة . فالغرابة هي الباب الواحد لما يرد من الناس . ولكن لا تظن أني أجعل هؤلاء كأولئك ولكن القرآن وإن كان يذكر القصة على أنها وعظ ديني مرشدة للبعث فهو من جهة أخرى يقول كيف يقف الناس عند هذا الحد أي كيف يكون المسلم عاكفا على قراءة قصص الأولين . كلا . بل يقرأ ما خطه الله على لوح الوجود فإن أراد ما هو أعجب من نوم أهل الكهف فما كره

(٢) لقد ذكرنا نوم الناس وقلنا لافرق بينه وبين نوم أهل الكهف ولكن أيها الذكي إن هذا القول غير مألوف وأنت وأكثرا الناس لا يرى فيه وضوحا . فاسمع ما هو أعجب الخلل وكثير من الحشرات تنام طول الشتاء كأنها أموات فإذا جاء فصل الربيع دبَّت فيها الحياة وعاشت كما كانت

(٣) السمك إذا أُلج الماء الذي هو فيه أصبح كالثلج فلو كسرت الثلج أوقطعته قطعاً قطع السمك معه لأنه صار ثلجا ويبقى هكذا أمدا طويلا . فإذا أدنيت من النار تحرك السمك وذاب الثلج

(٤) أذكرك بما مضى في هذا التفسير أن حبة القمح الذي أصابه مرض في سنبله وهو في الحقل قد وجد العلماء فيها عشرات الألوف من الحيوانات الحية ومتى يبست الحبة وزالت الرطوبة ماتت تلك الحيوانات ولقد جرب العلماء في ذلك تجارب ففهم من أخذ تلك الحيوانات ووضعها في الشمس أياما ثم بلها في الماء فحيت كما كانت . ومنهم من وضعها في الشمس كذلك ثم فرغ الهواء حولها مدة طويلة ثم بلها بالماء ثانيا

فتحركت وعاشت كما كانت . ومنهم من أبقاها عنده فوق العشرين سنة وهي يابسة فلما أنزل عليها الماء تحركت وعاشت . فالعجائب التي قال الله فيها إنها أكثر من آية أهل السكف قد ظهرت لنا حقيقة واضحة وأصبحت حبة القمح الواحدة فيها آلاف مؤلفة تموت وتحيا فعلا بعد عشرات السنين ويقولون إنها لو كانت حية في حياتها العادية لم تتحمل كل هذا . فالتة تعالى يسوقنا في القرآن الى أن نأخذ الأدلة في هذا وأمثاله من الطبيعة ولا يريد منا إلا التوغل والترقى فيها هذا هو الذي يطلبه القرآن ﴿ أصحاب السكف ومقترحات أهل مكة ﴾

طلب أهل مكة أن يزج جبالها وأن يجعلها جنات وطلبوا كما قيل نبا أهل السكف فلم يجيبهم في الأولى مع أخوانها وأجابهم في الثانية مفضلا آيات الطبيعة عليها كأنه يقول تعالى وما مكتكم وما جبالها وإذا أزعجتنا عن أما كنهن فاذا تفهمون . إني أبحت لكم عجائب الطبيعة فانظروها . ألا ترون أني أجعل البرّ بحرا والبحر برا في مئات الآلاف من السنين . ألا ترون أن بحرا هناك (هو الذي ذكرته في قصة نوح) جهة بلاد الروس والترك فحصل زلزلة عظيمة فذهب ماء البحر واتجه الى البحار الأخرى وأصبح الآن بلادا عامرة (انظره في سورة هود في قصة نوح) . أنا لا أثقل الجبال إلا بالزلازل فيكون الهلاك . فانظروا في عجائب هذا الكون ففيه ما تقولون وأما التعتن فليس يفيدكم علما . فلاقصة أهل السكف بمغنية عن نظركم في الطبيعة والعلوم ولا الاجابة على مقترحاتكم بمغنية فتبلا اذا أجبتكم . فليست في ذلك المفكرون ﴿ الكلام في خوارق العادات وفي الكرامات والأولياء ﴾

خوارق العادات الجزئية توجد في الدنيا . أما الخوارق الكلية مثل ما في الطبيعة أي مثل الأحوال والانتقالات الطبيعية فلا وجود له إذ لم تقطع يد انسان ثم رجعت كرة أخرى ولم تقلع عين ورجعت على يد ولي مثلا أو ساحر أو كاهن . واسكن هناك غرائب تظهر وقد أوضحناها في سورة البقرة في مقامين عند الكلام على عجائب الأرواح وعند الكلام على السحر فلا حاجة لإعادة فعلم الأرواح قد انتشر في المعمورة وعلم السحر أصبح بعضه صنائع في أيدي الناس بعد أن كانت أمورا مكتومة مخبوءة فانظره في سورة البقرة ببق أن ننظر في أمور الأولياء ومن هو الولي . هو فاعيل بمعنى مفعول أو فاعيل بمعنى فاعل أي تولاه الله أو هو تولى الله بالطاعة ﴿ صفته ﴾

لا صفة له إلا أن يكون في الظاهر متخلقا بالشرع وفي باطنه مستغرقا في الله وآياته وذكره

﴿ كراماته ﴾

ربما ظهرت خوارق على يديه وهذه الخوارق لا تعد وما يظهر على يد محضرى الأرواح فقد تصدر على أيديهم بعض لمحات مما في نفوس من حولهم ومنهم من شاهدتهم بنفسى وهم جهلاء ولكن عند الذكر ووجود شيخ أمامه له أتباع كثيرون ترى هذا التأييد الجاهل قد أخذ يشرح مواضع علمية فلسفية تعاو على مدارك من حوله . ولقد دهشت اذا اطلعت على هذا في بعض المجالس ورأيت من ذلك الذي ينشد في الذكر من العلم ما لا يقدر عليه أكبر العلماء والفلاسفة فاذا رجع الى حاله الأولى رأيت كما كان لا يدري شيئا مما كان يقوله وقد أقر مرارا بهذا

﴿ نظير هذا في أوروبا والهند ﴾

لقد ذكرت لك في سورة (النحل) الغلام الصيرفي الجاهل الذي كان يتكلم في الفلسفة وهو منقوم مع فصاحة ودلاقة حتى اذا رجع الى حاله الأولى لم يدرك شيئا وكذلك ابنة الحاكم المسماة (لاورا) كانت تنطق بلغات لا تعرف منها شيئا وتخطب الأموات الذين يطلبهم أصحاب ذلك الحاكم الأمريكي المسمى (ادمون) وقد نطقت بعشر لغات في مدة ساعة ﴿ الاسبانية والافرنسية واليونانية والاطالية والبرتغالية واللاتينية والهندية

والانجليزية وغيرها من اللغات التي كان يجهلها الحضور . وهكذا في بلاد الهند يحصل عجائب وغرائب على يد الشيوخ المنقطعين في الغابات من هذا وأمثاله كثيرا بل عند عباد الأوثان من الغرائب ما يحير الألباب كما روى أن قوما منهم أوقدوا نارا على حجر أياما ثم قالوا للضابط الانجليزي مر معنا عليه على شريطة أن لا تنظر خلفك والا احترقت حالا ففعل فلم يحترق وأخبار ذلك كثيرة

﴿ آثار ذلك في الاسلام وما يجب أن يكون ﴾

المسلمون نظروا في أمر الشيوخ فرأوا الصالحين منهم لهم بعض كرامات من هذا النوع وهنا بيت القصيد فإذا نقول . نقول ان الأمر موقوف على صاحب هذه الكرامة فان كان حقيقة مستغرقا في جلال الله فهذه الكرامة يجب أن تزيد تواضعا ويجب على مريديه أن لا يظنوا أن هذا مقصود الاسلام بل مقصود الاسلام ارتقاء العقول والبحث والفكر فلو عكف الناس على تلك الخوارق لأضاعت أعمالهم وخسروا وضاع الاسلام إن الشيخ الذي منح هذه الكرامة اذا ظن أن الله اصطفاها بها وأنه سعيد وأنه مرموق من حضرة الحق وقد أصبح آمنا فانه يصبح أبعد من الله وتكون الكرامات شرا وبيلا ويكون مثله كمثل الذي له جنتان - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا - الخ فلا فرق بين تلك الكرامة وبين المال فليس اكرام الله للصالح ببعض الخوارق ولا تسهيل مصالح الانسان واعطاؤه الغنى وسعة الرزق من أيدي سائر الناس بدليل على أنه من المقرين فقد يسلب العطية كما يسلب المال وانما رضا الله على مقتضى الاخلاص وكم من رجل دخل الخلوة وصفي نفسه وأعطى بعض الخوارق ثم خرج منها وأخذ الناس يقبلون يديه وقد أصبح شيطانا رجيا لانه رجع لطلب الدنيا والشهرة والمال ومن أكرمه الله ببعض الخوارق من الصالحين أو ببعض اليسار والغنى منهم ومن غيرهم ثم فرح بالكرامة وفرح بالمال . فليعلم ذلك الصالح وذلك الغنى انهما قد استدرجهما الله والاستدراج استبعاد عن الكمال واقترب من النقص . فالفرح بالكرامة والفرح بالمال يحبيان النفس في الدنيا ومحبة الدنيا بعد عن الله فلا صلاح ينفع ولا مال يشفع . وكلما اقترب العبد من الدنيا بحبها ابتعد عن الله وهذا هو الطرد بعينه . وقد رأيت في كتاب ﴿ الروض المستطاب ﴾ لبعض تلاميذ الشيخ خالد رحمه الله تعالى ما يوضح هذا المقام ايضا تاما

﴿ فكلم من ذاكر لله وقلبه معلق بالدنيا ولذلك ترى كثيرا من شيوخ الطرق في الاسلام صاروا أعظم نكبة على الأمة وهم جشعون فرحون بالمال مغرمون بالدنيا لاسيما أعقاب أولئك الأولياء الذين لم يسيروا على طرقهم فتصبح العبادة مصيدة للدنيا مبعدة عن الآخرة ﴾

﴿ الصوفية ودول أوروبا ﴾

ومما يناسب هذا ما عرفناه في زماننا أن فرنسا لما نظرت فوجدت أن المسلمين تحت أمر الشيوخ أعلنت في جرائدها أنها ستأخذ كل طريق لفتح مرا كش وذلك باعطاء شريف مرا كش أموالا طائلة . وكذلك شيوخ الطرق وبعد ذلك نجحت فعلا وقد قالوا ان هؤلاء الشيوخ يخضع لهم الناس ومتى أغدقنا عليهم النعم والمال كان الناس تابعين لهم وهؤلاء الشيوخ متى نالوا النعيم والراحة أحبوا بقاء الحالة على ما هي عليه

﴿ قصة أهل الكهف ﴾

علم الله عز وجل أن المسلمين سيقعون في هذه البلايا والنكبات وأنهم اذا عم الجهل ربوعهم سيكون الصلاح وما يتبعه من بعض الكرامات يستعملها قوم من الذين لا خلاق لهم في جلب المال ونصب المسكائد للأمة وأنهم سيكون فيهم كذابون مخترعون لذلك ليصيدوا به القلوب . وعلم أن أوروبا ستأخذ من هؤلاء شبكات للصيد فأمر الله هذه السورة ولم ينزل ما اقترحه أهل مكة في سورة الاسراء بل اصطفى هذه القصة وما بعدها وبدأها بقوله - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا - فجعل عجائب الملك أرقى

من هذه العجائب وحث الناس على النظر في الكائنات لتصل عقولهم بالمواهب وأن أمثال هذا يكتبني به الأصاغر من الرجال ﴿ واجب المسامحين في المستقبل ﴾

لاجرم أن الأمم تبدأ بتعليمها بتوسيع الخيال من العجائب القصصية فإذا ارتقى التلميذ في التعليم أروه حقائق الأشياء في الرياضة والطبيعة . هذا هو الصراط المستقيم في أوروبا الآن . فهذه القصص يجب أن تعطى للتلاميذ في أول نشأتهم ولكن حرام أن تترك العقول فلا يدرس لها نظام الطبيعة والفلك وقولي حرام أى على من قدر بالمال والعقل وإنما كان حراما الترك لأن ذلك فرض كفاية ولا كفاية إلا بتعميم التعليم تقريبا في هذا الزمان إذ كيف يقول الله إن عجائب السموات والأرض أعجب من هذه القصة وكيف يقول في سورة يوسف عليه السلام بعد أن أعتها - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - ويخفهم على جهلهم ماحولهم وقال إذا لم تعتبروا بسورة يوسف ولم تؤمنوا فأنتم قوم جهلتم ما هو أعظم . عجب للقرآن يذكر السورة بتمامها ويقول هناك ما هو أعظم بلانهاية وهنا يقول عجائبي أعظم اللهم إني كتبت في هذا المقام ما أعلم فلا تؤاخذني فيما لا أعلم . فليرشد العلماء أمتهم فانها أصبحت في حاجة الى المرشدين وليعلم الناس من قدر فهذا ما في طاقتي . ولقد حاولت هذا الموضوع مدة حياتي ولكن هذا منتهى جهدي وطاقتي والله وليّ جيد . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في حساب السنين وفي معنى (٣٠٩) في الآية ﴾

السنة العربية قد ذكرت في كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ ما يأتي في صفحة ٢٣٣ أنا الآن في يوم الأربعاء خامس يوم من شهر المحرم سنة ١٣١٩ هجرية أى قبل الآن بأربع وعشرين سنة فوجب إذن أن أجعل التمثيل بهذه السنة فأقول

إذا أردت معرفة أول يوم من السنة العربية فأقسم عدد السنين الهجرية على (٢١٠) واقسم الباقي على (٣٠) وما بقى فاقصه واحدا ثم اضرب البسيط في (٤) والكيس في (٥) واضرب الخارج من قسمة الباقي في (٥) أيضا وأضف (٥) أخرى فهذه حواصل أربعة فاجمعها واقسمها على (٧) وما بقى فأجره على أيام الاسبوع من يوم الأحد فالיום الذي يدل عليه العدد هو أول تلك السنة من زمن الهجرة

ففي مثالنا هذا باقى قسمة سنة ١٣١٩ على (٢١٠) هو (٥٩) وبقسمته على (٣٠) يكون خارج القسمة (١) والباقي (٢٩) و بطرح واحد منه يكون (٢٨) والسنين الكيسية في كل سنة هي (٥٥ و ٥٦ و ١٠ و ١٣ و ١٥ و ١٨ و ٢١ و ٢٤ و ٢٦ و ٢٩) ويضرب الكيسية في مثالنا في (٥) يكون (٥٠) والبسيطة في (٤) يكون (٧٢) والباقي عندنا (١) نضربه في (٥) ونضيف (٥) وهذه الحواصل الأربعة (١٣٢) وبقسمتها على (٧) يكون الباقي (٦) فيكون أول السنة على هذا يوم الجمعة ولكن الهلال لم ير إلا ليلة السبت فأول السنة الشرعية يوم السبت وقد مكث الهلال نحو ٤٣ دقيقة بعد الغروب فدل على أن الاجتماع سبق بمدة طويلة . ولعرفة أول الشهر اضرب عدد الأشهر السابقة على الشهر المطلوب على حساب أن المحرم (٣٠) وصفر (٢٩) وهكذا شهر كامل وشهر ناقص فاضرب التام في (٢) ويضاف اليه عدد الناقصة ويضاف الى مجموعها العدد الدال على أول يوم من السنة ويقسم الكل على (٧) فلعرفة أول شهر ربيع الأول من هذه السنة نأخذ واحدا للناقص و٢ للتام فهو (٣) وبجمعها على (٦) وهو الذي كان ابتداء السنة يحصل (٩) فتسقط (٧) فالباقي (٢) ويكون أول شهر ربيع الأول من هذه السنة يوم الاثنين ولكن على حسب القاعدة نفسها لا على حساب الهلال . فهذا ملخص ما ذكره سعادة مختار باشا الفيلسفي في كتابه ﴿ علم الهيئة ﴾ فتأمل كيف دارت الأفلاك دورات منتظمة . وكيف كانت الأدوار كل دور (٢١٠) وهذه فيها (٧) أدوار لعدد (٣٠) المشتمل على الكيسية والبسيطة بحيث يكون الكيس والبسط في كل (٣٠) منها تماثلا

تماما للثلاثين بعدها ثم ان أوائل الشهور والسنين في كل دور من الأدوار الكبيرة وهي (٢١٠) هي بينهما
تماما أوائل السنين والشهور في الدور الآخر بحيث ان السنة الثانية من الدور الأول تكون أوائل شهورها
مثل أوائل نظيرتها في الدور الثاني . هذه هي السنة الشمسية والقمرية التي ذكرتها الآية نقلا ماخصا من
كتابي ﴿ نظام العالم والأهم ﴾

اعلم أن قدماء المصريين وأهل أوروبا نظروا في أحوال الأرض من حيث الحر والبرد فوجدوا ذلك تابعا
لقرب الشمس وبعدها وانها تقطع في كل دورة بحسب الظاهر ٣٦٥٢٤٢٢١٧ يوما شمسيا بمعنى انها تحدث
قربا منا وبعدا عنا ينتج عنهما الصيف والخريف والشتاء والربيع ومدة هذه الأربع تسمى سنة شمسية إذ
النظر فيها الى سير الشمس ٣٦٥٢٥ يوما وهذه السنة تسمى الانقلابية أيضا لأنها عبارة عن مدة تنقضي ما بين
مرورين متتاليين للشمس بنقطة اعتدال واحد كاعتدال الربيعي . وأما السنة القمرية فانها تتركب من
٣٦٥٢٤٢٢١٧ يوما لأف كل شهر ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٢٤ دقيقة وثانيتين وتسعة أجزاء من عشرة من
الثانية أو ٥٨٩٠٥٣٠٢٩ يوما أي ٢٩ يوما وما ينوف عن نصف اليوم . وهذا الحساب مأخوذ من ملاحظة
المدة بين كل كسوفين متواليين فيحسبون عدد الدورات الاقترانية المسماة (الحركات الدائرية) أيضا ويقسمون
تلك المدة الكلية على عدد تلك الدورات وقد تم المطلوب . فاذا طرحنا السنة القمرية من السنة الشمسية
كان الفرق بينهما ١٠٧٧٥١٤٩ أيام وهذا العدد يكون في كل ٣٣ سنة ٣٥٥٠٥٧٩٩١٧ أي ٣٥٥ يوما
ونحو ٥٨ جزءا من مائة من اليوم وهذا نحو سنة فتكون كل ٩٩ سنة شمسية زائدة ثلاث سنين اذا اعتبرت
قريبة وبالتقريب تزيد كل مائة سنة ثلاث سنين فثلاثمائة تكون (٣٠٩) فهذا هو الذي ذكره القرآن .
فالعجب واعلم والحمد لله رب العالمين

هذا هو الذي ذكره الله بقوله - وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا - . ولهمرى كم من
الفرق بين هذا الحساب الدال على النظام الالهي وعلى حكمة الله وعنايته وبين قصة أهل السكف التي ليست
على طراز عام كافل للصحة العامة وانما هو خوارق جرت على أيدي أقوام شرفاء لتذكير الناس برهم حتى
اذا انتبهوا رجعوا الى ربهم فقرأوا نقشه وصناعته . إن الله أفهمنا أن هذه الحجاب أشبه بلبن الأم يرضعه
الطفل صغيرا فاذا كبر فما أجدره أن يحج بنفسه لا يتكل عليها . فلنقرأ ذلك ولنقرأ بعده الموم السكونية .
ولقد فتح الله الباب في مثل هذا التفسير فليجعه المسلمون . أقول وسيلجونه وسيكونون - خير أمة
أخرجت للناس - وسيتعلم المسلمون وسيكون هذا التفسير من أسباب انتعاش العقول وذهاب
الجهالة - ولتعلن نبأ بعد حين - . وكان أمر الله قلدا مقدورا - وسيقرأ هذا من بعدنا وسيرونه حقا
والحمد لله . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في قوله تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا - الخ ﴾

لما ذكر الله عز وجل حساب السنة القمرية والسنة الشمسية وكان هذا حقا معجزة واضحة بينه ولكنه
مجل أخذ سبحانه يمهد للأمور الطبيعية الانية بذكر القلوب الغافلة والمستبصرة وأمر نبيه ﷺ أن يكون مع
الذين قلوبهم مستبصرة ليجهد السبيل الى ذكر الجنين وهما من زينة الحياة الدنيا . فانظر كيف ذكر الزينة
في أول السورة ثم قال هنا - ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - وكأنه بهذا يفهم الناس ما المقصود
من زينة ما على الأرض فقال ليس المقصود زينة الحياة الدنيا بل تزيين العقول بآثارها بعد استكمال الانتفاع بها
انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع في مسألة الجنين وأن أحد الأخوين اغتربهما والآخرف الحقائق وقال له كل ذلك لا بقاء له ﴾
إن هذه المحاورة التي بين الأخوين ضرب مثل للناس جميعا . انها حاصلة في كل مجتمع فالناس جميعا على هذه

الحال فشكل من أوتى مالا أوجاهها أو قوة يفتخر بما أعطاه بل من أوتى علما يفتخر على الجاهل بل أرباب السكرامات من الأولياء بعضهم تكون هذه السكرامات من أسباب تكبره فالمثل هنا شامل كامل وان هذا الذي يفتخر به العالم والغنى والصالح مما آتاه الله من المال أو الاقبال يكون وبالا عليهم جميعا ولا بقاء له . فكيف يفتخر هؤلاء والدنيا دار انتقال ولكن الغفلة متى استحكمت على القلوب تركتها فارغة لا رأى لها . فكل واحد من هؤلاء يقول الله أعطاني المال أو العلم لاستحقاقى وكل من أوتى شيئا باستحقاق فانه لا يسلبه فأنا لأسلب هذا المال ولا أسلب هذا العلم الخ وهذا قوله تعالى - وما أظن أن تبدي هذه أبدا - وأيضا يقولون في أنفسهم إن الله أنعم على في الدنيا وكل من أنعم عليه في الدنيا لابد أن ينال النعيم في الآخرة فعليه أنا عزيز منعم في الدنيا والآخرة وهذا قوله تعالى - ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا - . واهمري ماضى الناس إلا هذان البرهانان اللذان هما من السفسطة وهما أشبه بأدلة إبليس إذ جعل كون آدم من تراب سببا في احتقاره ولذلك جاءت قصة إبليس وذريته بعدما وانهم عدو فكيف تأتي بأدلة . يفتخر الرجل فيقول هذا مالى وهذا ملكى ولن يغنى مع أنه يشاهد الأحوال المتغيرة أمامه ويقول ان الله ينعمنى في الآخرة وما درى أنه لا تلازم بين الحياتين بل التلازم للعمل لا للمال . وقد يظن الصالح أن صلاحه أوجب له ما أنعم به عليه من بعض الأحوال أو ما علم أنه لا دوام للأحوال وأنه ربما كان ذلك استراجا . ويظن العالم أن ما كسبه من العلم قرّبه من الله والعلم قد يكون وبالا على صاحبه يقرّبه من الدنيا ويفرحه بها وينفقه من الله . أو ما درى من أوتى المال والحدايق أن هذه خلقت له ليعتبرها دروسا يدرسها ويفهم مغازيها ويقرأ علومها فتكون جنة حقا توصل لجنة مستقبله . إن في لذات المعاني المفهومة من المروج الواسعات ما يربو على لذات المحسوسات والثرات - وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام)

يقول الله هذه الحدايق زينة الأرض فاحذروا أن تجعلوها خاصة باللذات الشهوية بل استخدموها في اللذات العقلية وانفعوا بها البرية . انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس في قوله تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا - الخ ﴾

ههنا كما تقدمت الكلام في مسألة الزينة في الحياة الدنيا ووصلنا الى يوم المعاد فيحاسب كل امرئ على ما عمل . وقد قلنا ان هذه السورة متصلة بما قبلها من وجوه وأن المقصد من هذا كله مسألة البعث وكنت أريد أن أسمعك تمام بحث البعث والمحاورات التي دارت بيني وبين طالب روسي في كتاب ﴿ الأرواح ﴾ كما وعدت في سورة الاسراء وهذه المحاور قد امتزجت فيها الأدلة العقلية بالأدلة الشرعية مشاكلة لما في هذه السورة من اجتماع النوعين من الأدلة . ولكن اكتفيت في مثل هذا المقام بما تقدم في هذا التفسير في مواطن كثيرة فمن أراد ذلك فليقرأ الكتاب المذكور . وههنا ﴿ ثلاث جواهر ﴾ الأولى ﴿ في أصر الجنة والنار ﴾ الثانية ﴿ في ضرب المثليين ﴾ الثالثة ﴿ في سجود الملائكة ﴾ قد فتح الله بها بعد ما تقدم

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين

فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا - ﴾

في صباح هذا اليوم (١٧) مايو سنة ١٩٢٨ م خرجت للرياضة في روضة النيل في ضاحية مصر فقابلني أحد الفضلاء وكان من حديثه معي أن قال . ما الذي يطبع من التفسير الآن . قلت سورة الكهف . فقال عندي سؤال لازال يعاودنى طول حياتى . فقلت وما هو . قال يقول الله تعالى - ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق - الخ ويقول في سورة الحجج - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير - ويقول في سورة أخرى - وأنهار من حسل مصفى - ففي الجنة حرير ولؤلؤ وحسل . ولا جرم أن الحرير لانه حاسة اللمس فان للبس الخشونة والملامسة والنقل والخفة وهكذا الخ مما اطلعت عليه في كتابك ﴿ بهجة العلوم ﴾

في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية وهذا الكتاب هو الذي جعلني أفكر فيما أقوله الآن وما السبل إلا لذّة حاسة الذوق التي لها تسع صفات من صفات المادّة مثل المرارة والحراقة والملوحة والحلاوة وهكذا وما الأولو إلا لذّة الابصار وللأبصار من صفات المادّة عشر من الألوان والأشكال والحركات الخ . كل ذلك قرأته في ذلك الكتاب وأرى الله خلق ذلك لنا في الأرض وأنزل سورة النحل وقال تعالى - وتستخرجون منه حلية تلبسونها - وهكذا وهذه الحواس ثلاث وحواسنا خمس فأرجو إيضاح ذلك المقام . فقلت إن هذه المذكورات مفاتيح العلوم وورق المسلمين في الدنيا والآخرة . فقال

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

فقلت لا أنا مشرق ولا أنت مغرب . إن المقام مقام علم وحكمة . اعلم أن هذا النوع الانساني خلق في الأرض ليدرسها لاغير . والدليل على ذلك أنه جعل ألد طعامه من حشرة طائرة بجناحيها وهو النحل وألد اللبوسات من دودة تمشي على بطنها فوق الأرض وهو الحرير . وأبهج الحلى من حيوان بحري لاحق بالصخور في البحر وهو الدرّ . عسل وحرير ودرّ . قلّ وجودها وغلائمها وعسر تحصيلها وفرقت على عوالم الهواء والأرض والماء . ذلك درس جيل لهذا الانسان . أفلا ترى أن هذه مفاتيح العلوم الجويّة والأرضيّة والبحريّة وهل كرتنا الأرضيّة هي وما حولها غير ذلك . وقد قلت في كتابي ﴿ جوهره الشعر والتعريب ﴾ ما يأتي من الآيات

ومن خفمة سوداء جاؤا بجوهر * بهيج هو الألباس في صدر قنية

وخير لباس الناس من نسج دودة * وخير طعام الناس من فم نحلة

وأعجب آيات الجبال جواهر * من الصدف المخلوق في قاع لجة

فهذا على أرض وذلك في الهواء * وآخر في لج البحار العميقة

أكثر هذا الانسان يشبهون الحيوان يعيشون ويتمتعون ويقفون عند الحواس الخمس . ولكن هذا الانسان كاه خدم وحشم لأولى الأبواب الذين يتفكرون في هذه الدنيا ويعرفون أن هذه إنما هي مفاتيح للعلم ويقطنون لهذا الوجود . وما هذا كله إلا تفسير لقوله تعالى - ولدينا مزيد - . يقول العلماء إن أهل الجنة يتمتعون فيها ولكن أعلاهم الناظرون لوجه ربهم ولا ينال ذلك إلا أولو الأبواب الذين عشقوا العلوم في الدنيا . إذن الناس ﴿ قسمان ﴾ قسم اكتفى بالظواهر في هذه الأرض وهؤلاء اذا كانوا صالحين دخلوا الجنة الحسية واكتفوا بها . وقسم عرف الحقائق في الدنيا وأدهشه نظام هذا الوجود وكيف كان هذا الانسان قد قسمت عوالم الهواء والأرض والماء على حواسه فكان منها آلامه ومنها لذاته فهناك يبحث في البعث والتفكير وأمة هذا شأن عقلائها تنال الزيادة في سعادة الحياة والزيادة في الجنة وهي النظر لربها والأهم الإسلامية اذا عقلت أمثال هذا نال أحيائها العزّ في الحياة وأمواتها في الآخرة النظر لوجه الله ولا نظر لوجه الله إلا بمبادئ تكسب في هذه الحياة . تلك المبادئ هي معرفة العالم الذي نعيش فيه . ولولا ذلك لم يكن هناك داعية الى الاقلال من العسل والحرير والدرّ . وفي الامكان أن يكون الدرّ في كل مكان والعسل أنهارا والحرير كالقطن وفي ذكر أنهار السبل واللبن والحر في الجنة ما يشير الى هذا الامكان . انه لم يمنع ذلك إلا ارادة توجيه الأنظار للبحث فان ما غلا ثمنه وصعب الحصول عليه تتجه اليه الجهلاء لئلا يملكه والعلماء لتبعثه . هذا بعض السرّ في نظام هذا الوجود . فقال وهل اللغة العربية تساعد على ذلك . فقلت وهل اللغة العربية غير ذلك . فقال وكيف ذلك . فقلت أسألك عن معنى ما قالته الخنساء في أخيها صخر

طويل النجاد رفيع العما د كثير الرماد اذا ما شتا

ما معنى كثير الرماد . قال ان كثرة الرماد تستلزم كثرة احراق الحطب وكثرة احراق الحطب تستلزم كثرة

الطبخ وكثرة الطبخ تستلزم كثرة الآكلين وكثرة الآكلين تستلزم كثرة الأضياف وكثرة الأضياف تستلزم الكرم . فاذن كثرة الرماذ تستلزم الكرم بهذه الوسائط وهذا يسمى كناية فهى نلفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع بجواز ارادة المعنى الأصلى . فقلت إذن يكون أخوها صخر كان عنده رماذ كثير وعنده كرم وثانيهما لازم لأولهما . قال نعم وهذه هى الكناية المسماة رمزا والرمز إما أن يكون بكثرة الوسائط . وإما بخفاء القرينة مع قلة الوسائط . فقلت له هكذا هنا هى كناية فالمعنى المفهوم من اللفظ للعموم والسكناية المسماة رمزا للخصوص فالذين فهموا الرمز ودرسوا العاوم نفخوا أعمهم فى الدنيا ورأوا ربهم فى الآخرة والذين اكتفوا بظواهر الحرير والعسل واللؤلؤ من بعض علماء الدين والعامة والصلحاء فلاجنة لهم إلا ما فرحوا به كما تقدم فى كلام الامام الغزالى فى أول (سورة البقرة) . فقال وما القرينة هنا . قلت القرينة هنا قوله تعالى فى آية أخرى - فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وقوله ﷻ ﴿ فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴾ ولا جرم أن الحرير والعسل واللؤلؤ رأيتهم العيون وسمعتها الأذان وخطرت على القلوب فقال ولم خصّ لون الخصرة . قلت هذا مفتاح رابع للعلوم فالخصرة نعم النبات وهو منتظم موزون جميل وهذا التفسير مملوء به . فقال إن هذا البيان عجيب . فقلت الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . فقال هنا سؤال آخر وكيف تكون هذه رياضة . فقال هذه رياضة تكون مصاحبة للرياضة الجسمية . فقلت ماهو السؤال . فقال يقول الله تعالى - كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريقى - وقال هنا - وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل - وإنما قلت هذا لأن الشئ يخطر بالبال عند ذكر ضده . فقلت له ان القول السابق يفسر اللاحق . فقال وكيف ذلك . فقلت أهل جهنم كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وكما استغيثوا أغاثوا بماء كالمهل كما هى الحال الآن تماما . إن أهل الأرض الذين لا يعرفون إلا الخواص الخمس كالبهايم إذا اقتصروا على تمتع الخواص من المال والولد والصيت واقبال الناس عليهم فإن كل لذة يحدث بعدها رد فعل فيحتاجون للذة أعلى وهكذا فكما خرجوا من غم عادوا فيه وكما طلبوا مالا أوجها ازدادوا لوعة وحسرة ولننظر فى أنفسنا . أليست هذه الحال عامة فى أهل الأرض وأقرب مثل لذلك من يدمنون الخمر فكما أراد أحدهم التوبة عاود الكرة فسكر فاذا محاندم وأراد الخروج من الغم فيعاد فيه فأمر الخمر فى هذه الحياة جعله الله مثلا للناس ليعلموا أن هذه حال الحياة الدنيا وكل ذلك للوقوف على المحسوسات والاكتفاء بظواهر الحياة فى الأعمال وظواهر الألفاظ فى الكتب السماوية - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا - . فلما سمع ذلك صاحى قال قد فهمت وشفيت صدرى والحمد لله رب العالمين . انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى - واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين - الخ وفى قوله - واضرب لهم مثلا الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء - الخ وقوله - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - الخ مع قوله فى أول السورة - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم - الخ ﴾ يجب القارئ لهذه السورة فانه يجد أنه فى أولها ذكر أن ماعلى الأرض زينة لها وأن هذه الزينة تذهب فلاوجود لها ثم يجد هنا ضرب مثل الرجلين إذ اغترأ أحدهما بزينة الدنيا فهلك ثمرة وضرب مثل الحياة الدنيا كلها فيجدها كالزراع يصير هشيا فتزروه الرياح . إذن هذان المثالان وما قبلهما وما بعدهما كله ايضاح لما ذكر من الزينة الفانية فى أولها . لهذا ابتدأ السورة بالحمد على انزال الكتاب لأنه هو الذى أبان هذه الحقائق . ولما كتبت هذا حضر صديق العالم واطلع عليه فقال . لقد جعلت فى هذه السورة صورة جميلة تمثل الزينة فى هذه الأرض من حشرات طاووسية الى حير مزوقة حبشية الى عيون ماء حارة بيضاء هبية الى أنوار مبهجة فى الأقطار الشمالية من قباب نورية باورية وأشعة عمودية عليها ابرية وما يمثل الحيات الساعية

الموسوية من الأنوار القطبية ، إن هذا جمال وأي جمال ثم يتبع هذا احتقار الحياة ونبت هذه الزينة والتبري منها . إن هذا يحير العقول . فبينما نرى جمالا على جمال إذا هذا كله في وبال وذهاب وتباب فكيف نجتمع في عقولنا بين الوجود والعدم والحياة والموت والجمال والوبال وكيف يجتمع الفرح والحزن . هذا هو الذي يحير الألباب . فقلت لقد أشرت لهذا فيما تقدم في هذه السورة وغيرها ولكن الآن أقول . ان الله لما أنزل هذا الدين ساقه لقوم عقاوه بلغتهم ففهموا غير ما نفهم نحن الآن وعقاوه بلا فلسفة ولا تعليم ولا مدارس ولا دروس ولا أريدك على ما جاء في التاريخ من فتح المسلمين البلاد المصرية فهذا الذي أذكره يتضح هذا المقام . ذلك أن المسلمين فتحوا بلاد العرب والعراق وفارس والشام وفلسطين وغيرها في مدة لا تتجاوز (١٨) سنة هناك دهش (هرقل) الروماني ملك القسطنطينية من هذا السيل الجارف وأوجس خيفة على مصر فأقام معاهدة بينه وبين عمر رضي الله عنه أن يدفع الرومان جزية سنوية للمسلمين في مقابلة تركهم لفتوح مصر ولكن هذه الجزية ما كان الروم يدفعوها في حينها بل كانوا ينقصونها عما اتفقوا عليه وكان إذا ذلك عمرو ابن العاص لا يفتأ يذكر الخليفة بفتح مصر وكان يقول انها أكثر الأرض أموالا وأعجز عن القتال والحرب ولكن عمرو بن الخطاب لم يقدم على ما قاله عمرو بن العاص إلا بعد أن نقضت المعاهدة بين الطرفين وتوجه عمرو بن العاص الى مصر بأربعة آلاف

(١) فأولا دخل (رفع) وهي الآن قرية تسمى (رفع) تبعد عشر ساعات عن العريش

(٢) ثم العريش

(٣) ثم توغل في مصر وانضم اليهم قوم من البسوف في طريقهم

(٤) فقاتلوا في (الفرما) عسكر الروم نحو شهر ففتحوها

(٥) ثم قاتلوا في بليس نحو شهر ففتحوها

(٦) ثم ساروا الى (حصن بابليون) ويسمى عند قدمائنا مؤرخي العرب (باب اليون)

ويقولون انه حصن بناه الفرس لما ملكوا مصر وسموه باسم عاصمة بابل لأنها كانت في ملكهم إذ ذاك ومكانه الآن مكان (قصر الشمع) وهو يبعد عن ضفة النيل الآن لأن النيل قد تغير مجراه بعد ذلك وهذا الحصن كان عظيما على ضفة النيل الشرقية مقابل الاهرام وفي شرقيه جبل المقطم وهناك أرض فضاء فيها بعض الكنائس وأمام الحصن النيل وفي وسط النيل جزيرة الروضة والماء يحيط بها طول السنة وكانت تسمى بجزيرة مصر وكان الممر من هذا الحصن الى الجزيرة جسر من خشب وهكذا من هذه الجزيرة الى الجزيرة في البر الغربي للنيل فنصبوا الخيام فيما بين الحصن وجبل المقطم وقد شحح هذا الحصن بالمقاتلة والجيوش المصرية وكان في الحصن المقوقس مع هؤلاء الجيوش وهو حاكم البلاد من قبل (هرقل) والمقوقس كان رجلا يونانيا ولكنه أصبح وطنيا مصرياً فخار بهم عمر مدة وأمه الخليفة بأربعة آلاف أيضا فشدوا في الحصار ولكن المقوقس ومن معه عبروا الجسر الى الجزيرة ومنها توجهوا الى (منقب) وهي العاصمة في جهات الجزيرة

وأما عمرو ومن دعه فقد دخلوا الحصن وتوجهوا الى الجزيرة وهناك دارت مكاتبات بينهم وبين المقوقس فأرسل المقوقس لهم خطابا يطلب فيه أن يرسلوا رجالا من العرب ليكون الاتفاق على يديهم فأرسل عمرو خطابا مع عشرة نفر رئيسهم عبادة بن الصامت وكان هائل المنظر أسود اللون طوله عشرة أشبار وهو المستكلم عنهم فركبوا السفن حتى أتوا المقوقس فتقدم عبادة في صدر أصحابه فهابه المقوقس لسواده وعظم جشته وقال نحو عني هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني فأجابوا أن هذا الاسود أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخبرنا وانما نرجع جميعنا الى قوله ورأيه وقد أمرنا الأمير أن لا نخالف له أمرا . فقال المقوقس وكيف رضيتم أن يكون هذا الاسود مقبلا عليكم وهو أسود وانما ينبغي أن يكون دونكم . فقالوا . كلا . وإن كان أسود فهو أفضلنا . فقال

المقوقس لعبادة بن الصامت تقدم يا أسود وكلني برفق فاني أهاب سوادك فتقدم عبادة اليه وقال قد سمعت مقاتلك
وان فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سوادا مني وأقطع منظرا وجميعهم أشد هيبة مني وأنا
قد وليت وأدبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل وذلك انما لرغبنا وهمتنا في الجهاد في الله
واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا ولا طلب الاستكثار منها إلا أن الله عز وجل
قد أحل لنا ذلك وجعل ماغنمنا منه حلالا ومايبالي أحدنا ان كان له قطار ذهب أو كان لايمالك إلا درهما
لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعه ليلته ونهاره وشمله يلتحفها فان كان أحدنا لايمالك
إلا ذلك كفاه وان كان له قطار من ذهب أنفق في سبيل الله واقتصر على هذا الذي في يده ويبلغه ما كان
في الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس نعيما ورضاها ليس رضا انما النعيم والرضا في الآخرة وبذلك أمرنا الله وأمرنا
به نبينا وعهد الينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا مايمسك به جوعه ويسترعورته وتكون همة وشغله
في رضوانه وجهاد عدوه . فلما سمع المقوقس منه هذا الكلام قال لمن حوله بلغتهم هل سمعتم مثل كلام
هذا الرجل قط . لقد هبت منظره وان قوله لأهيب . إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لحراب الأرض . ماأظن
ملكهم إلا سيغلب من على الأرض كلها ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ﴿ أيها الرجل الصالح
قد سمعت مقاتلك وماذكرت عنك وعن أصحابك . ولعمري مابلغتم مابلغتم إلا بما ذكرت وماظهرتم على من
ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون
بالنجدة والشدّة مايبالي أحدكم بمن لقي ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لن تقدرؤا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم
وقلتكم وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا وأنتم في ضيق وشدّة من معاشكم وحالكم ونحن نرقّ عليكم لضعفكم
وقلة ما بين أيديكم ونحن تطيب أنفسنا أن نصلحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولا ميركم
مائة دينار وخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا أقول لكم به ﴾
فقال عبادة ﴿ يا هذا لا تعرف نفسك ولا أصحابك أما ماتخوّفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانا
لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا الذي تخوّفنا به بالنبي يكسرنا عما نحن به وان كان ماقلتم حقا فذلك والله
أرغب ما يكون في قتالهم وأشدّ لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا
كان ذلك أمكن لنا في رضوانه وجنته وماشيئ أقرّ لأعيننا ولا أحبّ لنا من ذلك واننا منكم حينئذ لعلى احدى
الحسنين إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا وانما أحبّ لخصليتين
اليها بعد الاجتهاد منا وأن الله عز وجل قال لنا في كتابه - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين - وما منا رجل إلا ويدعور به صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده الى بلده ولا الى أرضه
ولا الى أهله وولده وليس لأحد منا همّ فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وانما همنا ماأماننا .
وأما قولك اننا في ضيق وشدّة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها
لأنفسنا أكثر مما نحن عليه فانظر الذي تريده فينبه فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها إلا
خصلة من ﴿ ثلاث خصال ﴾ فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير
المؤمنين وهو عهد رسول الله من قبل اليها . أما ان أجبت الى الاسلام الذي هو الدين القيم الذي لا يقبل الله
غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته . أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان
فعلنا كان له مالنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله فان قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا
والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل إذاكم ولا التعرّض لكم وان أيتم إلا الجزية فأدّوا اليها الجزية
وأنت نعاملكم على شئ نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدا ما بقينا وبقيتم وأن نقاتل عنكم من نأواكم
وعرض لكم في شئ من أرضكم ومائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم ان كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد

علينا وان أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكاة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما تريد منكم . هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لأنفسكم ﴿

فقال المقوقس . هذا مالا يكون أبدا . ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا . فقال عبادة هوذاك فاختر لنفسك ما شئت . فقال المقوقس فلا تجيبونا إلى غير هذه الثلاث خصال فرفع عبادة يديه إلى السماء فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء مالكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم فالتفت المقوقس إذ ذاك إلى أصحابه فقال قد فرغ القوم فما تريدون فقالوا أيرضى أحد بهذا الذل أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا لا يكون أبدا أن نترك دين المسيح ابن مريم وندخل في دين غيره لانعرفه وأما ما أرادوا أن يسبوننا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك فلا رضوا أن نضاعف لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا . فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع أصحابك على أن نعطيكم في مرتاكم هذه ما نغتنم وتنصرفون . فقال عبادة وأصحابه لا . فقال المقوقس عند ذلك لأصحابه أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث فوالله مالكم بهم طاقة وأئن لم نجيبهم إليها طائعين لنجيبهم إلى ما هو أعظم كارهين . فقالوا وأي خصلة نجيبهم إليها . قال أما دخولكم في غير دينكم فلا يسلم أحدكم به وأما قتالهم فأنا أعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة قالوا فنكون لهم عبيدا أبدا . قال نعم تكونون عبيدا مسيطرين في بلادكم آمنين على أنفسكم وأحوالكم وذرائعكم فأطيعوني من قبل أن تندموا فأذعن القوم للجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه . فقال المقوقس لعبادة . أعلم أميرك اني لا أزال حريصا على اجابتكم إلى خصلة من تلك الخصال التي أرسلت إلى بها فاعطني أن أجتمع به أنا في نفر من أصحابي وهو في نفر من أصحابه فان استقام الأمر بيننا تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا إلى ما كنا عليه فاجتمع عمرو بن العاص بالمقوقس وكتبوا شروط الصلح بأن يعطوا الأمان للصريين وهم يدفعون الجزية . انتهى

فهذه المحاورات التي دارت بين عبادة بن الصامت والمقوقس تبين لنا ما كان يفهمه آبؤنا حين نزل القرآن في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - وقوله - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا - وقوله - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - . ألا ترى إلى قوله ﴿ وما يبالي أحدنا ان كان له قنطار ذهب أو كان لايك إلا درهما ﴾ وقوله ﴿ ان كان له قنطار من الذهب أنفق في سبيل الله الخ ﴾ وقوله ﴿ إن نعيم الدنيا ليس نعيما ورضاها ليس رضا ﴾ وهكذا قوله ﴿ وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ﴾ فهذا القول وأمثاله هو مقصود القرآن والذي فهمه هم الذين نزل بلسانهم وإنما فتحوا مصر وغير مصر لأنهم كانوا يريدون الله والدار الآخرة - تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات - فضاعت هيبتهم وصار فتوح البلدان مقصودا به الدنيا فظهر مصداق قوله ﷺ ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا وزخرفها الخ ﴾ فبعد أن كان فتوح البلدان قرينة من القربات صار مخوفا وفتنة يفتن بها المسلمون . هذا هو التطبيق من التاريخ على هذه الآيات فهذه زينة الحياة الدنيا وهذا ضرب مثلها وهذا نتيجة العمل بها والمخافة لها . فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد اتضح هذا المقام وانشرح صدرى لهذا البيان ولكن ماذا تقول في المسلمين اليوم . هاهم أولاء أبناء العرب وغير أبناء العرب من المسلمين . هل ترى لهم قوة على فتح البلدان كالسابقين فقلت أذكرك بأني قلت فيما مضى في هذا التفسير ما ملخصه

﴿ إن آخر سورة الفتح فيه (تشبيهان) يمثلان الأمة الإسلامية فهم في التوراة - أشقاء على الكفار رجاء بينهم - وهم في الانجيل - كزرع أخرج شطأه - الخ ﴾

فمثل التوراة هو الذي ظهر أولا من فتح البلدان ولذلك ترى الاسلام الآن في الصين واليابان وأمريكا والهند وفي انكلترا وفرنسا وألمانيا وبلادروسيا وبولونيا وبلاد أخرى . إذن نحن جئنا في زمان فيه وجدنا الاسلام

منتشرا في العالم بجهادنا الآن يختلف عن جهاد آبائنا . هم فتحوا البلدان . فهانحن أولاء نفتح العقول
الاسلامية وذلك بالتشويق للعلم . فاذا رأينا عبادة بن الصامت يقف أمام المقوقس ويقول له نحن اذا ملكنا
أنفقنا في سبيل الله واذا لم نملك لم نرد شيئا من الدنيا ولم نبال بها . فهكذا هنا فلنقل لنقرأ العلوم حبا لها
وغراما بها . وشوقا الى ربها . وفرحا ببقائه أقبلت الدنيا أم أدبرت وبهذا نرضى ربنا وهذا الفتح العلمي هو
الذي يعطى الأمم الاسلامية اليوم قوة المال والجاه والثروة ويحفظهم في أى مكان كانوا على شرط أن يكون
طلب العلم لذات العلم ولوجه الله تعالى ولحبه فاذا انتشرت هذه الفكرة فبشر المسلمين بالعز فليس الجهاد قاصرا
على ضرب الأعداء فالجهاد يرجع الى كل عمل شريف فاضل في كل ضرب من ضروب الحياة وأفضله كله العلم
فالعلم أس العمل . وأنا أرجو أن يكون هذا التفسير حاملا لواء الرقي الاسلامي والفتح العلمي ونبوغ طوائف
من أمم الاسلام فيرجعون مجدهم ويسبقون غيرهم ويكونون نورا للعالمين وهذا هو المثل الثاني وهو مثلهم في
الانجيل وانهم - كزرع أخرج شطاء فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع - فهذا الزمان هو
الذي يوافق مثل المسلمين في الانجيل لأن الانجيل يرجع الى الرقي الأخلاقي والاخلاص والحكمة وبالعلم
يقنعون الأمم في دخول دين الاسلام فهناك لم يكن للعلم سلطان . أما الآن فالعلم هو الذى به تفتح العقول ودين
الاسلام الآن ينشر بالتعقل والفهم . واذا كان الذين يحماون الاسلام جهلاء فقولهم غير مسموع . أما اذا
اتصفوا بالعلم فان الناس لقولهم يسمعون ولدينهم يتبعون . ولقد قال عالم من علماء الألمان نحن عرفنا
دين الاسلام ولكن أين المسلمون الذين تقتدى بهم ؟ فليكن هذا زمان الرقي العلمي والحمد لله رب العالمين
﴿ الجوهره الثالثة في قوله تعالى - واذا قلنا للانس اسجدوا لآدم - الى قوله

- وما كنت متخذ المضلين عضدا - ﴾

ان هذه القصة ذكرت في مواضع في القرآن في البقرة وفي الأعراف وفي الحجر فانظر ما كتب عليها هناك
تجد انها فتحت بابا للعلوم المهجورة في بلاد الاسلام لاسيما اذا قرأت ما كتبناه عليها في سورة الحجر وأن
عصيان آدم وحواء بالأكل من الشجرة تفرع عليه نقائص المدنية الحاضرة في طعامنا وشرابنا ونجم من تلك
النقائص أمراض وتدهور في الأخلاق وذكرت في غيرها على هذه القصة أن الطمع والجشع قد نجما من
الشهوة البهيمية في الانسان المعبر عنها بالأكل من الشجرة وأن العداوات والحروب والحقد والغيب والحسد
وأشائها ترتبت على القوة الغضبية فيه التي يشير اليها كبرياء ابليس وقوله - خلقتني من نار وخلقته من طين -
فهذه الكبرياء فتحت أبواب الشرور والعداوات على مصراعيها فاحتدم وطيس الحروب والعداوات بين الناس
أعما وأفرادا . ثم ان الوسواس الشيطانية أكتثرت من الخرافات في الأرض فضلت الأمم فعبدوا الأصنام اتباعا
للهموى . فانظر عبادة الأصنام في أول سورة البقرة عند قوله تعالى - فلا تجعلوا لله أندادا - وفي سورة ابراهيم
عند قوله تعالى - واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام - وما جاء تحت عنوان ﴿ جوهره في أديان القدماء ﴾
من الكلام على ديانة البراهمة والتثليث عندهم وأن برهم جوهر نقي وله ﴿ ثلاث صفات ﴾ وهي واحدة فهي
ثلاثة من وجه واحدة من وجه وهكذا نظام هذه الدنيا مثل وموحد وكذا نظام هذا الانسان مثل وموحد
وهكذا أخذوا يعبدون الأصنام بعد التثليث ثم اخترعوا أقاصيص وأساطير الخ ما هناك فراجع

ولقد تقدم في سورة الاسراء عند مسألة الروح مانصه

وهنا سألتى بعض الأصدقاء هذا السؤال قائلا . أيها الحبيب أريد أن تذكر شيئا مما دخل من البدع
في الأمم الاسلامية حتى نتنور ونميز الغث من السمين فقلت أنا الآن ليس أمامي كتب مهمة في هذا الموضوع
ولكن سأذكر لك ﴿ ثلاث مسائل ﴾ من أفعال المضلين ﴿ المسألة الأولى ﴾ مذهب الباطنية الذي تغلغل
في بلاد الاسلام واتصل من العصور الأولى الى الآن ﴿ المسألة الثانية ﴾ الكلام على نظام الملك الوزير وعمر

الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطني توضيحا للمسألة الأولى ﴿ المسألة الثالثة ﴾ زهد أكثر الأمم الإسلامية اليوم في فهم القرآن والاهتداء به مكتفين بشيوخهم وأن هذا مسبب عن المسألتين السابقتين ﴿ المسألة الأولى من هم الباطنية ﴾

اعلم أن دولة الفرس ودولة الروم هما اللتان كانتا سائدتين قبل ظهور الإسلام وكان لكل منهما الغلبة على العرب فيما يليها كما هو واضح في سورة التوبة فاقرأه هناك منقولاً من كلام العلامة (سدي) الفرنسي فلما ظهر الإسلام أنزع الملك من الفرس ودخلوا في دين الإسلام . هناك غلت مراحل الحقد في قلوب بعض الأمة الفارسية فأخذوا يكيسون للإسلام كيدها ليكسروا شوكة العرب فأخذوا يجتمعون سرا ويطنون غير ما يظهرون وكان ما كان من مسألة أبي مسلم الخراساني الذي حارب تحت إمرة بني العباس وأنزع الملك من بني أمية . ولما استقر القرار لبني العباس أراد أبو مسلم أن يقلب لهم ظهر المجن ويتخذ الرئاسة لنفسه ففطن أبو جعفر المنصور وقتله غيلة وهكذا هارون الرشيد حفيده ذلك الذي علم ما نطوت عليه أفئدة الفرس والبرامكة يشدون أزرهم لأن يحيى وجعفر ابنه كانا من نسل سدة معبد النار بفارس فكان هؤلاء يجتدون سرا في نزع الملك من بني العباس وجعله في بني علي كرم الله وجهه ليكون الأمر لهم ويدبرونه كما يشاؤون ففتك الرشيد بجعفر والبرامكة في ليلة واحدة فلما رأوا أن لا فائدة من ذلك عمدوا إلى الخديعة والكتمان وأسسوا جمعية سرية سموها ﴿ الباطنية ﴾ . قال في شرح المواقف . ان (الغبارية) وهم طائفة من المجوس راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود على قواعد أسلافهم وذلك انهم اجتمعوا وتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك وقالوا لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغبتهم واستيلائهم على الممالك لكننا نحتمل تأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلماتهم ورئيسهم في ذلك (جدان قرمط) وقيل (عبد الله بن ميمون الفتاح) أولهم في الدعوة . ثم ذكر أن استدراج الطغام ﴿ سبع مراتب ﴾

(١) (الرزق) تفرس حال المدعو هل هو قابل للدعوة ويقولون بمنع لقاء البذر في السبغة أي دعوة من ليس قابلاً

(٢) (التأنيس) وهي أن يستميلوا كل واحد إلى ما يهواه فالفاسق بالخلاعة والعفيف بتحسين الصلاح والعفة (٣) (التشكيك) في أركان الشريعة كأن يقال (أ) مامعنى الحروف في أوائل السور (ب) ولم تقضى الخائض إذا أفطرت أيام رمضان دون صلاتها (ج) ولم يكون الغسل من المني دون البول (د) ولم كان عدد الركعات أربعاً أو اثنين وهكذا ولا يجيبونهم على ذلك ليربطوا قلوبهم

(٤) (الربط) وهو ﴿ أمران * الأول ﴾ أخذ الميثاق منه أن لا يفشى سرهم ﴿ الثاني ﴾ أن يحيله على الامام في حل ما أشكل عليه لأنه هو العليم به وحده

(٥) (التدليس والتأيسيس) والأول دعوى موافقة أكبر الدين والدنيا لهم حتى يزيد ميله إلى ما دعاهم إليه . والثاني تمهيد مقدمات قبلها ويسلمها المدعو تدعوه إلى ما سيسمعه من الباطل

(٦) (الخلع) وهو الطمأنينة إلى اسقاط الأعمال البدنية (٧) (السلخ) وهو أن يسلخه من الاعتقادات الدينية وحينئذ يأخذون في الاباحة واستهجال اللذات

وتأويل الشرائع (أ) كأن يقال الوضوء معناه موالاة الامام (ب) والتجم الأخذ من المأذون عند غيبة الامام (ج) الصلاة عبارة عن الناطق وهو الرسول (د) والاحتلام هو افشاء سر من أسرارهم إلى من ليس هو بأهل بلا قصد منه (هـ) الغسل تجديد العهد (و) الزكاة تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين (ز) الكعبة النبي والباب على الخ

بهذا تفهم أيها الذكي ما تقدم في سورة ابراهيم من تلك الشكوى المرة التي شكها أنباع (أغاثون) وقولهم انه يقول انه مسلم ولكن يقول القرآن ليس منزلا لكم وهذا المقام واضح هناك ولكن سره ظاهر هنا فهو مسلم ولكن الشريعة كلها حوّلت الى عبادة الامام والاخلاص له . وبهذا تفهم قولهم له ماذا فعلت للاسلام ونشره وأنت مسلم وتسكر اتباعنا للقرآن . فافهم ذلك وافرح بنعمة العلم والعرفان

وهذه الطائفة تسمى بأسماء مختلفة (١) الاسماعيلية لاثباتهم الامامة لاسماعيل بن جعفر الصادق وهو أكبر أبنائه (٢) الباطنية لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره والمتمسك بظاهره معذب بالتكاليف والمتمسك بباطنه تارك للعمل بالظاهر سعيد (٣) القرامطة لأن أولهم الذي دعا الى مذهبهم هو رجل يقال له (حندان قرمط) وهي احدى قرى واسط . ومن هؤلاء القرامطة طائفة هجمت على مصر أيام المعز لدين الله الفاطمي فاسدى وزيره العطايا الى عرب مصر الذين اتحدوا مع القرامطة بأن أعطاهم دنانير في أكياس وكان ظاهرها ذهباً خالصاً والباقي تحتها ذهب مزيف فلما التقى الجمعان تفهقرت العرب المصريون ففئدت القرامطة إلا قليلاً ثم ان الانجليز لما دخلوا مصر في أيامنا هذه منذ (٤٥) سنة فعلوا مع عرب مصر بجهة (رأس الوادي) وهم زاحفون على مصر نحارة عرابي باشا وجيش المصريين ما فعله وزير المعز لدين الله سواء بسواء فأعطوا هؤلاء العرب ذهباً في أكياس ظاهرها ذهب خالص وباطنها مزيف مما دلّ على أن أوروبا متيقظة تمام التيقظ للتاريخ تنتفع به كما انتفعوا بمسألة جلد الثور في قصة حسن بن الصباح الآتي بيانها (٤) الحرمة لقولهم بأباحة الحرمات والمحارم (٥) والسبعية لأنهم يقولون إن النطقاء سبعة سيأتي ذكرهم (٦) وبالحمرة للبسمهم الحرة وغلب عليهم اسم (القرامطة) و (الباطنية) و (المردكية) بالعراق و (التعليمية) و (الملحدة) بخراسان في أيام (بابك) أولتسميتهم المخالفين لهم من المسلمين جيرا . أما النطقاء السبع المتقدم ذكرهم فهم

(١) إمام يؤدى عن الله

(٢) حجة تؤدى عن الامام

(٣) وذومصة يمس العلم من الحجة

(٤) أكبر أى داع أكبر

(٥) داع مأذون يأخذ العهود على الطالبين من أهل الظاهر فيدخلهم في ذمة الامام

(٦) وكلب رفيع الدرجات في الدين لم يؤذن له في الدعوة بل في الاحتجاج على الناس فهو ككلب الصائد فهذا يكسر مذهب أهل الظاهر ومتى شك سامعه أذاه الكلب الى الداعي ليفهمه المعاني التي جهلها ويأخذ عليه العهود

(٧) ومؤمن يتبع الداعي وهو الذى أخذ عليه العهود وآمن وأيقن بالعهود ودخل في ذمة الامام وخر به ومنهم جماعة يلقبون (بالبابكية) إذ اتبع طائفة منهم (بابك الخزيمى) في الخروج بأذر بيجان

﴿ غرام الاسماعيلية بالأعداد ﴾

لعلك أيها الذكي آنت في هذا المقام التسبيع في ألقابهم وفي أسماء دعائهم الناطقين بمذهبهم ذلك انهم يقولون ان ذلك مطابق للسماوات السبع والأرضين السبع والبحار السبع وأيام الاسبوع السبع والكواكب السيارة السبعة وهي - المذبرات أمرا - وقد برعوا في هذه المسائل العددية التي يمكن أن تقابل بمثلها ودخلوا في آيات القرآن وعددها بالجل وهكذا الأسماء وذلك مسطور في كتب مطولة كشمس المعارف الكبرى وغيره ولقد صرف الناس عن القرآن العلم بهذه الامور فتقهقرت الأمم الاسلامية بشيوع أمثال هذه الآراء لاسيما أن حسن بن الصباح لما ظهر جدد الدعوة على أنه الحجة الذي يؤدى عن الامام الذي لا يجوز خاوا الزمان عنه والناس جميعا محتاجون الى المعلم ومنع العوام عن الخوض في العاوم والخواص من النظر في الكتب المتقدمة

لئلا يطلعوا على فضائعهم كما اطلع أتباع (أغا مئون) في زماننا ووجهوا شكواهم للعالم في الجرائد كما تقدم في سورة ابراهيم عليه السلام

وما يزيدني ويزيدك أيها الذكي مسرة ما منحنا الله من العلم وحبانا من الفضل . ذلك انني أنا وأنت قد عرفنا سر ما صنعه أوروبا في بلاد الشرق . ذلك انهم أجعوا أن يحصروا الأفكار ويمنعوا حقائق العلم ليقب الناس تحت أمرهم . يفعل ذلك الانجليز والفرنسيون والأمة الهولندية والبلجيكية وغيرهم . أليس هذا بعينه هو ما فعله حسن بن الصباح ومشائخ الصوفية أي أكثرهم فانهم موقنون أنهم لا يتبعهم إلا الجهلاء . اللهم إني أنت الرب والشهيد على هذا الانسان خصوصا الأمم الاسلامية . ترعرع الدين وازدهى في القرون الأولى فقامت فرق الباطنية فخرمت العلم وقفي على آثارهم أكثر شيوخ الصوفية وافترق أهل الجزائر وتونس ومراكش ومصر والعراق وغيرهم . افترقوا لأنهم ورثوا التفريق عن آبائهم وشيوخهم . أولئك الشيوخ الذين منعوا العلم . ولما أخذت أوروبا العلوم عن آبائنا أخذت تقلد الباطنية كحسن بن الصباح وشيوخ الصوفية وتعاونت معهم على اخفاء أنفاس المسلمين . فهنا مصيبتان حلتا بالمسلمين . مصيبة قديمة وأخرى حديثة فالقديمة هم بعض شيوخ الصوفية الذين بحرمتون العلوم إلا ما نطقوا به والحديثة هي الأمم الأوروبية الذين اتخذوا أولئك الشيوخ أدوات فعالة لاختضاع أهل الشرق فالشرق هو الذي علم أوروبا كيف تعمم الجهل وهو الذي أنبت الباطنية كحسن بن الصباح الذين منعوا العلم . فهنا اجتمع الأمران في أبناء العرب والفرس والترك وغيرهم ومتى اشتد الكرب هان وبعد هذا التفسير ان شاء الله وأمثاله سيخرج المسلمون من هذين الحبسين ويم التعليم وتزول سلطة أولئك الشيوخ المضلين ويصبح الاسلام صافيا نقيا كما بدأ ويتخرج فيه رجال لاسلطة لأوروبا وللاشيوخ الباطنية أو الصوفية عليهم وهم كاملون

﴿ المسألة الثانية في الكلام على نظام الملك الوزير وعمر الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطني ﴾
اعلم أن هؤلاء الثلاثة كانوا يحضرون دروس امام الحرمين في القرن الخامس الهجري . وقد قالوا وهم تلامذته إن أستاذنا ذو فضل عظيم وما تلقى عنه أحد إلا ارتقى ذروة المجد فهاموا تتعاهد أن يكون الفائز بالعرز والسلطان والدولة آخذاً بيد أخويه في المستقبل فكان أول من نال العز والقدرة نظام السولة إذ صار وزير الدولة فقدم اليه عمر الخيام وحسن بن الصباح وذكراه بالعهد فقال لهما اطلبا ما تريدان فطلب عمر الخيام أن يتوفر على الفلسفة وزهد في الوظائف فأجرى عليه رزقا معاوما كل شهر ففضى حياته في حوز الحكمة وله نظام رائق باللغة الفارسية يسمى ﴿ رباعيات الخيام ﴾ ظهر منذ نحو (٨٠) سنة في بلاد الانجليز وترجم الى اللغة الانجليزية ومنها الى العربية وعندى نسخة منه وقد اطلعت على الانجليزية وفيها تاريخ حياته وهذه الرباعيات ترجمها الى العربية وديع أفندي البستاني وهي في وصف أحوال هذا الوجود واحتقار الدنيا مع الوصف العجيب فهي أشبه بما في شعر أبي العلاء المعري وبما ذكره سيدنا سليمان عليه السلام في التوراة إذ يذم الحياة الدنيا ويقول كل ذلك باطل وقبض الريح . ورباعيات الخيام قد اشتهرت في أمريكا في هذا العصر ولها هناك مسارح للتمثيل عدها (١٢) . هذا هو الخيام

أما حسن بن الصباح فانه اختار أن يكون صاحب عمل في الحكومة فجعله في الديوان ولكنه لم يحفظ الجليل فأراد العلو على من أحسن اليه . وذلك انه قال للملك نريد أن نجعل للبلاد ميزانية تسير عليها الحكومة فطلب الملك من نظام الملك ذلك فقال لاسبيل الى ذلك فهمد بذلك الى حسن بن الصباح فشرط أن يجعل الديوان تحت امرته أربعين يوما وفي أثناء ذلك احتال كاتب نظام الملك فتقرب الى كاتب السر لابن الصباح وغمره بالهدايا والعطف والمودة حتى اذا كان يوم تسليم أوراق الميزانية قابله قبل الوقت المعين بزمن وجيز فقال له أرني هذا الورق فأخذ ينظر اليه وتعهد وقوعه على الأرض فاختل نظام وضع الصحائف فقد جعل ابن الصباح

لكل مدينة صحيفة مخصوصة بكرة خاصة فلما أن اختلف الوضع عند جمع الصحائف الواقعة حضر ابن الصباح وتسلمه من كاتب سرته ودخل فرأى الملك والوزير معا فطلب منه الملك ميزانية احدى البلاد فلم يجدها في محلها فأخذ يبحث عنها فقال نظام الملك أين هي وكيف تدعى أنك تعرف ذلك وأين دعواك (منتهزا الفرصة قبل عثوره على تلك الصحيفة) فخرج مغضبا وتوجه الى مصر التي فيها الدولة الفاطمية . ولأذكر نبذة من ذلك التاريخ لا يصحح المقام فأقول إن الفاطميين بمصر قد كان أول عهدهم ببلاد المغرب لأن المهديوية لا تبت إلا في قوم غير متعلمين وكان ابتداء ذلك في نهاية القرن الثالث الهجري ولما انتهى الأمر الى المعز لدين الله الفاطمي في القرن الرابع دخل البلاد المصرية بعد ذهاب دولة الأخشيديين ومن قبلها دولة الطولونيين فدخلها بلا حرب وبنى القاهرة والجامع الأزهر في منتصف القرن الرابع الهجري بهمة وزيره جعفر بن فلاح والقاهرة تسمى (المعزية) نسبة للمعز لدين الله المذكور . وكان مقرهم المسمى (بالباطنية) الذي يسمى بهذا الاسم الآن جنوبي الجامع الأزهر وبقيت دولتهم الى أواخر القرن السادس الهجري ثم حصل بمصر مجاعة لقلة ماء النيل فأكل الناس القلط والكلاب والضيوف والأطباء وأكل الأيوون ابنيهما وهكذا حتى بغلة الملك أكلوها والملك نفسه لم يجد له كل يوم إلا رغيفا وطبقا مماؤا لبنا . وفي ذلك الزمن كان نور الدين الشهيد بالشام وله دولة وقد أرسل الى مصر (شريكوه) ومعه (صلاح الدين الأيوبي) وكان هذا الأخير ليست له شوكة فاستوزره الخليفة الفاطمي فضبط البلاد وحافظ عليها حتى مات الخليفة فأولا جعل الخطبة لنور الدين الشهيد بدل الخليفة الفاطمي ثم جعلها لنفسه ثم أفنى أسرة الخليفة بأن جعلهم جميعا في بيوت خاصة وجعل النساء لا يختلطن بالرجال حتى لا يتوالدوا وكان ما كان من الحروب الصليبية في الشام وانتصاره عليهم . وقد كان الملوك الفاطميون لهم مقابر في غرب المشهد الحسيني فيما بينه وبين بيت القاضي في موضع خان الخليلي فهدمت وبنى الناس عليها وحفظ المشهد الحسيني اعظاما له ولآل البيت الكرام وكانت له دعوة منتشرة في الأقطار . ولما زالت دولتهم من مصر انتقلت الى بلاد أخرى منها ما تقدمت في سورة ابراهيم من شكوى الاسماعيلية عن «أغا ممنون» الذي يدعى الالوية ويأخذ منهم أموالهم . فافرا ما هناك

إذا عرفت هذه المقدمة فانظر أمر حسن بن الصباح فانه لما غلب على أمره في جهات الفرس سار الى مصر وبقى فيها نحو (١٨) سنة على ما أذكر ثم رجع الى بلاد الفرس وقد كان من دعاة الفاطمية إذ تعلم أسرارهم وأتقنها . هنالك استظهر بالرجال والسلاح وتحصن بالقلاع وكان بدء صعوده على قلعة الموت في شهر شعبان سنة ٤٨٣ هـ وكانت لهم حيل منها شرب الخشيش الذي يجعل المرء أشبه بالثوم (بالفتح) الذي يفعل كل ما يلقي اليه ومنها انهم كانوا يختارون أقوى الرجال وأجهلهم ويختدرونهم بمواد ثم يضعونهم في بستان عظيم فيه الجوارى الحسنات الجميلات وهناك يوقظونهم فيدهش الرجل منهم إذ يراه في جنات الخلد ويرى هناك ما لا يحلم به ثم يختار ثانيا ويوضع في مكان الضيافة فيستيقظ ويوقن بأنه كان في جنات النعيم عيانا فيعتقد أن الامام هو صاحب التصريف فيصبح من (الفدائيين) اذا قال له اقتل نفسك يمثل حالا لأنه سيدخل الجنة والخور في انتظاره الآن . وقد كان استبلاؤه على قلعة الموت بحيلة وهي انه فعل ما اقتبس الانجليز بعد ذلك في الهند إذ اشترى من صاحب القلعة مقدار جلد الثور أو كان ذلك في مقابلة مداواته له من مرض لا أتذكر أيهما كان فلما أراد أن يستولى على ما اتفقا عليه جعل ابن الصباح جلد الثور سيورا متها فأخذت أرضا واسعة جدا فأبى صاحب القلعة الا محاربه فانتصر عليه . هنالك كانت تلاميذه الذين يعاهدهم سرا قد تدخلوا في بيت الملك والوزير فذبخوا الملك ونظام الملك في ليلة واحدة بدهائه ومكره الخفي وماهم إلا خدم من تلاميذه السريين وابن الأثير يقول ما أتى في زمانين متقاربين والله أعلم

فها أنت ذا أيها الذكي وقفت على خبر ابن الصباح الذي تقدم اسمه في سورة ابراهيم إذ يقول أتباع

(أغا ممنون) بالهندله انكم من فرقة حسن بن الصباح فهذا هو قد ذكرته لك هنا لتفرح بنعمة الله والعلم وينشرح صدرك وتنفع أُمم الاسلام بحكمتك فان هذا التفسير من النعم التي أنعم الله بها على المسلمين وسينطلقون سراحا الى الحكمة ويردون مواردنا ويصلون الى نهايات الحكمة والعلوم . انتهى الكلام على المسألة الثانية

﴿ المسألة الثالثة زهد أكثر الأُمم الاسلامية اليوم في فهم القرآن ﴾

اعلم أن هذه الأُمم الاسلامية بأمثال هذه الطوائف وبعض علماء الفقه وبالمالوك الظالمين قد تركوا العلوم بتاتا ونسوا مواهبهم التي خلقها الله لهم وأصبحنا نرى أبناء العرب وغير العرب في ذهول مستمر بسبب الجهالة الشائعة في بلاد الاسلام . وأذكر لك حادثة واحدة . ذلك أن السلطان عبد العزيز سلطان مراکش وهو من آل البيت لعبت به الأمة الفرنسية لعبا مهلكا فأزالوا ملك هذه الأسرة من تلك البلاد . وأبين السبب لك فأقول

اعلم أن أُم أوروبا قد استكملت عددها وقواتها والمسلمون نائمون وقد بلغني ممن أثق به أن السلطان عبد العزيز كان رجلا صالحا . ولكن ماذا حصل . كنت أنا في عنقوان شباني بمدرسة (دارالعلوم) وكنت أقرأ الجرائد السياسية وأنفج مسألة مراکش وهي بلاد اسلامية مستقلة وبلادنا كانت محتلة بالانجليز فرأيت الكلام كثر على بلاد مراکش ورأيت اقتراما في الجرائد هذا ملخصه

﴿ إن الأُمم الاسلامية يخضعون لشيوخهم والشيوخ على ﴾ (قسمين) شيوخ من آل البيت كالسلطان عبدالعزيز وشيوخ هم شيوخ الطرق مثل ماء العينين ومثل الكتاني ومثل التيجاني . وهؤلاء اذا غمروناهم بالعطايا وألنا لهم مراقدهم وأنعمنا عليهم وأسعدناهم فانهم لا يبالون بالشعب لأنهم يريدون المحافظة على مراكرهم وهم يعلمون حق العلم أن في الثورة ضياعا لمراكرهم . فعلى قادة الأمة الفرنسية أن يفعلوا ذلك ﴾

قضت بعد ذلك سنون فرأينا في الجرائد أنهم أخذوا نساء راقصات من مصر الى السلطان عبد العزيز فنفر الناس من ذلك وشاع الخبر في أقطار المعمورة . ثم خلعوا عبد العزيز . ثم تولى عبد الحفيظ . ثم خلعوه واستولوا على البلاد . وحقيقة الأمر أن المسلمين لما تركوا العلوم وجهلوا التاريخ وعلم السياسة ولم يجاروا الأُم لعبت بهم الدول فأخذوا يشيعون هذه الاشاعات في مصر وغيرها ويأخذون هؤلاء النساء بأجرة وهو لا علم له بها لأنه لا جرائد في بلاده ولا سفراء ذوي حزم يخبرونه بما يقال عنه بل هم ساهون لاهون يتوارثون هذا الجهل كابرا عن كابر . هذا ما كان من أمر مالوك آل البيت في مراکش . وأما الكتاني فقد بلغني أنه أودى كثيرا في أمر بلاده وابتلاه بنقص الأموال والأنفس والثمرات . ويقال ان ماء العينين قد أودى أيضا هذه أحوال أُم الاسلام اليوم . ويظهر أن المسلمين الآن أخذوا يقلعون عن هذه الجهالة العمياء واستيقظوا وترى من آثار الجهل طوائف من الصوفية يحرّمون على تلاميذهم قراءة العلوم ليبقى في قبضتهم وتحت اراذلتهم وحكمهم بأمرونه فيأتمر . كل ذلك من الضلال الفاشي والجهل الخيم في بلاد الاسلام والله يقول - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وهذا أوان زوال هذا الضلال من بلاد الاسلام . واعلم أن أكثر الصوفية الآن في بلاد الاسلام يدقون الطبول ويحملون البيارق ويأخذون العهود والمواثيق على تلاميذهم وهم لا يعلمون أن هذا الميراث الذي توارثوه انما هو غالبا لاحتراز الملك وقيام الدولة كما حصل أيام أبي مسلم الخراساني وقلب الدولة الأموية وكذلك الملك في الدولة الفاطمية والقرامطة . كل ذلك باليهود والبنود ولكن شيوخ الصوفية اليوم اكتفوا بانغماس تلاميذهم في الجهالة حتى لا يعرفوا سواهم وحقروا لهم علماء الدين وكل علم وحكمة إلا ما خرج من أفواههم حتى صار الأتباع يحقر بعضهم بعضا لأن كل شيخ أفهم تابعيه أنه وحده على الحق حتى ترى أبناء العرب متفرقة قلوبهم . فلا المراكشي يتعارف مع المصري ولا كلاهما مع العراقي وهؤلاء لا يتزاورون مع الحضرمي ولا البني لأنهم متقاطعون لجهالتهم بالتاريخ السياسي والعلمي والديني . كل ذلك سرّ قوله تعالى

- وما كنت متخذ المضلين عضدا - فاقرا دواء هذا الداء في سورة (آل عمران) عند قوله تعالى - ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب - الخ انتهى والحمد لله رب العالمين

(جوهرة في ايضاح الكلام على حسن بن الصباح واجمال تاريخ الامامية والزيدية والكيسانية)
اعلم أن الشيعة أتباع سيدنا على كرم الله وجهه وبنه رضى الله عنهم أجمعين ومذهبهم أن الامامة ليست من المصالح العامة بل هي تكون بالتعيين وهي من أركان الاسلام والامام المعين يكون معصوما من الكبائر والصفائر ومن هؤلاء امامية وزيدية . فالأولون يتبرؤن من الشيخين أبى بكر وعمر والآخرين يجيزون امامة الفضول مع وجود الفاضل فلا يتبرؤن منهما . فأما الامامية فانهم يقولون إن الامامة تنتقل في ولد فاطمة رضى الله تعالى عنها بالنص واحدا بعد واحد . وأما الزيدية فانهم يقولون يكون الامام في ولد فاطمة رضى الله عنها ولكن ذلك باختيار الشيوخ والانتخاب لا بالتعيين وصاحب المذهب زيد بن على بن الحسين رضى الله عنهم أجمعين . ولا بد من أن يخرج الامام فهذا شرط من شروط مذهبه . ولما ناظر الامامية زيدا ورأوه يقول بامامة الشيخين رفضوه فسموا (رافضة) ولم يجعلوه من الأئمة . وطائفة ساقوا الخلافة في محمد ابن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه . ومن هذه الاصول الثلاثة تفرعت فروع يطول شرحها ولا محل لذكرها . ومن هؤلاء طوائف يسمون (الغلاة) قالوا بألوهية هؤلاء الأئمة فهم إما بشر اتصفوا بصفات الالهية واما أن الاله نفسه قد حل في ذواتهم البشرية كما يقوله النصارى في عيسى عليه السلام وهذا هو القول بالحلول . ولقد حرق هذه الطائفة سيدنا على بالنار وسخط محمد بن الحنفية على المختار بن أبى عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه ولعنه وهكذا جعفر الصادق رضى الله عنه لما بلغه مثل ذلك بالنسبة له . ومنهم من يقول ان الامام اذا مات انتقلت روحه الى امام آخر ليسكون كاله فيسه على طريقة التناسخ كذا ذهب أهل الهند . ومن هؤلاء الغلاة من يقول بامام واحد ويحكمون بأن هذا الامام لم يمت بل هو حى ولكنه غائب عن الناس كسألة الخضر عليه السلام وهم الواقفية . فترى منهم طائفة يقولون ان الامام على وحده رضى الله عنه وانه في السحاب والعدصوته والبرق سوطه والامامية قالوا مثل هذا في بنه لاسما الاثنى عشرية منهم أبى الذين يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري الملقب المهدي عندهم دخل سردابا بدارهم بالحلة وتعب حين اعتقل مع أمه وغاب هناك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا وهم الى الآن ينتظرونه ويسمون (المنتظر) لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركبا فيمتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشبك النجوم ثم ينفذون ويرجعون الى الليلة الآتية . إذن الاثنى عشرية يقولون في محمد بن الحسن العسكري ما يقوله الذين وقفوا على كرم الله وجهه من حيث البقاء في الحياة والتغيب عن الناس . ومن الواقفية من يقول ان الامام الذى مات يرجع الى حياته كقصة أهل السكف . وهؤلاء الغلاة رد عليهم الفطاحل من علماء الشيعة أنفسهم وأبطالوا حججهم

(الكلام على الكيسانية)

ان الكيسانية ساقوا الامامة من محمد بن الحنفية الى ابنه أبى هاشم ويسمون (الهاشمية) وتزعم طائفة أن أبى هاشم لما مات بأرض السراة منصرفا من الشام أوصى الى محمد بن على بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام وأوصى ابراهيم الى أخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح وأوصى هو الى أخيه عبد الله أبى جعفر النصور وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحدا بعد واحد وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بنى العباس وكان منهم أبو مسلم الخراساني ويستدلون بأن العباس عم النبي ﷺ وهو أولى بالوراثة

(الزيدية)

وأما الزيدية فقالوا بامامة على رضى الله عنه فالحسن فالعيسى فابنه على زين العابدين فابنه زيد بن على

وهو صاحب هذا المذهب وقد خرج بالكوفة داعيا الى الامامة وقتل وصلب (بالكناسة) وبعده يحيى فظهر
بخراسان وقتل بالجوزجان وبعده محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسين السبط ويقال له النفس الزكية وذلك
بوصية يحيى المذكور فخرج بالحجاز وقتله عساكر المنصور . وهناك طوائف كثيرة من الزيدية ونخص بالذكر
منهم من نقلوا الامامة من محمد بن عبد الله المذكور الى أخيه ادريس الذي فرّ الى المغرب وقام بعده بالأمر
ابنه ادريس واختط مدينة (فاس) وأعقب ملوكا بالمغرب ثم انقرضوا . ومن الزيدية من كانت لهم دولة
(بببرستان) وتوسل (الديلم) من نسبهم الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد

﴿ الامامية ﴾

إن الامامية ساقوا الامامة من عليّ كرم الله وجهه الى ابنه حتى أوصلوها الى جعفر الصادق وهناك افترقوا
﴿ فرقتين ﴾ فرقة ساقوها في ولده اسماعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها الى ابنه
موسى الكاظم وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الأئمة وقولهم بغيته الى آخر الزمان كما علمت
فأما الاسماعيلية فيقولون بالامامة الامام بالنص من أبيه جعفر الصادق ومن اسماعيل انتقلت الى ابنه محمد المكنى
وهو أول الأئمة المستورين والمستور عندهم من لاشوكة له فيستتر وتكون دعائه ظاهرة اقامة للحجة على
الخلق واذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته وبعده محمد المكنى ابنه جعفر الصادق ثم ابنه محمد الحبيب وبعده
ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته أبو عبد الله التيمي في كتامة بالمغرب وتتابع الناس على دعوته ثم أخرجه
من معتقله (بسجاسه) وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر وهذا معروف مشهور في التاريخ
ويسمى هؤلاء (الاسماعيلية) نسبة الى القول بالامامة اسماعيل ويسمون أيضا (الباطنية) نسبة الى قولهم بالامام
الباطني أي المستور ويسمون (الملحدة) لما في مقالاتهم من الاتحاد وهؤلاء لهم مقالات قديمة ومقالات حديثة
وهي التي دعا اليها الحسن بن محمد الصباح الذي تقدم كلامنا فيه وقد ملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته
فيها الى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق فانقرضت . واعلم أن الباطنية القديمة
خطبوا كلامهم بكلام الفلاسفة وتكلموا على النفس والعقل وما أشبه ذلك وتكلموا على أسرار الحروف
والأعداد ويقولون مثلاً التسمية مركبة من سبع واثني عشر والتهيل مركب من أربع كلمات في إحدى الشهاداتتين
وثلاث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الأولى وست في الثانية واثنا عشر حرفاً في الأولى واثنا عشر حرفاً
في الثانية وهكذا في كل آية استخرجوا أعداداً فأضاعوا زمانهم فيما لا فائدة فيه . وأذكر من ذلك أني قرأت
في بعض كتبهم في قوله تعالى - رفيع الدرجات ذو العرش - أن جل - رفيع - ٣٦٠ وهي عدد درجات
الدوائر الفلكية وغيرها لأن الدائرة ٣٦٠ درجة فكأنه يقول الدرجات ٣٦٠ ويعتبرون أمثال هذا أسراراً
للقرآن ولن يعرفها أحد إلا الامام . وهكذا يقولون أن جل اسم (محمد) عليه الصلاة والسلام بحسب ما ينطق به
(١٣٢) وحروف الفاتحة بحسب النطق أيضاً (١٣٢) وهذه يجعّلونها أسراراً عالية وتورث قلوب الذين يعرفونها
تصديقاً بالدين وبالسر المحمدي وبالامام القائم بذهبهم . ومعلوم أن كل عدد من هذه الأعداد يقابل بضده
وبعكس الأمر على قائله ويدخل في هذا علم الأوفاق الذي فيه يظهر توافق الأعداد كما هو مشهور وهذا قد
اتخذوه عن قدماء المصريين والهنود فهؤلاء عندهم هذه الأوفاق كما أوضحناه في غير هذا المكان ايضاً تماماً
فهذا ضياع وقت يصد الناس عن النظام الجليل في السموات والأرض فهناك التطابق العجيب والنظام البديع
الذي ظهر لك في أمثال هذا التفسير وهو الذي قامت به المدنية للعصرية في العالم كله . فأما أصحاب الدعوة
الجديدة فقد تركوا هذا وأظهر حسن بن الصباح دعوته كما تقدم وتحصن في قلعة الموت وبقى الأمر متوارثاً
الى زماننا هذا وقد عرفت فيما تقدم في هذا التفسير في المجلد السابع أن ﴿ أغا ميمون ﴾ بالهند في زماننا قد
شكك من أتباعه لأنه على رأي حسن بن الصباح منذ ثمانمائة سنة

﴿ حسن بن الصباح ﴾

قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المولود بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ وكان وزير المنصور أبي عامر محمد ابن أبي عامر المتوفى سنة ٥٤٨ هـ في كتابه ﴿ الملل والنحل ﴾ ماملخصه

أن ابن الصباح هاجر الى امامه وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه فجعل كيفية الدعوة فصولا أربعة
﴿ الفصل الأول ﴾ ان الانسان اذا اعتقد عقيدة فهذه اما أن تكون بالعقل واما أن تكون بالتعليم والقاتل بالنظر بالعقل اذا أنكر على المتعلم عن غيره فعنه أن هذا المنكر عليه جاهل محتاج الى تعليم غيره فهو إذن مقرر بأن التعليم واجب واذن صار الأمران ضروريين معا العقل والمعلم الذي يعلمنا كيف نعقل ونفهم ﴿ الفصل الثاني ﴾ انه ليس كل معلم يصلح لتعليمنا لأنه اذا ثبت في الفصل الأول أن المعلم لابد منه فهنا نقول ليس كل معلم يصلح لذلك والا كانت الفوضى . فلا بد إذن من معلم صادق . فهنا أمران (أولا) لابد من معلم (ثانيا) لابد من معلم صادق ﴿ الفصل الثالث ﴾ ان هذا المعلم الصادق لابد من معرفته والظفر به ثم التعلم منه إذ لا يجوز التعلم من أي معلم كان ﴿ الفصل الرابع ﴾ ان في العالم حقا وباطلا وعلامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة وان الناس متى تعلموا من الامام المعصوم الذي يعرفه هو صاروا الى الوحدة والجماعة واذا تعلموا من أي معلم كان صاروا الى الفرقة والآراء المختلفة . إذن جميع المذاهب والفرق والآراء في الأمم الاسلامية عنده منبوذة لأنها متفرقة وهم وحدهم على الحق لاتحادهم ثم إن كلمة الشهادة وترتيبها فيها نفي واثبات فالنفي للباطل وهي الفرق المختلفة والاثبات للحق وهي الفرقة التي هو قائم برأسها ويقول (إلهنا إله محمد ﷺ) وقد تقدم أنه منع أصحابه من العلم وسد عليهم أبوابه وانما أطلت في هذا المقام لأشبع تلك العقول المتعطشة للعلم من الأمم الاسلامية التي في زماننا وبعدها ليعلموا لماذا تخاذل المسلمون وكسرت شوكتهم وضاع مجدهم - والحق أحق أن يتبع -

إن هذه الأمة ليس لها إلا طريق واحد هو الذي ندعو اليه في هذا التفسير وهو ارتقاء جميع العاوم في بلاد الاسلام قاطبة والحمد لله ان هذا التفسير قد أوضحه ايضا تاما . فأنا أجد الله وأشكره أن وفق له وسيرج قلوبا وقلوبا وسيشرح الله به صدورا وصدورا . فليعمم التعليم في بلاد الاسلام وليكن لكل ذكر ولكل أنثى وليكن ابتدائيا وثانويا وعاليا . وهذه هي الطريقة المثلى التي بها نتجاوز تلك السبل الضالة الجاهلة التي مزقت أعم الاسلام وليكن الكرام من آل البيت قدوة في العلم ورفعة الأمة وشرفها . هذا هو الحق الصراح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الخميس (١٥) مارس سنة ١٩٢٨

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُسُلًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ ابْتِغَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَأُطْلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَأُطْلَقَا حَتَّى إِذَا تَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَأُطْلَقَا حَتَّى إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآيَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَقْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ

يَذُنُّنَا وَيَنْفَعُنَا سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ يَتُوكُمْ وَيُنَظَّرَكُمْ
رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا
قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَبًّا * قَالَ هَذَا
رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ
عَرَضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا * أَفَسِبَ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا * قُلْ
هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَخَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ
لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا
* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا
يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا * قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ
رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا *

جاء في البخاري ومسلم ما ملخصه أن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه تعالى فأوحى الله سبحانه إليه ﴿إِن لِي عِبَادًا يَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ حَوْتًا فِي مَكْتَلٍ خَفِيئًا فَقَدْ اخْتَلَتْ فَهَوْتُهُ ففعل ذلك وسافر مع فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة فناما فاضطرب الحوت وسقط في البحر - فالتخذ سبيله في البحر سراباً - وصار الماء كالطابق عليه وهو يجري فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليتهما فلما كان الغد طلب موسى الغداء ووجد النصب ولم يكن ذلك النصب إلا بعد أن جاوزا المكان الذي أمر الله به فقال فتاه - إني نسيت الحوت - وذكر ما كان من أمره عند الصخرة - فارتدا على آثارهما قصصاً - حتى انتهيا إلى الصخرة فوجدوا رجلاً مسجياً بشوب أبيض ﴿ وكان من أمرهما ما استري من مسألة السفينة والغلام والجدار

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (وإذ قال موسى) أي اذكر إذ قال الخ (فتاه) يوشع بن نون من ذرية يوسف عليه السلام وكان يخدمه (لا أبرج) لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) ملحق بحر فارس والروم من جهة المشرق أو بحري العلم موسى في علم الشريعة والخضر في علم الحقائق (أو أمضى حقبا) أو أسير زماناً طويلاً (فلما بلغا مجمع بينهما) وهو المكان الذي وعده الله بإقامته عنده أي مجمع وصلهما (نسبنا حوتهما فالتخذ سبيله في

البحر سرباً) أى فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسدداً وصار الماء كالطابق عليه فمكان ذلك لاحتوت سرباً ولموسى وفاته عجبا (فلما جاوزا قال لفته) أى قال موسى (آتنا غداها) ما نتعدي به (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم ينصب حتى جاوز الموعد (قال أرأيت إذ أوينا) أرأيت ما دهاى إذ أوينا (الى الصخرة) يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى (فانى نسيت الحوت) نسيت أن أخبرك بما رأيت منه (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) أى وما أنساني ذكره إلا الشيطان فأن أذكره بدل من الهاء (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب (قال ذلك) أى أمر الحوت (ما كنا نبغ) نطلب لأنه المطالب (فارتداً على آثاريهما) فرجعا فى الطريق الذى جا آفيه يقصان (قصصا) يتبعان آثارهما اتباعاً حتى أتيا الصخرة (فوجدنا عبداً من عبادنا) وهو الخضر مسجى شوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر رانى بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم ووصف العبد بقوله (آتيناه رحمة من عندنا) هو الوحي والنبوة (وعلمناه من لدنا علماً) مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيوب (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن) أى على شرط أن تعلمنى وهو حال من الكاف (نمّا علمت رشداً) أى علما دارشداً وهو إصابة الخير والرشد والرشد كقفل وسبب قراءتائ (قال إنك لن تستطيع معى صبرا) عن الإنكار (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) وكيف تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور ظواهرها منا كبر وبواطنها مجهولة (قال ستجدنى إن شاء الله صابراً) مسك غير منكسر عليك (ولا أعصى لك أمراً) عطف على - ستجدنى - (قال فان اتبعتنى فلا تسألننى عن شئ) فلا تفتحنى فى شئ أنكرته على (حتى أحدث لك منه ذكراً) أى حتى أتبدى بذكره فأبين لك شأنه قال تعالى (فانطلقا) يشيان على الساحل يطلبان سفينة فوجدوها فعرفوا الخضر فهاوهم بغير نول أى عوض (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها) وذلك حين توسطوا فى لجة البحر إذ أخذ الخضر فأساً فخرق لوحاً من ألواح السفينة (قال) موسى (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إصراً) عظيماً منكراً فأخذ موسى ثوبه فحشا به الخرق (قال) الخضر (ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً) * (قال) موسى (لا تؤاخذنى بما نسيت) بالذى نسيت (ولا ترهقنى من أمرى عسراً) ولا تقشنى عسراً من أمرى بالمصايفة والمؤاخذه * قال النبي ﷺ فى الصحيح (كانت الأولى من موسى نسياناً قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة) (فانطلقا) يشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله وهذا قوله تعالى (حتى اذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس) أى نفساً طاهرة من الذنوب بغير نفس أى لم تقتل نفساً لم يجب عليها القتل (لقد جئت شيئاً نكراً) أى منكراً عظيماً (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً) وأتى هنا بلفظ - لك - ليواجهه بصريح العتاب (قال إن سألتك عن شئ بعد هذا) بعد هذه المرة (فلاتصاحبنى) أى فارقتى (قد بلغت من لدنى عذراً) اتضح لك العذر فى مفارقتى والمعنى أنه مدحه لاحتماله مرتين * قال ﷺ (رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لراى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة) (١) فقال - ان سألتك عن شئ - الخ فلو صبر لراى العجب * قال تعالى (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قرية انطاكية (استطعما أهلها) استضافاهم (فأبوا أن يضيفوهما) يقال ضافه اذا نزل به ضيفا وأضافه وضيغه أنزله (فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض) يدانى أن يسقط (فأقامه) بهارته أو بعمود عمده به * وقيل نقضه وبناء (قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً) أى جعلاً لتعشى به (قال هذا فراق بينى وبينك) أى هذا وقت فراق بينى وبينك (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) * قيل ان موسى أخذ شوب الخضر وقال أخبرنى بمعنى ما عملت قبل أن تفارقنى فقال

(١) الذمامة الحياء والاشفاق من النعم

الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) وهم لجزمهم عن دفع الملك أولزماتهم وألحاجتهم مساكين * وقيل كانوا عشرة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر (فأردت أن أعيها) أبعدها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) قدامهم ملك (يأخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صالحة ولذلك عتبا فإذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها (وأما الفلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أي خفنا (أن يرهقهما) أن يغشيها أو يكلفهما (طينانا وكفرا) أي نخشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه (فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة) صلاحا وتقوى ردّا على قوله - أقلت نفسا زكية - فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا منه زكاة (وأقرب رجلا) أي رجة وعطفا على والديه * قيل ولدت أمه جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به أمة من الأمم (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما) وكان هذا الكنز جامعا للمال والعلم إذ كان لوحا من ذهب مكتوبا عليه ﴿عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح . عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب . عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتهب . عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يفسل . عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها﴾ وقيل هو كنز من ذهب وفضة ولا تنافي بينهما ثم قال تعالى (وكان أبوهما صالحا) قيل هو جدّهما السابع (فأراد ربك أن يبالغا أشدهما) أي الحلم (ويستخرجا كنزهما رجة) أي لأجل الرجة (من ربك وما فعلته) أي وما فعلت مارأيت (عن أمرى) أي عن اجتهادي إنما فعلته بأمر الله (ذلك) أي الأجرة الثلاثة (تأويل ما لم تسطع عليه صبرا)

اعلم أن هذه القصة كلها ترجع الى طلب العلم وعدم الوقوف عند حدّ لأن المكتفى بما عنده مغترّ - بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه - فرحوا بما عندهم من العلم - * ويروى في سبب هذه القصة أيضا أن موسى سأل ربه أيّ عبادك أحبّ إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأىّ عبادك أقضى قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأىّ عبادك أعلم قال الذي يتتقى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو تردّه عن ردى فقال ان كان في عبادك أعلم مني فدلتني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة الى آخر ما تقدّم ثم جاء فيها ان علمي وعاملك الخ

﴿ مغزى هذه القصة ﴾

اعلم أن هذه القصة جاءت هنا لاتمام مقابها . ذلك أن الله في أول السورة أرانا أن آياته كلها عجب وقال لنا ان قصة أهل الكهف وقصة يوسف بالنسبة لآيات الله شيء قليل فآيات الله لاتنتهى فلا تقتصروا على أنباء القرون الخالية والأمم الماضية وسير الصالحين فان الصالحين والأمم ما هم إلا بعض ملكي والبعض المذكور قليل بالنسبة لهذه الأرض والسما المحيطة بها . فإياكم أن تضعوا حياتكم في ذلك بل اقروها للإيمان ثم ادرسوا هذا الكون المحيط بكم دراسة علمية ولا تقفوا عند الشهوات فان زينة الحياة الدنيا فانية الى آخر ما تقدّم

ولقد ظهر هذا المعنى في حديث الشيخين المتقدم إذ جاء فيه أن علم موسى وعلم الخضر في جانب علم الله كما أخذ الطائر من البحر . هذا تصريح من جانب الحضرة النبوية بما ذكرناه سابقا فان الخضر وموسى لم يخرجوا عن كونهم مخلوقين نبيين ولهما قصص وحكايات وأعاجيب فقال الخضر لموسى على الناس أن لا يقفوا عند حد ما سمعوا لأننا لانسمعهم إلا على قدر الهداية العامة فنحن أشبه بالهادي الخريت الذي يهدي الناس الى السبيل وعلى الناس أن يسيروا فليس الذي يهدي الطريق هو المقصود بل الأرض والسماء أوسع منه والمسافر يسافر لأغراض غير الدليل وإنما عليه أن يتبع الدليل فعلمى وعاملك قليل وعلم الله كثير إشارة الى ما ذكره الله أول السورة - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجا - فجعل آيات الله في السموات والأرض عجائبها أبدع من قصص أهل الكهف كذلك علم موسى وعلم الخضر أقلّ من علم السموات والأرض وهو المستمد من علم الله . فعلم موسى وعلم الخضر يدلان على علم الله ونحن ندرس مخلوقات الله لتوصل

الى الحقائق . ان علم الأنبياء الذى يلقونه الينا اجالى وقراءة هذا السكون تفصيل وليس على الأنبياء أن يعلمونا غير ما هو أصل الدين وعلينا نحن التفصيل بعقولنا والنظر فى خلق ربنا . والأنبياء بما أرشدوا اليها صاروا هم المعلمين لها وان لم يكن مباشرة . فاذا قال الله - خلق السموات والأرض بالحق - فعلى أن نبحث لنصل الى الحقائق ولنسأ لنصل الى ما أنيرت به بصائر الأنبياء ولكن نصل الى ما تحتمله عقولنا - وفوق كل ذى علم عليم -

﴿ ايضاح هذا المقام أى أسرار هذه القصة ﴾

حدثني الحارث بن همام قال أخذتني سنة من النوم فرأيت فها برى النائمون رجلين أحدهما فلاح بحقله والثاني شيخ عالم بالقرآن وتفسيره والبلاغة وآدابها فأخذنا يتحاوران وأنا مصغ لهما . قال الفلاح للشيخ الأديب . أيها الشيخ . إن الله قد أنعم عليك بنعمة القرآن والعلم وآتاك الحكمة - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - . إني حرت فى أسر هذه الدنيا . قال الشيخ وكيف ذلك . قال أنا واقف فى الحقل أرى طيورا فوقى تطير وحيوانات وبهاثم على الأرض تسير وألفت الطيور قد اكتست جلاليب الهناء وسرايل السعادة . لم تسكن فى الأرض بالحافر ولا بالخف ولا بالظلف بل أرجلها خفيفة وریشها حريرى وأمرها عجيب . تبيض البيض وتحضن أولادها وتربيهم مترفة ناعمة سعيدة فرحة مفرجة مغنية لأسنان تعيقها عن الطيران بدقلها ولا آذان لسكر منها فان ذات البيض خلقت بلا آذان ظاهرة وذات الحل والولادة آذانها ظاهرة . الأنعام حولى فأخفافها وأظلافها وغلظ أجسامها وحرمانها من الأجنحة كل ذلك أقمدها عن الطيران وأكسبها السير فى الغيطان تخضعت لنا وذللتها فنها ركونا وانا لها لا يكون ثم أرى طيور السماء وحيوانات الأرض والماء جميعا لها شؤون وشؤون ونظام مسنون . كل له نظام يخصه لا عوج فيه . قد أعطى كل ما يؤهله لحياته فالطير راض عن جوّه وعن هواه وحيوان الأرض راض عن مشواه وكأن هذا وذاك مشمولات بالعطاء منعمات بكل يابسة وخضراء . اما الذى أذهلنى وآذانى وهيج بلبالى ما أراه من التناقض والاختلاف . فبينما ترى صانع العالم رحما لطيفا اذا بك تراه قد انقضّ على المرحوم فأذاه ومنع عنه الرحمة وأرداه . فلما سمع ذلك الشيخ امتعض وقال له لا تقل ذلك . فقال الفلاح أجبتى عن سؤالى وأزل شبهتى . أما قولك لا تقل ذلك فانها صناعة العاجزين . قال الشيخ قل وأوضح ما اشتبه عليك . فقال أيها الشيخ

(١) ألم تعلم أن الله يميت الناس وهم فى متقلبهم يترددون . قال الشيخ بلى

(٢) قال الفلاح . ألم تر أن الباز ينقضّ على الخطاف والخطاف على العصفور فيبتلعه . قال الشيخ بلى

(٣) قال الفلاح . ألم تر الى الطاعون كيف ينقضّ على جماعة من الناس وجماعة من الحيوان أخرى

فيزيلها من الوجود . قال الشيخ بلى

(٤) قال الفلاح . ألا ترى أن رجلا فقيرا عنده بقرة حلب وعنده عشرة أطفال فنها لبنهم وعليها حرمهم

وسقيهم فتموت ويصير الرجل وأبناءه فقراء . قال الشيخ بلى

(٥) قال الفلاح ويكون جاره غنيا لاصلاح عنده ولا كرم وله ٩٩ بقرة أو أكثر ومع ذلك لا يصيبها

الموت . قال الشيخ بلى . قال الفلاح هذه هى شبهتى وهذه هى الحيرة فقل لى بالله أين العطف والناطف والرجة التى رأيناها للأجنة فى بطون الأمهات وفى الغدق والرواح وأين هذا الجلال الساطع فى هذا الوجود من هذا التفتك والقتل والايلام ولاكتف لك أيها الاستاذ بهذا والا فالأمر فى مثل هذا لا حصر له فما أوسع الوجود فقال الشيخ - لا يسأل عما يفعل وهم يسألون - . فقال الفلاح أنا أسمع هذه الآية ولكن هل هذا هو العلم وهل هذه هى الحكمة . أين الجواب . يقول الله - وفوق كل ذى علم عليم - فأنا ذو العلم وأنت العلم فأفندنى . قال الحارث بن همام فلما رأيت الشيخ قد ارتج عليه تميت لى يفتح عليه بالجواب فأطرق

الشيخ رأسه قليلا وبينما هو كذلك إذ انقضَّ طائر أبيض من فوق الشجرة وأقبل اليهما وجلس بينهما ثم انقلب فجأة رجلا سويا فقلت في نفسي يا سبحان الله . أتى بقطعة أنا أم في منام . إذا هودو هيئة جبيلة وشكل بهيج يسر الناظرين ويشرح الصدور فقال قد سمعت قولكما وفهمت ما دار بينكما ثم التفت الى الشيخ وقال هل قرأت قصة الخضر وموسى عليهما السلام في سورة الكهف . قال نعم . قال هل تدري ما فيها من الحكم . قال نعم

يقول الله تعالى - حتى إذا ركبا في السفينة - الى أن قال - فأردت أن أغيها - فنسب الخضر العيب الى نفسه . قال حسن . قال الشيخ وقال - فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة - ونسب هذا الخير الى الله وأيضا قال - فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما - ففي هذا نسبة الخير الى الله والشر للعبد وهذا من الأدب الجليل في العبارة . فتبسم ذلك الطائف وقال هل هذا هو محاسن القرآن . هذه يتعلمها الصغار في المدارس ليحسنوا النطق والتعبير وليس القرآن منزلا لمثل هذه النكات السهلة التي تلقى الى المتدين ولكن أريد منك أن تجعل جواب صاحبك من هذه القصة . حينئذ فكر الشيخ طويلا وقال أنا لم أر مناسبة بين سؤال صاحبي وبين قصة الخضر . إن ملخص ما فيها كما ذكره المفسرون أن العلم ﴿ علمان ﴾ علم مكاشفة وحقيقة وعلم شريعة فن أدرك الآخرة أنكر الأولى ومن أطلعه الله على الحقيقة كالخضر يكون فرحا بعرفتها ولا يكون لديه أي اعتراض على ما يخالفها . قال ذلك الطائف ولكن لم تجب صاحبك الى الآن قال هذا ما علمت فهل عندك علم . قال فاستمع يا صاح . خذ لك عظة مما سيأتي

(١) قال الله لموسى إن الخضر أعلم منك بعد أن عتب عليه
(٢) ولما سأله عن مقره قال مجمع البحرين . فلم عبر بالبحرين . فكان المقام مقام تبخر في الغمام ولذلك أشار لها الخضر عند نقر الطائر في البحر

(٣) ذكر في الخبر أن عند الصخرة ماء عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء وعين الحياة رمز للعلم والعالم هو الحى الحقيقى بعد الموت وفي الدنيا والناس جميعا أموات
(٤) جاء في الخبر أن الخضر قال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت وأنت على علم علمه الله لا أعلمه أنا ثم اتبعه موسى ليعلمه . كل ذلك ليقال لكم إذا كانت هذه أحوال أنبيائكم فبالأحرى أنهم لابد أن تردادوا من العلم ولا تقفوا عند حد

(٥) إذا علمت هذه المقدمات فاعلم أن هذه القصة تشير الى أمور كثيرة منها ما ذكره صاحبك الفلاح . ألا ترى أن قتل الغلام وهو صغير لاذنب له ترويه كل وقت في أرضكم هذه كما قال صاحبك الفلاح فان الطاعون وانقراض الكواسر على الطير والوحوش والآساد على البهائم . كل ذلك من قبيل قتل الغلام فما ذنب البهائم يصطادها السباع والانسان وما ذنب الأمم يصطادها الطاعون فيهلكها . إن الأمر للعجيب . هذا بعض المقصود من ذكر الغلام . وأما ذكر خرق السفينة التي هي لمساكين فأشارة الى ما ذكر صاحبك الفلاح من موت بقرة فلاح بجانبه رجل غني لم يصب . وأما ذكر الجدار واقامته فتشير الى كل من يرى أنه ليس أهلا للنعمة ظاهرا وقد أعذقت عليه وأهل (الطاكية) ليسوا أهلا لا لذكرهم فهكذا الغني ذوا المال الكثير البخيل كيف تغدق عليه النعم وتبعد عن هذا الفقير

فاما سمع ذلك الفلاح والشيخ فاما وقبل رجليه وقال لقد آناك الله علما فخذنا رعاك الله كيف يكون الجواب . فقال ليس كل ما يعلم يقال وأخاف أنكما إذا استيقظتما تخبران الجهلاء بالآراء فلا يفقهون . قالا . كلا . فنحن للأسرار حافظون

(١) قال أما موت الناس بعد حياتهم فمن حكمه انهم لو بقوا على الأرض مائة عام جميعا ولم يموت أحد

لضاقت الأرض بما رحبت ولاتوا جوعاً ولأكل الابن أباه وأمه ولأصبحت لأرض منتنة قنرة وملك الناس أجعون (٢) إن كواسر الطير تأكل صغارها ليخاوا الجور والأرض من الحيوانات المزدجة ولولا ذلك لتعفت هذه المخلوقات وأضررت بالحيوانات والناس أجعين فاقتنصها رحمة فهي لاتعفن هناك بل تصبح دماً ولما ونعمة على العالمين

(٣) وهكذا اقتنص الوحوش والسباع الغزلان والأرانب لنفس الحكمة وهكذا الحيات تقتنص الحشرات والاضاقت الأرض بما رحبت ومات الناس أجعين

(٤) وأما بقاء مال الفنى عنده وزيادة الفقير فقراً فذلك لامور تخص أوامك الأشخاص لا يعلمها إلا الله منها أن الفقراء عند الموت يكونون خفافاً ويفرحون فرحاً لانهاية له . وأما الأغنياء اذا لم يهذبوا فان عقولهم وأرواحهم تكون مجذوبة الى هذا العالم فأصبح النعيم حياً والجحيم نعيماً بعد الموت مباشرة وهناك ما لا يعلمه أحد إلا رب العالمين ويشير لذلك كله ولغيره عيب السفينة في البحر وقتل الغلام في البر واقامة الجدار فيه كأنه يقول ها أنتم أولاء تشاهدون هذه الأحوال في البحر لأن السمك الكبير يأكل الصغير في البحر . وأما أمر البر فهو معلوم مما تقدم . فقال الشيخ له سألتك بالله من أين جاءك هذا العلم . إنه لقول جيل . قال له بالنظر الصحيح وقراءة كتب الحكمة . قال له نعم أنا أفهم ذلك ولكن كيف خطر ببالك هذه المعاني في هذه القصة . قال له من سابق الكلام ولحقه فان سابق الكلام في عجائب الدنيا وانها أكثر جدّاً من عجائب القصص . وأما لحقه فانه قال تعالى - قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً - فهذا القول دلنا على أن هذه القصة مسوقة للتبشير في هذه الكائنات والنظر فيها وأن العلم لاحقاً له فأخذنا نبحث في نفس الكائنات كما أشار لذلك الأنبياء . قال الشيخ إن نفس هذه الاجابة أيضاً سألت عنها كيف عبرت بها وانى قرأت التفسير فلم أجده هذه الطريقة فيما أعلم فقال له يقول الله - يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين - ويقول على لسان ابراهيم - ولكن ليطمئن قلبي - فهذا يكون الاطمئنان وبمثل ما ذكرته لكما يكون الشفاء لما في الصدور . ألا ترى أن الخضر لما فعل ما فعل رجع فأبان الحكم والفائات التي أريد الفعل لها ثم قال - وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً - . يقول الخضر هذه الأعمال ليست من جنس أعمال الناس بل هي من أعمال الله تعالى وأما أنا كنت واسطة وهكذا الملائكة الأرضيون كلهم يفعلون نفس هذا العمل بما ألهمهم الله فهم يحافظون ويساعدون النور في الجو والآساد في البر والحياتان الكبير في البحر واقتراسها والحيات في التراب وهذه المحافظة ليست مضرة على الناس خيفة تعفن الجو والبر والماء إذ تلك هي الآكلات لهذه الحيوانات لئلا تكثرت موت فيكون الهلاك لكم . فأما هذه الامور الثلاثة فانما هي نموذج لفعل ربكم . هذا مقصود الآيات . فقال الشيخ ولكن خبرنى حفظك الله كيف غابت هذه الآراء عمن تعرفهم من العلماء وعنى . قال اعلم أنك أنت وصاحبك الفلاح رجلان تقاربان في طريقة الحياة . قال له معاً فما معنى هذا . قال معناه أن الأمة في تربيتها متلازمة وجوهرها العالمى يكون متناسبا . قال ما فهمنا . قال أوضح لك ذلك . أنت أيها الشيخ حفظت القرآن من صغرك بلاتدبر على طريقة المسلمين في الأرض وأنت أيها الفلاح خرجت فوجدت نفسك في وسط هذه الحقول وقد تركت بالمرشدين فأما الشيخ فقرأ العلوم العربية ونهايتها البلاغة وهي نحو ١٢ علماً وأفهمه شيوخه انك بهذه العلوم تعرف سر القرآن والدليل على ذلك انى حين سألتك أيها الشيخ أجبتنى بإسناد الضمائر وذلك خاص بعلم المعاني . قال له نعم . قال هذا هو الذى أوقف عقول أمة الاسلام عاشت في القرون الأخيرة في جو من الألفاظ فحجبت عنها الأسرار وقال قوم ممن جاهدوا أنفسهم انهم وصلوا الى معانى بتصفية الباطن ولكنهم ما أبرزوها للناس لأن الناس لا يصدقونها

فرجع الأمر أن الأمة وقفت في مربضها وتقدم غيرها من الأمم فدرسوا هذه الكائنات والمساعون في سبات قال الشيخ صدقت . قال وأنت أيها الشيخ ما أنت إلا واحد من آلاف حفظوا القرآن كما حفظت ولكنهم تعثروا في أذيال الخيبة والسكال فانهم اكتفوا منه بالتلاوة أو العبادة أو التبرك أو السماع أو التغنى به وكل ذلك نزر يسير ولم ينزل القرآن ليقصر على هذا . إنه نزل لاطلاق العقول . قال الشيخ صدقت . ثم قال أما أنت يا أيها الفلاح فانك درجت في قريتك ولم تسمع إلا أن الحمام يؤكل والطيور تذبح والبقر والجاموس للحجرات وما أشبه ذلك فأنت وحافظ القرآن وأمثالكم كثيرون تعيشون ماتعيشون ثم يموتون مزودين بزاد قليل من الدنيا . فلا أنت فهمت الموجودات التي تعيش فيها ولا الشيخ درسوا القرآن الذي حفظوه وكلما خلت أمة أتبعها أخرى والعقول واقفة والنفوس نائمة والفرجة حولكم فوحون مستبشرون

﴿ حديث عجيب ﴾

ألا أحدثكم حديثا سياسيا اقتصاديا . فقالا نحب ذلك . قال ان الملك (غليوم) ملك ألمانيا كان أرسل منذ عشرات السنين شابا قد أكمل الدراسة في بلادهم وتخرج من مدارسهم وأخذ الشهادات العالية في الفلسفة والعلوم وهو ذكي الفؤاد . أرسل هذا الشاب الى بلاد العراق فتعلم العلوم الاسلامية لا بقصد الاسلام بل بقصد أن يعرف الى أي حد وصلت أمة الاسلام فتعلم كل شيء عند المسلمين وألف كتابا نشره بالألمانية فكان ملخصه ما يأتي ﴿ هذه الأمم تتعلم لتقوت فعلى ألمانيا أن تجتهد في طلب الحصول على صرا كراقتصادية وسياسية في البلاد قبل احتلال غيرها لها ﴾ ومضت سنون ثم جاءت الحرب الكبرى . فقال الشيخ والفلاح وأسفاه . أهكذا وصلنا . قال نعم ولكن بأمثال هذه الآراء ستحيون ويغير نظام التعليم في الاسلام وترقى أعم الشرق وقد آن أوانه وظل ابانه . ان الشرق مهد العرفان ومقر الأنبياء . انكم أيها الاخوان قد تركتم عادة الجول وبحسبنا وفهمنا شيئا من الوجود . فأما أنت أيها الفلاح فانك فكرت في أمور لا يفكر فيها الفلاحون وأنت أيها الشيخ عرفت علم اللغة وكفاك فضلا إنك فهمت ما أقول . وأما غيرك فقد أقفل عقله بأقوال من الجهالات فقال له زدنا . فقال كفي فألح عليه . فقال سأقول كلمة وإذا عاودتماني لم تريايني . فقال قل على هذه الشريطة فقال ألم تنظر اسورة الكهف قد تناسب طرفاها . ابتدأها بأن الجباب لاتنتهى وأن قصة أهل الكهف نزر يسير وختم السورة كما ابتدأها قائلا أن البحر ومثل البحر لو كان مدادا لم تنفذ عجائب الله . أقول هذا وأستغفر الله ثم انتفض انتفاض العصفور وانقلب طائرا وغاب عن الأبصار . قال الحارث بن همام فاستيقظت إذ ذاك ووددت لو أراه مرة أخرى . انتهى الكلام على قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام الذي هو ميت لحي قال تعالى - وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد -

﴿ بهجة العلم ونور الحكمة قد أشرق صباح يوم الخميس الثالث من شهر مايو سنة ١٩٢٨ في تفسير

قوله تعالى - فوجدا عبدا من عبادنا آتينا رجلة من عندنا وعلمناه من لدنا علما - الى قوله

- قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبرا -

أصبحت هذا اليوم ونفسي متشعبة ببعض ما في هذه الآيات من المعاني ولقد كانت ترد على قلبي وقتا فوقتا منذ أربعة أشهر حتى اذا كان هذا اليوم أملت هذه الآراء بنفسى ولم تفارقها وقامت البراهين على ما يخطر بالبال فأيقنت أن هذه الخواطر واجب كتابتها على فاني لأجد محيصا من اثباتها ولا طريقا لمقاومتها فأذعنت للأمر الالهي وكتبت ما سمعته والله هو الولي الجيد

اعلم أن الله عز وجل علم قبل أن ينزل هذا القرآن وقبل أن يخلق هذا العالم أن الأمم الاسلامية ستنام قرونا وقرونا وستأخذ أقوال الأئمة تقليدا في الفقه وتترك عقولها وراءها إلا قليلا . علم الله ذلك فأنزل هذه الآيات ليذكركمنا باصول هذا الدين . هذا الدين الاسلامي نزل الى الأرض وقد كانت مرتبكة قد أضناها النصب

والتعب وحل بعقول أهلها الخبل . أفلا ترى إلى الأمم الأوروبية وقد خيم على عقولها الدين المسيحي فأحاط بعقولهم القسيسون وأضرّوا بهم ضررا شديدا فلم يفكّهم من عقابهم إلا الإسلام (راجع ما كتبناه عن علمائهم في سورة إبراهيم وسورة التوبة وغيرهما) وبهذه الوسيلة انتشرت الحرية العقلية في العالم الانساني في أمريكا واليابان والصين حديثا وكذلك الهند . كل ذلك بانتشار الآراء الاسلامية . إن النهضة الحالية وانتشار الديموقراطية كل هذا سببه الاسلام ولكن المسلمون الذين كانوا سبب ذلك الارتقاء كبلوا في قيود من حديد وغشى على عقول كثير منهم . ولقد أصبح كثير منهم أشبه بقدماء المصريين إذ جاء لهم ملك الفرس المسمى (قيز) محاربا وقد أدرك انهم يعمدون الهرة فأوقف الهرز بين الصفيين فلم يتجاسر العساكر المصريون على ضرب الآلهة فتمكن الفرس من هزم المصريين وذلك في الأسرة (٢٦) ومن ذلك الوقت ضاع استقلال مصر وذهب مجدها وطاح عزّها فأرباب الدين اذا حبست عقولهم كان ذلك الجبس من أقوى أسباب انحطاطهم وذللهم وشقائهم أجمعين

﴿ الاسلام مبناه العقل فتأمل وتعجب ﴾

ألمست ترى أن الأنبياء انما يصدقون بالمعجزات ولا معنى للمعجزة إلا أنها أمر خارق للعادة يحريه الله على أيدي أناس ادّعوا النبوة . فهذا الأمر الخارق للعادة دليل على أن الله هو الذي اختارهم لذلك فالإيمان بالأنبياء متوقف إذن على أن نعقل أن للعالم إلهام موجودا عالما صريحا قادرا فأولا علمه وإرادته وقدرته ما ظهرت تلك المعجزات على أيدي الأنبياء فهو علمهم وأراد تأييدهم وقدر على ذلك . إذن النبوة لا تعرف إلا بالعقل . وهذه النبوة اذا جاءت بأمور تخالف العقل فنحن بين أمرين إما نقول العقل لا قيمة له ونسلم للدين ما يقول بلا بحث وهذا معناه أن العقل قد يكذب واذا كذب العقل فهذا يرجع على الدين بالنقض لأن التصديق به بناء على العقل والعقل قد سقط فاذن سقط الدين بسقوط أساسه . فاذن نلتجئ إلى الأمر الثاني وهو أن نقول اننا نؤول الشرع ليطابق العقل وحينئذ نكون وفقنا بين العقل والشرع . هذا كلام حكماء الاسلام في مثل هذا المقام أى مقام العقل والدين فلننظر في علوم الفقه الاسلامي أى شئ هي . إن علوم الفقه الاسلامي كلها ظنية لأن الفقه ما هو إلا الأحكام الشرعية الظنية المكتسبة من أدلتها التفصيلية قالوا والمسائل التي ليست ظنية فهي ليست من الفقه . وهنا نقول اذا حدث في الأمم الاسلامية حوادث أظهرت أن بعض الأحكام الشرعية التي يقول بها مذهب من مذاهب أهل السنة أو الشيعة أو الزيدية قد أضرّ بالشعب الاسلامي ضررا محققا وتحقق ذلك الضرر عند مجلس الشيوخ في الأمة ومجلس النواب . فاذن يكون الحكم اذا رأينا أقوالا اجتهدية أو أحاديث صحيحة وكانت نتيجة العمل بها ضررا محققا أى ان المضار فيها كثيرة جدًا تفوق المنافع أضعافا مضاعفة . فاذن نفعل . نقول اذا حصل هنا يقين بأن حكما من الأحكام ضرره بين فانه لا محالة لا يكون هذا شرعا . وبيانه أن الضرر المحقق عند نواب الأمة يعارض الحكم المظنون فالحكم مظنون شرعا ولكن الضرر محقق عقلا وقد حكمنا أولا أن العقل لا يلغى حكمه اذا كان محققا . إذن يراجع هذا الحكم ويجب أن يعتقد أنه ليس مشروعا لأنه ظن واليقين مقسّم على الظن قال الله تعالى - إن الظن لا يغني من الحق شيئا - فهذا ظن وهذا حق والحق يغلب الظن ويلغيه لذلك أنزل الله هذه الآيات لتذكركم بالحقائق الدينية وترجع المسلمين إلى التعقل والتفكير . انظر إلى السفينة وقد خرقتها السفينة حرام ولكن لما تحقق الخطر وجب عمل المصلحة وقتل النفس حرام ولكن قد تحقق أنه لامصلحة في بقاء هذا الغلام بل فيه مفسدة هنالك أقدم على القتل . وليس معنى هذا أن نأخذ هذا القول بلفظه بل نقول متى ثبت لرجال الأمة وعقلائها ضرر أمر وجب تلافيه بحسب المصلحة فالشرع لم يكن لأحراج المتدينين

﴿ انظر الى مسألة الربا ﴾

الربا حرام وانما حرم لاسرّ ظهر في هذا الزمان وذلك السرّ عرفه علماء الاسلام قديما ولكن لم ينفذ فعلا إلا على يد (البولشفيك) فاقرا ذلك في آية الربا في سورة البقرة فقد اتفقت أدلتهم مع أدلة علماء الاسلام . على أن المرابي لم ينفع الانسانية بعمل ما . هذا سرّه . لكن انظر الى المسلمين في مصر بلادي مثلا . نحن الآن نعيش مع الاوروبيين الذين يبيعون الربا ولكن المسلمون يحرمونه . فاذا جرى . حبس الأغنياء نحو (٨٠) ألف ألف جنيه في مصارف الفرنجة والربا الذي يستخرج من هذه في السنة يبلغ فوق ثلاثة آلاف ألف جنيه وهذا المبلغ يأخذه الفرنسي فيجعله ذخيرة وسلاحا ومدافع ويحارب المسلمين به وهنا ننظر ونقول الربا حرام ولكن هذا الحرام جعل سببا في تخريب بلاد الاسلام ولوأن هذا الربا أخذ لدولتنا وسدّت به ديون دولتنا لا للفرنجة الذين يحيطون بنا لكان ذلك واجبا لاجازا فقط ولوأن الربا أخذ منهم وأعطى للفقراء والمساكين وللذين لا يجدون صناعة يعيشون بها فيشترى به آلات للزراعة مثلا لكان ذلك من باب الاضطرار في المسألتين . فهذا اضطرار يبيح هذا المحظور مؤقتا . أنا لست أبيع الربا . الربا خطر على الانسانية وسيف قاطع ولم يفهم ضرره حقّ فهمه إلا البلشفية في روسيا . هؤلاء هم الذين حققوا معجزة كبرى للنبي ﷺ ولست أقول إنا نأخذ الربا لفقرائنا ولكن أقول اذا اجتمع ﴿ علتان ﴾ علة أخذ الفرنجة لربا أموالنا وضررنا بالمدافع المشتراة به . وعلة أخذ فقرائنا له . أقول اذا لم يكن في الأمة من يتحمّل هذا المال بزراعة أو تجارة أو صناعة ووضع في مصارف الفرنجة الذين يعتمدون على بلاد الاسلام بالسلاح . فن الجهل الأكبر ومن مصائب الأمم الاسلامية أن يؤخذ الربح لهم بل يجب أن يكون لفقرائنا وكان على العلماء أن يفتوا بذلك من باب الاضطرار والحكم الاضطراري ليس أمرا دائما

﴿ نظرة عامة في أم الاسلام ونظام القضاء فيها وأحكامها الشرعية ﴾

اعلم أن الأمم الاسلامية قد نامت قرونا كثيرة منذ قهرها (جنكيزخان) وخلفاؤه وتولى الحكم فيها أم تركية وغير تركية فجمدت القرائح وعظمت الخطوب وقد كنت أيام مجاورتي بالجامع الأزهر أسمع شكوى الناس من القضاء الاسلامي ومن ذلك أن المرأة اذا غاب زوجها ولم يعرف خبره يقضى عليها أن تبقى بلازواج حتى سنّ الستين وهذا عجب . وقد بحثت بعد ذلك فوجدت أن القضاء في مصر لا يصح إلا اذا أقرّه الخليفة في بلاد الترك من آل عثمان والحكم في مصر على مذهب الامام أبي حنيفة النعمان الذي هو مذهب الخليفة فقابلت المرحوم الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر منذ أمد فقال لي إن مذهب المالكية سهل جدا في هذه المسألة ولكن الحكومة الانجليزية التي احتلت البلاد لما رأت أنه لا بد من الاستئذان من الخليفة في العمل بمذهب غير الحنفى للتسهيل أبت خيفة أن ترجع العلائق بيننا وبينهم . فقلت له إنه من المؤلم أن يكون دين الاسلام الذي هو أسهل الأديان بسببه تكون المرأة عرضة للفاحشة بل الفاحشة محققة في كثير من هؤلاء المسكينات . فقال وما العمل . وبعد ذلك تغيرت الأحوال وانتهى ملك بنى عثمان فقام القضاء بمصر في هذه الأيام وعلى رأسهم صديقنا الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى قاضى القضاء بمصر ورئيس المحكمة الشرعية العليا فشرع عن ساعد الجد وبحث في المذاهب كلها واستخرج منها زبدة صالحة للعمل بقدر الإمكان وقدم للحكومة (مذكرات مشروع قانون الزواج) وسهل الأمر جدا في أحكام النفقة والزواج الغائب بحيث انتفى الحرج وسأقل منها ما يناسب موضوعنا . إن علماء الدين الاسلامي في القرون المتأخرة مع الملوك استبدوا بالأمة الاسلامية استبدادا أدى الى ضعفها . ومن ذلك ما كان في القرن التاسع عشر المسيحي آى القرن الماضى فان أحد الباشوات بمصر قال للشيخ المهدي العباسي المصري (وهو المفتي بمذهب أبي حنيفة مع القاضي التركي

من قبل السلطان التركي) استخرجنا من المذاهب الأربعة وغيرها قانونا به تحكم البلاد فان علماء الدين يناقض بعضهم بعضا بل بعضهم يفتي تبع الدرهم قلة وكثرة وهذا يوجب ارتباك الأحوال فرضى قاضى الترك . أما المهدي العباسي فقد قال للقاضي أنت مولى من قبل الخليفة على مذهب أبي حنيفة فمالك والمذاهب الأخرى فلما ينس حاكم مصر من علماء الدين استجاب القانون الفرنسي وحكمت به البلاد الى الآن . وهكذا في هذه الآونة لما قامت الحرب الكبرى وانتصر مصطفى كمال باشا على أوروبا جعل الدولة بلادين محتجا بأن علماء الدين جعلوا الشريعة تحت أقدام الخلفاء فهم الذين أفتوا بمحاربة الجيش التركي الذي كان يقاوم أوروبا وهي زاحفة على البلاد . كل ذلك لارضاء الخليفة لتبقى له سلطته الظاهرية وان احتل البلاد أجنبي عنها فعلماء الدين وملوك لاسلام يرضون بأقل عيشة ومذلة تحت حكم الأجنبي ولا يبالون بالأمة . هذه حال المسلمين في وقتنا الحاضر ولكن الله يقول لنا . كلا . ثم كلا أتم غافلون أيها المسلمون اذا كنتم ناعمين فاستيقظوا فقد نهتكم الحوادث . ألم تروا الى قصة أهل الكهف ناموا ثم أيقظهم . هكذا أنتم يوقظكم ﴿ امرأان ﴾ حوادث الدهر ومصائب الأيام ﴿ أولا ﴾ قصة الغلام والسفينة والجدار ﴿ ثانيا ﴾ ان حوادث الدهر قد أحاطت بالمسلمين اليوم فالعلم ينفعهم وعلى ذلك أنزلت محاورات موسى والخضر التي نحن بصدد الكلام عليها ومنها يعلم الناس كما تقدم انه اذا ثبت لأولى الأمر في الأمة وهم نوابها أن الأمة أصابها ضرر من أى حكم من الأحكام الشرعية فان هذا ينافي الاسلام لأن الدين شرع لمنفعة الناس لا لضررهم فاذا تحقق الضرر فليزل هذا الحكم حتما لأن الحكم الشرعي مظنون والضرر محقق والمحقق مقدم على المظنون وهذا القول لا يمارى فيه اثنان في الاسلام . إن علم الفقه هو الأحكام الشرعية الظنية فاذا تحقق الضرر فكيف نعمل بالمظنون . هذه هي القاعدة التي تؤخذ من الآيات التي نحن بصدددها والتي أراد الله اظهار سرها في العصر الحاضر بعد أن ذل كثير من المسلمين في ديارهم . هذه هي القاعدة التي ستكون نبراسا ونورا مبينا للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وسيكون هناك رجال لانتهيم مظاهرهم ولاحطام الدنيا عن النظرة العامة لأهم الاسلام أولئك هم المفلحون . ولعلك تقول ماذا قال علماء الاسلام في أمثال هذا أقول لك سألخص لك فصلا من فصول ﴿ مذكرات مشروع قانون الزواج والطلاق ﴾ الذي أرسله الى صديقي الفاضل الشيخ محمد مصطفى المراغي رئيس القضاة بمصر كما وعدتك تحت عنوان

﴿ تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف ﴾

(١) قال ابن القيم هذا فصل عظيم النفع جدا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب الحرج والمشقة أو تكليف ما لا سبيل اليه وما يعلم أن الشريعة الباهرة لا تأتي به فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم والمصالح وهي عادل كلها ورجة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها وكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان أدخلت فيها بالتأويل وقد ضرب لذلك أمثلة

(٢) منه أنه شرع لهذه الأمة وجوب إنكار المنكر وتغييره ولكن اذا كان إنكار المنكر يستدعي منكرا أشد منه فانه لا يسوغ الانكار في هذه الحالة

(٣) ومنها أن النبي ﷺ نهى أن تقطع الأيدي في الغزو وهذا حد نهى عنه خشية أن يترتب عليه ما هو أغص من تعطيله أو تأخير

(٤) ومنها أن عمر بن الخطاب أسقط الحد بالقطع عن السارق عام المجاعة . قال السعدي حدثنا هرون ابن اسماعيل الحرار حدثنا علي بن المبارك حدثنا يحيى بن أبي كثير عن حسان بن زاهر أن ابن حذب حدثه عن عمر قال لا تقطع اليد في عذق ولا عام سنة قال السعدي سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال العذق

النخلة وعام سنة المجاعة فقلت لأجد تقول به قال أي لعمري قلت ان سرق في عام المجاعة لا تقطعه فقال لا اذا جلته الحاجة الى ذلك والناس في مجاعة وشدة وهذا على نحو قضية عمر في غلمان حاطب

(٥) ذلك انهم سرقوا ناقة لرجل من مزينة وأتى بهم الى عمر فاقروا على أنفسهم فأمر أن تقطع أيديهم ثم ردهم وقال لعبد الرحمن بن حاطب سيد الغلمان أما والله لولا أني أعلم انكم تستعملونهم وتبيعونهم حتى ان أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت أيديهم وأيم الله اذا لم أفعل لأغرمتك غرامة توجعك ثم قال يا منزني بكم أريدت منك ناقتك قال بأر بعائته قال عمر اذهب فأعطه ثمانمائة

(٦) العرف اذا خالف الدليل الشرعي في محرم كأن يتعارف الناس شرب الخمر وعم ذلك فلا يعتبر ذلك العرف وان خالف العرف العام النص الشرعي من بعض الوجوه فقط فان العرف يصير مخصصا لذلك النص (٧) اذا خالف العرف العام بين الناس حكما قياسيا فان العرف يترك به القياس . إذن العرف مخصص للنص تارك للقياس

(٨) العرف الخاص يقول بعض العلماء انه يثبت به الحكم العام والأكثر على خلافه مثال ذلك أن مشايخ (البح) كانوا يجيزون لأهل بلدهم أن يدفع أحدهم الى حائك غزلا على أن ينسجه بالثلاث وانما أجازوها لتعامل أهل بلدهم به والتعامل كما تقدم حجة يترك به القياس ويخص به الأثر وقد ورد النص على خلاف ذلك في قفيز الطحان . فاذن يكون الحائك مثله . فاذن هذا تخصيص للنص لا ترك له أصلا

(٩) ان علماء الحنفية أجازوا بيع الوفاء مع انه بيع فاسد فرارا من الربا قالوا وما ضاق على الناس أمر إلا اتسع حكمه فهو جائز للضرورة

(١٠) ورد عن رسول الله ﷺ أن البر والشعير والتمر والملح مكيلة وأن الذهب والفضة موزونات . إذن اذا وزن الناس البر لم يجز واذا عدوا الدراهم عدّا ولم يراعوا وزنها لم يجز ذلك لمخالفته للنص ولكن أبو يوسف اعتبر العرف في هذه الأشياء حتى جوّز الشاري بالكيل في الذهب وبالوزن في الخنطة اذا تعارف الناس ذلك فهذا اتباع فيه العرف وترك النص . والحجة في ذلك أن النبي ﷺ إنما نص على وزن هذا وكيل هذا لأن العرف في زمانه كان كذلك ولو كان العرف خلاف ذلك لنص عليه فلو تعارف الناس ببيع الدراهم بالدراهم واستقراضها بالعدد كان جائزا إما بناء على العرف كما تقدم وإما للضرورة

(١١) إن المتأخرين الذين خالفوا النصوص في كتب المذهب في بعض الأحكام لم يخالفوه إلا لتغير الزمن وعلمهم أن صاحب المذهب لو كان في زمنهم لقال بما قالوه مما يستخرج به الحق من ظالم أو يدفع دعوى متعنت ونحوه بعدم سماع دعواه أو بحجسه أو نحو ذلك ولكن لا بد لكل من الحاكم والمفتي من نظر سديد فللمفتي الآن أن يفتي على عرف أهل زمانه وان خالف زمان المتقدمين وكذا للحاكم العمل بالقرائن في أمثال ما ذكر قال وفي رسم المفتي والتحقيق أن المفتي لا بد له من ضرب اجتهد ومعرفة بأحوال الناس ومن جهل زمانه فهو جاهل ثم قال فهذا وأمثاله دلائل واضحة على أن المفتي ليس له الجود على المنقول في كتب ظاهر الرواية من غير مراعاة الزمان وأهله والاضيع حقوقا كثيرة ويكون ضرره أعظم من نفعه . ثم قال بعد كلام مانصه وينبغي أن يطال النظر الى هذه النصوص فهي تنطق بالروح العالي الذي كان يملأ صدور الفقهاء وتدل على مقدار احترامهم لعرف الناس وعاداتهم وعلى مقدار فهمهم للقواعد الفقهية وانها ما وضعت إلا لمصلحة العباد وضبط التعامل بينهم وانه يجب أن تخضع لعرفهم وأن تخضع للضرورات والحرج فلا يجوز أن تجحد الفقهيات الاجتهادية أمام حوادث الزمن وأمام ما يجد فيه من عادات ومصطلحات وهي قابلة للتجدد وقابلة للتغيير أمام العرف العام وأمام العرف الخاص عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسقط الحد عام المجاعة ولم يقطع أيدي غلمان حاطب لأن الضرورة قامت عنده عند رأيه به الحد . وأجد رضي الله عنه وافق عمر في الفصلين والحنفية تركوا القياس وهو أحد الأدلة الشرعية

بالعرف العام وخصصوا النص بالعرف العام وإذا رجعت إلى قواعدهم التي توجب في المخصص أن يكون متصلاً قلت أنهم نسخوا عموم النص بالعرف العام إذ العرف قد لا يطرأ إلا بعد قرون من ورود النص فيظل النص معمولاً به قروناً طويلة ثم يجد العرف فينقبض النص ويقتصر على ما وراء المتعارف ويأخذ المتعارف حكماً آخر خلاف حكم النص فيصير الشيء مباحاً بالعرف بعد أن كان حراماً بالنص وقد أهدر الحنفية دالة النص وهي إحدى الدلالات اللفظية حيث جاوزوا الاجارة على نسج الغزل بالثلث مع أن دالة النص المستفادة من قفيز الطحان تحرّم هذه الاجارة . وقد علل أبو يوسف النص في الربويات بالعرف وبنى على هذا أنه إذا تغير السكيل في البر والشعير وتغير الوزن في الذهب والفضة اعتبر العرف الطارىء لا عرف النص غير أن الفقهاء لم يقفوا عند هذا وأجازوا التعامل في الدراهم بالعدد بدلاً واستقرضوا وان تفاوت وزنها مراعاة للعرف ومراعاة للضرورة وفي هذا خروج على النص جلة لأنه الغاء للعيارية بالسكيل أو الوزن . وجعل الحنفية العرف الخاص قاضياً على النصوص المذهبية في مسألة ثمن المبيع المتقدمة إذا كان من عادة السوق دفع شيء من الثمن كل جمعة لدفعه جلة واحدة والمذهب ليس كذلك . وأجازوا بيع الثمار واعتبار تركها مشروطاً وقد كان بيع الثمار باطلاً وكان شرط الترك فاسداً . ورأى بعضهم أن يعمل العرف الخاص ما يعمل به العرف العام أى انه يلغى قياساً ويخصص نصاً ويهدر دالة نص . وهاهم أولئك فتحوا الباب للمفتين ليفتوا تبعاً لتغير العرف العام والخاص وتبعاً للضرورة والخرج . وأجازوا للحاكم العمل بالقرائن . وأجازوا له النهي عن سماع دعوى المتعنت وما أشبه ذلك . ولا يغيب عن الأذهان أن الأحكام المستفادة من النصوص قليلة جداً بالنسبة للأحكام الاجتهادية فالأحكام الاجتهادية قابلة للتغير بالعرف العام والخاص والأحكام المستفادة من النصوص قابلة للتخصيص بالعرف العام باتفاق وبالعرف الخاص على رأى بعض الحنفية . فهل توجد مرونة في القوانين تسع الناس أكثر مما في هذه الأحكام وهل يصح مع هذا أن يقول أحد أن قواعد الفقه جامدة لاتسع الناس في كل عصر ومكان والحق أن هذا ظلم لهذه القواعد ولكنه ظلم جرحه تزم الفقهاء والمحدثين الذين لم يفهموا روح الدين ولا روح الفقهاء المتقدمين . انتهى ملخصاً

هذه هي خلاصة الفصل الذي نحتاج اليه من هذه الرسالة ومنه يتبين أن علماء الدين في مذهب واحد من المذاهب الاسلامية خطوا خطوات واسعة في الاجتهاد للأمة وبناء على هذه الخطوات سهلت الامور في مصر في زماننا فوزن رعاك الله بين المفتي في القرن الماضي وبين قاضي القضاة في العصر الحاضر تعرف مقدار ارتقاء عقول المسلمين إذ لا يلقي للناس إلا ما استعدوا له . ومما عرفته من نفس قاضي القضاة المذكور ما قاله لي وأنا معه بجوان أن هذا القانون لم نستخرجه من المذاهب الأربعة حسب . كلا . بل نظرنا في مذاهب أخرى كالزيدية ومذهب داود الظاهري الذي له كتاب في المكتبة الخديوية اطلعت عليه وعليه ختم أحمد الملوك المسلمين . فلما سمعت ذلك داخلني السرور والفرح إذ رأيت هؤلاء أفضل من كثير من المتأخرين الذين يرون بأعينهم ضرر الناس ولا يفكرون في آيات القرآن

﴿ فصل في مناسبة ما تقدم لقصة الخضر وموسى عليهما السلام ﴾

وأنا أقول إذا كان عقول علماء الاسلام في العصر الحاضر قد تخطت الحدود التي رسمها المتأخرون وصاروا يأخذون من المذاهب ما يوافق العصر الحاضر (١) فكيف تكون حالهم إذا علم المسلمون في أقطار الاسلام أن الأحكام الشرعية مع كثرتها وكثرة مذاهبها ليس منها بالنص إلا قليل جداً كما تقدم في رسالة الزواج وهذا لا يعرفه إلا قليل من أهل العلم . ألا ترى أن الانسان إذا اتبع مذهباً من المذاهب وقف حياته كلها عليه ورأى عشرات الكتب في فروعه ولا يرى آية ولا حديثاً إلا قليلاً . ومن الأحاديث ما يكون ضعيفاً ولكن المقلد لا يتم علماء مذهبهم مع اجماع علماء الاسلام كما في مقدمة (فتح الباري على البخاري) أن الأحاديث الصحيحة المسلم

بها عند المسلمين وهي التي في البخاري ومسلم وهي التي تلى القرآن في صحة نقلها كلها ظنية إلا قليلا جدا . فاذا كانت هذه ظنية فما بالك بغيرها وما بالك بالأحكام المستنتجة منها فهي ظنٌ مستخرج من ظن . ومعلوم أن علم الفقه مبناه الظن فليس قولي هذا من باب الشك بل هو من باب شرح الحال (٢) ثم كيف تكون حال المسلمين بعدنا اذا رفعوا أبصارهم قليلا الى أمثال ما نقول وفهموا قصة الخضر وموسى كما قدمناه ونظروا بعقولهم في الأحكام التي في الكتب فاذا رأوا حكما قد أضرت بالناس ضررا محققا فليزيلاوه لا لأنه ضرورة بل لأنه يقين نسخ الظن . واذا رأوا حكما نصت عليه آية ورأوا بعض فروعه ضارّة في حال أوزمان خصصوه كما تقدم اقتداء بالنبي ﷺ في منعه قطع يد السارق في حال خاصة كما تقدم وكما تقدم عن عمر رضي الله عنه وأنا أكرر القول أن علماء الاسلام لا يتسنى لهم معرفة أمثال ما نقول سواء أكان في الأحكام الشرعية أم العلوم العقلية والمشاهد الطبيعية إلا بأن يقرؤا من كل فن طرفا صالحا حتى تستنير بصائرهم ويعرفوا هذه الحقائق في المقامين

ولقد ذكر العلامة الشاطبي هذا المقام ووافق على ما يسمى المصالح المرسلة وذكر منها ما يأتي

- (١) الضرب في التهم
- (٢) وما ذهب اليه مالك من السجن في التهم
- (٣) وما قرّره ونقل مثله عن الغزالي وابن العربي من جواز وضع الامام العادل ضرائب للدفاع عن البلاد واكثر الجند عند الضرورة
- (٤) أجاز بعض العلماء في بعض الجنايات أخذ المال
- (٥) الزيادة على سدّ الرمي اذا تواتت ضرورة الأكل من المحرّم كالهيئة في المجاعات أو عمّ الحرام بلدا فيؤخذ بالوجه الشرعي ولا ينظر لأصل المال وعزاه الى ابن العربي والغزالي
- (٦) وقتل الجماعة بالواحد ومستنده المصلحة المرسلة لأنه لم يرد لها نص وقد نقل عن عمر وهو مذهب مالك والشافعي . وبالجملة أن حديث ﴿لا ضرر ولا ضرار﴾ اليه ترجع جميع مسائل المعاملات التي يرجع فيها الى الحكم في القضاء والسياسة والحرب

﴿ تنبيه ﴾

تقدّم هنا ذكر مسألة ثمن المبيع اذا كان من عادة السوق دفع شيء من الثمن كل جمعة لادفعه جملة واحدة وايضاها ﴿انه لو باع التاجر في السوق شيئا بثمن ولم يصرحا بحلول ولا تأجيل وكان المتعارف فيما بينهم أن البائع يأخذ كل جمعة قدرا معلوما انصرف اليه بلا بيان واعتبر فيه عرف ذلك السوق الخاص وان لم يتعارف في أكثر البلاد مع ان المنصوص عليه في كتب المذهب حاول الثمن ما لم يشترط تأجيله وعلى هذا فالحكم الخاص يثبت بالعرف الخاص﴾ انتهى من الرسالة المذكورة

﴿ فائدة ﴾

مما أجازته علماء الاسلام وعملوا به انهم يقولون إن الامام اذا أمر بمندوب وجب واذا رفع له قول ضعيف قوّاه . كل ذلك ليفتحوا للأمة باب دره المفسد وجلب المصالح وأنا أقول الحق والحق أحق أن يتبع قد تقدم في سورة النساء أن أولى الأمر وهم أهل الحل والعقد في البلاد هم الذين لهم هذه المسائل ترفع اليهم وما يقرّرونه يكون معمولاً به . هذا هو الحق الصراح والمسلمون اليوم لهم مجالس عامة . أما الأمراء وغيرهم فلا والحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿ فاكهة ﴾

جاء في محادثة الشيخ الشعرائي مع شيخه الخواص ما نصه بالحرف من كلام الخواص ﴿يمكن الانسان

الاحاطة بعلم جميع ما كلفه الله به من الأحكام في نحو شهر فإن غالب اشتغال الفقهاء طول عمرهم إنما هو في فهم كلام بعضهم بعضا وهذا لم يكلف الله به أحدا بعلمه ولا العمل به لعدم عصمة قائله إلا أن أجمع عليه انتهى المقصود منه . وأقول . هذا القول لا يصح اطلاقه على علته لأن الأمة لا بد لها من قضاة وحكام وعليهم البحث والجد والاجتهاد . فهذا القول منه نظريه الى حال الصوفية ولكن الدين الاسلامي وسع نظام الشخص ونظام الأمة فلا بد من الاجتهاد حصل عليه اجماع أم لم يحصل . وأما قوله انه يكفي في معرفة الأحكام نحو شهر فهذا يقرب مما أتذكره من كلام الامام الشافعي رحمه الله في الرسالة إذ يقول ﴿ إن الواجب تعلمه وجوبا عينيا هو ما تلقاه العامة جيلا بعد جيل ﴾ انتهى بمعناه

أما ان علم الفقه واجب وجوبا عينيا فانما ذلك خاص بطائفة تخصها الأمة بالقيام بنظام الدولة وحفظ أموالها وأعراضها . إن الأمم الاسلامية اليوم مستعدة للرجوع الى الكتاب والسنة الصحيحة ثم الرجوع الى العقل فيما يتقنوا ضرره كما ان الخضر لم يبال بجرمة قتل النفس . ولا يحفظ سفينة اليتامى . ولا بأن أهل القرية بخلاء فهو مع الحق أينما كان . أحسن ليتامى البخلاء وعلم علما يقينا في مسألتين ضررا فقلب المحرم بالنص حلالا باليقين . وأى إثم أكبر من التعدي على النفس والمال في القلام والسفينة . ذكر الله هذين في القصة ليقول للمسلمين ارفعوا عيونكم . انظروا ببصائركم . أليس موسى نبيا فكيف حلال الحرام أمامه . وهل أنا قصصت ذلك عليكم أيها المسلمون لالحجة القصص ليفرح بسماعه العامة يوم الجمعة في مساجدكم . كلا . إني أنزلت هذا لتنظروا فعل نبيكم ﷺ فاذا نقل اليكم أنه منع قطع اليد في حال خاصة لحكمة خاصة وإذا فعل عمر مثله كذلك فهذا يذكركم بمعنى هذه الآية . الآية صريحة في القتل وهي من القرآن والقرآن ليس ظنيا كالحديث بل هو متواتر والمتواتر يقين . فهذه الآية التي جمعت كل هذه الشروط قد خصصت كمال الخضر قتل النفس واتلاف المال بحال خاصة يقين عنده . وليس معنى قولي هذا اننا نقضى بالكشف والاطلاع على الغيب . كلا ثم كلا . وانما هذا خاص بقليل من عباد الله وانما المقام في فهم اليقين والظن . ومن عجب أن يصطليح الناس في مصر على سماع القرآن يوم الجمعة بالمسجد ولا يقرأ القارئ إلا الكهف فسكان الله يقول للمسلمين هذه السورة تقرأ في اجتماعكم يوم الجمعة أفليس منكم رجل رشيد شجاع يفكر في قصة الخضر وموسى ويخرج المسلمين من حصر الفكر الى الاجتهاد المطلق المقيد بأصل الدين . هذا ما فتح الله به يوم الثلاثاء (٢٢) مايو سنة ١٩٢٨ م

(قصة ذي القرنين)

اعلم أن كثيرا من العلماء يقول انه اسكندر الرومي بن فيليبس وقصته الآن معروفة تدرس في مدارسنا المصرية ومدارس العالم أجمع وهوتاميند (أورسطاطاليس) الفيلسوف ويسمى المعلم الأول وهو الذي انتشرت فلسفته في الأمة الاسلامية وقد كان هذا الملك قبل الميلاد بنحو ٣٣٣ سنة وقد تولى الملك بعد أبيه وهو من أهل (مقدونيا) وحارب الفرس وتولى على ملك (دارا) وتزوج ابنته وقتل الرجل الفارسي الذي قتل دارا وجاء ليأخذ الجائزة منه وأظهر كرمًا وشجاعة والناس اليوم يدرسون رسائل بينه وبين أستاذه في السياسة . ذلك انه لما دخل بلاد فارس رأى هناك رجلا ذوى وجهة وبهجة وجمال وأبهة من أبناء الملوك والأمراء فأراد قتلهم فاستشار أستاذه فأرسل اليه الأفضل في قتلهم وان قتل الرؤساء تتأجج ناره في قلوب الأمة ولا تخمد وأمره أن ينعم عليهم ويعطى كلا منهم ملك أبيه ويوقد بينهم العداوة والبغضاء دائما ويكون هو الحاكم بينهم فيكون محبوبا فغشى على تلك السياسة . ولما مات قامت بعده ملوك الطوائف التي أسسها ثم انه سافر الى الهند وحارب هناك في (البنغال) وغيرها ثم انه بنى الاسكندرية لما حكم مصر لأن مصر كانت تحت حكم

الفرس فلما غلب الفرس حكم مصر وبنى الاسكندرية المسماة باسمه للآن وعاش ثلاثا وثلاثين سنة ومات عند رجوعه من الهند قبل أن يصل لبلاده . هذا رأى وهناك رأى آخر قاله أبو الريحان السمرقندي المنجم في كتابه المسمى ﴿ بالآثار الباقية عن القرون الخالية ﴾ انه من جبر واسمه أبوكرب بن افريقش (وافريقش هذا قد رحل بجيوشه الى ساحل البحر الأبيض فنما الى تونس وغيرها فسميت القارة كلها باسمه (افريقيا الجبرى) وهو الذى افتخر به أحد شعراء جبر حيث يقول

قد كان ذو القرنين جدى مسلما * ملكا علا فى الأرض غير مفند
بلغ المشارق والمغرب يبتغى * أسباب ملك من كريم مرشد
فراى ما ب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثأطة حرم

ما ب الشمس ذهابها فى عين ذى خلب أى حمأة والثأطة أيضا الحمأة والحرم الطين الأسود . هذا ما يخص ما قاله العلماء مع ذكر الحقائق الأصلية فى التاريخ بالتخليط . وإنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس . ولعلك تقول أى القولين أصح . أقول لك لا بهم القرآن أيهما فليست هذه من العقائد وإنما هي نصائح تنبى للوعظة الحسنة فليكن اسكندر المقدونى أو فليكن رجلا جبريا فى أزمان مضت وكان صالحا كما قاله بعض العلماء فليس القرآن جاءنا ليعلمنا تاريخ اليونان أو تاريخ الجبريين . القرآن أكبر من التاريخ العلم ومن جميع العاوم بل بكل التاريخ الى عاوم الأدب وعلم الطبيعة والفلك للعقول البشرية ولكن لما سأله عن ذى القرنين أجابهم بالقول الذى يجمع بين اجابة المطلب وبين الفائدة الدينية فيه الوعظ وفيه ذكر حجة مجملة من التاريخ . فلمعرك ليس للقصص من فائدة إلا المواظ . وقد تقدم أن الفوائد فى عجائب هذا الملك وعجائب أصحاب الكهف وأمثالهم وكقصة الخضر مثلا وكقصة ذى القرنين أقل بما لا ينهاى من عجائب هذه الكائنات فلتتوفر السواعى عليه وليؤخذ من هذا القصص وعظه ولا تنارى فى حقائق هذه القصة إلا مراء ظاهرا ولا تستغنى فيها أحدا من المؤرخين فالقرآن لم يكن للتاريخ بل للوعظة والاعتبار

وإذا كانت الأمم تعلم بحكايات لأشخاص خياليين كما أوجب ذلك فى كتاب ﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾ فكيف اذا علم القرآن بما يطابق الواقع مراعى فيه الوعظ مسندا لأشخاص حقيقيين . ولعلك أيها الذكى تقول أنا أفضل أن يكون جبريا فى القرون الأولى لأنه من العرب وأنت إما عربى مسلم وأما مسلم من غير العرب ففضل أن يكون منهم وأيضا سيرة اسكندر المقدونى لا تنطبق على ما قصه الله فى القرآن . أقول لك الحق فى ذلك أن كون آبائنا كانوا عظماء لا ينفعنا فهذه الأمم الاوروية كان أجدادهم منذ ألف وأربعمائة سنة يحاربون دولة الرومان وكانوا يسمون برابرة ومع ذلك غلبونا ونحن أبناء الأكاسرة والفراعة والأنبياء والفلاسفة وهؤلاء جهلاء مجهولون فهذا الوجه ظاهر وأما انطباق التاريخ بالحرف فقد قدمت انه لا يعيننا ولو أردنا انه المقدونى قلنا ان خوى أعماله تقتضى ذلك من الوجهة العامة ولكن فيه تكلف عظيم فكونه اسكندر الجبرى أولى وسأجعل له مقالا خاصا قريبا مع بأجوج ومأجوج . وانشرع فى المقصود وهو التفسير قال تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا) أى من ذى القرنين خبرا (إنا مكنا له فى الأرض) أى مكنا له أمره من التصرف فيها كيف يشاء (وآتيناه من كل شئ) أراداه وتوجه اليه (سببا) أى بلاغا ووصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فأراد باوغ المغرب (فأتبع سببا) سلك طريقا يوصله اليه (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمة) ذات حمأة يقال حمت البئر صارت ذات حمأة * وفى قراءة أخرى - تغرب فى عين حامية - أى حارة وذلك لأنه لما بلغ مغرب الشمس أى البلاد التى لا بلاد بعدها تغرب عليها الشمس حيث لم يكن عمران إلا ما عرفوه وذلك عند بحر الظلمات المسمى بالمحيط الاطلانطى إذ وصل ذو القرنين الجبرى الى بلاد تونس ثم سار حتى وصل الى بلاد مراکش ووصل الى ذلك

البحر فوجد الشمس تغرب في البحر رأى العين وكل بحر فيه ماء وطين أو ماؤه حار للاحاح الشمس عليه (ووجد عندها قوما) أى عند تلك العين (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب) بالقتل والأسر (وإما أن تتخذ فيهم حسنا) بالارشاد وتعليم الشرائع وتعفو وتصفح (قال أما من ظلم) أى كفر (فسوف نسد به) نقتله (ثم یرد الى ربه) فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) منكرا يعنى النار فهى أنكر من القتل (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أى جزاء أعماله الصالحة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى نلين له فى القول ونعامله باليسر (ثم) لما أراد بلاد المشرق (أتبع سببا) سلك طريقا يوصله اليه (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) أى الموضع الذى تطلع عليه الشمس أولا من العمورة (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) فللباس ولا بناء فهم عراة فى العراء أو فى سراديب فى الأرض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كما وصفناه من رفعة الشأن وبسطة الملك (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود وآلات الحرب (خبرا) علما تعلق بظاهره وخفياته (ثم) لما أراد أن يتوسط بين المشرق والمغرب (أتبع سببا) سلك طريقا ثالثا بينهما (حتى إذا بلغ بين السدين) الجليلين المبنى بينهما سد وهما جبال (أرمينية وأذربيجان) أو جبلان آخران عالين فى آخر الشمال فى منقطع أرض الترك وسترى تحقيق هذا المقام بأجل تحقيق قريبا فانتظره (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) لغرابية لغتهم وقلة فطنتهم (قلوا ياذا القرنين) أى قال مترجوهم (إن يأجوج ومأجوج) الآتى ذكرهما مع التحقيق (مفسدون فى الأرض) فى أرضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع (فهل نجعل لك خرجا) جعلنا نخرجه من أموالنا (على أن تجعل يدنا وبينهم سدا) يحجزون خروجهم علينا (قال ما مكنى فيه ربى خير) أى ما جعلنى مكينا فيه من المال والملك خيرا تبذرون لى من الخراج فإن الدول القوية يجب عليها أن تحافظ على الضعيفة وليس يجوز لها أن تأخذ أموالها مادامت قادرة على اغنائها وإذا احتاجت الى شئ فليكن على قدر الحاجة بخلاف ما عليه أوروبا الآن وأهم الاسلام فى القرون الأخيرة فانهم ما حكموا الأمم إلا لأخذ أموالهم والتمتع بما جمعوا من الثروة وهذا هو الذى سيكون دأب الأمة الاسلامية حين تقوم قائمتها ألا يأخذوا من مال الأمم اذا حكموها شيا وإذا أخذوا فليكن ذلك على قدر الحاجة ويوكل ذلك الى رأى المجالس الشورية فى الممالك الاسلامية التى ستكون أرقى ويعلمون أن الله لا يولى على عباده إلا أنفعهم ولا أنفع لهم من هذا (فأعينونى بقوة) أى ما أنقوى به من الآلات (أجعل بينكم وبينهم رمدا) حاجزا حصينا وهو أكبر من السد يقال ثوب مرهم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع (أتونى زبر الحديد) الزبرة القطعة الكبيرة أى قطع الحديد فأتوه بها وبالخطب فجعل الحديد والحديد على الخطب (حتى اذا ساوى بين الصدفين) جانبي الجليلين وانما سميا صدفين لأنهما يتصادفان أى يتقابلان (قال انفخوا) أى قال للعملة انفخوا فى الأكوار والحديد (حتى اذا جعله) جعل المنفوخ فيه (نارا) كالنار بالاجزاء (قال أتونى أفرغ عليه قطرا) أى أصب عليه نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الخطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس (فاسطعوا أن يظهره) أى لعنوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) من أسفله لشدته وصلابته (قال) ذوالقرنين (هذا) السد (رحمة من ربى) أى نعمة من نعمه (فاذا جاء وعد ربى) أى وقت خروجهم (جعله ذكاء) أرضا ملساء (وكان وعد ربى حقا) كائنا لاحتماله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) أى وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد بعض الناس يموج فى بعض ويختلط العالم كله بحيث يدخل يأجوج ومأجوج فى الأمم كلها ويختلطون أجيالا وأجيالا كما ستره . كل ذلك قبل النفخ فى الصور بمن مجهول لا يعلم (ونفخ فى الصور) بعد ذلك لقيام الساعة (جمعناهم جمعا) الضمير للمأجوجين وهم جميع الناس ومنهم يأجوج ومأجوج (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأبرزناها وأظهرناها ليشاهدها عيانا (الذين كانت أعينهم فى غطاء) غشاء وستر (عن ذكرى) أى عن الايمان والقرآن والهدى

والتبصر في الدلائل (وكانوا لا يستطيعون سماعها) أى سمع قبول للإيمان (أخسب الذين كفروا) أغفل الذين كفروا خسبوا أى فطنوا والاستفهام للانكار (أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) أربابا كيمسى والملائكة (إننا أعدنا) أعدنا (جهنم للكافرين نزلا) مايقام للنزول وهذا تهكم والا فآين الضيافة فى النار (قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالا) منصوب على التمييزهم (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) كالرهبان فانهم لاذرية خلفوا ولادينا حفظوا لأن دينهم لم يأمرهم بذلك وإنما هم المبتدعون (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) لما عندهم من العجب واعتقادهم أنهم على الحق (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) المنصوبة فى الآفاق وبآياته المنزلة على النبي ﷺ (ولقائه) بالبعث (فخطت أعمالهم) بكفرهم فلا يثابون عليها (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) ميزانا وكيف نوزن أعمالهم وقد حبطت فلا قيمة لها الأمر (ذلك) ثم بينه فقال (جزاؤهم جهنم) سبب (ما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا (حال كونهم) خالدين فيها) والحال هنا مقدرة (لا يبيعون عنها حولا) تحولا والفردوس الجنة الملتفة بالأشجار التى تنبت ضروبا من النبات . يطلق النزول على مايهيا للنازل أى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وأزمان الجنة مهما طالت يعقبها خلوص الأرواح العالسة الى مراتب سامية - عند ملك مقتدر - وهو الذى يسمى رضوان الله ويسمى أيضا زيادة كما فى قوله تعالى - الحسنى وزيادة - كما تقدم فى هذا التفسير . ولما كانت الجنة فى الحقيقة ترجع الى العلوم والمعارف لأنها هى السعادة القصوى فى الآخرة ومن لم يتصور ذلك ولم يرجع إلا ما هو محسوس فانه يعلم أن العلوم تكون سببا لها أعقب ذكر الجنة بأن علم الله لانهائية له . ولا جرم أن هذه السورة مسوقة الى العلم وانه لانهائية له كما فى قصة الخضر وكما فى قصة أهل الكهف التى قيسل انها بالنسبة لجحائب الله قليلة وهذا قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا) المداد ما يكتب به وهم اسم لما يمد به الشئ كالخبر للدواة (لكلمات ربى) لكلمات علمه وحكمته (لنفد البحر) جنس البحر فكل جسم فانه متناه (قبل أن تنفذ كلمات ربى) فانها غير متناهية (ولو جئنا بمثله) بمثل البحر (مددا) زيادة ومعونة * يروى أن اليهود قالوا يا محمد تزعم أننا قد أوتينا الحكمة وفى كتابك - ومن يوت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا - ثم تقول - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - فنزلت هذه الآية * وقيل انه لما نزل - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فأنزل الله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى - أى ما يستمدد الكاتب ويكتب به * قال مجاهد (لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب والخلائق يكتبون لنفد البحر الخ) ثم قال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) لا ادعى الاحاطة بعلم الله تعالى (يوسى الى) إنما إلهكم إله واحد) فهذا هو الذى ميزنى عنكم (فن كان يرجو لقاء ربه) يأمل رؤية ربه (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لا يرانى فى عمله فلا بد من * أمرين * أحدهما (أن يكون لله وحده) (والثانى) أن يكون مبرا من الشرك * روى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال (من سمع سمع الله به ومن يرانى يرانى الله به) أى من عمل عملا صالحا آتاه الناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة * وروى مسلم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه)

(لطيفتان فى ذى القرنين والسد وفى الكلام على يأجوج ومأجوج)

(اللطيفة الأولى فى سد ذى القرنين)

اعلم أنه قد ورد فى بعض الكتب التى تنشر حديثا فى مصر وبلاد الاسلام ما يأتى ملخصا
 إن كتابة علماء العرب المسلمين عن شرقى البحر الاسود دقيقة التحرى وقالوا ان سكانها من الصقالبة
 (السلاف) وأن هناك مدينة باب الابواب وسدا منيعا وقد علم الروس أن مدينة (دربت) بجبل قوقاف هى

نفسها مدينة (باب الأبواب) وكشفوا في القرن الماضي سورا منها ممتدا على مقربة منها كأنه خط انفصال قال وقد خلط كثير من الكتبة سد مدينة (باب الأبواب) بالسد الشهير حتى ان أبا الفداء نفسه لم ينج من هذه العثرة لكن الادريسي أبان موقع كل منهما بجلاء واتضح من مقابلة المصنفات العربية وجوب وجود السد الشهير وراء (جيجون) في عمالة (بلخ) واسمه (سد باب الحديد) بمقربة من مدينة (ترمذ) وقد اجتازه (تيورلنك) بجيشه ودعا مؤرخه شرف الدين اسم المجل (خواجه) ومرّ به أيضا (شاه روح) وكان في خدمته ومن بطانته الألماني (سيلدبرجر) وذكر السد في كتابه وذلك في أوائل القرن الخامس عشر وكذلك ذكره الاسباني (كلافيجو) في رحلته سنة ١٤٠٣ م وكان رسولا من ملك كستيل (قشتاله) بالأندلس الى (تيورلنك) قال ان سد مدينة (باب الحديد) على الطريق الموصل بين سمرقند والهند . هذا ملخص من (المقتطف) سنة ١٨٨٨ م وبه تعلم أن السد موجود فعلا وأن هذا معجزة للقرآن حقا وهذا أمر عجيب . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في الكلام على يأجوج ومأجوج وذى القرنين ﴾

لقد كتب كاتب هندي سنة ١٨٩٨ م في مجلة (الهلل) يسأل علماء مصر والشام . أين يأجوج ومأجوج وهل هم موجودون وإذا كانوا موجودين فأين هم والناس قد اطلعوا على أحوال أكثر الشعوب في الأرض وهل قول الله تعالى يتغير وإذا كانت قول الله حقا وصدا فأين هؤلاء وقد كرر هذا الموضوع في مجلة (الهلل) ثلاث مرات فلم يجب أحد . وقد كنت إذ ذاك في أول خدمتي في المدارس المصرية بصفة مدرس وكان لي إلمام بهذا الموضوع ولم أكن اطلعت على ما كتبت في اللطيفة الأولى كما ذكرته لك فكتبت مائتاً وأرسلته الى (مجلة الهلال) وهذا أول موضوع كتبت ونشر في الجرائد فأحمد الله اني وفقت أن أسير في تفسير القرآن اليوم سنة ١٩٢٤ واني أضم هذا الموضوع اليه بعد نشره في الجرائد بأمد طويل فيها كه (المقالة الثامنة التي كتبها في كتابي نظام العالم والأمم)

(يأجوج ومأجوج)

يأجوج ومأجوج أمتان ذكرتا في القرآن الشريف في سورة (الكهف) وسورة (الأنبياء) قال تعالى - قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض - وقال في سورة الأنبياء - حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق - الآية . فلنجعل هاتين الآيتين موضوع بحثنا ضار بين صفحا عن وجوه التفسير التي ليس لها مساس به ولنحصره في (خمسة مباحث)

﴿ المبحث الأول ﴾ في معنى لفظ يأجوج ومأجوج وأصلهم وجغرافية بلادهم

﴿ المبحث الثاني ﴾ في افسادهم في الأرض ويستلزم ذكر تاريخهم

﴿ المبحث الثالث ﴾ في معنى - فتحت يأجوج ومأجوج - وذكر خروجهم وتعيين زمنه وما يشهد له

من الأحاديث وأقوال العلماء ومكاتبات الملوك

﴿ المبحث الرابع ﴾ في ذكر معنى الحذب لغة ومقارنته بكلام المؤرخين

﴿ المبحث الخامس ﴾ اقتراب الوعد الحق

﴿ المبحث الأول ﴾

أصل يأجوج ومأجوج من أولاد يافث بن نوح مأخوذان من أجيج النار وهو ضوءها وشرها تشيران لكثرتهم وشدهم . وذكر بعض المدققين في البحث عن تأصيلهم أن أصل المغول والتتر من رجل واحد يقال له (ترك) وهو نفس الذي سماه أبو الفداء باسم مأجوج فيظهر من هذا أن المغول والتتر هم المقصودون بإجوج ومأجوج وهم كانوا يشغلون الجزء الشمالي من آسيا تمتد بلادهم من (التبت والصين) الى المحيط

المنجمد الشمالي وتنتهي غربا بما يلي بلاد (التركستان) كما في (فاكهة الخلفاء) وابن مسكويه في (تهذيب الأخلاق) وفي (رسائل اخوان الصفا) فقد ذكروا أن هؤلاء هم يأجوج ومأجوج

﴿ المبحث الثاني الكلام على افسادهم في الأرض ﴾

وقد ذكر المؤرخون ومنهم الافرنج أن هذه الأمم كانت تغير قديما في أزمنة مختلفة على الأمم المجاورة لها فكيف افسدوا وقلبوا الأمم قلبا قبل زمن النبوة ودمروا العالم تدميرا وجعلوا عاليه أسفله فهم مفسدون في الأرض بنص القرآن وشهادة التاريخ فقد ذكروا أن منهم الأمم المتوحشة والسيول الجارفة التي انحدرت من الهضبات المرتفعة من آسيا الوسطى وذهبت الى أوروبا في قديم العهد فهم أمة السبت والسمرياق والمسجيت والهنون وهم أغاروا على بلاد الصين وعلى أمم آسيا الغربية التي كانت مقر الأنباء وكانوا يحنرون قومهم من هؤلاء الأمم قديما قبل نزول القرآن وكذلك ورد ذكرهم في القرآن كما تقدم وفي بعض الأحاديث أيضا ثم انهم لم يزالوا في حدود بلادهم لا يتجاوزونها بعد زمن النبوة الى أن ظهرت الداهية الدهياء والفارة الشعواء من تلك الأمم المتوحشة الرحالة إذ ظهر منهم رجل يسمى (توجين) لقب نفسه (جنكيزخان) وقال مؤرخو الافرنج ان معناه بلغة المغول (ملك العالم) ولقد ملك من بعده مشارق الأرض ومغاربها إذ أعد نفسه فاتحا لكل العالم وكان خروجه هو وقومه من الهضبات المرتفعة والجبال الشاهقة التي في (آسيا الوسطى) في أوائل القرن السابع من الهجرة فانه بعد أن جمع أمة التتار تحت حكمه أخضع الصين الشمالية أولا ثم ذهب الى بلاد الاسلام فأخضع السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن أرسلان بن محمد من الملوك السلجوقية ملك خوارزم لأسباب سنذكرها . وكان يمتد ملكه على بلاد التركستان والخرس وقد دافع ابنه جلال الدين مدافعة الأبطال لرد هجماتهم فلم يرد شيئا وسقطت الدولة بعد حرب مكثت عشرين سنين . ولقد فعلوا بهذه الدولة من المنكرات والفظائع ما لم يسمع مثله في تاريخ فلم يبقوا على رجل ولا امرأة ولا صبي ولا صبية فقتلوا الرجال وسبوا النساء وارتكبوا الفواحش أنواعا . ولقد حسبوا القتل في مدينة خوارزم وحدها فلم يحق كل واحد من جوع (جنكيزخان) التي لا تحصى عدا أربعة وعشرون قتيلا وأحرقوا المدينة وهدموا أسوارها وأجروا بها الدماء أنهارا فضلا عما فعلوه بسمرقند وبخارى وغيرهما وفتكوا بأهل نيسابور وأفنوهم عن آخرهم حتى الأطفال والحيوانات كالقطط والكلاب وأحرقوا البلد وقد عدت القتلى في واقعة (مرو) فكانوا مليوناً وثلاثمائة وثلاثين ألفا . هذا ما أمكن ضبطه وهذه نبذة يسيرة بل قطرة من بحر فظائعهم (راجع دائرة المعارف وابن خلدون وفاكهة الخلفاء) وقس على ما ذكرناه جميع البلاد التي سنذكرها فافقد أخضعوا بلاد الهند ومات (جنكيزخان) بعد قفوله من غزوها . ولما ملك بعده ابنه (اقطاي) أغار ابن أخيه المدعو (باتو) على الروس سنة ٧٢٢ ودمروا (بولونيا) و (بلاد المجر) وأحرقوا وخربوا ومات (اقطاي) فقام مقامه (جالوك) خارب ملك الروم وأجأه الى دفع الجزية ثم مات (جالوك) وقام مقامه ابن أخيه منجوقكاف أخويه (كيلاي) و (هولاكو) أن يستمرا في طريق الفتح فينتجه الأول الى بلاد الصين والثاني الى الممالك الاسلامية وقد فعل كل منهما ما أمر به فأخضع (كيلاي) بلاد الصين وزحف (هولاكو) على الممالك الاسلامية ومقر الخلافة العباسية وكان الخليفة إذ ذاك (المستعصم بالله) فأراد أن يدخل الى هؤلاء الباغين من طريق المداورات فلم يفلح وأخذت بغداد عنوة في أواسط القرن السابع من الهجرة وأسلمت للسلب والنهب سبعة أيام سالت فيها الدماء أنهارا وهو أمر معلوم مشهور وطرحوا كتب العلم في دجلة وجعلوها جسرا يمرّون عليه بخيولهم وهذا الخليفة بعد ما أحضر لتسليم ماله من الكنوز التي لا تحصى وقد ورثها عن أجداده ذبح وعلقت جثته في ذنب حصان وساروا بها بين أسوار مدينة بغداد وبه انتهت الخلافة العباسية ببغداد . ولما استولت ذرية (جنكيزخان) على آسيا كلها وأوروبا الشرقية اقتسموا بينهم الفتوح وأنشأوا منها أربع ممالك

منفصلة فاختصت أسرة (كيلاي) بالصين والمغول وملك جافاناي أخواقطاي تركستان وملككت ذرية بالطرخان البلاد التي على شواطئ نهر (فاجا) وصارت الروسية تدفع الجزية اليها زمنا طويلا وانضمت بلاد الفرس الى (هولاكو) الذي دمر بغداد وقد استمرت فتوحات المغول الى بلاد الشام

﴿ المبحث الثالث ﴾

قال تعالى - حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج - أي فتحت جهنم على أحد تفسيرين ولقد فتحت تلك الجهة في أوائل القرن السابع من الهجرة كما ذكرنا في التاريخ وخرج (جنكيزخان) وجنوده وملكوا مشارق الأرض ومغاربها كما أوضحنا . وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشير الى ذلك كقوله عليه السلام ﴿ اتركوا الترك ما تركوكم فان أول من يسلب أمتي ملكهم بنوقطورا ﴾ أي الترك مع ملاحظة ما ذكرناه في التاريخ انه لم يسلب الأمة الاسلامية ملكها إلا هؤلاء . وقد ورد أيضا في حديث يأجوج ومأجوج أن مقدمتهم تكون في الشام وساقطهم بخراسان فهذه اشارة الى سيرهم واتجاههم وطريق منتهى ملكهم إذ لم يتجاوزوا الشام الى مصر ولا أفريقيا . وقد ورد أيضا أن يأجوج ومأجوج لا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس . ومن العجيب أن (جنكيزخان) وقومه وذريته طافوا الأرض شرقا وغربا ولم نغث فيها طلعا عليه انهم دخلوا أحد الأماكن الثلاثة فما أجلها من معجزة ظاهرة . ثم ان (جنكيزخان) هو المراد بحديث ﴿ يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب أصحابه محسورون محقرن مقصون عن أبواب السلطان يأتونه من كل فج عميق كأنهم فرع الطريق يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها ﴾ وقد حله بعض العلماء قديما على (جنكيزخان) المذكور وسبب خروجه وحصده الأرواح ان سلطان خوارزم المتقدم ذكره في التاريخ قتل رسل (جنكيزخان) والتجار المسلمين من بلاده وسلب أموالهم وأغار على أطراف بلاده فاعتاظ (جنكيزخان) وكتب اليه كتابا بهول فيه ويشنع على السلطان قال فيه مانصه ﴿ كيف تجرائم على أصحابي ورجالي وأخذتم تجارتي ومالي وهل ورد في دينكم أجاز في اعتقادكم ويقينكم أن تريقوا دم الأبرياء أو تستحلوا أموال الأتقياء أو تعادوا من لا عاداكم وتكذبوا صفو عيش من صادقكم وصافاكم . أتحركون الفتنة النائمة وتنهون الشرور السكامة أو ماجأكم عن نبيكم سريكم وعليكم أن تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن ظلم الضعيف قويكم أو ما خبركم مخبروكم وبلغكم عنه مرشدوكم ونباكم محدثوكم اتركوا الترك ما تركوكم . وكيف تؤذون الجار وتسيئون الجوار ونبيكم قد أوصى به مع انكم ما ذقم طعم شهده أوصابه ولا بولتم شدايد أوصافه وأوصابه ألا ان الفتنة نائمة فلا توقظوها وهذه وصايا اليكم فعوها واحفظوها وتلافوا هذا التلف قبل أن ينهض داعي الانتقام وتقوم سوق الناقن ويظهر من الشر ما بطن ويروج بحر البلاء ويموج وينفتح عليكم سد يأجوج ومأجوج وسينصر الله المظلوم والانتقام من الظالم أمر معلوم ولا بد أن الخالق القديم والحاكم الحكيم يظهر سر ربو بيته وآثار عدله في بريته فان به الحول والقوة ومنه النصرة مرجوة فلترون من جزاء أفعالكم العجب وليسلن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حذب ﴾ انتهى المقصود من عبارات كتاب (جنكيزخان)

وانظر كيف كان صريحا بجميع ما يراد من هذه المقالة بأوفى بيان وهذا مصداق ما رواه البخاري بسنده عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب ابنة جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحاق بأصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب ابنة جحش فقلت يا رسول الله أنه لك وفينا الصالحون فقال نعم اذا كثرت الخبيث . ولقد اتسع ذلك الفتح من ذلك التاريخ الى القرن السابع من الهجرة حتى فتح عن آخره وخرج هؤلاء القوم كما أوضحنا ولقد عثر على آثاره كما قدمنا . ولا ريب أن هؤلاء الأقوام كانوا غوغاء ولا رؤساء لهم ولما صار لهم زعيم خرجوا بعد فتح السد في المدة المذكورة المجهولة فيها البلاد التي لم تعلم إلا بافتتاح المسلمين ماجاورها من

بلاد خوارزم وهذه من أجل المعجزات . ثم انه كان بين بلاد (جنكيزخان) ومملكة خوارزم مملكة تسمى (انذار) كأنها حد فاصل بين السولتين أوسد بين الأمتين ففزاها الملك السلجوقي واستعبد أجنادهم فارتفع الحاجر بين الأمتين فسرت السراير وابتهجت القلوب بهذا الفتح وكان إذ ذاك في (نيسابور) عالمان فاضلان فأقاما العزاء على الاسلام وبكيا حتى أرويا الأرض بدموعهما فسئلا عن موجب هذا البكاء والناس فرحون بنصر الله فقالا وأنتم تعتون هذا التلم فتحتا وتتصرون هذا الفساد صلحا وإنما هو مبدأ الخروج وتسلط العالوج وفتح سد يأجوج ومأجوج ونحن نقيم العزاء على الاسلام والمسلمين وما يحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين . ولتعلمن نبأه بعد حين . فهذا تصريح من هذين العالمين بما أردناه ونص في خفواه ولا ضرورة لخروج كلامهما عن ظاهره وانظر كيف ظهر صدق كلامهما في حينه كما قدمناه وظهر التتر وأفنوا المسلمين وماج الناس بعضهم في بعض فلقد اضطرب أهل آسيا وأخذوا يرتحلون من منازلهم فرارا وكذلك أهل أوروبا

﴿ المبحث الرابع ﴾

قال تعالى - من كل حذب ينسابون - الحذب ما ارتفع من الأرض وينسابون أى يسرعون في النزول من الآكام والتلال المرتفعة وهذه الحالة منطبقة تماما على قوم (جنكيزخان) المتقدمين فانهم باجتماع مؤرخي العرب والافرنج كان خروجهم من هضبات آسيا الوسطى وحدها كما ذكرنا

﴿ المبحث الخامس ﴾

قال تعالى - واقترب الوعد الحق - أى القيامة ويؤخذ منه ومن سورة الكهف قوله تعالى - ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا - في مساق قصة يأجوج ومأجوج أن خروجهم قرب الساعة ولكن هذا لا يدلنا على أنه لافاصل بينه وبين الساعة . ألا ترى الى قوله تعالى - اقتربت الساعة وانشق القمر - وقوله ﷺ ﴿ بعثت أنا والساعة كهاتين ﴾ وأشار بالسبابة والوسطى ومع ذلك فقدمضى نصف وثلثمائة وألف سنة فهكذا قال في آية يأجوج ومأجوج - واقترب الوعد الحق - في كلاهما اقتراب . وربّ قائل يقول أين الاقتراب في الموضوعين قلنا معلوم أن ماضى من الزمان لا يتناول الاحصاء ومابقى من عمر الأرض الطبيعي قدره يسير جدا بالنسبة لذلك ونحن نقصر حياتنا بعد ذلك بعدا ويمتد الله الباقي الدائم قربا قال تعالى - إنهم يرونه بعيدا ويراها قريبا - فالآلاف السنين لاتنافى القرب مهما امتدت وطالت بنسبتها الى الزمن كانه إذ من البديهي أن الآلاف لاتذكر في جانب الملايين ولذلك ورد في حديث أنى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج ﴾ وهذا دليل على أن الناس يستبدلون من بعد خوفهم أمنا ويعبدون الله عز وجل . وأما صفاتهم المشهورة في القصص وبعض الآثار فجميعها لا أصل لها هذا ما عني لى وهذا ما كنت أجبت به عن سؤال الأديب الهندى في حينه من أمد غير بعيد في مجلة (الهلل) في آخر القرن التاسع عشر . ثم وازنت بين حديث البخارى المأثور وهو قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقتراب قد فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج الخ ﴾ فيما ذكرناه مع اضطرابه وخوفه الشديد وبين كلام علماء الجغرافيا في نحو القرن الثالث والرابع فزاد يقينى بما كتبت ورأيت هذه البلاد كانت معروفة عندهم باسم يأجوج ومأجوج وزاد استغرابى جددا لمعجزة ظاهرة واضحة قد خفى رسمها عنا وكيف تحقق هذا القول في الخارج وجاء مصداقا للقرآن والحديث . فالحق والحق أقول أن هذا النبى والكتاب المنزل عليه لما يدهش العقول . وكيف رأينا تلك الجهة تسمى باسم يأجوج ومأجوج في كتاب (تهذيب الأخلاق) لابن مسكويه ولكنه اجبال لايشقى غليلا ولا يؤخذ حجة لاجباله . ولقد فصل في رسائل قديمة ألفت في نحو القرن الثالث والرابع وذكر فيها أن أمة يأجوج ومأجوج هم سكان تلك الجهة المتقدمة

شمال الصين وحددت بلادهم بأنها من نحو سبع وعشرين درجة من العرض الشمالى الى نحو خمسين درجة منه وهذه البلاد الآن جزء عظيم من الصين وفيها (بكين) عاصمتها الآن ولقد كانوا أغاروا على الأمم جميعا وكانوا كفاتحين للعالم كله فكانوا أشبه بأهل أوروبا الآن فكأنهم أخلفوهم في عملهم وفتوحاتهم وسيطرتهم على العالم ومن المقرر أن بينهم نسبا ورجما . فانظر كيف أصبحت دولتهم الآن في قبضة الصين بل هم الجزء العظيم وهما (منشوريا) تجاذبها روسيا والصين وبلادهم تبلغ في العرض نحو ثلاث وعشرين درجة كما رأيت وتلك البلاد تسكن الاقليم الرابع والخامس والسادس والسابع من الأقاليم التي اعتبرها الأقدمون هي الحدود المعروفة لأقسام الأرض وهي مبنية على مقادير العرض الذي لا يتغير بتغير الأيام والأمم وتداول السنين مما اختطه الملوك الأقدمون والحكام الغابرون والأنبياء السابقون الذين طافوا الربع المسكون من الأرض وغابت عنهم أمريكا والاقويانوسية لبعدها المواصل وشقة السفر وحيلولة الجبال والبحار وذلك مثل الاسكندر الرومى اليونانى وتبع الجبرى وافريدون النبطى وأزدشيرين بايكان الفارسى وسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الاسرائيلى وغيرهم . ولما عثرت على هذا علمت علما يقينا أننا معاشر المسلمين الآن والدولة الاسلامية إما في حال الهرم وهي وقت نسيان كل معقول ومنقول وأما أطفال ولدتهم شيخ كبير فهم يبحثون على آثاره . فيعجبا كيف كانت هذه البلاد معروفة باسمها وصفتها ودرجاتها عرضا وطولا ونحن لانعلم منها شيئا وكيف يخبر نبينا الصادق بهذا الأمر ويحصل في الوجود ونجهله نحن . ولعمري انها لمعجزة ظاهرة واضحة . ولقد كان الأقدمون يجعلون علم الجغرافيا مما يجب النظر اليه في الكون مثل قوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء - بل لولم يكن للنبي معجزة سوى هذه التي ظهرت بالتاريخ والجغرافيا لوفت بالمراد . وانى لأعجب من أن النبي ﷺ يقول ﴿ويل للعرب من شرّ قد اقترب﴾ ثم ان هؤلاء أزالوا دولة العرب وانتهت الدولة العباسية بقتل (المستعصم) آخر ملوكها وبقي خليفة رسمى في مصر وعند قرب الألف من السنين زال حكمهم مرة واحدة وتفرق الاسلام شذمر ومحافظة إلا الدولة العثمانية بعد العرب . وأما أولئك التتار فهم كانوا أغلب المسلمين في الهند والصين وأغلب آسيا فكما ورثوا أرضهم ورثوا دينهم . وهذه المسألة وان كانت بسيطة فعلاقتها بعلم العمران أمر عظيم جدا . والحق أن علم الحديث أوضح كيف تخرب الدول وعبر عنها بأشراط الساعة وسماها العلماء الاشراط الصغرى إذ الكبرى بخراب الأرض كلها والصغرى بآبادة أمة أو أمم فاذا جاءت الطامة الكبرى زالت الأمم من الوجود . ولقد أوضح الرسول الصادق أمورا كثيرة لا يسع المقام ذكرها الآن ولنتصرف عنان القلم في ما ذكرناه عبرة وتذكيرة

وجاء في كتاب ﴿فاكهة الخلفاء﴾ المتقتم أن المصريين هم الذين صدّوا غارة هؤلاء التتار عن بيت المقدس وفلسطين ومصر . ذلك أن الملك المظفر المسمى (قطز) من دولة المماليك بمصر صدهم بمائتي ألف من المصريين عند حلب . وكان من ضباط الجيش (الأمير بيبرس) المشهور ولما شتوا شمل التتار قتل (بيبرس) الملك (المظفر) غيلة وذلك أن الملك أنعم عليه بجارية تنارية من السبي فتقدم ليقبل يده فخافه وقتله وتولى الملك بدله وقد حزن المصريون حزنا شديدا على الملك (المظفر) لأنه هزم التتار . ولكن (بيبرس) أكثر الاحسان وقرب العلماء اليه ليزيل ذلك الأثر السيئ . ومن لطائف التاريخ أن الملك (المظفر) المذكور كان له صديق من المماليك في صغره وهما يتعلمان مع الأطفال في كسائب مصر وقد تعاهدا أن كل من وجد في ثوب أخيه ما يستقذر فليضربه بيده فاتفق أن صاحب الملك (المظفر) يوما ضربه مرارا فقال له لماذا أكثر الضرب اليوم فقال لكثرة القنر في ثوبك ولأنى أحب الامارة فضحك وقال له أنتحب أن تتولى على مائة فقال نعم فقال أنا أوليك ذلك فقال له وكيف ذلك فقال رأيت في المنام النبي ﷺ فقال لى إنك ستقهر

(ايضاح الخريطة)

اعلم أن السد المرسوم هنا الفاصل بين بلاد الصين قديما وبين بلاد يأجوج ومأجوج ذكر صاحب اخوان الصفاء أنه عند ٢٧ درجة شمالا والمرسوم في الخريطة أبعد منه بنحو ١٠ درجات وهذا السد الجنوبي غير السد الآخر المذكور في القرآن المتقدم في هذا المقام . فاذن يأجوج ومأجوج كانوا محصورين بين سدين خيفة بطشهم بجيرانهم والآن أصبح هم وأهل الصين أمة واحدة فافهم

واعلم أن بلاد (التركستان) أو (بلاد الترك) تنقسم الآن الى (قسمين) قسم تابع للروسيا وقسم تابع للصين فالرسومة هنا هي التابعة للصين . وأما الروسية فهي الى الغرب من هذه وفيها بلاد فرغانة وجنوه وبحارى وطاشقند ونهرا سيمحون وجيحون اللذان يصبان في بحيرة خوارزم . ففرغانة التي في الخريطة هنا اكتفى بها عن رسم بقية تركستان الروسية التي هذه منها وتنتهى غربا الى بحر (الخرز) أو بحر (قزوين) الذى هو غربي بحيرة (خوارزم) المتقدمة

﴿ فائدة ﴾

ومن العجيب أن الأخبار التي ترد الآن من الشرق الأقصى تبين أن بلاد الصين منقسمة (قسمين) قسم الجنوب وقسم الشمال . فقسم الجنوب اشتهروا بأنهم يحافظون على البلاد وقسم الشمال متهمون في وطنيتهم وصدقتها . وجاء في الأخبار الآن أن عسكري التتار يحاربون مع أحد الفريقين المتحاربين وأن فرقة من فرق جيوشهم تسمى (الجنكيزخانية) فلما قرأت هذا الاسم في أخبار البرق العامة عجبت كل العجب وأيقنت أن التتار الذين مزقوا العالم تمزيقا لا يزالون يحافظون على تاريخهم ومجدهم وذكر أسلافهم وعظمائهم بدليل انهم سموا فرقة باسم (جنكيزخان) الذى شئت شمل المسلمين قديما وشمل أكثر الأمم هو وذريته . وقد جاء في الأخبار اليوم أى (٧) يونيه سنة ١٩٢٨ أن الوطنيين في الصين دخلوا (بكين) العاصمة . أفلاترى أن العالم الذى نعيش فيه سينقلب انقلابا تاما . الصين ثلث العالم وهي أمة واحدة وقد ارتقت أفلا يقال انهم يعيدون الكرة مرة أخرى ويقلبون وجه الأرض . أفلا يكون هناك خروج لهم مرة أخرى ويحصل في الأرض اضطراب آخر وهلاك لا ندرى مصداقا للآية . أليس ذلك هو الذى أخبر به (غليوم) ملك الألمان سابقا إذ قال ﴿ ويل لأوروبا من الصين وسماه الخطر الأصفر ﴾ . أفلا يكون مبدء الخطر قد ابتدأ هذا اليوم إذ أصبحت الصين مملكة واحدة راقية . الله أعلم بالمستقبل . فإذا صح هذا كان هناك خروج آخر من موضع السد المتقدم ذكره . اذا صح هذا كان الخروج الأول خروجاً جزئيا لتأديب المسلمين على كسلهم ونومهم العميق وجهلهم لأن قطب أرسلان كان يجهل هو والعلماء قوة القوم وعظمتهم ولذلك قتل رسلهم التي أرسلوها فلو كان يعلم قوتهم لأكرم رسلهم ويكون قوله ﷺ ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقترب ﴾ راجع للخروج الأول . أما خروجهم الثانى فهو الذى يقلب الأرض قلبا كيف لا والحرب اليوم بالغازات الخائفة والمعمية والمهلكة . فإذا خرجوا أهلكوا الحرث والنسل كما خرجوا قديما قبل التاريخ وكوّنوا أمما في أوروبا ثم خرجوا ثانيا لآبادة ملك العرب والآن يخرجون لقلب وجه الأرض ويكون قوله ﷺ ﴿ إن الناس يحجّون ويعتصرون بعد خروجهم ﴾ راجع للخروج السابق . أما الثالث فلاندرى ما الله فاعمل بالناس والله يعلم وأنتم لاتعلمون

بغير بالأمم الاسلامية اليوم أن يفكروا في مستقبلهم فانهم اليوم بين أوروبا الظالمية والشرق الأقصى وقد بينت هذا المقام في كتاب ﴿ نهضة الأمم وحياتها ﴾

﴿ قدوم عالم من علماء أمة يأجوج ومأجوج الى مصر وزيارته لمنزلى بشارع طولون منذ نحو عشرين سنة ﴾
أعلم أيها الذكي انى أول ما ألفت كتابا من كتبى كان انتشاره وترجمته أسرع فى بلاد (الروسيا) بناحية
(قازان) وما والاها من غيرها فقد نشرت تلك الكتب هناك وترجم بعضها ووصلت الى الترجمة باللغة القازانية
أما مقالة يأجوج ومأجوج فانى بعد أن نشرتها فى أواخر القرن التاسع عشر بمجلة الهلال تحقق لى صدقها
بالاطلاع على كتب القدماء فكتبتها فى (جريدة المؤيد) المنتشرة إذ ذاك فى أقطار الاسلام وذلك فى نحو
العشر سنين الأولى من القرن العشرين وهذا مقدمة لما ستسمعه

بينما أنا بالمدرسة الخديوية أدرس للتلاميذ اللغة العربية إذ قابلنى تلميذ فقال قد قابلنى الاستاذ عبد الله
بوى من مدينة (أوفا) ببلاد الروسيا ويريد موعدا للمقابلة بالمنزل فعينت له موعدا ليلا فلما حضر خاطبنى
باللغة العربية الفصحى وأول ما بادرنى به أن قال عرفتك من مؤلفاتك وقرأت فى (المؤيد) انك تقول اننا
من يأجوج ومأجوج وهذه المقالة ترجمتها بلغتنا ولم أطلع عليه الشيوخ الكبار لظنهم أن هذا كفر وقد جهلوا
أصلنا واننا نحن المغول (يأجوج ومأجوج) والتتر فريق من تلك الأمم . فانا والشبان جميعا فهمنا مقالك
والمسلمون لاسعادة لهم إلا بقراءة التاريخ والجغرافيا وجميع العلوم وأخذ يتكلم فى السياسة العامة وفى قيصر
الروس . ومعلوم أن ذلك قبل ذبح البلشفية لذلك القيصر فوصفه بأنه جاهل واستدل على ذلك بأنه لم يستعمل
تخدير أعصاب الشبان المسلمين كما خدّرت الانجليز أعصاب الشبان بمصر واستدل على ذلك بحوادث جرت فى
مصر وانه رأى المتعلمين فى المدارس يحبون الانجليز وكرهون اللغة العربية وماشا كلها . ومعلوم
أن ذلك كان قبل النهضة الحالية التى غيرت أفكار المصريين جميعا . ثم قال انى لم أجد فتى متمسكا عندكم
مثل (مصطفى كامل) وكل الشبان عندنا مثل مصطفى كامل عندكم فنحن نريد أن نأخذ بلاد (الروسيا) كلها
ونحكمها كما كنا حكمها قديما كما تشير اليه مقالاتكم فى يأجوج ومأجوج . أقول وشبان مصر عند كتابة
هذا الموضوع متمسكون بمصطفى كامل ونحوه فان الحال تغيرت كما قدمت ذلك قريبا . ثم أخذ يتحدثنى عن
أخلاقهم فقال ان أى وزوجتى تخرجان من منزلنا كل صباح لتعليم بنات الفقراء والأغنياء الكتابة والقراءة
والأعمال المنزلية فهل عندكم مثل هذا . فقلت كلا . فقال حركة العلم عندنا عظيمة وقوية ووطنية وعرفت
من قوله أن عنده ثروة عظيمة وهو يستخدمها فى الكيد واستعمال الحيل فى اخراج مركز ذلك القيصر

﴿ حادثان . الأولى ﴾

إنه كان لا يترك مجتمعا إلا جلس فيه فجاءنى يوما وقال فى هذه الليلة رأيت عالما مغربيا مع العلماء وهو
يعلمهم حديث المصاحفة وبقى يذكر أسماء الرواة من عصر النبوة الى الآن . قال وعجبت أن يضع المسلمون
حياتهم فى العنينة المذكورة . ورأيت أن يغير التعليم فى الأزهر وأن يدخل فيه الاصلاح

﴿ الحادثة الثانية ﴾

جلست معه فى المنسج الذى أمام (دار التمثيل) فى مشرب القهوة الافرنجية فجاء لنا صاحب القهوة بالشاى
فلما رآه قال هذا فيه مكسب للفرنجة عظيم وأنتم فى مصر تغرمون وهم يكسبون وهذا باب الاستعباد أما نحن
فان الشبان المسلمين هم الذين يتولون أمثال هذه الأعمال وهم الذين يقومون بأمر الطعام والشراب فى
كل مكان وفى القطارات بالطرق الحديدية وهم يأخذون أموال الروس بطريق التجارة . فقلت له إذن أنتم
نصاراهم وهم نصارانا فضحك أى ان النصارى فى بلادنا لهم الفوز فى التجارة فهم فى بلادهم أخذوا هذه
الوظيفة منهم . وحدثنى مرة يقول إنه ألف كتابا يبحث فيه المسلمين على الجدة والعمل وان هذا الكتاب لما
انتشر فى المسلمين هناك هبوا للعمل وارتقوا . ولأختم هذا الموضوع بحادثة . ذاك اننى فى صباح يوم ورد
لى خبر أن والدى سقط تحت القطار بجهة (بردين) فأسرعت للسفر ولكن أحببت أن أقابل صديقى الياجوجى

المأجوجي قبل السفر فخرجت من المدرسة بدرب الجاميز متوجهها الى المحطة سریدا أن أمر عليه في مأواه الذي هو أقرب اليها في تلك اللحظة كان هو قد جاء الى يريد مقابلتي بالمدرسة وهناك حصل لي أمر عجيب ذلك اني قبل أن أخرج من سراي درب الجاميز اضطرت أن أدخل لأحد أصحابي لمصلحة بخست دقيقة واحدة معه فلما خرجت وجدت صاحب الياجوجي بالباب قبل خروجي من السراي فدهشت وعلمت اني لولم تشغلني هذه المصلحة تلك الدقيقة لخرجت ولم أقابله فأخبرته الخبر وعجبت من حسن المصادفة . فقال لي لا تعجب إن الله عز وجل مع كل مصلح ونحن لانعمل إلا ما هو مصلحة للمسلمين فكيف لا يكون الله معنا . ثم أخبرته خبر والدي وتوجهت اليه فوجدته قد أصيب بما يوجب الموت من جرح وكسر وهو لا يحسن النطق ولكن الله قبل (٢٤) ساعة حسن حاله وقال الطبيب ان هناك لطفا من الله به ولو كان هذا الحادث لشاب من الشبان لمات وذلك لقوة والدك ثم قال انه يحتاج لعلاج أربعين يوما . فلما اطمأننت على والدي رجعت الى المدرسة وأخبرت صاحبي تفصيلا بتلك الألفاظ في والدي . فقال لي ألم أقل لك إن الله مع المخلصين للمسلمين ثم بعد ذلك شفي والدي تماما وسافر صاحبي الى بلاده وعين في مجلس (الدوما) بالروسيا وقد علمت أخيرا أن القيصر كان نفاه لما علم بمناوئته لحكومته . ويقال انه توجه لبلاد الصين يعلم المسلمين هناك ولم أعلم بعد ذلك بما تم في أمره . أما المسلمون في تلك البلاد أيام البلشفية فقد بلغني انهم مرتقون في هذه العلوم والله أعلم وبهذا تعلم أن السد موجود فعلا وأن هذا معجزة للقرآن حقا وهذا أمر عجيب

﴿ اللطيفة الثانية تحقيق المقام في ذى القرنين وياجوج ومأجوج ﴾

اعلم أن الله عز وجل ما أنزل القرآن ولا الكتب السماوية قبله إلا لهداية الناس وارشادهم والارشاد انما يكون على مقتضى الحال ويوجه القول للأهم توجيها يرشدها ويعلمها . فن الارشاد أن يجمع بين اللين والشدّة بالجنة والنار والنعم والجحيم والقرب والبعد . ولا جرم أن طبع أهل هذه الأرض مبني على هذا النظام . انظر . ماذا فعل الله في هذا الوجود . خلقنا وأراد ترقيةنا بهذا الخلق وليس هناك من سبيل لأخذ العلم أخذنا حقيقيا عن الله فاحتجنا الى وسائط ومن تلك الوسائط انه أجاعنا وأعرانا وخلق العداوة والحسد وما أشبه ذلك مع اختلاف الأخلاق والأحوال والعادات ثم انه مهد الأرض للزراع والبحر للسفر وغيره وقال لنا هاهوذا ملكي وهاهوذا نقصكم وضعفكم فاما أن تعملوا مدة الحياة بنصب وتعبد والافلا أغذية لكم عندي ولراحة * وفي المثل ﴿ أسرحثوا في ارتقاء ﴾ فظاھر الأمر اننا نعيش بالعمل وباطنه ارادة رقيةنا علما وأخلاقا . أنا خلقنا في نصب وتعبد - لقد خلقنا الانسان في كبد - فاستخرجوا من الأرض أغذيتكم وملابسكم الخ وهذا هو مبدأ العلوم . بجميع العلوم في هذه الأرض ترجع الى استخراج ما يحتاج اليه من أغذية وأدوية وأعمال أخرى ونتيجة هذا هو رقي عقولنا وأحوالنا وأخلاقنا . لهذا خلقت الدنيا ولهذا خلق الله الناس فما أصابنا من خير أو شر فهو راجع لهذه القاعدة . والافلا قادر أن يخلق الانسان في راحة تامة بأن يجعله كالسود يأكل مما حوله بلا تعب وكالنبات في البر والبحر لا يحتاج الى شيء وكالمرجان يتغذى مما يحيط به من المواد الجيرية في ماء البحر الملح ولكن الله يريد بهذا الخلق ارتقاء المخوقات الانسانية . اذا فهمت هذا فلتعلم أن القرآن نزل على هذا النمط فهو يدعو للعمل والفكر والبحث ولو أن آيات القرآن كانت واضحة كل الوضوح بحيث لايعوزنا عمل في فهمها لكان نفس القرآن من أهم أسباب سقوط الأمم التي تعتقه إذ لا حاجة لهم الى بحث ولا تنقيب . فانظر الى قصة ذى القرنين والى قصة ياجوج ومأجوج . ذوالقرنين وصفه الله بأوصاف تنطبق على رجل عظيم مصلح

(١) فقد خيره الله لما بلغ مغرب الشمس بين اللين والشدّة فاختر وضع كل منهما في مقامه

(٢) وعرض عليه القوم ما لا لأجل أن يجعل لهم سدا فأبى وقال مامعناه . كلا . الله أعطاني نعمة وسأصرفها

في منفعة عباده ولكن أعينوني بقوة

(٣) ثم قال إن هذا رحمة من ربي وذكر أن كل أعمال الخلق لابد لها يوما من الزوال فهذه الأقوال والأعمال لا يتصف بها إلا المصلحون بل هي نموذج للمصلحين من الأمم الإسلامية وليس بهم في الدين ولا القرآن شيء فوق هذا فان كل قصة في القرآن إنما يؤتى بها لتنتجها أصالة . فالنتائج في فتية الكهف انهم فرّوا من الظلم كما فرّ الصحابة حين كانوا بمكة فهاجروا بعضهم الى الحبشة وهاجروا بعضهم الى المدينة ثم نصرهم الله في آخر الأمر . ففتية الكهف فرّوا من ظالم وهم مؤمنون بربهم . وهكذا الصحابة فرّوا بدينهم وحافظوا عليه تأسيسا بقصص القرآن . وهكذا قصة موسى والخضر عليهما السلام وخرق السفينة وقتل الغلام لا يقصد من هذا كله إلا تعريف الناس أن هناك قضايا عجيبة في الوجود وأن الإنسانية أشبه بجسم وهذا الجسم اذا أمكن بقاءه بقطع سلعة منه أو أصبح معتلة اذا بقيت أضرت بالجسم كله فان الحكمة تقتضي بقاءه وإزالة ما به فساد . وهذه هي حال الناس أيام النبوة . فاذا قيل لماذا استعمل السيف أيام النبوة وحصل الحرب حتى دخل الناس في دين الله أفواجا . قلنا اقرأ قصة موسى والخضر فان الشرّ القليل يحتمل للخير الكثير وقد تمّ هذا فعلا فقتل صناديد قريش وغيرهم أثمر ظهور أمة عظيمة ملأت الكرة الأرضية فما ذلك إلا كأمر الطب سواء بسواء . هذا من أحسن ما يؤخذ من هذه القصة . وهكذا اذا سمع الانسان قوله ﷺ ﴿ الحرب خدعة ﴾ فهو من هذا الباب . فهذا هو المقصود العملي الديني من هذه القصص في القرآن وأنا أجد الله عز وجل إذ وفق وعلم وشرح الصدر لكتابة هذا . هذا ما ينبغي أن يفهم في هذا الزمان وفي كل زمان ﴿ فوائد هذه الأخبار في هذا الزمان ﴾

أما فوائد هذه الأخبار في هذا الزمان فانها تزيد على ذلك بالعلوم والحكمة ومعرفة توارخ الأمم وتخطيط بلدانها . ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يخاطبني في المسائل العويصة . فقال لقد أتيت بمقدمة تقول فيها ان نظام هذا العالم يرجع الى الحث على طلب العلم فكما يقول في القرآن - وقل رب زدني علما - يخلق في الجسم ألم الجوع والعري ومرارة العداوة فيكون ذلك كله من أسباب ارتقاء الناس هذا مفهوم ولكن مسألة ذى القرنين ومسألة يأجوج ومأجوج توقع في القلوب شبهها وتقتضي عند بعضها كفرا فان الناس اذا قرؤا التاريخ وعلم الجغرافية يرون أن ظهور رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وبني سدا كما في القرآن لم يقم عليه دليل . فمن أين ذوالقرنين هذا . ومن أين الممالك هو . أهو اسکندر المقدوني . أم هو رجل آخر من اليمن . إن التاريخ الذي تقرؤه لا يهدينا الى معرفة هذا الرجل ولذلك نجد كثيرا من المتعلمين في الديانات يكونون ملحدين وذلك لأجل شكهم في الديانات فيقولون إن هذه القصص جاءت على مقتضى ذوق أهل عصرهم لاعلى مقتضى التاريخ وأنا أسألك الآن أكان الله يعلم أن الناس سيصبحون في شك وكفر بسبب هذه القصص . أم هو لا يعلم ذلك . فان كان لا يعلم فقد انهدم كل دين في الأرض وطاحت أصول الفلسفة . وان كان يعلم تلك النتيجة . فاذن هو أنزل القرآن لأجل الاضلال لا للهداية . فاذن المسألة دائرة بين جهل الصانع سبحانه وبين ارادته الضلال وكلاهما نتيجة سيئة . فقلت أنا أختار انه عالم أن مثل هذه المسائل يكون بها الضلال وهو الذي أراد ذلك . قال يا عجبيا كيف هذا . فقلت قال الله تعالى - يضلّ به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضلّ به إلا الفاسقين - وما نتيجة هذه الأخبار في بعض النفوس إلا كنتيجة شرب العسل لمن به حبي فهو نافع للناس ضارّ لبعضهم . هكذا هذه القصة أعطت نموذجا للمصلحين في الأمم ومن فعل به هم الأقلون والضرر القليل مغتفر في جانب النفع الكثير . قال ولكن الأمم الإسلامية الآن قد أقبلت على زمان يكثر فيه علم التاريخ وعلم الجغرافيا وهذه القصص خارجة عن هذه العلوم . فاذا تعلم المسلمون جميعا رجالا ونساء كما تعلم أهل أوروبا وأمريكا واليابان فانهم يفعلون بالقرآن ما فعله النصارى بقصص التوراة أي يجعلون

هذه قصصاً تقرأ بلا تفكير ويضربون الذكر عنها صفحاً ويقولون العلم شيء والدين شيء وتبقى الطبقة المتسورة غير مكترثة بالكتب السماوية . فما تقول في هذا . فقلت ان نزول هذه الأخبار في القرآن كما تقدم سيكون في هذا الزمان سبباً لارتقاء الطبقة المتعلمة في علومها . قال وكيف ذلك . أتقول هذا لأجل انك في تفسير القرآن . قلت . كلا . انما أنا أقول هذا عن علم . ألم تر أن قصة ذي القرنين قد جاء كلام المفسرين فيها غير متفق فهذه استدعونا أن نبهت في هذا المقام أي الأسماء أقرب الى ذي القرنين أو أسماء ملوك اليونان أم أسماء ملوك اليمن . إذن وجب علينا أن نعرض أسماء ملوك الأمتين بوجه واضح وبنين ما جاء في التاريخ الحديث من أسمائهم ثم نبين الى أيهما هو أقرب . ولماذا أبهم هذا الاسم . ومافائدة هذا الإبهام لأهم الاسلام المقبلة والحالية كما ذكرنا سابقاً الحقيقة الناصعة وهي أن أمة يأجوج ومأجوج أمة موجودة قديماً وحديثاً وبيننا تخطيط بلدانها وجغرافيتهم ونقلنا من الكتب المؤلفة منذ ألف سنة أيام الدولة العباسية أن اسم تلك البلاد كان معروفاً في الخرائط الجغرافية باسم (يأجوج ومأجوج) وحددنا تلك البلاد وأهلها وكيف خرجوا وكيف أهلكوا ثم الاسلام وشتتوا الدولة العربية وأذاقوها سوء النكال . وكيف كانت هذه القصة نزلت في القرآن وقد علم الله أن هؤلاء هم الذين سيكونون شرا على أمة العرب التي نفعت الأمم والآل نبين أن فائدتها في هذه القرون أن يرجع أبناء الاسلام لدراسة التاريخ والجغرافيا ويدرسوا ملحقاً بأبائهم من ضعف وما أصابهم من ضرر ويعرفوا مواطن الأمم وأن دراسة ذلك كله من أسباب بقاء أمتنا الحاضرة وجهله يضيعها فتكون في خبركان لأن الأمم لا حياة لها إلا بدراسة تاريخها ونحوه والاطاحت وهوت في أسفل سافلين . فهذا هو الذي سنذكره الآت (١) ملوك اليونان (٢) ملوك اليمن (٣) بلاد يأجوج ومأجوج (٤) صلتهم بالأمة العربية في قوله ﷺ «ويل للعرب من شرّ قد اقترب لقد فتح الليلة من سدّ يأجوج ومأجوج الخ» وكيف كان ذلك سرا للنبوة ظهر أثره بعد ستمائة سنة . فهذه المسائل التي نبينها هنا أما كون هذه العلوم من أسباب رقي الأمة وأن تركها مضيع للأمة فافقروا فيما تقدم في سورة النحل عند قوله تعالى - فاسألوا أهل الذكر - فقد نقلت لك هناك أن قراءة أصول العلوم لابد منها لبقاء الأمة والاطاحت وتشتت ناقلاً ذلك عن الاستاذ (سنتلانه الطلياني) فلنبداً أولاً بذكر ملوك اليونان

﴿المقام الأول في ذكر أسماء من اشتهروا في أمة اليونان﴾

فهل نجد فيهم من جاء في اسمه لفظة (ذو) التي هي من الأسماء الخمسة في اللغة العربية ترفع بالواو وتنصب بالالف وتجرّ بالياء أو ما يفيد معناها فلننظر نجد أن تاريخ (أثينة) القديم يبتدئ بالمدة المملوكية من نحو ١٣٠٠ سنة الى ١٠٥٠ (ق.م) وآخر ملك من ملوكهم يسمى (١) (كودروس) وكل ما يروى عن اليونان في القرن الحادي عشر (ق.م) غير موثوق به (٢) وفي سنة ٨٥٠ (ق.م) نبذ القوم حكم الملوك المستبدّين وساعدتهم (ليكورغس) فسقّ لهم قانوناً ليكون شرعاً لهم وكان من أعضاء الأسرة الحاكمة وهذه القوانين سنّها (لاسبرطه) ببلاد اليونان تعلم الشجاعة والصبر والقوة الجندية ويكون للأمة ملكان ومجلس أعيان مؤلف من ٣٠ عضواً كل واحد سنة ٦٠ سنة والمملكة منهم بالانتخاب والمجلس يسمى مجلس الشيوخ والأعيان والانتخاب لمدة الحياة وهناك مجلس الأمة يقدم لهم الأعمال ليعرضوها والمولد ضعيفاً أو مشوّه الخلقة يقتل على جبل (طابيثوس) ويربى الولد بعد سبع سنين بتمرينات رياضية وبالصيد وتحمل الأخطار وبالضرب مع ثباته وعدم ضجره ولومات وهكذا يتحمل الجوع والعطش والحرّ والبرد ليتعلم الصبر ويتعلم الموسيقى بأشعار كلها تحت على الشجاعة ثم يعامون قلة الكلام لتقوى بصائرهم (٣) ومن اشتهروا فيهم (هومروس) الشاعر وأصح التواريخ عنه انه كان نحو سنة ٨٥٠ (ق.م) وشعره وحد أمة اليونان فهم كانوا يقرؤنه في خلواتهم ومجتمعاتهم الخاصة والعامة وعسى أن يوحد القرآن الأمم الاسلامية بعد ظهور حقائق القرآن في زماننا الحاضر

(٤) ومن ملوكهم (فيدون) سنة ٨٧٠ (ق.م) والحكومة هناك جمهورية وبعدموته استمرت (اسبرطه) على تعاليم (ليكورغس) (٥) الملك (رافيطوس) سنة ٧٧٦ ق.م على الأصح هو الذي أحيا الألعاب الاولمبية وصارت بعد ذلك تقام كل أربع سنين مرة والمسابقة بين كل دورين تسمى (المبياد) وبقيت الى سنة ٣٩٤ ق.م إذ حول مجراها الأمبراطور (طيودوسيوس) (٦) ومن ملوكهم (اريسطوقراطيس) ملك (ارخومينوس) وهذا الملك خان بلاده في موقعة حربية فرجوه لافشائه السر للأعداء (٧) ومن عظمائهم (اريسطومينس) سنة ٦٥٨ ق.م الذي أسره أعداء بلاده ووضعوه في جب ونجا بعد ذلك (٨) ومن عظمائهم (سولون) الذي لما رأى الطغيان عم البلاد في نحو سنة ٦٠٠ ق.م سنّ قوانين لهم وهو معدود من الحكماء السبعة وهو من أهل (أثينة) وجعل الأمة في القانون أربع طبقات وجعل الانتخاب عاما وغاب عن بلاده عشر سنين من سنة ٥٧٠ الى سنة ٥٦٠ ق.م (٩) ومنهم (بيزيسطراطوس) ابن عم (سولون) مات سنة ٥٢٧ ق.م (١٠) ابنه (هيباس) وابنه الآخر (هيبارخوس) (١١) (كليومنس) من ملوك (اسبرطه) (١٢) (مليتياد) نصر اليونان على الفرس بسياسةه وبالجيش (١٣) (أريستيدس) (١٤) (تمثقل) من (أثينة) بسياسةه وجيشه هزم الفرس (١٥) ومنهم (سيمون) بأثينة قائد حزب الأشراف (١٦) وأخيرا كان (فيليب الثاني) ابن (أمنطاس الثاني) وأخو (بردياس) وتولى الحكم وعمره ١٣ سنة وجعل تساليا تحت حكمه سنة ٣٥٢ ق.م (١٧) وبعده ابنه (اسكندر الثالث) الملقب بالأكبر ولد سنة ٣٥٦ ق.م وكان عمره إذ تولى الملك بعد أبيه ٢٠ سنة وقد تعود في صغره على العوائد الاسبرطية من تحمل الآلام والاقدام والتجملد ثم علمه (أرسطوطاليس) علم الحكمة . فهذه الأسماء هي من أهم الأسماء المشهورة في أمة اليونان . وقد بحثنا فيها فلم نجد لفظ (ذو القرنين) وجودا . فيا ليت شعري كيف ساغ لبعض المفسرين بل لكثير منهم أن يجعلوا هذا الاسم عاما على (الاسكندر) وغاية ما لقبوه انهم قالوا (اسكندر الأكبر) أما (ذو القرنين) فلم يرد لها ذكر في أسماء ملوكهم ولا شعرائهم ولا قوادهم . فبطل إذن أن يكون (ذو القرنين) من اليونان . إذن فلنبحث عن هذا الاسم في أهم العرب الذين كان لهم ملك وسلطان وعظمة وهم عرب اليمن

﴿ الكلام على بلاد اليمن وملوكها ﴾

اعلم أن أعظم المدن القديمة التي كانت في اليمن قبل الاسلام خربت الآن وسفت عليها السواقي وغطتها الرمال . وقد ذكر اليعقوبي أن تلك البلاد تنقسم أولا الى (مخاليف) جمع مخلاف وجعلها (٨٤) مخلافا والمخلاف تحتها مدن ومخافل وقرى ومن الأشهر فيها مخلاف (مأرب) وذمار والمان وحراز وهوزن وحضور الخ) ووصفه لها كان في القرن الثالث الهجري . وقد حدّد هذه المخاليف الهمداني في كتابه المسمى ﴿ صفة جزيرة العرب ﴾ بأوائل القرن الرابع الهجري واعتمد العلماء على كتابه ووثقوا به

﴿ كيفية نظام بلاد اليمن في الأزمان القديمة ﴾

لاجرم أن النوع الانساني في العصر البائدة كان يعيش مع الحيوانات في الفلوات ويأكل الثمار ويعيش في الكهوف والمغارات ثم ارتقى شيئا فشيئا وكان العصر الحجري والعصر البرنزي ثم العصر الحديدي فالمدينة الحاضرة . وما الانسانية العاقمة ولا بعضها إلا كما يولد الطفل صغيرا ثم يقوى شيئا فشيئا . هكذا ما نحن بصدده وهي بلاد اليمن فبنوا البيت ثم ارتقى البيت على طول الزمان فصار قصرا والقصر عندهم جعلوه حصنا أو قلعة وهذه القلعة حولها سور . ومعنى هذا أن الأسرة الواحدة تجتمع في مكان واحد وتتخذ لها رئيسا منها وتجلسه في قصره وتبنى بيوتا حوله وتجعل ذلك القصر منيعا خيفة مفاجأة الأعداء وكل عدة قصور تخضع الى رئيس واحد يحكم شيوخ هذه القصور وهذا المجموع يسمى (المخلاف) والجمع مخاليف فالمخاليف كالمديريات في القطر المصري والقصور أشبه بالاراكز في المديرية . ومعنى هذا أن القطر المصري (١٤) قسما كل قسم مقسم الى

مراكز والمركز يشتمل على جلة بلاد . هكذا بلاد اليمن عبارة عن (٨٤) محلافا كل محلاف يشتمل على محافد وهي القصور المتقدمة والمحلاف يتولاه أمير يقال له (قيل) والجمع أقيال أو ملك صغير والمحلاف يقابل (السكرورة) أو (الرساق) في اللغة العربية كالمديرية في الاصطلاح المصري حديثا ويقال لذلك (القضاء) أيضا وينسب المحلاف كله الى أكبر محافده أو الى المحفل الذي يقيم فيه (القيل) وهذه المحافد قد تموت فتصير مدينة وتسمى باسم جديد كما اتفق أن قصر أو محفل (ربدان) تحوّل الى مدينة ظفار وقصر سلحين تحوّل الى مأرب . وهناك قاعدة وهي أن صاحب المحفد (القصر) يلقب بلفظ (ذو) أي صاحب يضاف الى اسم المحفد فيقال ذو غمدان أي صاحب غمدان وذومعين وتعرف هذه الطبقة باسم (الأذواء) أو (الذوين) وهذه الألقاب أشبه بالألقاب في بلادنا المصرية الآن مثل قولهم فلان بك وفلان باشا وهذه بعض الأسماء (ذو غمدان . ذو تلحم . ذونا عيط . ذوصرواح . ذوسلحين . ذو ظفار . ذوشبام . ذوينون . ذوريام . ذوبراقش . ذوروثان . ذوأرياب . ذوعمران) فالأقيال ملوك صغار والأذواء أمراء والأذواء يقابلون في بلادنا المصرية (الذوات) وهذه كلمة معناها الأغنياء الممتازون في بلادنا وهذا عجب أن يكون ذواتنا يقابلون أذواءهم وكلاهما راجع الى (ذو وذات) والمعنى واحد . ونظير هذا عند الانجليز قولهم مثلا (اللورد أفبري) ومعنى اللورد (الرب) أو (السيد) ومعنى (أف) صاحب وبعد هذا اسم البلد التي جعل هذا صاحبها إذ هذا كأمر اليمن سواء بسواء والمعنى واحد . أفليس من العجب أن يكون (ذو) الوارد في القرآن كان موجودا في اليمن وله نظير في أوروبا ولكن هذا لانظيره في اليونان إذن لم يكن (ذوالقرنين) في اليونان ويغلب أن يكون في اليمن فان الأذواء في تلك البلاد هم الذين يحكمونها ومن بين هؤلاء الحكام يكون الأقيال والتبابعة كما تقدم وقد عجز المؤرخون جميعا عن معرفة تاريخ الإمارات الصغرى وعن تاريخ الممالك الكبرى هناك ولكن المهم في هذا المقام وهم الأذواء قد حفظت أسماؤهم ليكونوا دليلا لهذه القصة في القرآن والذي عرف الآن (طبقتان) طبقة تسمى الملوك الثامنة وهم ثمانية أذواء وهم الذين ناهضوا جيوشهم دولتهم . والطبقة الثانية أذواء مستقلون وهؤلاء هم الثامنة * قال الشاعر

أين الثامنة الملوك وملوكهم * ذلوا لصرف الدهر بعد جاح
ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذو * شجر وذو جند وذوصرواح
أو ذو مغار بعد أو ذو جوفز * ولقد محاذ عثكلان ماحي
وسائر الأذواء أكبرهم مرئد وهو جد الناظم قال فيه

أو ذومرائد جدنا القيل ابن ذي * شجر أبو الأذواء رحب الساح
وبنوههم ذوفين ذوسفر وذو * عمران أهل مكارم وسماح
والقيل ذو ذبيان من أبنائه * راح الجمام اليه بالرداح
أم أين ذو الرحين أو ذويرحم * سقيا بكأس للنون ذباح
أم أين ذو بهر وذو يزن وذو * نوش وذونوح وذو الأنواح
أم أين ذو نيقان أو ذو أصبح * لم ينح بالامساء والاصباح
أم أين ذوالشعين أصبح صدعه * لم يلتئم لتقف الأقباح
أو ذو حوال حيل دون مراره * أو ذو مناح لم يسبح بمراح
أم أين ذو غمدان أو ذوقائش * أو ذو رعين لم يفز بفلاح

والقصيدة ١٩ بيتا بعد الثامنة اكتفينا بما ذكرناه الآن والأذواء في هذه القصيدة ٥٥ والذي علم قليل . إذن ثبت أن (ذا القرنين) يعني وإن كان في زمن متوغل في الجهالة والابهام ليكون نموذجاً للسكالي

والشرف في الأمم الإسلامية في مستقبل الزمان . انتهى

إذا عرفت هذا فانظر الى دول اليمن فيها دولة (معين) وعاصمتهم (قرنا) ودولة (سبأ) وعاصمتهم مأرب والقتابيون وعاصمتهم (شبو) والذي كشف (معين) هو (هاليقي) إذ رآها في شرقي (صنعاء) ببلاد الجوف وقرأ اسمها عليها وبجانبها مدينة (براقش) فوجد هناك (٣٠٣) نقشا ٧٩ منها في (معين) و ١٥٤ نقشا في (براقش) و ٧٠ في السوداء وقد عثروا على بعض ملوك هذه الدولة وهم ٢٦ ملكا مثل أب يدع ومثل أب يدع يثيع أي المنقذ وهكذا . وقد عرف الناس أمة بهذا الاسم بالكشف الحديث سنة ١٥٠٠ م قبل الميلاد مكتوبا على نصب عليه نقوش مسبارية ذكرت في أقدم آثار بابل وأن ملك بابل جل على (معان) في جزيرة (سينا) وقهر ملكها وأنه اقتلع حجرا منها ونصبه تذكارا في بلاد (بابل) ويقدر العلماء أن آثار دولة معين تبتدى من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن السابع أو الثامن قبله ويقولون ان أصلهم من بابل

﴿ دولة سبأ ﴾

هم من القحطانيين كانوا أولا أذواء فأقيلا فكانت لهم المحافد فالمخالف والذي نبغ منهم (سبأ) صاحب (قصر صرواح) شرقي (صنعاء) فاستولى على الجميع ومبدأ ملكهم من سنة ٨٥٠ ق م الى سنة ١١٥ ق م والمعروف من ملوكهم ٢٧ ملكا ١٥ يسمى مكربا و ١٢ منهم يسمى ملكا مثال الأول (يشعر) و (ذصر على) فكل منهما اسمه (مكرب) ومثال الثاني (ذرج) و (يريم ايمن) فهذان ملكان

﴿ الدولة الحيرية من سنة ١١٥ ق م الى سنة ٥٢٥ م ﴾

وحير بن سبأ وهم ﴿ طبقتان * الطبقة الأولى ﴾ ملوك سبأ ويريدان من سنة ١١٥ ق م الى سنة ٢٧٥ م ومن ملوكهم (علهان نهقان) و (وتار) وهكذا ﴿ والطبقة الثانية ﴾ ملوك سبأ ويريدان وحضرموت وغيرها من سنة ٢٧٥ م الى سنة ٥٢٥ م أولهم (شمر يرعش) ثانيهم (ذوالقرنين) أو (افريقس الصعب) ثالثهم (عمرو) زوج بلقيس وهكذا الى ١٤ ملكا آخرهم ذو جند وقبله ذنواس وهذه الطبقة هم التابعة ومن قبلهم ملوك فقط . والتبع (بتشديد التاء والباء) هو من ملك حضرموت والشجر مع مملكتهم . فأكثر ملوك الطبقة الثانية الحيرية تابعة أضافوا الى ملك اليمن ملك حضرموت والشجر وهذا ما قصدت ذكره في هذا المقام في أمر ملوك اليمن

﴿ تحقيق هذا المقام ﴾

لقد اطلعت أيها الذكي على أسماء ملوك اليونان وأسماء ملوك اليمن فظهر أن ذا القرنين لاصلة بينه وبين اليونان وأن الاتصاف (بذو) لم نجده إلا في اليمن وأن الملوك والتبابعة إنما ينبغون من هؤلاء الأذواء . إذن لاشك أن هذا اللقب لامناسبة بينه وبين اليونان وإنما صلته التامة ببلاد اليمن بل تقدم في أسماء الملوك قريبا اسم ذي القرنين فظهر الأمر واتضح ولكن هل هذا هو ذا القرنين المذكور في القرآن . نحن نقول كلا . لأن هذا المذكور في ملوك قريبي العهد مناجدا ولم ينقل ذلك عنهم اللهم إلا في روايات ذكرها القصاصون في التاريخ مثل ان (شمر يرعش) وصل في حربه الى بلاد العراق وفارس وخراسان والصفد . وقال العجم (شمر كند) أي شمر خرب وبنى مدينة فسميت (سمرقند) أي شمر خرب وملك بلاد الروم ويقولون ان أسعد أبوكرب غزا (أذربيجان) وبعث حسانا ابنه الى (الصفد) وابنه يعفر الى الروم وابن أخيه الى الفرس وأن من الحيريين من بقوا في الصين لهذا العهد بعد غزو ذلك الملك لها . وكذب ابن خلدون وغيره هذه الأخبار ووسموها بأنها مبالغ فيها ونقضوها بأدلة جغرافية وأخرى تاريخية لا محل لذكرها هنا . إذن يكون ذا القرنين من أمة العرب ولكنه في تاريخ قديم قبل التاريخ المعروف . ألا ترى أن من الأمة العربية من غزوا مصر قبل الميلاد وبقوا فيها ٥٠٠ سنة ثم طردوا من مصر في الأسرة الثامنة عشرة . ولقد أخبرنا المرحوم

أجد بك كمال أن المصريين كثروا جدًا فخرجت منهم ﴿أمتان﴾ أحدهما ﴿ إلى بلاد العرب والأخرى إلى شمال أفريقيا وقال الله لنا إن الذين خرجوا إلى بلاد العرب هم عاد وثمود ﴾

﴿حكمة نزول هذه الأخبار في القرآن﴾
علم الله قبل أن ينزل القرآن أن أمة العرب خصوصاً وأمة الاسلام عموماً سينسون التاريخ وتخطيط البلدان ويجهلون ماحلّ بالأمة العربية من أمة يأجوج ومأجوج ولا يعرفون أن فتح البلدان بالجهاد الاسلامي كان هو السبب الذي جعل أمة الاسلام مجاورة لأمة يأجوج ومأجوج وهذه المجاورة كانت سبباً في انقراض القوم على أُمم الاسلام فزقت شملهم . علم الله أنهم يجهلون ذلك في الأزمان المتأخرة وأن الحروب الصليبية وحروب يأجوج ومأجوج ستقتضي عليهم ويخرج أبناؤهم أي أهل مصر وشمال أفريقيا والعراق والحجاز وسوريا والفرس وغيرها وهم يجهلون ماحلّ بأبائهم الأولين ولا يعلمون أن أمة يأجوج ومأجوج احتلت البلاد لما آتست من العرب ضعفاً وتخاذلاً ومن المسلمين تفرقوا وانحلالاً فكانوا منقسمين إلى الشيعة والسنية وكل منهم يكيد للآخر وكان الوزير العلقي رجلاً شيعياً والملك المستعصم رجلاً سنياً وكان هذا الوزير هو السبب في دخول التتار واحتلالها وذهب ألف ألف منها إلى آخر ما تقدم

علم الله ذلك فأُنزل في القرآن قصة ذي القرنين ويأجوج ومأجوج وهما قستان متلازمان . فقصة (ذي القرنين) تفيد أن رجلاً عربياً أقامه الله مصلحاً عظيماً . فإذا فعل . فعل ما فعله الخضر عليه السلام أقام الخضر جداراً يريد أن ينقض وأقام ذو القرنين سدّاً بين أمة وأمة والخضر لم يطلب أجراً من أهل البلد وذو القرنين لم يطلب أجراً من تلك الأمة . الله أكبر . هذا هو الشرف أن يصرف الإنسان نعمة الله فيما خلقت لأجله سواء أكان ذلك لمنفعة فردية أم منفعة عامة . فإقامة الجدار لمنفعة اليتامى وإقامة السد لمنفعة الأمة الله أكبر . نزل القرآن لارتقاء الأمم . نزل القرآن للاقتداء . ألم تر أن أول السورة يفيد أن قوماً هربوا من الظلم فاختلفوا وقد قدمت أن هذا تم في زمن النبوة بالهجرة وأن آخر السورة يفيد أن الإنسان يعمل للمصلحة العامة إما لأفراد وإما للأمم . هذه السورة أشبه بتاريخ الاسلام فأوله ضعف والمسلمون في مكة وبعد الضعف القوة وبالقوة تنفع الأفراد وتنفع الأمم . هذا هو دين الاسلام والأُمم الاسلامية التي ضلت هذه الطريقة يخذلها الله كأُمم الاسلام أيام الدولة العباسية أي في آخرها إذ جعل الناس الملك مفناً والزكاة مغرماً وأصبح الملك قليل العمل كثير الأمل والشهوات واللذات والخلاعة

عاشت أمة الاسلام وهي تتقلب على نار الغضا ويكيد العامة بعضهم لبعض فالخوارج والشيعة وأهل السنة بعضهم لبعض عدو حتى إن الشافعية والحنفية من أهل السنة لما دخل التتار أي يأجوج ومأجوج وجدوهم أشبه بأهل دينين كل يكاد يكفر الآخر . علم الله أننا نحن في عصرنا الحاضر سنجهل كل ذلك . الله أكبر . إن الأمة الاسلامية لما فتحت البلاد لحفظها - حفظهم الله ولكن لما فتحت البلاد لذاتها انحطت مداركهم فاستخلص الله منهم بلاده كما تقدم وجهل القوم علوم الجغرافيا فجهلوا جيرانهم من الأمم فأنقضوا عليهم . أقول ومتى عرف المسلمون بعدنا السبب في تشتيت الأمم الاسلامية يرجعون مجدهم بجمع شملهم وذلك يستحيل إلا إذا قرؤا جميع العلوم وعلموا ما جهل آباؤهم في تلك القرون ومن أهمها علم الجغرافيا والتاريخ ثم بقية العلوم وحينئذ يعرف أبناء العرب والفرس والترك وغيرهم من أُمم الاسلام أن الذي أضاع مجدهم هو الجهل وأن المسلمين ظنوا أن القصد من الملك التمتع مع أن ملك البلاد والتسلط عليها لا يقصد منه إلا رقيها وخدمتها واسعادها

أقول . علم الله ذلك وأنا في هذا الزمان سنقرأ هذا ويقرؤه أبناؤنا بعدنا ويعرفون خطأ الآباء ويقولون في (ذي القرنين) انه وان لم يكن معروفاً بشخصه فهو المعروف قدره وأن الله أبهمه علينا كما أبهم ليلة القدر

ويوم القيامة ولأن الله عرفنا به فعلا لسكانت الفائدة ضئيلة . أما الفائدة العظيمة فهي كثرة البحث والتدقيق في الكتب فهنا نحن أولاء بحثنا عن ذى القرنين في أمة اليونان . ولما بحثنا عنه وجدنا هناك في القرن الثامن قبل الميلاد قوانين مشترعة عظيم تقدمت الإشارة إليها عرفتنا مجلس الشيوخ ومجلس الأمة التي نسج على منوالها أهل أوروبا الآن وهكذا حوالى القرن السادس (ق م) ظهر (سولون) الحكيم وهؤلاء قوانين تذكروا بما يحاوله أهل الشرق الآن من الانتخاب وتشكيل المجالس النيابية . ولا جرم أن هذه الطريقة بالحال التي هي عليها لم تكن معروفة عند أسلافنا فلم يكن لهم سبيل إلا الحرب والقتل . وإذا كانت أوروبا هي التي تعلمنا تلك القوانين كما علمت اليابان وأمريكا فعلينا نحن أن نقرأ كل ما حصل من شرائع الأمم الانتخابية في اليونان والرومان وفرنسا وما الذى فعله (روسو) الكاتب الشهير الذى أحدث ذلك في فرنسا وما الذى فعلته إنكثرا قبل فرنسا بنحو مائة سنة وماذا فعلوه مع ملوكهم . كل ذلك تذكروا في أثناء البحث عن اسم ذى القرنين فإذا لم يكن في ذكر ذى القرنين نعمة سوى هذه لكفت وهذه المباحث واجبة وجوبا كفايا لأنها أولا لفهم القرآن وثانيا لأنها علوم والعلوم لابد فيها من قوم مختصين بها . وكل من فوائد غير ذلك في هذه المباحث . إن الأمم الإسلامية التي بعدنا ستقرأ هذا وأمثاله وسيعلمون أن العلوم التي نقلوها عن أوروبا والأعمال السياسية لن يتم لهم الانتفاع بها إلا إذا درسوا أصولها فهؤلاء أهل مصر وأهل العراق والشام وغيرهم قد أخذوا يقلدون الغرب في المجالس النيابية ولكن لا يتم مقصدهم إلا بدراسة تاريخ تلك المجالس أيام سولون وأيام ليكورغس ليقفوا على تنوع تلك المجالس وينظموا بلادهم على أحسن طراز وسيعلمون حق العلم أن قوله ﷺ ﴿ إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ مَا يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَخْرَفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ﴾ قد تم ذلك لأن فتوح البلدان قد انتهت بتشبيت شمل الأمة العربية لأنهم لم يحفظوا النعمة في آخر أمرهم ولم يقوموا على أنهم خلفاء الله فحسب وأن قوله ﷺ ﴿ لَقَدْ فَتَحَ اللَّيْلَةُ مِنْ سَدِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ الْخ ﴾ فيه تلميح إلى فتح البلدان كما تقدم وسيعلمون أنهم لانجاة لهم إلا بنظام أمهم وبلادهم بأحسن الطرق وهكذا أن يدرسوا كل علم ويحققوه . وسيعلم أبناء اليمن خاصة وأبناء العرب عامة أن الله ما ذكر ذا القرنين في القرآن إلا ليعت فيهم النشاط والهمة والقوة فهو يقول يا أبناء العرب ما ذا أفعَل لكم خلقت رجلا مصلحا في زمان مجهول لكم بلغ مغرب الشمس ومطلعها ولم أشأ أن أبين لكم البلاد التي دخلها لأن كل مكان في الأرض يصلح لطاوع الشمس وغروبها وإنما بينت السد لأجل أن تبشروا عن التاريخ الذي حصل لأبائكم فيمن أنتم تبشرون عن السد إذا بكم اهتديتم إلى سبب انقراض دول آبائكم فترجعون إلى أنفسكم وتقولون كيف يكون منا من بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأصلح الأمم ونكون نحن بعد نزول القرآن أضعف من آبائنا قبل نزوله وسيخجل أبناء اليوم حينما يدرون أن آبائهم كانوا أرقى منهم علما وصناعة وسيقولون كيف يكون ذوالقرنين منا وكيف ينزل الله في آياتنا سورة (سبا) ويذكر سيل العرم ونصبح نحن أضعف من آبائنا . إننا لمقصرون . فلنقرأ كل علم ولندرس كل فن وإنا إن شاء الله لموفقون انتهى

﴿ جوهرة في قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر - الخ ﴾
ان المطلع على ما تقدم من التفسير يجد نعم الله لاحد لها في كل عالم من العوالم الأرضية والسموية ولكن الآن أذكر لايضاح هذه الآية آخر الآراء التي وصل إليها العلماء في عصرنا الحاضر ولم أجد أجمل ولا أجمع ولا أحدث من الخطبة التي خطبها الأستاذ (جينس) الانجليزى العالم الفلكي الذي كان مدرسا لعلم الرياضيات التطبيقية في جامعة (بسفانيا) التي هي أشهر جامعات أمريكا وقد عاد أخيرا إلى إنكلترا وصار سكرتيرا للجمعية العلوم والفنون الملكية والخطبة المشار إليها هي التي ألقاها يوم ٧ مارس سنة ١٩٢٨ أى قبل كتابته هذه الأسطر بشهر واحد وهي كما قلنا أحدث الآراء في منشأ الكائنات والكلام على النهاية وعلى عدم النهاية في الزمان

والمسكان وهل يمكن حصر الأجرام العالوية ومقادير أعمارها . وهذه الخطبة ألقاها في تلك الجمعية في التاريخ المتقدم وملخصها ما يأتي

(١) الاهتمام بعلم الكائنات ونشوتها قريب العهد جداً وهذا العلم لا يزال طفلاً
(٢) يقول علماء (الجيولوجيا) ان الانسان لم يعيش على الأرض إلا منذ ثلثمائة ألف سنة فقط . إذن الأرض عاش عليها عشرة آلاف جيل كلهم يرون الأرض مركز العالم والعالم خالق لأجبالها وإجيالها واحداً عرف أن الأرض ليست شيئاً مذكوراً في العوالم

(٣) عمر الأرض نحو ألفي مليون سنة
(٤) الشمس ستظل بعد ألف ألف مليون سنة كما هي الآن تقريباً وتدور الأرض حولها كالوقت الحاضر
(٥) الانسان في المستقبل يكون أحكم من الانسان الحاضر ثلاثة ملايين مرة على الأقل فينظم المعيشة على مقتضى حال الكرة الأرضية في المستقبل

(٦) يؤخذ مما تقدم أن الانسان حديث العهد بالولادة على الأرض فهو طفل وهكذا هو طفل في علومه ومعارفه وكل هم هذا الطفل كان موجهها الى غسائنه ومسكنه وهو يجهل العوالم ولكنه الآن عرف أن هناك عوالم لاحد لها وعرف انه يجهلها وكأنه في حلم ومعرفته نافهة جداً بالعوالم حوله ويعيش بعد الآن ألفي مليون سنة على الأرض أي انها مدة تعادل عمر الأرض الماضي

(٧) الأجرام التي حولنا لها نهاية . أما الفضاء الذي بعسدها فلانهاية له أي ان الشمس والكواكب والمجرات ليست بلانهاية ولكن وراءها فضاء لانهاية له

(٨) الأجرام العالوية التي نراها والتي لا نراها شكلها كروي أي انها كلها كرة واحدة كقطرة الماء وككرة الأرض والشمس الخ والكرة تعرف كلها متى عرفنا نصف قطرها ونصف القطر يعرف متى عرفنا درجة تقوس محيط الشكل الكروي بين أية نقطتين مفروقتين على محيط الشكل

(٩) الاستاذ (هويل) يقول على سبيل التقريب أن الفضاء المشغول بالأجرام الفلكية لا يمتد على الأرجح الى أكثر من ألف ضعف المسافة التي تفصل بيننا وبين أبعد السدم التي يمكن رؤيتها بأكثر (التلسكوبات) اننا ان وصلنا تلك السدم فرضاً وجاوزناها فانتا نعود الى النقطة التي بدأنا منها لأن ذلك الفضاء كما قلنا كروي الشكل

(١٠) الاشارات اللاسلكية التي تنبثق من جهاز لاسلكي شديد الاحساس تدور حول الكرة الأرضية في أقل من سبع ثانية وتعود الى النقطة التي بدأت منها فهكذا نحن لو اخترقنا هذه العوالم رجعنا الى مبدأ سفرنا
(١١) لو اننا صنعنا (تلسكوبا) قويا جداً ورأينا جميع الكرات السماوية لرأينا النجوم بهيئتها الأصلية حينما أرسلت النور اليها قبل الملايين من السنين وأن النجوم ليست أعدادها بغير نهاية ولو كانت في فضاء لا نهاية له للزم أن تكون هناك نجوم لا يصل لنا نورها الى أبد الدهر ويقول إن هذا بعيد ويرجع فيقول ان الانسان اليوم طفل لا يسرى في العلوم شيئاً فربما جاءه المستقبل بما لا يتخيله الآن

(١٢) النور يسير في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل ومثله في ذلك الكهر بائية اللاسلكية لأنهما في جوهرهما شيء واحد ويرجع أن النور يسير حول الفضاء الكروي مائة ألف مليون سنة أي ان النور يدور في هذا العالم المملوء بالأجرام العالوية الذي مجموعه كرة واحدة مدة مائة ألف مليون سنة مع العلم بأنه يدور حول الأرض في سبع ثانية واحدة فأين النسبة بين سبع ثانية وبين مائة ألف مليون سنة . ويقول ان الأرقام لا تقدر أن تحصى المسافة المحصورة بين نقطتين أي أيا كانتا على محيط الفضاء الكروي

(١٣) الشمس أكبر من الأرض حجماً مليوناً وثلثمائة ألف مرة وماهى إلا حبة رمل على شاطئ هذا

الفضاء الكروى وهى فرد من أسرة من أسرار الكائنات وفى الفضاء الكروى المذكور ألوف الملايين من تلك الأسر والجماعات . وقد قتر العلامه (سيرز) عددها (ثلاثين ألف مليون مجموعه) وتكون شمسا وتوابها حبة رمل فى مجموعه واحدة من هذه الثلاثين ألف مليون مجموعه

(١٤) هناك سديم (لوليه) خارج المجرة وهى مجموعه من النجوم تم نشؤها أولانزال فى دور التكوين وفى بعض تلك السدم من المادّة ما يكفى لخلق ألف مليون شمس كشمسنا مع العلم بأن مادتها فى غاية اللطف حتى ان جزءا من اثني عشر مليون جزء من الرطل يعادل فى حجمه جبل (ماترهورن) الذى هو من أكبر جبال أوروبا فاذا كان السديم الواحد الذى هذه حال خفته فى حجمه يشتمل على ما يكون ألف مليون شمس فكيف يكون حجمه (وبعبارة أخرى) اذا وضعت ألف مليون شمس فى كفة ميزان (مع العلم بأن الشمس أكبر من مليون حجم الأرض وثلاثمائة ألف مرة) وفى السكفة الأخرى جزء من مليون جزء من الأوقية كانت النسبة بينهما كنسبة أحد تلك السدم الى جبل (ماترهورن) المشار اليه وذلك كله حجم سديم واحد فما بالك بمئات الملايين منها وهى سابعة فى الفضاء الكروى

(١٥) يقول (هويل) المتقدم ذكره ان مرقب (تلسكوب) مونت ويلسون بأمرىكا يريك نحو مليونين من تلك السدم واذا تمكن الانسان من صنع مرقب أكبر فانه يرى بلاشك ملايين كثيرة أخرى منها فى كل منها من المادّة ما يكفى لخلق الملايين من الشمس والأجرام الفلكية . ويقول ان العلماء يقولون ان الفضاء الذى تشغله المادّة يجب أن يكون ألف مليون ضعف الفضاء الذى يستطيع أن يرصده (تلسكوب) مونت ويلسون المشار اليه الذى هو أعظم تلسكوب فى العالم كله . ويقول اذا أردت أن تعرف عدد النجوم التى تسبح فى الفضاء تقرىبا فانها عدد (٢) وعلى يمينه (٢٤) صفرا وهو عدد النجوم السابحة فى الفضاء وعددها من الرمل يغطى سطح الجزائر البريطانية الى عمق مئات من الأمتر . ومعلوم أن عالمنا الأرضى ليس إلا حبة من حبات ذلك الرمل

(١٦) أضعف النجوم المعروفة نجمة (وولف) نورها جزء من عشرين من نور الشمس ونور النجم (دورادوس) يوازي ثلثمائة ألف ضعف النور المنبثق من الشمس وأصغر النجوم هونجم (فان مانن) وحجمه كحجم الأرض وأكبر النجوم هى الجوزاء وهى أكبر من الشمس خسا وعشرين مليون مرة ونسبة نورها الى نور الشمس كنسبة نور المصابيح الكهر بائية الى نور حشرة الحباب

(١٧) ان الشمس تخرج شعاعا يعادل قوّة خمسين حصانا من كل بوصة مربعة وبعض النجوم التى هى أعظم من الشمس تشع نورا من البوصة المربعة يعادل قوّة ثلاثين ألف حصان لكل بوصة مربعة

(١٨) الشمس تفقد كل يوم من المادّة بسبب خروج الأشعة منها ٢٥٠ مليون طن فى الدقيقة ففى كل يوم تفقد ٣٦٠ ألف مليون طن

(١٩) ان أعمار الأجرام الفلكية تختلف من خمسة آلاف مليون سنة الى عشرة آلاف مليون سنة

٢٠. يظن أن عمر الشمس الآن عشرة آلاف مليون سنة ويمكن أن تعيش ملايين الملايين من السنين فلا تنطفئ . انتهى

هذه هى الآراء التى يستنتجها العلماء اليوم بحسابهم تارة وبتخيلهم تارة أخرى . ذلك كله يفهمنا قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا - الخ فهذه هى الكمات الإلهية التى حيرت العقول وشغلت الأفكار وأضاعت الأعمار ولم يصل الناس لأقل جزء من العلم والله يعلم وأنتم لاتعلمون والحمد لله رب العالمين . كتبت هذه

المقالة يوم الجمعة ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٨

﴿ جوهره في قوله تعالى - قل إنما أنا بشر مثلكم يرحى إلى أنما إلهكم إله واحد فن

كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - ﴾

اعلم أن هذا الوحي الذي أنزله الله على أنبيائه بأنه واحد قد أظهره في كلماته المذكورة قبل هذا في قوله - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - فالآية الثانية كالتممة للأولى وإيضاح هذا المقام أن الآية الأولى أفادت كثرة المخالقات ولكن الكثرة كيف تكون عن الوحدة فالكثرة ظهرت في الأولى والوحدة في الثانية . هناك حارت الأمم قديما وحديثا . رأوا كثرة لا تنهاى وهذه الكثرة العظيمة لا تتم إلا بالوحدة والا فكيف يضبط هذا الكثير . فانظر ماذا حصل . جاء قدماء الفلاسفة ونظروا في هذا الوجود فرأوه جواهر وأعراضا أى المادّة والصفات القائمة بها فدرسوا أولا العلوم الجزئية من الرياضيات والطبيعات وبعد ذلك درسوا علما علما يعامهم الوحدة فقالوا ان كل موجود يمكن أن يطلق عليه اسم الواحد سواء أكان كثيرا أم قليلا فالتنا نقول زيد واحد وعمرو واحد والانسان جميعه واحد فالأولان بشخصيهما والثالث بنوعه ونقول الانسان والحيوان والنبات والجماد واحد أى من حيث اشتراكها في الجسمية إذن الكثرة تلازمها الوحدة فليست الوحدة خاصة بالشخص . كلا . بل هذا العالم كله نسميه واحدا . هذا ما كان يقوله القدماء فاقرأه في كتاب ﴿ الشفا ﴾ لابن سينا . وتارة يقولون ان الواحد أصل العدد فليس هو بعدد والعدد يشعر بالتعدد والواحد بتكراره مرة فأكثر أحدث الأعداد كلها ألوف وألوف ألوف والواحد اذا حذف من الوجود لم يكن عدد والعدد اذا ذهب من الوجود لم يذهب الواحد . إذن العالم كله واحد . وهذا كلام علماء (الارتماطيقى) أى علم خواص الأعداد . فعلماء الفلاسفة القدماء يرون نفس العالم واحدا وعلماء الرياضة يوحّدون العدد فانظر الى علماء العصر الحاضر . ماذا فعلوا . نظروا بطريق العلوم الطبيعية فاذا قالوا . قالوا ان العالم كله واحد من حيث ان الكواكب كلها مركبات من عناصر كعناصر الأرض وقد تقدّم شرح هذا في هذا التفسير فلا تفاوت في هذه المادّة . العناصر التي تبلغ نحو ثمانين الآن ركبّت الأرض منها ومن غيرها والشمس مثلها وكذلك سائر الكواكب والذي عرفنا ذلك هو الضوء فباختلاف الخطوط السود المقاطعة للألوان السبعة تختلف العناصر في الجميع وأيضا يقولون كما تقدّم أيضا ان السيارات تدور حول الشمس والعالم كله سيارات تدور حول شمس وهذه المسألة عينها هي الحاصلة في الحجر والشجر والمدر والجبل . فهذه كلها مركبات من عناصر والعناصر من جواهر فردة والجواهر الفردة تحلل الى كهارب وتلك الكهارب ماهي إلا نقط ضوئية يدور بعضها على بعض فنقطه من نوع الكهرباء السالبة وأخرى من نوع الموجبة والنور ان سربع جدا بحيث يكون ملايين في الثانية الواحدة والمسافات بين الذرات التي يتركب منها الجسم كالمسافات بين الشمس والسيارات وباطن المادّة خلاء يتخلله ذرات كهذا العالم الذي نراه وهذا المقام قد مرّ قريبا في هذا المجلد وفي غيره . ويقولون أيضا ان قطرة الماء تحوى ذرات عددها (٥) يتبعها عشرون صفرا كما نقلناه سابقا عن علماء أمريكا في عصرنا وانظر الى عدد نجوم السماء فيما تقدّم آنفا وانها عدد ٢ على عينه ٢٤ صفرا انتهى

﴿ خلاصة ما تقدم ﴾

- (١) وحدة في آراء قدماء الفلاسفة من حيث ان العالم كله تلحقه الوحدة كثيرا أو قليلا كايا أوجزيا
- (٢) وحدة عند علماء خواص الأعداد إذ يقولون ان الأعداد كلها ترجع للواحد بل هي واحد مكرر
- (٣) وحدة عند علماء العصر الحاضر مثل ان النجوم والشموس مركبات من عناصر كما نرى في أرضنا
- فهنا اتحاد في التركيب وفي العناصر اجالا
- (٤) اتحاد الكواكب المحيطة بنا في الحركات مع الجواهر الفردة . فالسيارات تدور حول الشمس

والجواهر الكهر بآية تدور بعضها على بعض في الجوهر الفرد فالأشياء هنا في الحركات
(٥) الكواكب كلها مشرقا وجميع الذرات مكونات من كهرباء أى نقطة ضوئية . إذن العوالم اتحدت
في الأنوار سواء أكانت مظلمة أم مضيئة أى ان نحو الحديد والنحاس والأحجار عند البحث في ذراتها نجدها
مركبات من أنوار لاغير كأنوار الكواكب وهذا تقدم شرحه كثيرا في هذا التفسير
(٦) الأضواء التى في هذه الجواهر الفردة التى يجرى بعضها على بعض يتخللها خطوط سود سواء أكان
ذلك في أضواء النجوم أو أضواء العناصر الأرضية

(٧) بين كل ذرة وأخرى خلاء في سعته بالنسبة للذرتين كالسبعة بين شمسنا مثلاً وأرضنا بالنسبة لجمعهما
(٨) القدر الصغير من المادة التى أماننا كالقطرة المائية أعداد ذراته تفوق أعداد نجوم السماء بحسب
ما يظن في الكشف الحديث . وهناك وحدة لم تذكر هنا وهى

(٩) الوحدة في الأخلاق . ذلك أن هذا العالم كله فيه الحرّ والبرد والموت والحياة والعزّ والذلّ ونجد
الشرع السماوى يقول لنا جاهدوا وتقدموا للقتال وساموا أنفسكم للموت ولكل ما يعتوركم في الحياة وأنتم راضون
إذن الشريعة تقول بوحدة الأخلاق مع حوادث هذا العالم فنكون مع هذا الوجود متحدين في أعمالنا
نقدم أنفسنا للموت في الفضيلة ونرضى بكل حوادثه بل ان ذلك قد جرى عليه الحكماء قبل دين الاسلام فهناك
دين (أودين) كان في أوروبا قديما جدا وهذا الدين يأمر أتباعه بأن لا يموتوا إلا مقتولين ويحرم على المرء
أن يموت على فراشه . وقد ذكر هذا الدين (كارليل) الانجليزى في كتابه «البطولة والابطال» وأيضا
نذكر ما ذكرته آتفا مذهب الفيلسوف (ليكورغس) في نحو القرن الثامن قبل الميلاد فانه علم اليونان بأسبرطه
وغيرها أن رقى الناس لا يتم إلا بأن يعتادوا صرامة العالم ويذوقوا كل ألم من حرّ وبرد وضرب موجع ولا
يتذمروا من ذلك كله ولا يتم رقيهم إلا بذلك ودرجوا على هذا النظام حينما من الدهر وهذا عجب أن تكون
الوحدة سارية في العالم وفي أفعال الناس

(١٠) ووحدة في العدل فانظرها في سورة النحل عند قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل والإحسان -
فهناك تجد نظام الجسم الانسانى ونظام أخلاق الانسان ونظام الأمة كلها جاريات على قانون واحد يشمل العالم
كله . اللهم انا نحمدك أن علمتنا أن قولك لنبيينا ﷺ - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما إلهكم إله
واحد - الخ هو القانون المتفق عليه في طبقة هذا الوجود . اللهم إنك أنت الذى علمتنا ما لم نعلم ونشكرك
على الحكمة ونسألك المزيد وأن ترفع هذه الأمم الاسلامية الى مقام الحكمة والعلم إنك على ما تشاء قدير
أنا لست أقول لك ان ذرات قطرة الماء ونجوم السماء هذا المذكور هو عددها وإنما أقول لك هذا هو
اتجاه عقول هذا النوع الانسانى فى الزمان الأول جعلوا هذا العالم واحدا من حيث أن كل موجود يطلق عليه
اسم الواحد كثيرا كان أو قليلا حتى ان المقولات العشر التى ترجع الى الجوهر والعرض قد شملت أقسام الوجود
الحادث كما في كتابي «الفلسفة العربية» فهى هناك واضحة كل الوضوح

وفى هذا الزمان وجدوا أن عدد ذرات قطرة الماء أشبه بعدد نجوم السماء من حيث الكثرة وأن العوالم
ترجع الى كهرباء فالوحدة هى التى خطرت بعقول الفلاسفة قديما وحديثا فهذا العالم يدل على وحدة الصانع
الذى أنزلها الله فى القرآن وأوحى بها الى نبيينا محمد ﷺ فقال - قل إنما أنا بشر مثلكم - ولست أدعوكم
الى الفلسفة القديمة ولا الحديثة الدالتين على وحدة هذا الوجود على حسب عقولكم الدالة على وحدة صانعه
بل أنا يوحى الىّ بوحدة الخالق التى بها كانت وحدة العالم وأنتم ابحتوا عنها بعقولكم بالطرق التى توافق
عقولكم فان الوحدة مخبوءة فى هذا العالم ومخبوءة فى عقولكم - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون -
وأهل الذكر فى هذا المقام هم الفلاسفة والحكماء فى العالم قديما وحديثا . انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ الوحدة في نظام الأمم ﴾

و بيانه أن الوحدة كلها كانت أعظم وأتمّ كان المتحدون بها أقوى وأكمل وهكذا . والدليل على ذلك أن الجبال تقوى على احتمال ما لا تقوى عليه البلاد من حوادث الجوّ والرياح والصواعق والزلازل . وهكذا نرى الفيلة والأساد والانسان لقوة تركيبها واندماج عناصر كثيرة في أجسامها تقوى على ما لا يقوى عليه الجراد وأنواع الحشرات . فهكذا الأمم فاننا نجدها كلها كانت أشدّ ارتباطا وأكثر عددا كانت أقوى من غيرها .

ألا ترى أن الأمم الكبيرة القوية المتعلمة اليوم تهجم على الجاهلة . أتدري لماذا ذلك . لأن الأمم العظيمة قد سرت فيها أسرار الوحدة والوحدة سرّ الوجود . فالأمم التي غلبت غيرها سر الوحدة فيها أتمّ إما لا ترقاه صفاتها وإما لكثرة عددها وإما لها معا . أما الأمم التي تمزّقت وحدتها لجهلها وقلة المفكرين فيها فإن الله يعاقبها على ذلك الجهل بأن يسلط عليها الأمم التي سرت فيها الوحدة لينلوهم . لماذا هذا . لأنهم نسوا الله فنسيهم ومن صفات الله الوحدة وهؤلاء جهلوا عملا فذلوا لمن اتصفوا بها . واعلم أن الأمم الإسلامية بعد القرون الأولى كانت كل همهم رؤسائهم منصرفة إلى أن يتولوا أحكام المساميين فتفرّقوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض وتركوا أكثر الشورى والشورى في الأمم هي سرّ الوحدة ومتى انتخب الناس رؤساء منهم وهؤلاء تشاوروا في أمورهم كانت هناك الوحدة التي ظهرت آثارها في العالم الانساني في أمريكا واليابان وأوروبا تلك الشورى التي أمر بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما حضرته الوفاة فبالشورى تسكون الوحدة وبالغلبة يكون التفرّق . فالحكم يكون لأهل الحل والعقد ويكون الملك أورشيس الجمهور عليه التنفيذ ولا يتولى هو إلا بمشورتهم ويقيّد الملوك وميراث العرش بأوامر ذلك المجلس . هذا هو الذي جهله المتأخرون في الاسلام فأصاع مجدهم . ألا فليغير هذا النظام الآن . ومن عجب أن يكون اليابان والطيان والألمان والفرنسيون وهكذا أمم أخرى جميع هؤلاء اتحدت طوائفهم التي هي من جنس واحد . أما أبناء العرب الذين هم اخواننا في النسب فقد تفرّقوا قديما وحديثا وميلهم للعلم غالبا منصب على الشعر والأدب . فهل يكون اتحادهم بعد نشر أمثال هذا التفسير . وهل يعرف أبناء مصر وشمال أفريقيا وأهل الشام والعراق والحجاز ونجد واليمن انهم من حيث التجانس لا فرق بين تجانسهم وتجانس الألمان والطيان الخ وأن دينهم واحد ثم هم متجاورون في البلاد متحدون في اللغة . أفليس من الخزي المحزن انهم يتفرّقون وحدهم دون سائر الأمم . يظهر لي أن هذا التفرّق للجهل المطبق . تعلمت تلك الأمم فاتحدت . وجهل أبناء العرب تفرّقوا . نعم نشروا الدين وانتشروا في الأرض وليس يجمعهم بعد هذا التشتت إلا دراسة جميع العلوم ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ السير على ناموس هذا التفسير والعمل بما فيه فبذلك يظهر فيهم النابغون وينشر التاريخ ملخصا والوقائع والأحوال الماضية فتزول الجهالة وينشر النور ويعم . ومن الوحدة في نظام الأمة استخراج ما كمن في الأفراد من القوى والملكات وما في الأرض من الخيرات معادن وزراعة وغيرها . ومن ذلك حفظ أرباب الصناعات في البلاد بالمحافظة على ما يصنعون بحيث يروج في بلادهم . وهذه قاعدة مطردة في الأمم جميعها ولكن البلاد لم تستقل استقلال تاما كمصر وشمال أفريقيا وأمثالها . فكل هذه أبوابها مفتحات بلا حجاب فبضاعة الأجانب هي التي تروج عندهم فيضعف صناعهم وتجارهم فتقلّ الوحدة ويضعف الشعب وتذهب ريحهم . ولقد أخذ قواد الشعوب المهضومة يدعون إلى ذلك كما تقدّم في آخر (آل عمران) من النداء الذي نشره (غاندى) بالهند لقومه فلبوه وقللوا من شراء بضاعة الأجانب . كل ذلك تكميل للوحدة ومن هذا القليل ما كتبه في هذه الايام في مجلة ﴿ النهضة النسائية ﴾ بمصر وذلك لتقوية الوحدة في الأمة وهذا نصه في عدد مايو سنة ١٩٢٨

(خطاب مفتوح)

(الى جماعة نهضة السيدات)

أيها السيدات الفضليات . اطلعت اليوم على المجلة التي تصدر باسمكن بتحرير مديرتها فأعجبت بها وأيم الله أعجاب وراقني أساوبها وأدهشني المصطفيات من حكمها وغوى الى دررها وجواهرها في حلالها وحلالها وتعجبت كل العجب من رقي علمي ومبحث فني ومطالب جندي وحكمة بالغة وآية ساحرة فحرت تلك المناظر ما كن في النفس من حب الوطن وما خاسرها من غرام برقيها وغرام ثابت في الوجدان

وحرك وجدني بعد ما كان نائما * برأى الضحى مشفوفة بالترنم
فلو قبل مبكها بكيت صبا * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكيت قبل فهبج لي البكا * بكها فقلت الفضل للمتقدم

أيها السيدات الفضليات . إن الله خلق الانسان ﴿صنفين﴾ ذكرًا وأنثى وليس يقوم شأن أحدهما إلا بمساعدة الآخر كما وضع أن الله خلق للانسان يدين تساعد أحدهما الأخرى وهكذا العينان والأذان هكذا أبرز هذين الصنفين في نوع الانسان ليشارك في نظام الأسرار وحفظ الأبناء والبنات فلم لا يشتركان في رقي البلاد وانهاضها

أيها السيدات الفضليات . لقد علمت نبا الحوادث العربية فانهضة المصطفوية الوطنية فالسعدية الوفدية فما بالكنت لم تقاسمن الرجال في حفظ البلاد . نحن لانطلب منكنت واحدة تمثل (جان دارك) في فرنسا فتتقدم صفوف الرجال للقتال وجهاد الأعداء فنحن لسنا في حرب الميدان ولا نطلب منكنت أن تفعلن ما فعلته السيدات الهنديات اللاتي قفون أثر الزعيم الهندي الكبير الاستاذ (غاندى) من مقاطعة المنسوجات الاجنبية إذ قال كما جاء في مجلة ﴿الجامعة الهندية﴾ ما يأتي

﴿إن مقاطعة المنسوجات الأجنبية من الانتقام ولكنه لا مفر منه لأنه لازم للوطنية لزوم النفس للحياة إذ بدونه لا يكون استقلال وإن جاء لا يؤمن عليه . إن أنواع المنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الأجنبية والفقر المدقع وما هو أقبح من هذا وهو العار على كثير من الأسرار ولا شيء يستطيع صد الوطني عن القيام بوظيفته ولو كان قوة الحكومة﴾

هذا بعض كلامه الذي اتبعه الرجال والنساء في الهند . وانما لم أطلب ذلك منكنت لأن مصر فيها جاليات كثيرة لم ين بها صلاة حسنة بخلاف الهند ففيها واحدة . انما أطلب منكنت ما فعله فضليات النساء في تركيا فقد جاء في الاهرام بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٢٨ م مانصه

الاستاذة في ٢٠ مارس سنة ١٩٢٨ ﴿تألفت جمعية من السيدات المسلمات من الأسر الوجيعة لمقاومة التبرج (التوايت) بين النساء المسلمات لأن ذلك لا مبرر له وهو من بواعث الفقر في الأمة﴾

هذه هي الجمعية التي ألفت من الأسر الوجيعة . أيها السيدات المصريات أنن أحق بذلك من السيدات التركيات . إن تركيا مستقلة استقلال تاما ولكن الرجال هناك لما علموا أن انكباب النساء على المنسوجات الأجنبية يورث الفقر والفقر يتبعه ضياع البلاد . استعانوا بالنساء لحفظ المال والأخلاق وخص النساء بالطبقة الراقية لأن غيرهن يستخر الشعب منهن اذا وعظن بالاقتصاد وعدم الاسراف فينسب ذلك لفقرهن وقلة ذات يدهن . فها كن الله أيها السيدات الفضليات المصريات . فاذا كانت تركيا التام استقلالها قد أعوزها مساعدة السيدات فبالكنت بمصر الأسيعة الباكية التي لانصيرها ولا معين . فيا ليت شعري من من عريقات المجد ونبيلات الشرف منكنت تلي هذا النداء . أقسم الجوهري قسما حقا لاحاتنا فيه ولا آتأ أن التي تتقدم

سيدات مصر في هذا لا يوازيها كثير من الرجال ولا يكون اشراق شمسها ومجد عملها وحسن صنعها قاصرا على مصر بل يتعداها الى كثير من بلدان الشرق ويقترن اسمها بأعظم الأسماء بعد الأنبياء وينالها من الثواب في الآخرة ما جاء في حديث رسول الله ﷺ ﴿ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ﴾

ناشدتك الله أيتها السيدات إلا ما حركتن وجدان النفوس وأثرتن نائفة الشعور وقصدتن سيدة ترفع رأس المصريين فالام أيتها السيدات النكوص وحتم الجلوس . أفترضين أن تكون مصر معطلة أحد الشقين أو فاقدة إحدى العينين فيقل العدد وتضيع البلد ويذهب المال والبراد . فياليت شعري من هذه السيدة التي ستطلع بدرا في سماء مصر فتحفظ أموالنا وتصور أعراضنا وتحل مشا كل الزواج عندنا ويكثر اتباعها نسلنا ويكون اسمها عطر المجالس وهي قدوة الأوانس ومن أشياها تصطفى العرائس ومن خالفها منهن حقرها الأهل والجيران وبندها الشبان وأصبحت في خبر كان . إن هذه السيدة عين الله ترعاها وهي شمس مصر والبلاد ضحاها . وقل اعلموا فسيروا الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . انتهى

هذا ما كتبت ونشر في التاريخ المذكور . وما هذا وأمثاله إلا للسعي في وحدة الأمة ونشرها في هذا التفسير أتم لي علم المسامون في أقطار الأرض أن وحدة الشعب في تجارته وجميع أعماله مما يرقيه ويجعله أهلا للاستقلال والا فلماذا يقول الله عز وجل في آية أخرى - وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكروا أولوا الألباب - نحن كنا نعلم أن الله إله واحد . إذن ما هو التذكير الذي يتذكره أولوا الألباب . ومعالم أن أولى الألباب هم أرباب العقول الصافية الراقية لأنهم أشبه باللب وغيرهم كالقشر . فما هي الذكري . الذكري أشبه بما قلناه هنا . ان أبناء العرب نشروا الاسلام ولكن هم الآن لم يتذكروا به علم الوحدة في النظام الذي ذكرهم الله به وذلك لقلة المفسرين في أبناء العرب وقلة المفكرين لعدم انتشار التعليم . ومتى انتشر التعليم أدركوا أن كل أمة من الأمم كالصين واليابان والفرنسيين قد اتخذوا لهم وحدة جمعهم . أما أمة العرب وأمة الترك فلم يجتمعوا اجتماعا تاما . فالترك في الأناضول لم يتحدوا مع الترك في الصين ولا مع الترك في روسيا فهذا معنى قوله - وليذكروا أولوا الألباب - المذكورة في سورة ابراهيم فانه قال تعالى - وليذكروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكروا أولوا الألباب - فهذا من ذكرى أولى الألباب . ألا فليذكر المسامون ولينشروا التعليم في الرجال والنساء والحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿ تذكرة ﴾

إن الانسان يتنفس في اليوم واليلة أنفاسا لا تقل عن ٢٤ ألف نفس وأن الله مع كل نفس من أنفاس العبد شأننا فيه ومن أهم الشؤون الالهية في العبد الخواطر الواردة عليه . ولقد كنت ألفت هذا التفسير في مدة لا تزيد على سنتين وبعد ذلك كانت ترد على قلبي خواطر في بعض الآيات كآية الاسراء وكآية - تسبح له السموات السبع والأرض - الخ وهذه الخواطر كنت أكتبها بهيئة مقالات وألحقها بتفسير الآية وربما كان بين المقالة والأخرى سنتان فلما أردت طبع الكتاب وجدت المقالات المختلفة في الموضوع الواحد تتفق في بعض المعنى وتختلف في البعض الآخر فلم أقدر أن أستعني عن واحدة منها لفوائدها وعسى أن أوفق لحذف المعاني المكررة في الطبعة الثانية ان شاء الله تعالى

﴿ تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء التاسع من كتاب (الجواهر في تفسير القرآن الكريم)

ويليه الجزء العاشر وأوله تفسير سورة مريم ﴾

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
البهايم	البهايم	١٣	٦٦	الثانية	الثالثة	٥	٦
الصوفية حق	الصوفية	٥	٦٨	وهي أعماله	وهي أعماله	٢٣	٧
فانهم	فان	٣٥	٦٩	وعاوم	وعاوم	٣٥	١٥
من أن يتحكم	من أن	٥	٨٠	فتبلغ	فتبلغ	٨	١٦
لو	إذا	٧	٨١	فالأول وللأول	فالأول وللأول	٣١	١٩
وأدرتوها	وأدرستوها	١٠	٨١	والآخر	والآخر		
كرر	وكرر	٣٢	٨٢	تحسس	لم تحس	٣١	٢٠
كواكب	كوكب	١٩	٨٦	وافشاء	وانشاء	١٠	٢٣
الخيز	الخيز	٢	٨٧	نواها	نواها	٨	٢٦
الجوامد	الجومد	١٠	٨٧	جوستاف	جوستان	١١	٢٦
وضعتها	وحفظها	٢٨	٨٨	أما كون التفاوت	أما التفاوت	٢٤	٣٢
للشاعر	الشاعر	١٦	١٠٣	التبليية	التبليية	٢٣	٣٦
	حزة	١٣	١١٣	نواها	متى	٢٤	٣٦
بجعلوا	فعلوا	١٨	١١٤	ثلاث درجات	درجات ثلاث	٢٢	٣٨
قطرة	قطعة	٢٢	١١٦	والسنا	والثناء	٣٣	٣٨
معاشهم	احضارها	٣٣	١١٦	واشخاص	والشخاص	١٢	٥٠
المخبرين	لا المخبرين	٢	١١٧	ان الأمة الضالة	ان الأمة	١٧	٥١
العامي	العاصي	٦	١١٧	ر بهم . انتهى من	ر بهم	٣٢	٥٣
الوزير	والوزير	١٥	١١٧	رحلة الأندلس			
وثناهم	وثناؤهم	٣٢	١١٧	وانما عدة	وانما عدة	١٢	٥٥
تمليخا	شمليخا	٣٠	١٢٣	والشيخ	والشيخ	٢٦	٥٥
فسأله	فسأله	١٤	١٢٤	عرفنا به	عرفنا	٩	٥٦
معادة	مفارقة	٣٥	١٢٤	عما	عن ما	١٩	٥٦
صهره	جهره	٢٩	١٣٤	كالشيق	كالتصميم	٢٠	٥٩
مليون مليون	مليون مليون	٣٢	١٤٣	وللتصميم والتحميد	وللتصميم المشترك	٢٣	٥٩
مليون مليون	مليون مليون			المشتملين عليهما			
هناك	هنا	٤	١٤٤	أولا	أولاد	١٧	٦٢
هم	وهم	٣١	١٥٠	مغروسات	مغروسين	٣١	٦٤
				نشر	لنشر	٢٢	٦٥

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
غيرها	صغارها	٢	١٨٦	تهاوى	تهادى	١٨	١٥٤
نعرفهم	تعرفهم	٢٨	١٨٦	هى	هو	٢٠	١٦٤
أحدا	به أحدا	٢	١٩٤	والملاسة	والملاسة	٣٥	١٦٥
	لا	١٤	١٩٤	لاصق	لاحق	١٠	١٦٦
	الجبرى	٤	١٩٥	فذاك الماس	هو الماس	١٥	١٦٦
	وكقصة ذى	١٧	١٩٥	واثنى عشر حرفا فى	واثنا عشر حرفا	٢٢	١٧٨
	للقرين			الأولى واثنى عشر	فى الأولى واثنا عشر		
حوالى سنة ١٨٩٩	سنة ١٨٩٨	١٢	١٩٨	قال أبو الفتح محمد	قال أبو محمد الى	٢	١٧٩
السبت	السبت	٧	١٩٩	ابن عبد الكريم	قوله أبى عامر		
فى	تسكن	٦	٢٠٢	الشهرستانى			
راجع	راجع	٢٩	٢٠٤				

﴿ تمت ﴾

فهرست الجزء التاسع من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيحة

٢ تقسيم سورة بنى اسرائيل الى (قسمين * القسم الأول) فيه الاسراء وتاريخ بنى اسرائيل ارتقاء وانحطاطا وحكم تتبع ذلك الخ (والقسم الثانى) من قوله - قل كونوا حجارة أو حديدًا - الى آخر السورة ذكر آيات القرآن في القسم الأول مشكلة الى قوله - خلقا جديداً -

٤ التفسير اللفظى لهذا القسم

٦ ذكر ما فى هذا القسم من العلم وهو ستة أنواع ومن العمل وهو ٢٥ و بيان فصول القسم العلمى الستة

٨ كشف حضارة غابرة فى أمريكا لمناسبة قوله تعالى - وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح - الخ

٩ الكلام على القسم العلمى وتفصيل الخمسة والعشرين نوعاً منه

١٢ ذكر اثنتى عشرة لطيفة اجمالاً . ثم بعد ذلك تفصيل هذه اللطائف (اللطيفة الأولى) فى قوله تعالى - سبحانه الذى أسرى بهبده ليلاً -

١٣ حديث الاسراء وعروجه ﷺ الى السماء ومقابلة الأنبياء فى السموات المختلفة وایضاح هذا المقام

١٤ وصف سيرة المنتهى وامتحان أهل مكة له ﷺ فى فعت المسجد الأقصى ووصفه لهم كأنه حاضر أمامه ووصفه غيرهم الخ وهل الاسراء فى المنام أم فى اليقظة . ايضاح هذا المقام و بيان أن للانسان جسماً أثرياً وسطاً بين الروح والجسم حتى ان الميت يظن أنه حي لأن جسمه كأجسام الأحياء وبهذا يجمع بين من قال الاسراء بالروح ومن قال بالجسم

١٥ ما القصد من ذكر الاسراء لنا وانها ذكرت لتبيح فى التصفية لثرى . و بيان ما اطلع عليه ﷺ من

رجل تلغ رأسه فيهبوى ورجل يشترش شدقه الى قفاه وقوم عراة فى تنور ورجل ساج فى بحر أحر كالدم يلحم حجراً وهكذا وأن هذه الصور البرزخية للعصاة لم يقرر على الاتيان بمثلها الفيلسوف (قاسم اليونانى)

مع سعة عامه فهذا الحديث من دلائل النبوة

١٧ (اللطيفة الثانية) فى قوله تعالى - وآتينا موسى الكتاب - الخ وفيه بيان أن الاسراء يشير الى الارتقاء

فى عالم الانسانية والى أن الامة الاسلامية الحقيقية تسبق الأمم فى علومها وانها تؤمها كلها بعد أن تستوعب

فضائلها . واذا كان النبي ﷺ إماماً للأنبياء فعنه أن من بعدنا سيكونون - خير أمة أخرجت للناس -

النبي صرت على الأنبياء فى السماء نبياً بعد نبي . ومعنى هذا اننا نحن نستحوذ على علوم الأمم أى من بعدنا

لأننا نحن لم نفعل شيئاً من ذلك . فاذا صرت على عيسى وموسى وادريس الخ فعنى هذا أن ندرس نحن

علوم النصرى واليهود وقدماء المصريين . بهجة الاسراء فى حديث فرض الله على أمى خمسين صلاة الخ

لم فرضت ٥٠ صلاة . ثم لماذا جعلت خمسا . وبيان أن مدة اليقظة نحو ١٧ ساعة و ٥٠ صلاة تستغرقها

وأجر الخس لا يستغرق الخمسين إلا اذا كان المصلى عاملاً بصلاته الخ . ملخص الصلاة راجع (لأميرين)

عظمة الله والالتجاء اليه . فالأول كأول الفاتحة والتكبير والثانى كطلب الهداية والسلام على النبي ﷺ الخ

والتكبير يشرحه قول المصلى - وجهت وجهى - الخ وهذا التوجه كتوجه الخليل . ومعنى هذا العلم

بالعوالم حولنا وبهذا تكون الصلوات الخمس كالتكبير . فقول المصلى - وجهت وجهى - الخ معناه

معرفة العوالم وبهذا يكون دائماً على صلواته فتوجه المسلم بعلم ما فى السموات والأرض . إذن التكبير

والتسليم يشملان علوم أهل الأرض حولنا وهى العلوم الرياضية والطبيعية والالهية والسياسية بأقسامها فهل يعلم المسلمون ذلك الآن وهل يعلمون ان أول الفاتحة علوم عامة كالتكبير وآخرها علوم عملية كالتسليم

- والسلام على النبي ﷺ والصالحين الخ . إذن الصلاة رمز لتعميم التعليم ولتعميم السلام في الأرض .
- إذن الاسلام الى الآن لم يأخذ حظه في الأرض
- ٢٠ المعراج والعلوم . غسل صدره ﷺ بماء زمزم فلنعالج نحن قلوبنا بالعمل لنطهرها . وليقرأ المسلمون علوم قدماء المصريين وبقية الأمم وايضاح ماتقدم . الاسراء والمعراج والحسن والجمال في الخلق وهو ايضاح لما قبله وتأكيد لعنايه بعبارة أوضح
- ٢٢ ذكر ما يناسب هذا المقام من كلام الفرنجة منقولا عن كتابين منها . هل يعلم المسلمون أن الصلاة لم تفرض إلا عند ظهور منتهى الجمال في السماء . إذن الصلاة لتوجيه النفوس لذلك الجمال
- الاسراء والمعراج والسيارات والقوى العاقلة
- ٢٤ إذا كان نبينا ﷺ أم الأنبياء فعنايه أن أم أولئك الأنبياء يحوّرهم الاسلام من الأوهام وهذا قد حصل فعلا في الأرض . السيارات على (قسمين) جسمية وعقلية فسياحته ﷺ في الأرض والسماء الجسمية معها سياحة عقلية كما في حديث الاسراء . هكذا فلتكن سياحاتنا وحياتنا في هذه الأرض . المعراج بعد الصلاة بيت المقدس كابتداء سورة النجم بعد آخر الطور . وبيان أن أكثر الأمم الاسلامية لم تفقه . لم ذكر الاسراء لنا فغفلوا عن عجائب الأرض والسماء وفهم دروسهما مع ان الاسراء والمعراج يقصد منهما أن ندرس هذا العالم كله
- ٢٦ كيف يسرى المؤمنون ويخرجون ليصلوا الى اليقين ورأى (جوستاف لوبون) من أن العوالم الصلبة كالخجارة أسرع حركة من العوالم السائلة مثلا . وبيان الخطوط السوداء في طيف الشمس وغيرها وأن ذلك عرّفنا أن تركيب الكواكب كتركيب العوالم الأرضية وأن الذرات في جريها حول بعضها كالسيارات في جريها حول شمسها . ذلك نوع عروجنا نحن بعد اسرائنا
- ٢٧ (اللطيفة الثالثة) - وقضينا الى بنى اسرائيل - وذكر أن بنى اسرائيل بعد موسى استمروا ٤٠٠ سنة في حكم شيوخهم . ثم كان ملك داود وسليمان وما بعدهما ٦٠٠ سنة . ثم تقلهم بختنصر الى أصفهان ثم ردّهم ملوك الفرس الى بيت المقدس بعد سبعين سنة ثم تغلب اليونان على الفرس واليهود
- ٢٨ (اللطيفة الرابعة) - إن هذا القرآن يهdy للتي هي أقوم - وذكر أن اليهود استمرت مدتهم الى زمن عيسى ١٤٠٠ سنة وموازنتهم بالمسلمين عزا وذلا ومدة وانهم أسسوا دولة الباشقية بفلسفتهم في زماننا وقد مضى لدينهم نحو ٣٤٠٠ سنة من أيام موسى فهل يقوم من أمة الاسلام علماء يجعلون الناس في أمان وسعادة . اليهود ذلوا بعد ١٤٠٠ سنة من نزول دينهم والمسلمون كذلك ولكن للمسلمين دول كثيرة بعد ذلك بخلاف اليهود . كل ذلك يفهم من قصة الاسراء
- ٢٩ (اللطيفة الخامسة) - وبدع الانسان بالشرّ دعاءه بالخير - الخ هو يبادى في الشهوات على زعم انها خيرات والذي يهdyه هي العلوم والقرآن يهdy للتي هي أقوم وذلك بقراءة كتاب السموات والأرض وهو الكتاب المفتوح وذلك علوم الطبيعة كلها والفلك كله
- ٣٠ (اللطيفة السادسة) - وجعلنا الليل والنهار آيتين - الى قوله - وكل شئ فصلناه تفصيلا -
- أدوار السنين القمرية وحسابها اجالا ونظام جسم الانسان مجالا
- ٣١ (اللطيفة السابعة) - وكل انسان الزمناه طأثره في عنقه - وبيان أن ذكر علم النفس بعد العوالم العلوية لأن في كل منهما نظاما يشبه نظام الآخر كمسألة خطوط الابهام في الحكومات الأرضية الآن . فالأعضاء مفصلة تفصيلا كتفصيل حساب السنين والشهور

٣٢ ذكر أن الانسان يحسّ بألم على الجهل . جوهرة في قوله تعالى - إقرأ كتابك - الخ وبيان اختلاف الحركات بطؤا وسرعة من السليخة الى الرياح الى البرق والنور . وهكذا بيان الكثافة واللطافة فالماء أطف من الهواء خمس مرات والبخار أطف من الماء ١٧٢٨ وذكر ما جاء في كلام اللورد (أوليفرلودج) في كتاب الاثير والحقيقة من أن النور لا بد من حامله وهو يوافق (اخوان الصفاء) و بينهما ١١٠٠ سنة وهكذا موافقته لابن سينا في ذلك . وبيان ما ذكره ابن سينا وانه يقول بارتقاء العوالم من الكثيف الى اللطيف وأن صور العوالم في العقول أدوم من صور الكتابة في الأحجار وعقولنا انما هي أثر من آثار العقل الفعال . فعقولنا بالنسبة له كالعين بالنسبة لضوء الشمس كلاهما لا يدرك إلا بأمداد ماهوم من جنسه له الزبرجدة الثانية في ذكر ما قاله العلامة (أوليفرلودج) الموافق لآراء ابن سينا يقول هكذا (١) مادة (٢) حي (٣) عاقل (٤) أثير (٥) العلاقة بين الأثير وغيره (٦) تأثير العقل في المادة وبيان السبب في اختلاف طريق التفكير للقديماء والمحدثين باختلاف النظر وسير العلوم مع اتحاد الغاية

٣٦ تأثير ما لا نراه من العقل والحياة فيما نراه من المادة . الأثير يحمل أخبارنا بالبرق والجسمنا الأثيري الباقي بعد الموت يحمل عالمنا وجميع أخلاقنا

٣٧ الزبرجدة الثالثة في مساق هذه الآية ومناسبتها للعلم الحديث وأن هذه من عجائب القرآن . ذكر النور في أمر الشمس وهو توج في الأثير وأنبه بما هو أطف وهو كتاب أعمالنا الذي هو أقرب الى عالم الأثير في اللطف . تلخيص آراء ابن سينا المتقدمة وآراء (أوليفرلودج) ليفهمها العموم بسهولة تامة والموازنة بين الروح والأثير وأن للروح رجة وحسدا وحياة وعقلا وحبا وبغضا وللاثير حرارة ومغناطيسا وكهرباء ونورا ولكل آثار

٣٨ ذكر أن علماء الاسلام لما رأوا المسلمين كرهوا الفلسفة أدخلوها باسم التصوف مثل ابن عربي والغزالي اللذين نقلتا عبارة ابن سينا في أمر أن عذاب النفوس في الآخرة أشبه بالأمراض في الدنيا . وبيان أن الأدلة التي كتبها هنا اقناعية لا يقينية كما صرح به سقراط في مثل هذا المقام . بيان براهين سقراط على بقاء النفس . وكيف كان مبدأ تفكير المؤلف وكيف استدلل ابن مسكويه عليها وهيئة المفكرين في هذا العصر

٤ . الضد يتولد من الضد فالحياة بعد الموت والموت بعد الحياة وهكذا وأيضاً العلم يذكّر ما نسيناه . إذن حياتنا هذه مسبقة بحياة عند سقراط لا ندري ماهي . النفس غير مركبة ولا يلتحق بالعالم الأعلى عند (سقراط) إلا من ترك الدنيا وهو على غاية النقاة والصفاء

٤١ كيف كان مبدأ تفكير المؤلف في أمر الروح . كنت واقفاً في الحقل فاعتراني دوار اضغف صحتي فلما أفقت قلت اذا كان الدوار أزال إدراكي فكيف بالموت . إذن لاحياة بعد الموت وكيف أرائني في المنام انسان هيئة الروح في الجوّ وكيف اتى في يوم تلك الليلة عثرت على براهين ابن مسكويه ولم أكن أعلم شيئاً قبل ذلك في مثل هذا . مشاهدات لعلماء الأرواح مثل (عمانوئيل) وقوله ان الحواس بعد الموت أقوى من حواسنا الآن بما لا حد له وانه رأى أرواحاً أنكرت الرشوة في القضاء فأحضرت من نفس ذا كرتهم لا غير فهسى كتاب حسابهم كالأية تماماً وهكذا المنام والذي حرم أقاربه من الارث . وكيف حضرت الكتب والأوراق وكل شئ فصل تفصيلاً وهذا معجزة للقرآن في زماننا فهو عين قوله - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - فالقرآن الآن صار كالشاهد

٤٤ بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة من كلام الغزالي . وأنت وسوسة الشيطان

المذكورة في الاحياء هي التي جاءت بهيئتها في علم الأرواح في كتاب ﴿السماء وجهنم﴾ وهذا من أعجب معجزات القرآن . موازنة بين كتاب ﴿السماء وجهنم﴾ وآراء الشيخ الدباغ في أن كلا منهما يقول إن أهل جهنم يندفعون الى العذاب اندفاعاً مثل اندفاعهم للشهوات في الدنيا . إذن أهل النار يعيشون كما يعيش الذباب على القاذورات وأن أهل النار في كهوف ومغارات الخ . فهذان الرأيان اتفقا في أمر العذاب وأمر الكهوف والمغارات وأحدهما لا يعرف الآخر وكلاهما يقول إنه شاهد ذلك وهذا مسيحي وهذا مسلم ويظهر من هذا أن الناس في البرزخ بعد الموت في طبقات في الجوق الذي بين الشمس والأرض والسيارات الآن فأما القيامة ففي عوالم أخرى . وبيان أن المادة لا تشغل من الفراغ إلا جزءاً ضئيلاً جداً وعلمنا كله أشبه بالخلاء

٤٧ ذكر ماجاء في مخاطبة الأرواح للأحياء في أمريكا وأن الروح تقول نحن في عمل دائماً وهناك قليل من الموسيقى وتنكر الروح غفران المسيحيين وأن الانسان هو هو الذي يلزم بأن يظهر نفسه لا المسيح . وبيان أن هذا هو نفس التعذيب وأن الكسالى من المسلمين سيكونون كذلك

٤٨ وصف الروح لله . تأكيده روح (خريستي) للحاضرين أن تعليم المسيحيين بالغفران بسبب الايمان أ كذوبة . اتفق عمانوئيل في مشاهدته لعالم الأرواح والشيخ الدباغ في مشاهداته أيضاً أن علوم أهل النار هي علوم السحر . وبيان أن الخواصم مجهولة لسائر الناس فلا يفترون أحد بعمل (أودين) فانتا لاندرى ماذا يكون لنا عند الموت . وذكر ما يوازن ما تقدم من كلام علماء الاسلام

٥٠ ﴿اللطيفة الثامنة﴾ - ولا تزر وزر أخرى - الى قوله - بصيرا - وبيان أن الذنوب خاصة وعامة فالخاصة أشار لها بقوله - ولا تزر وزر - الخ والعامة هي التي تنقل بالعدوى فهلك الأمم كما حصل في دول الاسلام بالأندلس وبالشرق فقد استعان العباسيون بالفرس والأمويون في الأندلس استعانوا بماليك من الصقالبة فزال النخوة منهم فذلوا لهم

٥٢ محاربة ملوك الطوائف بالأندلس بعضهم بعضاً . دفعهم الجزية الى (الاذيفونش) . استغاث ابن عباد بيوسف بن تاشفين لحرب (الاذيفونش) في واقعة الزلاقة . رجوع ابن تاشفين للأندلس لتأديب الأمراء على ظلمهم للراعايا . استغاث الأمراء بالافرنج من أن ابن تاشفين حبسهم وأسبهم

٥٣ تخاذل أمراء الأندلس واستعانة كل واحد منهم بملوك الأسبان ثم ذهب دولهم سنة ١٤٩٢ من بلاد الأندلس . كل ذلك سمر قوله تعالى - وإذا أردنا أن نهلك قرية - الخ

الكلام على قوله تعالى - من كان يريد العاجلة - الخ

٥٤ ﴿اللطيفة العاشرة﴾ - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه - وأحاديث في الحضر على بر الوالدين

﴿اللطيفة الثانية عشرة﴾ - وإن من شيء إلا يسبح بحمده -

كتاب ﴿الاسفار﴾ للشيرازي أبان أن العالم كله حي

٥٥ كيف يتجلى لك تسبيح السموات والأرض ومن فيهن . ذلك أن تخالو وتظريلاً وتعجب من هذا الوجود جوهرة لتذكرة - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - وبيان أن ألوان الحيوان المتقدمة في سورة هود ناطقات لفظاً معنواً بالتسبيح فهي تسبيح وتحميد فدفع الضرر للأول والمنفعة للثاني . موازنة بين تسبيح اللسان وحده وبين تسبيح الخلق

٥٦ معنى قوله تعالى - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - . تسبيح المسلم في الصلاة وغيرها وحده وشرح ذلك

٥٨ التسبيح والتحميد وظواهر الصلوات وقصص الأولين في الكتب السماوية أشبه بأشجار نمارها الحكمة

الجسم الانساني يحتاج لطعام وشراب ونفس داخل وخارج لاصلاح الدم وله وظيفة أخرى هي الكلام وكلام الناس معبر عن صور الوجود التي في الذهن فصور الوجود المصورة في العقول لا تكاد تنحصر عندنا تبع المتصورين المتكلمين وكل ذلك تعبير عن صورة واحدة وهي هذا الوجود

٥٩ للتسبيح آثار في النفوس تحصل بسبب الصوت الذي يصحب التنفس . إن الشهيق جلب النافع والزفير لاجراج الضارّ والأول كالتحميد والثاني كالتسبيح واليه الاشارة بالحديث ﴿ يلهمون التسبيح الخ ﴾ فاذا كان لون الحية لونها وحياتها فهو تسبيح وتحميد معا كالتنفس زفيرا وشهيقا وآثار التسبيح للجهلاء كآثار الضوء لهم به يهتدون ولكن لا يعرف سرّ التسبيح وسير الضوء إلا العلماء ومثل التسبيح قصص القرآن فالعامة يفرحون بظواهرها والخواص بعالمها

٦٠ يقول الله للشئ كن فيكون في الخارج فعلا وننطق نحن باسم الشئ فيكون ذهننا لاخارجا جوهرية في قوله تعالى - تسبح له السموات السبع والأرض - الخ وضرب مثل للديانات بكتاب ﴿ كليله ودمته ﴾ ظاهره للعامة وباطنه للخاصة وكلام الله كفعاله فهو كشجر له ظلّ لقوم وتمر لآخرين . هكذا لا يتم التسبيح والتحميد إلا بقراءة جميع العلوم فيعرف الناس لم تختلف الألوان فيما سيأتي في سورة - قد أفلح المؤمنون - ويدرسون ما تقدم في سورة الرعد من أمر نغات الأشجار . التسبيح والتحميد في القرآن لغز الوجود وفيهما مسألة الخير والشر وأن المجوس تخلصوا باعتقاد إلهين وعلماء اليونان رأوا أن الشرّ لارتقاء النفس الانسانية كما في لغز قابس المعاصر لسقراط

٦٣ المسيحيون الحامدون في الاسلام وهم جهال أشبه بحال ذلك الذباب الذي دخل في الزهرة ليستدفي فألقحها فهو مسخر كتسخير ذلك الجاهل المسيح ليسمعه قوم أعلم من هؤلاء فيقولون ان الله يخاطبنا بلغة العواطف من جوع وعطش واحساس بحر وبرد أوجبت الأغذية والملابس . فهذه اللغة للرجة وان كانت في ظواهرها ألما فهكذا الألم تنزه الله فيه عن قصد الايذاء فهو مسبح وهو محمود اذا فهمنا هذه العواطف . إذن الانسان كله اليوم جهول لأنهم جميعا جهلوا لغة العواطف فتحاربوا وهسم جاهلون فاذن يجب على الناس دراسة هذه الآلام والعواطف عامة وخاصة حتى يرتقي الانسان وهذا كله معنى التسبيح والتحميد فلاجل التسبيح ندرس العواطف ولأجل التحميد ندرس هذا الوجود والناس على الأرض جميعا أشقياء اجمالا لجهلهم بهذا المقام وهذا هو سرّ حديث ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ﴾ هذا هو الفقه المقصود في الحديث

٦٥ بهجة العلوم في قوله تعالى - تسبح له السموات السبع - من كلام الصوفية وبيان أن الأهم الاسلامية اليوم أكثرهم أتباع شيوخ الصوفية وأكثرهم ينهون عن العلم فأنزل العلم لهم على لسان الشيخ الخواص وهو يقول للشيخ الشعراي ان الجاد سحي كالحيوان ولم يزد الحيوان على الجاد إلا الشهوة . أما العسقل فهو للعموم وقال كلاما لا تقبله عقولنا مثل ان البهائم عارفة بربها أشد المعرفة وكلاما تقبله عقولنا وظهر في المكشف الحديث وهو تعاشق الأشجار للالقاح ومثله في ذلك الشيخ الدباغ الذي يقول ان الجاد عاقل وانه سمع الأشجار تسبح . وهنا نذكر ما جاء في العلم الحديث أن كل جاد ثبت أنه متحرك وأن بعض العلماء من أوروبا يقولون هذه الحركة تدل على الحياة . فكأن العلم كشف نائي كلام هؤلاء الشيوخ وایضاح هذا المقام أيضا بنظرية العالم (هنشو) الذي جعل نقطة الماء ونحوها ترجع لترات من الضوء متحركات وهنا مقام التعجب أن يظهر بعض العلم الحديث على ألسنة شيوخ غير دارسين

٦٨ فائدة ظهور أمثال هذا على ألسنة الصالحين في زمن جهل المسلمين ثلثت العقائد أولا واقامة الحجة ثانيا

على الصوفية في زماننا اذ انهم قصروا في معرفة هذه العلوم ، وأيضا في فروض كفايات . وأيضا أن الفتوح الذي يناله بعض الصوفية نادر ولا حكم للنادر وبيان أنهم يخطئون في كشفهم كأخبار الشيخ الخواص بقيام الساعة سابقا ولم يتم

٦٩ بيان ما جاء في الحديث أن النيل والفرات من الجنة وأن جميع الأنهار من المطر والمطر يكون بسبب حرارة الشمس المثيرة للبخار فهذا سبب عاوى سماوى . ثم بيان أن كثرة الملائكة الذين رآهم النبي ﷺ لها نظير عندنا من المخلوقات التي لانهاية لها في الأرض والهواء

٧٠ (القسم الثاني) من قوله تعالى - قل كونوا حجارة أو حديدا - الى آخر السورة مشكلا التفسير اللفظي لهذا القسم . تفسير قوله تعالى - وما منعنا أن نرسل بالآيات - الخ والشجرة الملعونة في القرآن

٧٥ تفسير - وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم - الى قوله - واذن لا تخذوك خيلا -

٧٧ تفسير - ولولا أن ثبتناك لقد كدت - الى قوله - قل كل يعمل على شاكلته -

٧٩ تفسير - ويسألونك عن الروح - الى قوله - فأبى الظالمون إلا كفورا -

٨١ تفسير - قل لو أنتم تملكون - الى قوله - خشوعا -

٨٣ تفسير - قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن - الى آخر السورة

٨٤ الخطاب المفتوح من الله للمسلمين وأن الله يقول للمسلمين أنا لا أنام فاذا نمتم وكسبتم فلا يغيركم انكم تابعون أشرف الأديان . لان نسب بينى وبينكم . الكلام على عمق البحار الملحة ومساحتها وأن عمق البحر قد يصل ٤٦٠٠ فامة . نظرتى في السماء ليلة الجمعة ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٧ وتأملت جمالها وحسنها ففجبت اننا لم نعرف هذه الكواكب التي هي شمس عظيمة إلا على قدر ما نعرف في أرضنا فنسميها حلا وثورا وسنبلة . كل ذلك على مقدار عقولنا وهكذا رسمت في عيوننا صورة صغيرة لأن الله متكبر ومتعال ولا يعطينا من العلم إلا على مقدار عقولنا وطاقتنا إذ نسبة ادراكنا هذه الكواكب الى حقائقها كنسبة علمنا الى أصل الحقائق في كل شئ . هذا معنى . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - فهذه هي القلة قد ظهرت ظهورا واضحا

٨٦ - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - أيضا . اعلم أننا كلما زدنا علما زدنا وثوقا بقلة علمنا فهذه المادة إما جوامد وإما سوائل وإما غازات وهذه أمرها سهل يمكن فهمها للأطفال ولكن عند البحث نرى للمادة ثمان صفات عامة كالامتداد وعدم التدخل وكالتجزى . وهكذا هناك صفات خاصة مثل الصلابة والمرونة والقساوة وقوة الجذب وقوة الثقل وهكذا مثل الضوء ونواميسه والحرارة والظواهر الجوية وأشكال الماء والكهربائية والمغناطيسية . فهذه مداخل العلوم التي تدرس في الشرق والغرب وأصل ذلك كله كلمة واحدة وهي المادة ثم تفرعت والفروع تفرعت ولانهاية للفروع فعلم الضوء نفسه أو علم الكهرباء وغيرهما بحور لا سواحل لها وكلما زدنا بها علما زدنا ثقة بجهلنا والذي ذكرته لا يأخذ بلبك فانظر لمسام الجسم ان المتسع في داخل الحديد والنحاس أشبه بالانسياب بين السماء والأرض فلم يكن كأعين الغربال ولا كالبعد بين بلدين بل المادة فيها فضاء عظيم وان كنا نراها مصمتة ولو أن حيوانا خلق بين ذرة من ذرات الحديد وأخرى لاحتاج الى منظار معظم حتى يمكنه أن يرى الذرة الأخرى ومن هذا المقام أن آلاف آلاف من الحيوان تعيش في قطرة ماء

٩٠ لغة طيارات الانجليز التي صرّت فوق رأسى وأنا أفسر هذه السورة وكيف فهمت منها ما يقصدون من انذار

بلادنا واني واثق برقي المسلمين. بعد انتشار الأفكار النافعة قريبا . معنى - إن قرآن الفجر كان مشهودا - وآية - قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين - وآية - إقرأ كتابك - الخ
﴿فصل﴾ في طرق استحضار الأرواح. ﴿الطريقة الأولى﴾ طريقة المائدة ذات الأرجل الثلاثة ويكون الخطاب بالاصطلاح على عدد الضربات الخ. ﴿الطريقة الثانية﴾ طريقة الفنجال توضع الأيدي عليه ويحرك إلى الحروف على محيط الدائرة. ﴿الطريقة الثالثة﴾ قطعة من الخشب مثلثة الزوايا لها ثلاث قوائم صغيرة يربط بها قلم رصاص وهي تكتب رسائل مطولة في العاوم. ﴿الطريقة الرابعة﴾ الكتابة باليد بعد تحذيرها بحيث لا يعرف الكاتب ما تخط يده. ﴿الطريقة الخامسة﴾ أن يوضع القلم في علبة محتومة. ﴿الطريقة السادسة﴾ أن تظهر الروح للحاضرين

حادثة (ديكنس) الذي مات سنة ١٨٧٠ وقام بتمام روايته الغلام الجاهل (جيمس) وهو لا علم له والانشاء والخط لم يتغير . حادثة أخرى للدكتور (سرياكس) الألماني فقد كتبت يده بعد ١٩ جلسة . والحادثة الثالثة (ويليام كروكسي) يقول ان الوسيطة (فوكس) تكتب بيدها مقالة روحية وبيدها الأخرى مقالة أخرى وهي تسلم الحضور بلسانها

٩٤ الأرواح تكتب بلا أقلام . وضع البارون (جيلد نستويه) ورقا أبيض وقلم رصاص في علبة أقفلها فبعد مدة رأى حروفا سرية بل بعد ذلك رأى الحروف تكتب أمامه بلا كاتب . وأيضا كان غلام صيرفي يجادل الفلاسفة في كل علم وهو في جاله المعتادة لا يعرف شيئا. ﴿المثال السادس﴾ ابنة الحاكم (لاورا) تسلم بلغات أجنبية لا تعرف هي منها شيئا وهكذا

٩٥ روح تسمى (كاثي) تجلت بحلة بيضاء وتسلمت عن رحيلها القريب وقصت قطعاً شتى من رداءها وخمارها ثم بوضع يدها على الخروق التأمّت بقوة روحية . المؤلف يقول إنه رأى الذين يزعمون انهم يخرجون العفاريت في مصر كذا بين . إن النقائص الأدبية هي أقوى جاذب للأرواح الشريرة فليسع الإنسان للصالح . مطابقات للشريعة الإسلامية

٩٧ فصل في آداب من يحضرون الأرواح مثل الصبر والهدوء والابزيد العمل عن ١٥ دقيقة وهكذا
٩٨ درجات الأرواح ﴿ثلاث﴾ سفلية . علوية . نقية . فالسلفية نجسة أو طائشة أو متكبرة أو عقيمة . والعلوية تحب الخير وتبعد عن الرذائل وهي صالحة أو حكيمة أو رقيقة جمعت بين الحكمة والفضيلة والنقية هي فوق الجميع وفوائد عامة في ذلك

٩٩ تذكرة في مقارنة ما في هذا بالقرآن وكلام الامام الغزالي و (اخوان الصفاء)

١٠٠ لم يكره الحيوان الموت . وذكر أن النفوس السكاملة اذا ماتت تشتغل بتعليم النفوس الناقصة

١٠١ ما كان المؤلف ليظن أن الحقائق تظهر جلية في هذا العصر . وبيان اشارة النبوة الى ما ظهر في هذا العصر من أمر التليفون . جوهره في النفس وقواها . هل النفس والمادة ابنتان لأم واحدة أم إحداهما أصل والثانية فرع . لم كان لنا ألم وسرور مرتبطان بالمادة واعتراض على المؤلف أن نمو العقل تبع نمو البدن والعكس بالعكس يجعل المادة أصلاً والعقل فرعاً وجواب المؤلف أن هذا العالم لغز ويحلل جميع العاوم . وهنا يذكر الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وتفريق الحواس الظاهرة على خواص المادة ٣٦ من علم المقولات في الفلسفة وهذه الصور كلها تحفظ في النفس وتبقى ولكنها في المادة تتغير . إذن النفس أصل والمادة ناطقها ضيق . وليس حبس الإنسان في المادة إلا كحبس المسجون في السجن فليس بقاء المسجون في سجنه دليلاً على توقف حياته عليه

١٠٤ هنا ﴿ ثلاثة براهين ﴾ على أن الفكر أصل وهما (١) رجوع الغذاء فينا الى فكر (٢) ولاعمل لنا إلا بعد الفكر (٣) الانسان يسقط عن الحائط بالوهم . اللطائف تحكم الكنائف كالكهرباء والبغار فالروح ألطف وأقوى . في جسم العنكبوت مصنع وكل نفس تعطي من العلم على مقدار حاجتها . فاذن كل سحر فيه غريزة صادقة تطلب ما يحتاجه . فهناك غريزة عامة لحبّ البقاء فهي إذن تدل على البقاء طبعاً بهذا البرهان . ذكر عالم سويسرى سقط من أعلى جبل فأخذ يدرس ما حصل للناس مثلها وألقاها محاضرة . يقول انه لما سقط ظهرت له أعماله الماضية كلها أسرع من البرق (جون لامونت) غرق في البحر فظهرت له جميع الحوادث الماضية

١٠٦ طيبة جرحت فرأت جميع حوادثها ثم استيقظت . يا قوته في الحياة بعد الموت وفيها ستة وجوه وهي (١) الفطرة الانسانية شاهدة بالبقاء كما تقدم (٢) حبّ الناس الأخذ بيد الضعيف دال على أن العدل لا بد أن يأخذ مجراه (٣) لا يقنع الانسان بكمال في الدنيا . إذن الكمال في عالم آخر (٤) أين غاية اللذات وغاية الآلام (٥) أظهر الكشف الحديث أن جميع سكان الأرض يؤمنون باليوم الآخر (٦) النوم ثم اليقظة يشبهان الموت والحياة . الرواقيون يحرسون على الأخلاق انباعاً (اسقراط) ويسمون الروح (الجزء الالهى) وعلماء الهند يحكمون النفس فتقوى أرواحهم

١١١ هنا ﴿ ثلاث حوادث * الحادثة الأولى ﴾ حادثة الفقير الألماني (ديبلر) لما قطع وريده بيده لميموت ثم أحبّ الحياة فصمم بهيمته على إيقاف الدم ثم غاب عن الحسّ ثم رأى انه على حافة قبر صنع له ورأى أن فيه قوة خارقة للعادة وسمع أن الفتاة (تريزيومان) البافارية تعثر بها أوقات تظهر على جسمها آثار الدم الذي تنوهم انه ظهر على جسم المسيح بالتأثير الدينى فأعلن انه يفعل ذلك بارادته فنجح وبهذا ظهر أن الأمر كله يرجع لقوة النفس سواء أكان بآثار الدين أم بهمة النفس وقوتها . وبهذا تمت الحادثتان

١١٢ ﴿ الحادثة الثالثة ﴾ حوادث روحية بمصر على يد (طهرا بك) إذ ظهر على المسرح ووضعوه في صندوق مدة ثم أخرجوه حياً ووضعوا مسامير قوية تحته وقد كسروا حجراً عظيماً فوق جسمه . وهولم يتأثر وكل ذلك بحضور العلماء والأطباء . ويقول ان هذه قوة الروح وكل امرئ يقدر أن يفعل ذلك

١١٥ الكلام على عجب الذنب وبقاؤه في الاسلام وقول علماء الهند انه محل العلم والتعجب من اتفاق الاسلام وعلم الهند في هذه النقطة . ويبان أن هذا المقام حلّ لمشكلة أثارها في نفسى شاب مرا كشى رأى جماعة لاصلاح عندهم يصنعون العجائب فهذا ظهر السرّ وان هذا لا يدل على الكمال . فهذه القوى كامنة في النفس والأنبياء وجهوها للكمال والسكران أخذوا يبعثونها هنا وهناك . وذكر رأى ابن سينا في ذلك وكذلك ذكر البعاجين في ابن خلدون ويلحق بذلك التنويم المغناطيسى وأن المنوم (بالفتح) يؤمر بالقتل فيقتل

١١٧ الحجاب ﴿ خمسة أنواع ﴾ حجاب جسمى وحجاب خلقى وحجاب علمى وحجاب دينى

١١٩ سورة الكهف وهي ﴿ قسمان * الأول ﴾ في قصة أهل الكهف ﴿ الثانى ﴾ في قصة الخضر وموسى عليهما السلام ﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله ... وجعلنا لملكهم موعداً - مشكلاً تفسير بعض الألفاظ وذكر قصة أهل الكهف ملخصة وأن الملك (دقيانوس) كان يفتك بالنصارى ففرّ الفتيه الى الكهف وناموا الخ وكتب رجلان قصة الفتية سرّاً في لوحين وجعلاهما في تابوت من نحاس ولما استيقظوا ذهب تمليخا ليشتري الطعام فعرف الناس الأمر وصدقوا أمر البعث الخ

- ١٢٥ بقية تفسير الآيات من قوله تعالى - فضر بنا على آذانهم - الى قوله - وكان أمره فرطاً -
- ١٢٩ تفسير الآيات من قوله - وقل الحق من ربكم - الى قوله - فلم تغادر منهم أحداً -
- ١٣١ تفسير الآيات من قوله - وعرضوا على ربك صفاً - الى قوله - وجعلنا لهم لهمكهم موعداً - هذا القسم خمسة فصول ثم ذكر وجه اتصال السورة بما قبلها
- ١٣٣ ﴿الفريضة الأولى﴾ لقد كنت حائراً في أمرى أيام تعلنى بالجامع الأزهر إذ رأيت نظام التعليم في الأمم الإسلامية غير منتظم وكنت أنظر جميع أنواع الزرع الخ وكنت أنظر في أمر المسلمين فلا أجد لهم كما كانوا في العصور الأولى الثلاثة وقد ابتدعوا طرقاً كما ابتدع النصارى الرهبنة - فراعوها حق رعايتها - كذلك هؤلاء لم يراعوها وأصبح كثير من رجال الطرق أتباع الملوك والمحتلين للبلاد . كثير منهم تنعموا . وقد ذكر الفرنسيون في جرائدهم قبل احتلال مراكش أن المدار في الاحتلال على ارضاء آل البيت المالكين للبلاد ورجال الطرق وبعد ذلك تم هذا كله فصادروا من نواهم وأحبوا من وافقهم ولقد علم الله انحراف كثير من أولئك الشيوخ فألهم طائفة منهم أن يكلموا الناس بأن هناك خطأ كثيراً في طرقهم كما ظهر الدين الإسلامي على يد أبي ليظهر خطأ الديانات والذي ظهر لنا أن الشيخ الدياغ الذي لم يتعلم قال ان أهل العصور الثلاثة الأولى كانوا لا يصرفون وقتاً في تطهير نفوس التلاميذ ومن بعدهم صرفوا وقتاً في ذلك . وفي هذا الزمان صار تلقين الأسماء بنية فاسدة . وقد يضاف الى ذلك عزائم فلا بد من الرجوع للكتاب والسنة . قال وهذا احتياط والا فالبركة باقية . ثم أبان أن طريق الشكر أفضل من طريق المجاهدة التي يراد بها الكشف الذي هو وسط النفس وأفنى الشيخ الخواص الذي لم يتعلم أيضاً أن العبارة المنقولة عن رؤيا أحد بن حنبل لله محرقة وكيف يتقرب الناس لله بجهل كلامه . وأبان أن السوقي أفضل من المجدوب وأنه ليس للعبد أن يتخذ واسطة بينه وبين ربه والأنبياء واسطة في التشريع والعبد يخاطب ربه مباشرة . ويقول الشيخ الدياغ ان الناس انقطعوا عن ربهم وذكروا الصالحين بدله لظلام قلوبهم وتصدقوا لهم لاله . وبيان أن هذه الآراء نعمة أنعم بها الله وأظهرها في هذا التفسير ليظهر الحق من الباطل الذي كثرت في زماننا
- ١٣٨ فهذه فوائد ست لم يكن ليخطر ببال أكثر المتعالمين في الاسلام أنها دين الاسلام . وذكر أن علماء الألمان يعرفون طرق الصوفية وتاريخهم ويعجبون كيف لا يدرس هذا العلم في الأزهر
- ١٤٠ ﴿الفريضة الثانية﴾ - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - وهنا ﴿ ستة فصول ﴾ عجائب الماء وغرائبه وأن هناك ﴿ أمرين عجيبين ﴾ من عجائب الماء ﴿ أحدهما ﴾ الينابيع الحارة في أرض التجارة الصفراء في أمريكا الشمالية
- ١٤١ وهذه صورتها بالتصوير الشمسي (شكل ١)
- ١٤٢ ﴿ وثانيتهما ﴾ أجراف الجليد المتحركات من أعلى الجبال الى الأودية وستأتي صورتها في سورة النور . ثم ان الينابيع الحارة منها ما ينبع وسط الثلوج رسم (شكل ٢) بالتصوير الشمسي . فهذان عجبان بارد ينزل وسط الحرارة من أعلى وحار يفور وسط الثلج من الأرض
- ١٤٣ الصنف الثاني في عجائب الجبال في الحيوان . وبيان أن الناس لا يزالون أطفالاً في معرفة أسرار الجبال كما قاله (وليم اكرويد) الذي ابتدأ مقاله بذكر الأضواء السبعة للشمس . وأن الألوان ما هي إلا ضوء الشمس لا غير كما ان علماء الطبيعة يقولون إن المادة ما هي إلا نور متجمد . فالمادة نور واللون نور فرجع الأمر كله لقوة لا غير . ويقول ليست دراسة الألوان في الحيوان سهلة فلندرس البسائط المركبات

فاللون أسود فأحمر فبرتقال فأصفر وهكذا إلى الأبيض فالأسود أكثر حرارة وتقل بالتدريج إلى الأبيض وظهر السنجاب أبيض وصدرة و بطنه أحمران على القاعدة المذكورة من شدة التعرض للشمس وعدمه . وبما يدل على أن هذا العلم لا يزال في المهد طفلا أن (نمر البنغال) بالهند متناسب الأجزاء من الجانبين تناسباً هندسياً ومثله حمار الحبشة

١٤٥ (شكل ٣) فهذا الجبال لا يعرف سببه من حيث شدة التعرض للشمس وقلته إذ الألوان المختلفة معا في مكان واحد

٩٤ من الخيل السمير تكون ذبولها سوداء

١٤٦ النماذج الهندسية الجبلية في حشرة أبي دقيق الطاووسية (شكل ٤) ثم ذكر أن ظهر الطيور و بطنها كالندى تقدم في ذوات الأربع ويظهر في الطيور المائية أتم . فكل هذا على قاعدة واحدة تبع الشمس قربا وبعدا . فأما الزينة المذكورة فهي على غير هذا القانون مجهولة وهذا معنى التأكيد في قوله - إنا جعلنا - بأن وبالجلة الاسمية ومن بديع الجبال الذي يدهش اللب في تفسير الآية ونؤكد الجلة

١٤٧ (شكل ٥) وفيه الفراشة السفلى في نقوشها هواء يعكس النور والفراشة العليا فيها مادة ملونة فالتأكيد هنا في الجلة نظير ما في قول الشاعر * إن بني عمك فيهم رماح *

١٤٨ (الفصل الثاني) في قوله تعالى - وجعلناها رجوما للشياطين - إن الجبال لنوى العقول ليتذكروا به . فأما غيرهم فهو لهم فتنة يصدهم عن العلوم فالجبال عند الجهال داع للشهوات وعند العلماء داع للرقى العلمي والجهال كلما أرادوا الصعود أقعدهم الجبال الذي رفع الحكماء . (إن الدنيا خضرة حلوة) الحديث . بيان - قل من حرم زينة الله - وإن من تلك الزينة ما عثر عليه في مقابر قدماء المصريين مثل (توت عنخ أمون) ومثل ما عثر عليه في آثار الاشوريين والسكديانيين والعليلانيين قبل (توت عنخ أمون) بنحو ١٧ قرنا من القلائد الذهبية قبل خمسة آلاف سنة مسنة على هيئة أوراق الذهب ومن تماثيل كانت مباحة لهم كتمثال قرد ذهبي نحو ثلث قيراط دقيق الصنع جدا

١٥٠ بيان أن هذه الخلق مباحات للباسين واجب صنعها على الصانعين متى كانت مباحة لفهم معنى قوله - لنبلوهم أيهم أحسن عملا - وقول الله - وزيناها للنظرين - يدل على أن هذه الزينة في العالم لم تخلق إلا لهم لا للباسين الذين لا يعقلون إلا زينة أنفسهم الخاصة

١٥١ (الفصل السادس) - أم حسبت أن أصحاب الكهف - الخ يدل على أن هذه الزينة ليست مقصودة لذاتها فهي أشبه بما يكتبه الكتاتيون في الألواح ليقرا ثم يزال . شمس عقد الزينة في بهجة الجبال ليس الجبال ما يفهمه ذكران الحيوان من الاناث وبالعكس . كلا . أبصار الجهلاء كأبصار الخفافيش ترى في الظلام وبصائر الحكماء كأبصار سائر الحيوان نهارا . عقول الناس بالنسبة للجمال كالأرض والعلم كالماء فالعلم يحیی العقول فتعرف الجبال

١٥٢ حصر أهم الطرق التي بها تثار العقول لادراك الجبال وفهم الزينة (١) خوارق العادات (٢) ظهور الغرائب على السنة الصالحين (٣) الخيال (٤) الجدة والنصب بالدراسة وبالسير في الأرض

كتاب (الابرز) ونصائح الشيخ الدياغ . وكتاب (دراغواص ونصائح الشيخ الخواص) فيه . ففي الأول أن حلف الناس بالصالحين والتوسل بهم بسبب الانقطاع عن الله بمخالفات كالتقرب للظالمين والخوف منهم وعدم النصيحة الخ . كل هذا أوجب بعد القلوب عن ربها . وفي الثاني أن عباد الأوثان أحسن حالا ممن يقرؤون الأوراد لأجل النصر والجاه والرزق وهكذا وأن الشيخ يلحق ألف تلميذ ذكرا

فلا ينتج له مرید واحد وهذه الكتب ظهرت ولم تؤثر في الأمم الإسلامية
 ﴿ الطريق الثالث ﴾ غرائب العلم من الخيال مثل الاستعارات التيميلية وجميع الكنايات وما أنتجه علم
 البيان وفوق ذلك أمثال كتاب ﴿ كيلة ودمنة ﴾ و ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ والخرافات التي فيهما . فن
 الثاني قصة مدينة النحاس وهي خرافة تزهد في الدنيا وذلك أن موسى بن نصير ومعه الشيخ عبد الصمد
 قد ظهر لهما جنى أخبرهما أنه محبوس من أيام نبي الله سليمان إلى أيام عبد الملك بن مروان وأنهما
 دخلا مدينة النحاس ورأيا حليا ومجانب وتماثيل وفتاة كأنها حية وعليها حلل لانظير لها فقرب منها
 رجل منهم فقتله سيافان مصنوعان بالحكمة يقتلان من يقترب منها وقد رأيا قصة على لوح (أن ترمز
 من ذرية العمالة قد حبس المطر عن ملكته سبع سنين فأت القوم جميعا . كل ذلك خرافة يراد بها
 الزهد في الدنيا

١٥٥ ﴿ القصة الثانية ﴾ قصة أبي قير وأبي صير وهما صباغ وحلاق والأول مخادع والثاني صادق وقد أحسن
 الثاني إلى الأول ولكن الأول ضربه وآذاه ثم وشى به عند الملك وظهر الحق بعد ذلك فقتل الصباغ
 وأحسن للحلاق . وملخص هذه الخرافة أن الأمين مقبول والخائن عاقبة الخسران

١٥٦ ﴿ الطريق الخامس ﴾ السير في الأرض وبذلك السير يرى الإنسان الضوء الشمالي

١٥٧ (شكل ٦) وهو في حقيقته ملون بالجرة والخضرة والصفرة الخ

١٥٨ وهناك عجائب ترى عند عرض ٨٢ درجة شمالا وهناك ترى قباب لماعة مشرقة محلاة بألوان الجرة والصفرة
 المشرقين وهناك شفق جنوبي أيضا . وترى في الشمال مناظر سحرية في جبال الثلج العائمة على الماء في
 الظلام وهي مهلكة وساحرة كأنها قصور مزخرفة محلاة بأنواع الحلي

(شكل ٧) و (شكل ٨) وهما صورة الشفق الذي شوهد عند (أورلين) سنة ١٨٧٤

١٥٩ صورتان (٩) و (١٠) للشفق الشمالي الذي شوهد عند (ألاسكا) وعند (بريفليوت)

١٦٠ الكلام على الفصل الأول في قصة أصحاب الكهف وأن هذه جاءت في القرآن لغرابتها وإن كان النوم
 معروفا . ولقد كان قدماء المصريين عند ظهور مجل لهم جديد يتخذونه إلهًا يضربون ألف آلة
 موسيقية . ذلك لأن الغربة عند الإنسان مناط انقياده وقصة أهل الكهف نظيرها الحشرات والحيات
 تنام شتاء وتستيقظ في الربيع ولكن الغربة هنا لها الأثر الكافي الاقتاعى

١٦١ أصحاب الكهف ومقترحات أهل مكة

الكلام في خوارق العادات وفي الكرامات والأولياء . وقد يظهر من الذاكرين أتباع الشيوخ علوم
 صادقة عالية كما يظهر في التنويم المغناطيسى

١٦٢ آثار ذلك في الإسلام وما يجب أن يكون فإذا ظهرت كرامة على يد رجل مستغرق في الله فإنه يجب
 عليه أن يزيد تواضعا لأن هذا ليس مقصود الإسلام بل مقصوده ارتقاء العقول ولا فرق بين هذا الذي
 ظن نفسه وليا وهو مغتر و بين صاحب الجنتين المذكورين في سورة الكهف

الصوفية ودول أوروبا الذين اتخذوهم آلة بحار بون بها المسلمين

١٦٣ واجب المسلمين في المستقبل أن يدرسوا المجانب الخيالية للصغار والعلوم الحقة للكبار

حساب السنين الكبيسة والبسيطة وأن كل مائة سنة شمسية تكون ٣٠٩ قرية وأن ذلك من أعجب
 أسرار الآيات بل هو معجزة وفرق بين قصة أهل الكهف التي هي خوارق وبين الحساب المنظم الذي
 قال الله فيه - عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا - فالأول لتعليم الناشئين والثاني لتعليم

الكبار وهذا عجب عجاب أن تكون الخوارق مبدءاً والحساب والعلوم الأخرى نهاية وهذا هو النظام في جميع العالم الآن

﴿ الفصل الثالث ﴾ في قوله تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا -

﴿ الفصل الرابع ﴾ في مسألة الجنيتين وأن أحد الأخوين اغتربهما . وأن الناس ماضرهم إلا دليلاً يرجعان للسفسطة (١) انى أعطيت هذا المال أو العلم للاستحقاق (٢) وانى اذا أنعم الله على في الدنيا فهكدا ينعم على في الدار الأخرى

﴿ الفصل الخامس ﴾ - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا -

الكلام على قوله تعالى - ويلبسون ثياباً خضراً - الخ و بيان أن ألد المطعوم وهو العسل من حشرة وأنعم اللبوس من دودة وأغلى الحلى ما كان جوهرها من الصدف وأن ذلك كله ورد أنه في الجنة و بيان أن ظاهره للعامة . فأما الخاصة فانهم يقولون في الجنة ﴿ مالا عين رأت الخ ﴾ وهذه رآها الناس إذن يلجئون للكنية والرمز ويستشهدون بالحديث والآيات الأخرى ويقولون ان الخواص يتنعمون حساً ومعنى بالعلوم وأدراك الحقائق وبهذا وحده سيرون ربهم وأيضاً أهل جهنم كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها الخ نظير ما نراه في الدنيا فان الناس كلما حصلوا لذّة ازداد طلبهم لغيرها وهذا كقوله تعالى في سورة الكهف - وان يستغيثوا يغاثوا بماء - الخ

﴿ الجوهرة في قوله تعالى - واضرب لهم مثلاً رجلين - الخ و ذكر مثل يوضح ذلك من التاريخ إذ فتح المسلمون فارس والروم وأتوا الى مصر بقيادة عمرو بن العاص واستولوا على (بلبيس) ثم على حصن (بابليون) وهناك حصلت مكاتبات بينهم وبين (المقوقس) بمنف . وههنا يجدر الانتباه بكلام عبادة ابن الصامت أمام المقوقس وقوله نحن يكفيننا أقل الطعام والشراب وما زاد نصره في سبيل الله والموت خير لنا لأننا نكون في الجنة وهذا هو مقصود الآية اذا ملكنا لانتعلق بالملك ونكون عباداً لله مخلصين ويقول اننا استودع كل منا ربه أهله وولده وأن المسلمين المتأخرين جعوا الفتح مقصوداً لذاته فهلكوا مصداقاً لحديث ﴿ ان أخوف ما أخاف عليكم ﴾ وفي آخر الفتح ﴿ تشبيهان ﴾ تشبيه المسلمين في التوراة وتشبيههم في الانجيل . فليكن الفتح الآن فتحاً علمياً

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - وإذ قلنا للأنكة اسجدوا لآدم - الى قوله - وما كنت متخذ المضلين عضداً - و ذكر مذهب الباطنية ونظام الملك الوزير وعمر الخيام

١٧٢ من هم الباطنية والكلام عليهم نقلاً عن المواقف . وأن (الغبارية) وهم طائفة من الفرس أرادوا كسر شوكة العرب فلم يجدوا إلا إدخال الشك في الدين ورئيسهم في ذلك حمدان قرط وقيل عبد الله بن ميمون القداح . ولهم في الاستدراج ﴿ سبع مراتب ﴾ الرزق والتأنيس والتشكيك والربط والتدليس والتأسييس والخلع والسلخ ويسمون الاسماعيلية والباطنية والقرامطة والحرمية والحمرية والمزدكية والتعليمية والملحدة . والنطقاء عندهم سبع وهم امام وسجّة وذومصة وأكبر وداع مأذون وكب رفيع الدرجات ومؤمن يتبع الداعي . غرام الاسماعيلية بالأعداد

١٧٤ بيان أن أوروبا الآن تفعل مع المسلمين ما فعله ابن الصباح قديماً كلاهما يحرم العلم على المسلمين فأكثر الصوفية شاركوا أوروبا في تقليل العلم ومنعه عن المسلمين الذين هم السبب في رقي الإنسانية

﴿ المسألة الثانية ﴾ في الكلام على نظام الملك الوزير وعمر الخيام وحسن بن الصباح وانهم تعاهدوا أن من ارتقى ينفع أخويه فارتي نظام الملك للوزارة ونفع الخيام فأعطاه ما لا يستعين به على العلم وأكرم ابن الصباح

الذي خان رفيقه بعد ذلك فاحتال نظام الملك فردّ كيده في نحره فذهب ابن الصباح الى مصر وصار من الداعين للباطنية . وبيان أمر الباطنية وانه كان أولا ببلاد المغرب ثم أتوا الى مصر ثم انقضوا منها أيام صلاح الدين الأيوبي . وهذا يوضح طريقة ﴿أغا ممنون﴾ بالهند

١٧٦ ﴿المسألة الثالثة﴾ زهد أكثر الأمم الاسلامية اليوم في فهم القرآن . وبيان أن السلطان عبدالعزيز برا كاش كان رجلا صالحا ولكن الفرنسيين أرسلوا فأخذوا راقصات من مصر ليوهموا المسلمين أنها للسلطان وهو لا علم له به لأن المسلمين زهدوا في العلوم وفي السياسة وفي الصناعات للجهل الذي بثه شيوخهم الجاهلون

١٧٧ جوهرة في ايضاح الكلام على حسن بن الصباح واجال تاريخ الامامية والزيدية والكيسانية وفهم معنى الشيعة وأن الامامة ركن من أركان الدين عندهم والامام المعين معصوم وهؤلاء امامية وزيدية والاولون يتبرؤن من الشيخين والآخرين لا يتبرؤن والامامية تنقل الامامة عندهم في ولد فاطمة بالنص والزيدية يقولون انها في ولد فاطمة باختيار الشيوخ ولا بد أن يخرج الامام والامامية تبرؤا من زيد لأنه لم يتبرأ من الشيخين فرفضوه فسموا رافضة . وطائفة ساقط الخلافة في محمد ابن الحنفية ثم الى ولده فهذه هي الأحوال الثلاثة ولها فروع تطول ومنهم الغلاة الذين يقولون بألوهية الأئمة فهم بشر الهيون أو الاله نفسه حلّ فيهم كما تقول النصارى في عيسى ومنهم أيضا الواقفية يققون على واحد منهم مثل محمد ابن الحسن العسكري الذي دخل السرداب وهم ينتظرونه الآن

الكلام على الكيسانية . قد ساقوها من محمد بن الحنفية الى ابنه هاشم وهو أوصى لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبعده الى ابنه ابراهيم الامام ثم الى أخيه عبد الله السفاح ثم الى أخيه أبي جعفر المنصور . وهذه دولة بني العباس . الزيدية أتباع زيد بن علي رضي الله عنهما وقد خرج بالكوفة وقتل وصلب . وظهر بعده (بحي) بخراسان . وبعده (النفيس الزكية) الذي خرج بالجزاز فقتل ومنهم من ساقوا الامامة من محمد بن عبد الله الى أخيه ادريس الذي فرّ الى المغرب وقام بعده ابنه ادريس واختط مدينة فاس

١٧٨ الامامية . هم الذين ساقوا الامامة الى جعفر الصادق وبعده إما الى ابنه اسماعيل وإما الى ابنه موسى السكاظم وهم الاثنا عشرية والاسماعيلية نقالوها الى ابنه محمد المكتوم ثم ابنه جعفر ثم ابنه محمد ثم ابنه عبد الله المهدي الذي ظهرت دعوته في كتامة بالمغرب وملك القيروان والمغرب ثم مصر وقد خلط هؤلاء كلامهم بكلام الفلاسفة وحسبوا بالجل وشغلوا الناس بالافواق ولكن حسن بن الصباح فتح طريقا آخر كما في كتاب الشهرستاني أبي الفتح محمد إذ ذكر حجج ابن الصباح الأربع للاستدلال على أنه هو وامامه على الحق والفرق الباقية في الاسلام على الباطل

١٧٩ - واذ قال موسى لفته - ذكر هذه الآية مشكلة الى آخر السورة

١٨٢ تفسير الكامات

١٨٣ مغزى هذه القصة

١٨٤ إيضاح هذا المقام أي أسرار هذه القصة . وأن المؤانف تخيل فلاحا يسأل شيخا يقول له أنا حائر في أمر طير وبهائم ولكل خواص ليست للآخر وكل راض بنعمته والله بهار حليم ثم يهدم ما بناه ويعيت هذه الخواص . ثم اني أرى الخطاف يصطاد العصفور والطاعون يهلك الناس اهلاكا . فأرتج على الشيخ فلم يعرف كيف يجب

١٩٣ ذكر ما وافق عليه الشاطبي من فتوى علماء الاسلام بالضرب في التهم والحبس وفي تعزيم المال في بعض الجنايات وهكذا . وبيان أن علماء الاسلام قد جعلوا لامام المسلمين أن يوجب المنسوب وأن يقوى القول الضعيف . وأن رأى المؤلف أن المجالس المنتخبة في الأمة انتخاباً صحيحاً هي الأولى بمثل هذه المسائل لأنهم أولوا الأمر

بيان ما يجب على الأمة من تخصيص جماعة لعلم الفقه فيكون ذلك واجبا عليهم عينيا اذا كانوا أهلا لذلك . قصة (ذى القرنين) وتبيان اسكندر المقدوني وتاريخه اجالا وكذلك أبو كرب بن (أفريقش) وأن أبا الريحان اختار أنه هو ذو القرنين

١٩٥ التفسير اللفظي لقوله تعالى - ويسألونك عن ذى القرنين - الى آخر السورة

١٩٧ (اللطيفة الأولى) في سد ذى القرنين وأن هناك ستين سدة مدينة (باب الأبواب) التي هي نفس مدينة (دربت) بجبل قوقاف . وسد آخر وراء جيكون في عمالة بلخ واسمه (سد باب الحديد) بالقرب من مدينة (ترمذ) وقد اجتازه (تيمورلنك) و (شاه روح) و (سيلد برجر) الألماني وذكره في كتابه وهكذا (كافيجو) سنة ١٤٠٣ وهو بين سمرقند والهند وهذا هو المذكور في القرآن فعلا

١٩٨ الكلام على (يأجوج ومأجوج) و (ذى القرنين) . وبيان أن المؤلف كتب في (مجلة الهلال) هذه المقالة في أواخر القرن التاسع عشر . وتبين بعد ذلك أن ما استنتجه حتى بما رآه في كتاب (اخوان الصفاء) فنشره في (المؤيد) وملخص المقالة (خمس مباحث)

(١) معنى يأجوج ومأجوج وجغرافية بلادهم (٢) وفسادهم في الأرض وذكر تاريخهم (٣) معنى فتحت يأجوج ومأجوج - وذكر خروجهم (٤) معنى الحذب (٥) معنى اقتراب الوعد الحق

١٩٩ بيان افساد يأجوج ومأجوج في أوروبا قبل التاريخ وأن منهم أمة (السرياق) وغيرها وانهم خرجوا من الهضبات المرتفعة وانهم دمروا بلاد الاسلام و (بولونيا) و بلاد (المجر) وقسموا بلاد الله بينهم أربعة أقسام . وقد خص كل واحد من أتباع (جنكيزخان) ٢٤ قتيلا من المسلمين وذبح الخليفة وذكر الأحاديث التي هي من معجزات النبوة إذ تم كل ماوردت به مثل انهم لا يدخلون مكة الخ ومثل أن البيت يحجج بعدهم

٢٠٠ نص خطاب (جنكيزخان) لقطب أرسلان وقوله ولينسلن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حذب . وذكر حديث زينب بنت جحش . وبيان معنى - اقتراب الوعد الحق - وأنه كقوله تعالى - اقتربت الساعة - الخ . وبيان أن عالمين اسلاميين بكيا على الاسلام قبيل هجوم التتار وأخبرا بما سيحصل وبيان أن تلك البلاد مسماة بأسم يأجوج ومأجوج في (اخوان الصفاء) وغيره محددة الدرجات . وأن هؤلاء القوم أساموا وأن الملك المظفر ردهم عن مصر والشام

٢٠٣ خريطة بلاد يأجوج ومأجوج . رسم الشيخ محمد غفر الدين . وايضاح الخريطة . وذكر أن يأجوج ومأجوج الآن من جلة بلاد الصين

٢٠٥ قدوم عالم من علماء يأجوج ومأجوج على المؤلف . نظرة في أمة الانجليز ومصر وفي القيصر ومسلمي الروس وأن أمه وأخته يعلمان بنات القرية انتقاده المسلمين في مصر أن ملهم في جيوب الأجانب بخلاف مسلمي الروس ومقابلتي له بالمصادفة العجيبة قبل سفرى لوالدى إذ أصيب واخبارى له بأطاف الله في والدى وقوله إن الله مع المصلحين

الكلام على (ذى القرنين) والتدقيق في أمره وأن فتية الكهف في أول السورة فرّوا وأصحاب النبي

ﷺ فرتوا من الظلم مثلهم الى الحبشة والى المدينة وأن الجدار أقامه الخضر والسد بناء (ذوالقرنين) والسفينة خرقت والغلام قتل في آخر السورة اشارة الى أن أمة الاسلام عند قوتها تمنع الضرر قبل استفحالها وتنفع الأفراد والأمم . وذكر جواب سؤال ﴿ أيعلم الله شك الناس في هذه القصة أولا يعلم ﴾ والجواب عليه

٢٠٨ ذكر أسماء من اشتهروا من أمة اليونان بأئنيته واسبارطه مثل (كودروس) و (ليكورغس) وهكذا الى اسكندر . فهل فيهم من في اسمه (ذو) أو مافي معناه . كلا

٢٠٩ بيان ملوك اليونان والناغبين فيهم مثل (فيدون) و (ليكورغس) و (رافيطوس) و (سولون) و (فيليب الثاني) و (اسكندر الثالث) الملقب بالأكبر . فهو لاء وغيرهم ليس في أسمائهم معنى (ذو القرنين) السكلام على بلاد اليمن وملوكها . وانها تنقسم الى مخاليف والمخاليف وهي (٨٠) تحتها محافد والمخلاف يتولاه قيل والمحفد أو القصر قد يتحول الى مدينة وصاحب المحفد يلقب بلفظ (ذو) مثل (ذو غمدان) والجمع أذواء والأذواء يرتقون الى أقيال والأقيال يرتقون الى ملوك ثم الى تبابعة جمع تبع . وقد جاء في قصيدة لشاعر جبري نحو (٦٠) من الأذواء منها المئمنة أولا والباقي بعد ذلك مثل ذي ثعلبان وذو خليل وذو نيقان الخ . إذن ثبت أن (ذو القرنين) أقرب الى أهل اليمن لأنه لم يخرج عن كونه من الأذواء وارتقى بل ذكر فيهم (ذو القرنين) أو (افريقس) الصعب ولكنه ليس هو المذكور في القرآن وإن بالغ في أمره القصاصون . وبيان أن دولة (سبأ) وقبلها دولة (معين) و (القنانيون) و بعد سبأ الدولة الجبرية ومنها التبابعة وبيان ملوكهم

٢١٢ حكمة نزول هذه الأخبار في القرآن وذلك ليدكر المسلمين الحاليين ما حلّ بآبائهم من أمة يأجوج ومأجوج وليكون المصلحون فيهم نافعين للأفراد والأمم كمسألة اقامة الجدار وبناء السد بلا أجر وأن الأمم الاسلامية قد هجروا أوطانهم لضعفهم أولا كأهل الكهف وفي آخر الأمر ينفعون الأفراد والأمم كما تقدم

٢١٣ وأيضا ان المسلمين بعدنا يبحثون في هاتين الأمتين فيبين لهم أولئك المصلحون الذين سنوا للأمة مجالس النواب والشيخ التي أخذت تسرى الآن في بلاد الاسلام وعلى علمائهم دراسة تاريخ هذه المجالس ليكونوا على بينة

جوهرة في قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - . وبيان خطبة (جبنس) العالم الانجليزي في جامعة أمريكا إذ شرح عمر الأرض والشمس والانسان الحالي والمستقبل وبيان الأجرام الفلكية وأن لها نهاية . أما الفضاء فلا نهاية له . والأجرام الفلكية تمتد الى أكثر من ألف ضعف المسافة التي بيننا وبين السدم وأن الكهرباء تنطلق على الأرض وترجع الى محلها فالنور يجري على محيط دائرة والنور يجري حول الفضاء الكروي مائة ألف مليون سنة . وبيان حجم الأرض والشمس وعدد المجموعات ثلاثين ألف مليون مجموعة وشمسنا حبة رمل من مجموعة منها وعدد النجوم (٢) على يمينها (٢٤) صفرا . وذكر أضعف النجوم نورا وأشدّها الذي هو أقوى من ثلثمائة ألف ضعف نور الشمس والجوزاء أكبر من الشمس (٢٥) مليون مرة وقوة شعاع الشمس ونور الشمس بالنسبة الى نورها كنور الجبابب بالنسبة الى نور الشمس . وقوة الشعاع في البوصة المربعة من الشمس تعادل خمسين حصانا وهي في بعض النجوم تساوي ثلاثين ألف حصان . وبيان أعمار الأجرام الفلكية التي تبلغ الى عشرة آلاف ألف مليون سنة . وعمر الشمس الآن عشرة آلاف ألف مليون سنة وربما

٢١٦ تعيش ملايين الملايين أيضا . هذا معنى - قل لو كان البحر مدادا - الخ
جوهرة في قوله تعالى - قل إنما أنا بشر مثلكم - الخ وهي لبيان أن الكثرة المتقدمة تشملها وحدة
وبيان الوحدة عند قنماء الفلاسفة وانها ملازمة للوجود فكل موجود كثير أو قل يطلق عليه اسم
الواحد . ويقول علماء (الارتماطيقى) العالم كله واحد مكرر وعلماء العصر الحاضر وجدوا الوحدة في
التركيب . فكل شمس وكل كوكب وكل قمر مركبات من عناصر تماثل العناصر المعروفة وهي كلها
ذرات فكل ذرة لها دورات كدورات الكواكب حول الشمس . وقد وجدوا في قطرة الماء من
الذرات أعدادا عظيمة تقرب في كثرتها من عدد نجوم السماء

خلاصة ما تقدم مثل الوحدة في آراء الفلاسفة ووحدة الأعداد ووحدة علماء العصر الحاضر واتحاد الكواكب
ووحدة في الاشراف لأن السوالم كلها سواء أكانت مظلة أم مضية كالشمس والحديد والنحاس ترجع
الى ذرات ضوئية ركب منها تلك العناصر . ووحدة في جري أجزاء الذرات بعضها على بعض .
ووحدة في أن بين الذرات منسعات كالتي بين الأرض والشمس . ووحدة في أن الصغير مما نراه يحوى
عددا من الذرات يقرب من احتواء العالم على كواكب . ووحدة في الأحوال من حرّ وبرد وموت
وحياة . وفي الأخلاق كالجهاد الذي أمرت به جميع الديانات . ووحدة في العدل كما في قوله تعالى
- إن الله يأمر بالعدل - المشروح في سورة النحل . ووحدة في نظام الأمم . فكلما كانت الأمة
اقوى ترتيبا كانت أقدر على أن تغلب غيرها وتمتد التي ليست فيها وحدة انها مخالفة لنظام ربها فلذلك
تعاقب بالحزى في الدنيا ك بعض الأمم الشرقية في القرون المتأخرة . وبالشورى التي أمر بها سيدنا عمر
رضي الله عنه تسكون الوحدة . والحجب أن يتحد الطليان والألمان والممالك المتحدة وكثير من
المسلمين لم يتحدوا قبيل زمننا الحاضر . ومن الوحدة في الأمة الاحتفاظ بالصناعة وتقوية القائمين بها
ومساعدة الأيدي العاملة فيها . والأمة اذا فرطت في الصناعات تمزقت وحدتها وأصبحت ذليلة مستعبدة
لغيرها . كل هذا سرّ قوله تعالى في سورة إبراهيم - وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب -
فهذا من نوع التذكير الذي ينبغي أولوا الألباب

٢١٩ خطاب مفتوح كتب في مجلة (النهضة النسائية) يقصد به الوحدة في الصناعة وأن المصريات لم يفعلن
ما فعلته (جان دارك) من احراق جسمها لأجل بلادها ولم يقاطعن المنسوجات الأجنبية كأهل الهند .
فهلا قامت منهن طائفة تمنع التبرج كما فعلت النساء التركيات . وملخص هذه المقالة أن ارتقاء الأمة
في الصناعة والاقتصاد يجب أن يشارك النساء فيه الرجال

(تم)

(بشرى)

صحيح الامام البخاري في تسعة أجزاء

بخط جليّ واضح لم يسبق طبعه بهذا الشكل

مضبوط الكلمات • حائزا أعلى الصفات

الى الاصوليين والفقهاء والمحدثين أرف كتابا أصح الكتب بعد
كتاب الله سبحانه وتعالى ألا وهو كتاب ﴿ صحيح الامام البخاري ﴾
بعد التعطش لرياه • وقلة مرآه • حتى أصبح لا يرى لنسخه أثر •
ولا يوقف لها على خبر • والنفوس له مشتاقه • ولاجتلاء محياه
تواقه • ومع الاستعانة بالله سبحانه شرعنا في طبعه وعمما قريب
يظهر للوجود • بعد ان كان غير موجود • وانتقينا له من الورق
أعلاه وأغلاه • ومن الحروف أوضحها وأضبطها • ومن الاصول
أصحها وأتقنها • وحسبك صحة واتقانا النسخة التي انتقاها من بين
أصوله الصحاح أمير المؤمنين المغفور له (السلطان عبدالجيد) التي أجمع
على صحتها أكابر علماء الأزهر الشريف • رحم الله جميعهم • وبرر
في الدارين صنيعهم آمين

دلائل الخيرات

نظرا لشدة الرغبة في تلاوة ﴿دلائل الخيرات﴾ ولعدم وجود أصناف جيدة منها . قد طبعنا أربعة أشكال علي ورق جيد بتجليد ظريف

(الأولى) بقطع الربع وبهامشها أحزاب وأوراد وأدعية وقصائد منسقة برسم جميل وخط بديع

(الثانية) بقطع الربع أيضا بخط ثلث واسع

(الثالثة) بقطع الثمن بخط متوسط واسع

(الرابعة) بقطع صغير يوضع في الجيب ويقرأ بناية

السهولة

وقد لاحظنا الدقة والاعتناء في التصحيح خدمة

المتعبدين والمولعين بالصلاة والسلام على نبينا ومحمد

المرسلين صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه وسلم